مصادر التربية الإسلامية

(معجم الأدباء)

لياقوت الحموى نموذجا

موهوب محمد أحمد عيسى

تقديم

الأستاذ. الدكتور

مصطفى رجب

أستاذ أصول التربية

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

البيـــانـــات	
عنوان الكتاب – Title	مصـادر التربيـة الاسـلامية (معجـم الأدبـاء) لياقوت الحموي نموذجا
المؤلف - Author	موهوب محمد أحمد عيسى
الطبعة – Edition	الأولى .
الناشر - Publisher	العلم والإيمان للنشر والتوزيع .
عنوان الناشر Address	كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
بيانات الوصف المادي	عدد الصفحات Pag.: ٤٠٠ — مقياس النسخة Size: ٢٤,٥ x ١٧,٥ — التجليد: مجلد
المطبعة - Printer	الجلال .
عنوان المطبعة - Address	العامرية إسكندرية.
اللغة الأصل	اللغة العربية .
رقم الإيداع	٢٦٧٢٢ـ ٢٠٠٧م
الترقيم الدولي I.S.B.N.	977- 308 - 164 - 8
تاريخ النشر - Date	2008

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس



الفهرس



الفهرس

المقدمة :

التراث العربى الإسلامى تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامى ، ودوره فى بناء الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ، بل هو الدافع الرئيسى لنهضة الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة..

والنظرة العامة للتراث حديثا تتمثل فيما تركه السلف لنا من مخطوطات أى من الكتب ، التى تعتبر قلب المعرفة والعلم العربى الإسلامى ، بل المعرفة والعلم الإنسانى كافة والتراث العربى الإسلامى بروافده المختلفة من العلوم النقلية والعقلية وما صححه وطوره مما أضافه نتيجة جهد أبنائه المسلمين المشتغلين فيه ، ومما أضافه نتيجة المواقف الاجتماعية والإنسانية والحضارية هو مجال واسع رحب عميق متنوع للدراسات، وسيظل أرضا بكرًا للأبحاث مدة طويلة قد تطول إلى قرون .

ومن هنا كان أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى عبد الرحمن درويش يرى أهمية دراسة تاريخ التربية والتعليم بالنظر إلى الفائدة التى تعود علينا من خلال هذه الدراسة فإن تراث الأمة يمثل حصاد تفاعلها الإنسانى ، مع الوجود كله ، مع الديانات والعقائد والفلسفات ، مع الآداب والمعارف والفنون ، مع الطبيعة المادية والجغرافية والتاريخية مع الأمم السابقة. والنظم التعليمية نشأت وتطورت مع تطور المجتمع الإنسانى فى عصور الحياة المختلفة ، وخضعت لعوامل فعالة مؤثرة . وهذه العوامل تختلف بين العوامل الاقتصادية والدينية والاجتماعية بل والعوامل السياسية ، وإن كانت درجة تأثير كل عامل تختلف حسب الزمان والمكان على الفكر البشرى ، ونموه التردوى و التعليمى . ولكنها جميعا نتاج جهود طائفة متميزة من العلماء المخلصين لدينهم وأوطانهم .

ومن هؤلاء العلماء ياقوت الحموى ، صاحب كتاب (معجم الأدباء) والمسمى بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، وهذا المرجع الخصب هو ما يتناوله - في هذا الكتاب ابننا الباحث موهوب محمد عيسى بالدراسة والتحليل للوصول إلى معرفة الأوضاع

التعليمية التى كانت سائدة فى العصور التى أرخ لها ياقوت ، ومعرفة القضايا التربوية التى اعترضت تلك العصور ، فهذا الكتاب تأريخ للتربية الإسلامية من خلال دراسة قضايا التربية والتعليم فى الفترة الزمنية التى عاش فيها ياقوت والفترات التى أرخ لها في موسوعته (معجم الأدباء) ، وهذا الكتاب ثمرة رسالة علمية تقدم بها موهوب تحت إشرافي وبمشاركة من زميلي وتلميذي الدكتور خليفة الحويج إلى كلية التربية بسوهاج عام ٢٠٠٠م .ونال عنها درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

وقد ترجم ياقوت فى معجمه لكل من اشتغل بالعلم والأدب واللغة والنحو والكتابة فى الرياضيات والهندسة والفلك وغيرها من العلوم العقلية ، واهتم بجانب هؤلاء بالترجمة للوراقين وأصحاب الخطوط لألفة المهنة فقد اشتغل ياقوت فى مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة ، ولم يقتصر ياقوت فى معجمه على أدباء عصر دون عصر بل ترجم لكل من خدم الأدب العربى إلى عهده وزمانه . وقد ترجم لأدباء أحياء فى عصره مثل القفطى الذى توفى بعده بعشرين عام .

وقد شرح ياقوت منهجه فى الترجمة للرجال فقد ذكرهم بطريق الإيجاز مع ذكر مواليدهم وتواريخ وفياتهم ، وكان يذكر بعض مستحسن أخبار العالم ، وبعض المختار من شعره ، وقد تمسك ياقوت بهذا الكتاب دون إعارته لأحد وكان سبب هذا الشح أن الكتاب كان مخطوطاً لدى ياقوت وخشى إن أعاره لسواه أن تتسرب معلوماته إلى من عداه ومن يدرى لعل شيئا قليلا أو كثيرا من الكتاب ينقله ناقل وينسبه إلى نفسه ويضيع على ياقوت ما بذله من جهد ووقت ، وتفكير وإبداع ، وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله " وقد أقسمت ألا أسمح بإعارته ما دام فى مسودته ، لئلا يلح طالب بالتماسه "

وقد رتب ياقوت الأعلام فى معجمه على نظام الترتيب الألف بائى فقال :" وقد جعلت ترتيبه على حروف المعجم ، أذكر أولا من أول اسمه (أ) ثم من أول اسمه (ب) ثم (ت) ثم (ث)إلى آخر الحروف "

وكان ياقوت إذا اتفق الرجال فى أسمائهم وأسماء آبائهم ، يلجأ إلى تاريخ الوفاة فيقدم فى الذكر من تقدمت وفاته وقد سبق أن أشرنا إلى منهج ياقوت فى تأليف كتبه.

فهذا الكتاب سيكون فاتحة خير – إن شاء الله – أمام الباحثين الظماء إلى الارتواء من معين تراثنا الإسلامي الثري.

نسأل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب علما ينتفع به مؤلفه وقارئه . إنه سميع مجيب

أ.د. مصطفى رجب

أستاذ التربية الإسلامية -رئيس قسم أصول التربية

جامعة سوهاج

سوهاج في ذي القعدة الحرام ١٤٢٨هـ – نوفمبر ٢٠٠٧م



الفصل الأول
التعريف بياقوت الحموى

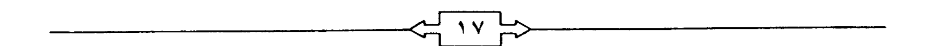
مقدمة

يعرض البحث هنا بعض الجوانب الحياتية لياقوت الحموى . حتى يمكن للقارئ أن يدرك كل ما يدور حول حياة ياقوت ، وفى فترة قصيرة . ولكل علم من أعلام المعرفة ، ظروف قاسية تحمل من خلالها التعب والجهد . ويفوق ذلك ترك العالم لأهله ووطنه ، وتكون الحياة أشد قسوة حينما يؤخذ هذا العالم من وطنه قهراً ، لا اختيار له .

ولذا كان علينا أن نجمع كل ما يتعلق بحياة ياقوت بدء من طفولته وحياته الأسرية الأولى ، والظروف التى عاشتها أسرته . وكيف وصل ياقوت إلى بغداد ، والسبل التى سلكها حتى يحصل على نصيبه من التعليم . وكيف فرضت الظروف الاقتصادية على ياقوت الحموى العمل والسفر والتنقل بين البلدان ، والفائدة العلمية (الحصيلة المعرفية) التى عاد بها ياقوت من رحلاته وتطوافه بين أرجاء المدن الإسلامية ، الأمر الذى كان له عظيم الأثر ، فى ظهور هذه المؤلفات العلمية لياقوت الحموى والتى تزخر بالمعرفة ، بل فى شتى أنواع المعرفة بين الأدب والتاريخ والنحوى والصرف والجغرافيا ، بل لا نبالغ إذا قلنا فى الطب والهندسة وفن العمارة وعلم الفلك والتى من بينها كتاب " معجم الأدباء " موضوع الدراسة .

وتحدث الباحث باختصار عن رحلات ياقوت وتنقلاته لعدم الإسهاب معرضاً لأهم معالم هذه المدن ، والعلماء المشهورين الذين تتلمذ لهم ياقوت تلمذة مباشرة أو غير مباشرة (أى من خلال مؤلفاتهم) .

وتحدث كذلك عن منهج ياقوت فى التأليف وطريقته فى توثيق المعلومة التى يقتبسها من غيره ، واستشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والمكانة التى حطى



بها ياقوت بين العلماء ، وكتاب معجم الأدباء بين نظائره من كتب العلماء . والتزم الباحث بذكر مراجع الدراسة فى تقرير الدراسة (متن الدراسة) بالإشارة إليها على النحو التالى : (الزركلى : ٣ / ٩٥) فمعنى ذلك أن المعلومة موجودة فى الجزء الثالث الصفحة الخامسة والتسعون .

وعند ذكر الآيات القرآنية والأحاديث يشار إليها داخل البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية ، أو الحديث وموقعه .

ياقوت الحموى :

قام الباحث هنا بمحاولة لوضع سيرة ذاتية للعالم والأديب ياقوت الحموى ، على ضوء ما قام به ياقوت من كتابات أدبية وتاريخية لبعض الأحداث التى عاش أيامها وقاسم غيره هذه الأحداث ، وكذا الكتابات التاريخية التى تناولت حياته.

أولا : الأسماء المتشابهة مع ياقوت الحموى :

وردت فى بعض كتب العلماء أسماء تشابهت مع ياقوت الحموى بجانب أن جميع هذه الأسماء من الروم ، غير أن كل علم من هذه الأعلام الياقوتية يتميز بعلم من العلوم يختلف به عن غيره بل هناك أشياء تميز كلا منهم عن الآخر ومن هؤلاء :

١ - ياقوت الموصلى :

" أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب الملقب بأمين الدين والمعروف بالملكى (نسبة إلى السلطان أبى الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر) ت : ٦١٨ هـ وقد أخذ الموصلى علم النحو عن أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوى ، فقد قرأ عليه ديوان المتنبى ، والمقامات الحريرية عن طريق ملازمته وقد كتب الموصلى الكثير من الكتب ، وكان يجمع مع ذلك نباهة

تامة وكتب الموصلى بخطه نسخا من كتاب الصحاح للجوهرى كل نسخة فى مجلد واحد(١)

٢ - ياقوت الرومى (أبو الدر) :

" أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب بمهذب الدين . الشاعر المشهور مولى أبى منصور التاجر الحلبى وقد تعلم بالمدرسة النظامية واشتغل بالعلم وأكثر الأدب واستعمل قريحته فى النظم فجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه (عبد الرحمن) ، وكان مقيماً بالمدرسة النظامية ببغداد وبها حفظ القرآن الكريم وقرأ من الأدب وكتب خطا حسنا وله ديوان شعر يقع فى عشر كراريس وقد وجد ميتا يوم الأربعاء ١٥ من جمادى الأولى ٦٢٢هـ ولم يعلم متى مات فليس معه فى مأواه أبناء ولا زوجة وكان قد خرج من النظامية فسكن فى دار بدرب دينار الصغير ببغداد التى نشأ بها(٢)

وقد أورد له ابن خلكان مقطوعة من شعره الذى كان أكثره الغزل والتصابى وذكر المحبة فقال :

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا ... فكل ما تدعى زور وبهتان

---

(١) رجع الباحث للمصادر الآتية :

* ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق / إحسان عباس الجزء السادس ، (لبنان – بيروت دار صادر ، ١٩٨٦م) ص ١١٩

* وياقوت الحموى ، معجم الدباء ، الجزء الخامس (لبنان – بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م) ص ٥١٣ * والزركلى ، الأعلام ، الجزء الثامن (لبنان – بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م)، ص ١٣١ * وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ف ملوك مصر والقاهرة،الجزء الثامن(القاهرة:دار الكتب المصرية، دز ت) ص ١٨٧ .

* وابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، الجزء الخامس (القاهرة : دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٥١هـ) ، ص ٤٤٣

(٢) معجم الأدباء ، ٥/ ٥١٤ وانظر فيه ، ابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٢٨٣/٥

وابن القطان ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،دراسة وتحقيق د/ محمود على مكى (لبنان : بيروت دار االفكر الإسلامى ، ١٩٩٠م) ص ٣١٦

وابن العماد ، مرجع سابق ، ٥ /١٠٦،١٠٥

والزركلى ، مرجع سابق ، ١٣١/٨

والخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، (مطبعة الخانجى ، ١٩٣١م) الجزء الثانى ، ص ٢٣٨

وكيف تأنس أو تنسى خيالهم	وقد خلا منهم ربع وأوطان
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى	عن النواظر أقمار وأغصان
ساروا فسار فؤادى إثر ظعنهم	وبان جيش اصطبارى ساعة بانوا
لا افتر ثغر الثرى من بعد بعدهم	ولا ترنح أيك لا ولا بان
أجرى دموعى وأذكى النار فى كبدى	غداة بينهم هم وأحزان
طوفان نوح ثوى فى مقلتى وفى	طى الحشا لخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد	فيكم لجاد له أحد ولبنان [(١)]

وبعد هذا العرض لهؤلاء الذين تتشابه أسماؤهم مع ياقوت الحموى .

يتضح أن هذا التشابه فى الاسم والموطن والجنس والزمان يرجع إلى إقامتهم بالعراق فقد درج هؤلاء تحت مظلة الرقيق الذين استجلبوا من البلاد الأخرى من خارج العراق مثل بلاد الروم التى هى " إقليم مشهور متسع ، كثير البلاد " [(٢)] وكان سبب التشابه بين ياقوت الحموى وغيره فى الألقاب والأسماء هو " أن أسواق الرقيق كانت تختار الاسم أو اللقب لأسرى الصغار ، فى العصر العباسى الثانى ، فكانت أسماء الجواهر مثل الياقوت والمرجان واللؤلؤ تطلق على الذكور ، كما أن : نضار ،ولجين ، وفضة ، وماسة كانت من الأسماء التى تطلق على الإناث ولذلك راج اسم ياقوت سواء أكان روميا أم غيره وإنما خلد فى التاريخ من كانت له صلة بالآداب والعلوم " [(٣)]

كما لاحظ الباحث تفوق هؤلاء العلماء فى الآداب والعلوم حتى أن بعض الأفاضل يقول " كنت بمدينة بغداد فى سنة ٦٢٠هـ بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها إلى جانب أبى الدر (ياقوت الرومى) ونحن نتذاكر الأدب " [(٤)]

---

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٦ /١٢٢، ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ٦ /١٢٦.
(٣) السيد محمد ديب ، ياقوت الحموى أديبا وناقدا،الطبعة الأولى (القاهرة:دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٨م ، ص ٢٣.
(٤) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٦ /١٢٥

وقد رجع الباحث إلى الكثير من أمهات كتب التراجم مثل الأعلام للزركلى ولسان الميزان لابن حجر، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ووفيات الأعيان لابن خلكان وشذرات الذهب لابن عماد وغيرهم من الكتب الكثير فلم يجد من الأسماء التى تتشابه مع ياقوت الحموى غير ياقوت الموصلى ، وأبو الدر وإن وجد غيرهما فلا تتشابه مع ياقوت الحموى لبعد تواريخ الوفاة عن وفاة ياقوت الحموى .

وقد تحدث ياقوت الحموى فى كتابه (معجم الأدباء) عن الاختلاف بينه وبين من تشابه اسمه معهم فيقول فى ترجمته لياقوت الرومى هو " أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى ويغلب عليه لقب مهذب الدين (ت:٦٢٢هـ) ، ويقول عنه "أنه أحد أدباء العصر ومن شعرائه المجيدين نشأ ببغداد وحفظ القرآن وعنى بتحصيل العلم فتعلم بالمدرسة النظامية وقرأ فيها العلوم العربية والأدبية على جماعة من العلماء وغلب عليه الشعر وكان حسن الخط والضبط وله ديوان شعر " (١)

ثم يتحدث ياقوت الحموى عن ياقوت الموصلى حتى يثبت هذا الاختلاف الذى بينه وبينهم وأنه مجرد تشابه فى الأسماء فيقول فى ترجمته لياقوت الموصلى هو " ياقوت بن عبد الله الرومى الأصل نزيل الموصل، الكاتب الأديب النحوى (ت : ٦١٨هـ) . أخذ النحو والأدب عن ابن الدهان هو (أبو محمد ، سعيد بن المبارك بن الدهان البغدادى : ت ٥٦٩ هـ) (٢)

ويقول ياقوت الحموى) اجتمعت به فى الموصل سنة ٦١٣هـ فرأيته على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار وقد أمن وبلغ من الكبر الغاية ورأيت كتبا كثيرة

---

(١) معجم الأدباء ، ٥ /٦١١ انظره فى : ابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٥ / ٢٨٣ والزركلى ، مرجع سابق ، ٨ / ١٣١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق ، ٢ /٢٣٨ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٢/٦.

(٢) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، الجزء الرابع (لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٥٧م) ، ص ٢٢٩.

بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأثمانها بينها عدة نسخ من كتاب الصحاح للجوهرى والمقامات الحريرية " (١)

ياقوت الحموى :

اسمه ولقبه :

لاحظ الباحث أن المعلومات المتاحة عن ياقوت الحموى فى المصادر التاريخية المعروفة قليلة الفائدة فيما يخص البحث الحالى فهى قليلة بوجه عام وتكاد تكون متكررة من مصدر أخر، والاختلافات فيما بينها (بالنسبة للمعلومات الأساسية) مختصرة وطفيفة فياقوت الحموى هو :

" أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس ، الحموى البغدادى الدار ويغلب عليه لقب شهاب الدين (٢) هذه هى سلسلة نسبه كما نقلها ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) وهو الكتاب الذى اعتمد عليه كتاب الأدب وتاريخه ،وناشر و كتب الأدب والتراث من بين ما اعتمدوا عليه لأن هذا الكتاب يورد ترجمة ياقوت مفصلة واضحة ، بجانب أن ابن خلكان كان معاصرا لياقوت الحموى وتنال كتاباته ثقة الكثيرين" (٣)

ومن المعروف فى التاريخ العربى أن الشخص قد يكون له اسم وكنية ولقب فاللقب علامة على أبرز صفة فيه أو ما اشتهر به بين الناس تكريما له أو تعريفا به مثل الصديق لأبى بكر والفاروق لعمر (رضى الله عنهما) والكنية : هى اللفظ المصدر بكلمة أب أو أم والاسم : هو الذى سمى به عند مولده.

فتجريد اسم ياقوت : يكون هو ياقوت بن عبد الله .أما الألقاب فنجد سيلا من الألقاب فرضته عليه بيئته ، فاللقب الأول (شهاب الدين) والنسبة إلى الدين كانت

---

(١) معجم الادباء ، ٥ / ٦١٢ وانظره فى ، الزركلى ، مرجع سبق ، ٨ / ١٣١ ابن العماد ، مرجع سابق ، ٥ / ٤٤٣

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٦ /١٢٧ والزركلى ، مرجع سبق ، ١٣١/٨وجورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، تحقيق وتعليق شوقى ضيف،الجزء الثالث (القاهرة:دار الهلال د.ت) ص ٨٨ .

(٣) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٣٤.

شائعة إذ ذاك بين الناس واللقب الثانى (الرومى) لأنه ولد ببلاد الروم (آسيا الصغرى)؛ واللقب الثالث (الحموى) لأن تاجرا من بغداد من قبيلة حموية اشتراه " (١) وقد كان هذا التاجر من أهل حماة ثم انتقل إلى بغداد وينسب البغدادى لأنه سكن بغداد بجانب سيده وقد أخطأ ابن العماد الحنبلى حينما لقبه الدرى " (٢) فأبو الدر هذا سبق الكلام عنه ...

مواطن ياقوت الحموى :

تبين من خلال المراجع التى تناولت حياة ياقوت الحموى والتى رجع إليها الباحث أنه لا توجد بلدة بعينها يمكن أن تعتبر موطنا له ولم تعرف بالتحديد البلدة التى ولد فيها ياقوت فقد أخذ من بلاده صغيرا " (٣) وما عرف عنه أنه من بلاد الروم وهى واسعة (فبلاد الروم إقليم مشهور متسع كثير البلاد)(٤) ، فليست لياقوت بلدة رومية معينة ينسب إليها فقد " افتقد فى طفولته ماضيه ، فهو يجهل بلدته الحقيقة ، وكل شىء عن حياة ياقوت فى بلاد الروم غير معلوم (٥) وهكذا لا تستطيع الدراسة أن تجزم بشىء فى شأن موطن ياقوت الأصلى وحياته قبل أسره من بلاده وقد ذكر بعض المؤرخين أن ياقوت الحموى ينتسب إلى بلاد اليونان فذكر الدكتور / زكى محمد حسن أن ياقوت يونانى فقال " ياقوت يونانى الجنس ، على أن اليونان كانت جزءا من الدولة الرومانية البيزنطية " (٦)

ويرى الباحث أن هذا الرأى قد يكون بعيدا عن واقع حياة ياقوت الحموى فمن عاصر ياقوت من الكتاب والمؤرخين لم يذكروا موطنا لياقوت لعدم وجود أدلة تكون دليلا

---

(١) كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة : منشورات لجنة التأليف ، والترجمة والنشر – جامعة الدول العربية ، ١٩٦٣م ، ص ٥٦

(٢) ابن العماد ، مرجع سابق ، ٥ /٤٤٣ .

(٣) الذهبى، العبر فى أخبار من غبر،تحقيق صلاح الدين المنجد وآخرون الجزء الخامس(الكويت، ١٩٦٠م)،ص١٠٦

(٤) ابن العماد ، مرجع سابق ، ١٠٦/٥ ومعجم البلدان ، ١١/٥

(٥)ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٩/٦ ،وابن شاكر الكتبى (٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق د/ احسان عباس الجزء الأول (لبنان – بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ص ص ١٥،١٦

(٦)زكى محمد حسن،الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى،الطبعة الثانية(القاهرة:دار المعارف،١٩٤٥م)،ص:١٠٢.

على قولهم وشاهدا يستندون إليه ناهيك عن إحجام صاحبنا عن ذكر ما يدل على موطنه في كتاباته المتعددة ، لذلك فإن الباحث لا يميل إلى أن يكون ياقوت يونانيا .

مولده ووفاته :

كانت ولادة ياقوت الحموى في سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم"(١) وقد ذكر ناشر كتاب معجم البلدان طبعة بيروت أنه لا يعلم شيء عن تاريخ مولده "(٢) وهذا الرأى هو ما تجمع عليه الدراسة وذلك بسبب أسر ياقوت من بلاده وهو طفل صغير ولقد أقر المؤرخون الذين جاءوا بعد ابن خلكان ما ذكره عن مولد ياقوت فقد"ارتضوا سنة أربع وسبعين وخمسمائة من الهجرة تاريخا لمولده "(٣) ومن هنا لا يجد الباحث حرجا من سرد هذه الآراء ومتابعتها حتى تعم الفائدة

أما عن وفاته : فقد جاء في الجزء الخامس من كتاب شذرات الذهب (لابن عماد الحنبلى ت : ١٠٨٩ هـ) في الكلام عن رجالات القرن السابع قال : توفى (يعنى ياقوت) يوم الأحد العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بمدينة الخان بظاهر مدينة حلب "(٤) وقد وافق ابن خلكان رأى ابن عماد بقوله " توفى ياقوت الحموى يوم الأحد العشرين من رمضان ٦٢٦هـ في الخان بظاهر مدينة حلب "(٥) وقد ارتضى عمر رضا كحالة ذلك في كتابه (التاريخ والجغرافيا في العصور الوسطى)(٦)

تعقيب :

مما سبق يتبين أن تاريخ مولد ياقوت الحموى غير معلوم فقد أسر من بلاده صغيرا لا يدرى شيئا عن طفولته ولا موطنه أما وفاته فقد كانت في سنة ٦٢٦هـ.

---

(١)ابن خلكان ، مرجع سابق : ١٣٩/٦

(٢)ياقوت الحموى ، معجم البلدان : ١٥/١

(٣)زغلول راغب النجار ، وعلى عبد الله الدفاع ، اسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علم الأرض (منشورات مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٩٢.

(٤)ابن العماد ، مرجع سابق ، ١٢٢/٥.

(٥)ابن خلكان : مرجع سابق، ١٣٩/٦

(٦)عمر رضا كحالة : التاريخ والجغرافيا في العصور الوسطى ،(دمشق : المطبعة التعاونية ، ١٩٧٢م ، ص ٥٢٤.

السبب الذى من أجله لقب ياقوت بالحموى :

كانت بلاد الروم التى ولد فيها ياقوت وأسر منها على عداء مستمر مع دولة الفرس ولم تكن الحروب تنقطع بين هاتين القوتين فلما ظهر الإسلام فى بداية القرن السابع الميلادى عاشت هاتان الدولتان فى قلق وبدأ الصراع بين هذه الأطراف خاصة وأن الدولة الرومانية تقترب من شبه الجزيرة العربية ونتيجة للحروب والمعارك بين الروم والمسلمين فقد " دخل كثير من الروم فى الإسلام ودخلوا شبه جزيرة العرب حيث يوجد رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – وذلك عند بدء الدعوة الإسلامية وقد زامن ذلك ظهور أسواق النخاسة فى العراق والشام وغيرهما حيث يباع الأسرى من الروم والفرس وكثير من تجار الرقيق يملكون قلوبا كالصخر قلوبا لا تعرف شفقة ولا رحمة وإنما تعرف جيدا الدينار والدرهم "(١)

ومن بين هؤلاء الأسرى من الروم ياقوت الذى وصل مع الأسرى إلى بغداد حيث السلاجقة الأتراك يحكمون باسم الخليفة العباسى وكانت هذه هى المحطة الأولى فى تاريخ حياة ياقوت التى ينزل فيها بعيدا عن بلاده وأسرته فقد " تم بيع ياقوت فى سوق بغداد فقيل له البغدادى "(٢) وهو لقبه الأول أما سبب إطلاق لقب الحموى عليه فقد "كان التاجر الذى اشتراه فى بغداد يسمى " عسكر بن أبى نصر إبراهيم الحموى " لأنه كان من حماه فاكتسب ياقوت لقب الحموى من سيده . الذى نشأه نشأة إسلامية "(٣)

وقد حاول ياقوت أن يغير اسمه إلى يعقوب فيقول ابن عماد " لما تميز ياقوت واشتهر سمى نفسه يعقوب "(٤)

---

(١) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٣٥

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٧/٦.

(٣) صلاح المنجد ، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، الجزء الأول (دار الفكر د.ت) ص ٦١.

(٤) ابن عماد ، مرجع سابق ، ٤٤٥/٥.

غير أن ياقوت بقى رقيقا حتى بلغ سن العشرين (فقد أعتقه سيده بعدها). وسمى ياقوت لأن أسماء بعض الأرقاء عند العرب كانت تؤخذ من أسماء الأحجار الكريمة "(١)

ومما سبق يتبين أن ياقوت أطلق عليه لقبان هما الحموى ، والبغدادى ،وأحيانا الرومى لكنها إلى النسب أقرب وكان السبب فى ذلك أسواق النخاسة (الرقيق)

بيئته ونشأته :

لم يستطع الباحث الحصول على أية معلومات تخص البيئة التى نشأ بها ياقوت فقد خلت المصادر التاريخية من الحديث عن بيئته الأولى والتى تخص الأسرة التى اندرج منها ياقوت وكل المعلومات المتاحة عن حياته إنما هى بعد أن بيع فى أسواق الرقيق

فقد " بدأ الصبى حياته الجديدة فى بغداد حيث أسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف (بعسكر بن أبى نصر بن إبراهيم الحموى) ومن منزل سيده الذى اشتراه بدأ حياته "(٢) ثم أعقب ذلك أنه واصل الإقامة ببغداد فترة ليست طويلة فقد " أقام سيده عسكر (رجلا مسلما طيب القلب) ببغداد واستقر فيها لأنه تزوج منها وبنى حياته فيها وقد كان تاجرا ومن عادات التجار فى العصور الوسطى أنهم كانوا يتزوجون فى البلاد التى ينزلون بها مدة من الزمن "(٣)

ولاتساع تجارة عسكر الحموى كان فى حاجة إلى أن يحافظ على هذه التجارة الواسعة التى ينتقل بها من بلد إلى بلد فإقامته ببغداد ليست إقامة كاملة ولذا كان محتاجا إلى معاونة من شاب يحسن القراءة والكتابة ويتقى الله فى أعماله فاشترى ياقوت الحموى ليصنع منه شابا مسلما متعلما مثقفا تاجرا ناضجا ورحالة يتحمل أعباء السفر ومشقات الطريق "(٤) وقد أورد عبد الرحمن حميده قوله فى ياقوت الحموى) قال

---

(١) زغلول راغب النجار ، وعلى عبد الله الدفاع ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢.

(٢) اليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الجزء الرابع . (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧) ، ص ٢١٤.

(٣) زكى محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠٣.

(٤) السيد محمد الديب ، مرجع سابق ، ص ٣٧

" أن والد ياقوت الحموى وقع أسيرا فى أيدى الروم واسمه عبدالله وعاش فى آسيا الصغرى (بلاد الروم) مدة طويلة فتزوج وأنجب ياقوت ثم جرت معركة بين العرب والروم فوقع الطفل ياقوت فى يد العرب فبيع فى أسواق الرقيق ببغداد فاشتراه عسكر الحموى وعندما أعتقه اختار ياقوت لنفسه اسم يعقوب ولكنه فشل فقد أصر معاصروه أن يبقى اسمه ياقوت "(١)

ويرى الباحث هنا أن راجى عنايت قد انفرد بروايته التى رأى فيها ما يمس حياة ياقوت الحموى فى طفولته وهو ما لم تجمع عليه المصادر التاريخية التى توقفت عن الخوض فى حياة ياقوت الحموى قبل أسره فى بلاد الروم .

وكان الدافع الذى جعل سيده عسكر يهتم بتعليمه أنه وجد فيه سمات طلاب العلم من صفاء القريحة ورجاحة العقل فقد ذكر عبد الرحمن حميده فى كتابه (أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم) قوله " رأى سيده التاجر الذى لم ينل حظا وافرا من التعليم أن يفيد من هذا الحدث النابه الذى لاحظ فيه صفات الذكاء فعمل على أن يوفر له ذلك التعليم كى يستعين به فى حساباته ومعاملاته فأدخله الكتاب يتعلم فيه الكتابة واللغة وبذلك أصبحت اللغة العربية لغته القومية ونال فيه تعليماً إسلامياً جيدا وتوسع فى دراسته فاهتم بالنحو والأدب وهكذا حصل على ثقافة واسعة متينة جعلت منه كاتباً ماهراً يساعد سيده رجل الأعمال "(٢) الذى كان على سعة من العيش ودفعته مصالحه إلى الإقامة ببغداد فى تصريف أعماله وصفقاته التجارية ولعل الأمانة والاستقامة كانت من الصفات الرئيسية فى ياقوت والتى دفعت سيده إلى أن يشركه فى تجارته ذاتها فقد " كان كثيرا ما يصطحبه فى أسفاره التجارية بل أنه كان يبعثه أحياناً بمفرده "(٣)

---

(١) راجى عنايت ، ياقوت الحموى ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م ، ص ١٧ نقلا عن عبد الرحمن حميده: علام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ،(دمشق : دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م) ، ص ٢٢٧

(٢) عبد الرحمن حميده ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.

(٣) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

وقد فرق ابن خلكان بين تعليم ياقوت الحموى فى صباه وبين تعليمه الكبر فقال "وجعله سيده فى الكتاب لينتفع به فى ضبط تجارته فقد كان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيئا سوى التجارة ولما كبر ياقوت قرأ شيئا من النحو واللغة (١)

لاحظ الباحث مما سبق أن عسكر الحموى هذا قد اختار ياقوت لأنه طفل صغير لم يعرف لؤما ولا مكرا فأراد له نشأة سليمة على أساس إسلامى رفيع فأحسن إليه واهتم به وأدخله الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب حتى يستفيد به فى تجارته وهنا هدأت نفس ياقوت مع حنان سيده وعطفه. ويمكن القول أن ياقوت لم يتعلم العلم حباً فى العلم ولا طلباً لتحصيل مادة معينة بل أنه تعلم من أجل النجاح فى إدارة تجارة سيده وكان نبوغه حينما كبر فقد اهتم بتحصيل الكثير من النحو واللغة والقرآن الكريم فاكتملت قدرته العلمية على العمل والحركة وخرج إلى ميدان الحياة حيث العمل والتجارة والأسفار. ويمكن القول أن ما حصله ياقوت من العلم كان فى بدايته بسبب التحاقه بالكتاتيب ثم إذا به يخرج إلى الحياة التى تعد مدرسة متعددة الفصول طويلة المناهج .بها الكثير من التجارب التى يتعلم منها الإنسان حياته العلمية والعملية كل ذلك " دفع ياقوت الحموى إلى أن يعقد العزم على الإخلاص لسيده الذى أحسن إليه "(٢)

الرحلة وأثرها فى حياة ياقوت :

كانت الرحلة فى هذه العصور التى عاشها ياقوت مع علمائها) لطلب العلم من أبرز مصادر التعليم بل إن بعض العلماء دمج بين الرحلة للتجارة وطلب العلم ومن هؤلاء العلماء ياقوت

فقد كانت أولى رحلاته التجارية إلى منطقة الخليج الفارسى (الخليج العربى حاليا) ففيه تقع جزيرة كيش فى بحر عمان والتى قال عنها ياقوت فى كتابه (معجم البلدان) هى " تعجيم قيس وهى جزيرة تقع فى وسط البحر وتعد من مدن فارس لأن

---

(١)ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٧/٦.
(٢)معجم الأدباء ، ٢٥/١.

أهلها فرس وتعد أيضا من مدن عمان لقربها منها وقد نسب المحدثون إليها (إسماعيل بن مسلم العبدى الكيشى قاضيها) وقد روى عنه يحيى بن سعيد ووكيع وعبد الرحمن المهدى وكان ثقة " (١)

وقد كانت هذه الرحلات فرضا من سيده لمباشرة أعماله المتناثرة فى الكثير من البلاد فقد " شغله مولاه بالأسفار فى متاجرة فكان يتردد إلى كيش وعمان وغيرها من البلدان ويعود إلى الشام " (٢)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت كان ميدانه واسعا فى هذه السن من خلال تردده بين كيش وعمان وعودته إلى الشام ورجوعه بعد ذلك إلى بغداد حيث يوجد مولاه ولقد أفاد ياقوت الحموى من هذه الرحلات التجارية والعلمية أحيانا فى التعرف على الكثير من البلاد والخبرة فى معرفة الأقاليم ذات التفوق التجارى وأماكن تركز العلماء وفنونهم بل إن موسوعته (معجم الأدباء) خير شاهد على إفادته من هذه الرحلات التى قام بها إلى الكثير من البلدان ولعدم الإسهاب نقتطف من ينابيع هذه الموسوعة بعض رحلات ياقوت إلى بعض الأماكن . ففى رحلته إلى قرى الحجاز يقول عن هذه المدن "وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . وقيل ثلاثة .أفاءها الله على رسوله (ﷺ) فى سنة سبع صلحا (أى صلح الحديبية) وكان رئيسها يومئذ (يوشع بن نون اليهودى) وقد أصاب أهل فدك الخوف والرعب عندما علموا استيلاء النبى (ﷺ) على خيبر فصالحوه على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله (ﷺ) وصار خالصا له لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (أى تم الاستيلاء عليها بدون قتال . وهى التى قالت فيها فاطمة (رضى الله عنها)إن رسول الله (ﷺ) نحلنيها (وهبها لى وأعطانى

---

(١) معجم البلدان ، ٥٦٥/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٥٠/٢
(٢) معجم الأدباء ، ٢٧/١ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٧/٦

إياها) فقال : أبو بكر (رضى الله عنه) أريد لذلك شهودا وذكر ياقوت قصتها واستطرد فيها " (١)

وتحدث ياقوت الحموى عن فضل مصر، وامتدح سلطانها، وذكر الكثير من المواقف العلمية التى شهدها بمصر وأثار دهشته رؤيته لفن العمارة المصرية والمثلة فى الأهرام فقال "إن مصر خزائن الأرضين كلها وسلطانها سلطان الأرضين كلها ألا ترى إلى قول يوسف (عليه السلام) لملك مصر.

" قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ " (٢)

ففعل فأغاث الله الناس بمصر وخزائنها ولم يذكر الله (عز وجل) فى كتابه الكريم مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر فقال (سبحانه وتعالى - " أليس لى ملك مصر " وهذا تعظيم ومدح " (٣) فى شأن مصر وأهلها والخير الوفير الذى نال منه ياقوت أثناء إقامته بمصر وكان عونا على تحمل مصاعب الحياة وتحدث ياقوت عن الآثار التاريخية بمصر مثل الأهرامات فيقول " وقد رأيت الهرمين وقلت لمن كان فى صحبتى غير مرة إن الذى يتصور فى ذهنى أنه لو اجتمع كل من بأرض مصر من أولها إلى آخرها على سعتها وكثرة أهلها وصمدوا بأنفسهم عشر سنين مجتهدين لما أمكنهم أن يعملوا مثل هذين الهرمين ثم يقول: وما سمعت بشىء تعظم عمارته فجئته إلا ورأيته دون صفته إلا الهرمين فإنى رأيتهما أعظما من صفتهما " (٤)

ويقول ضمن حديثه عن مصر " وفى مصر رأيت قرية أطواب من أعمال البهنسا وقرية بومة فى كورة الغربية وبرمة : من بلاد سنبم وقال ابن حبيب برمة عرض من

(١) معجم البلدان، ٤ / ٢٣٨
(٢) سورة يوسف : الاية ٥٥
(٣) المرجع السابق، ١٣٧/٥
(٤) معجم البلدان، ٤٠/٥

أعراض المدينة قرب تلاكث بين خيبر ووادى القرى وبرمة أيضا بليدة ذات أسواق فى كورة الغربية من أرض مصر فى طريق الإسكندرية من الفسطاط ويقول ياقوت رأيتها (١)

وعن بركة الحبش يقول " هى أرض فى وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل مشرفة (تطل) على نيل مصر خلف القرافة وهى وقف على الأشراف تزرع فتكون خضراء لزكاة أرضها وهى من أجل منتزهات مصر ويقول ياقوت رأيتها وهى ليست ببركة للماء وإنما شبهت بها وكانت تعرف ببركة المعافر أو بركة حمير وعندها بساتين تعرف بالحبش والبركة منسوبة إليها وهى محبوسة فى ريها على البئرين اللتين استنبطهما (أبو بكر الماردانى) فى بنى وائل بحضرة الخليج والقنطرة ويقول (على بن محمد بن أحمد بن حبيب التميمى الكاتب) عن بركة الحبش قوله :

أقمت بالبركة الغراء مرهفة والماء مجتمع ففيها ومسفوح

إذا النسيم جرى فى مائها اضطربت كأنما ريحه فى جسمها روح (٢)

ومما سبق يلاحظ أن ياقوت عندما يتحدث عن بلد من البلدان يقوم بوصفه أولا حتى يصل بهذا الوصف إلى كل أثر واضح ومكان بارز أو علامة بهذا البلد الذى يتناوله بالحديث ولقد كان بارعاً فى وصف ما رأته عيناه أو جرى فى خاطره وهو يصور الأشياء الحسية التى يمكن مشاهدتها على الطبيعة وكان اعتماده على المحسوس أكثر فى رحلاته العلمية والتجارية من المعنوى حتى يقدم للقارئ ما يريد أن ينقله فى عبارات وأسلوب واقعى يسوده الصدق والثبات والدقة والوضوح ولا يرضى بديلا عن ذكر الحقيقة مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة خاصة إذا عرفنا أن صاحبنا لم يكن يملك بيتاً يأوى فيه إلى زوجة تشاركه آلامه وليس لديه المال الذى يشترى به الكتب والمراجع حتى يتجر فيها ويتعلم منها ومع ذلك استطاع أن يتجول فى ترحاله بين البلدان بحثا عن الكتب .إلى جانب

(١) المرجع السابق . ٤٧٩/١
(٢) المرجع السابق . ٤٧٧/١

تجارته الأخرى وكان أحيانا يتحمل تقلبات الجو من أجل الحصول على العلم فقد "كانت رحلاته وتنقلاته ليست إلا تنقل عاقل يرحل فى اقتناص شوارد العلم وغرائبه ونوادره وشوارد اللغة : غرائبها ونوادرها (١) ولقاء الرجال ولم يعبأ بتعب أو نصب "(٢) ويمكن أن نتصور طبيعة هذه الأسفار فى لابرد القارس أو الحر اللافح وكيف تكون ؟

العلماء الذين التقى بهم فى مصر

لقد تحدث ياقوت عن رجال من العلماء التقى بهم فى مصر أفاد منهم فقد ذكر فى ترجمته (لأبى المظفر .أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيرازى ويغلب عليه لقب مؤيد الدولة مجد الدين (ت ٦١٣هـ)من أكابر بنى منقذ ومن العلماء الشجعان له تصانيف فى الأدب والتاريخ منها : لباب الآداب قال الزركلى انه مطبوع و(البديع فى نقد الشعر) قال الزركلى انه مطبوع و(المنازل والديار) قال الزركلى انه مطبوع و(النوم والأحلام) قال الزركلى انه مخطوط و(القلاع والحصون) و (أخبار النساء)و(العصا) قال الزركلى مطبوع منتخبات منه وقد انتقل إلى مصر سنة ٥٤٠هـ وقاد عدة حملات على الصليبيين فى فلسطين ويقول ياقوت وقد رأيته عند كونى بمصر سنتى ٦١١هـ ٦١٢هـ وأنشدنى شيئا من الشعر له ولوالده وقد عاد أبو المظفر إلى دمشق ثم برحها فدعاه السلطان إليه فأجابه وقد تجاوز الثمانين وقد كان جماعة للكتب (٣).

وقد وصف ياقوت الحموى هذا العالم (أسامة بن مرشد) بعدد من الصفات التى يجب أن تتوفر فى العلماء فيقول لقيت أسامة بن مرشد بمصر وهو يومئذ شيخ ظريف واسع الخلق شائع الكرم جماعة للكتب وقد حضر ياقوت إلى دار أسامة بن مرشد فاشترى منه الكثير من الكتب التى لا يستطيع أسامة أن يحصيها عدداً غير أنه باع منها أربعة آلاف مجلد فى نكبة لحقته فلم يؤثر فيها (٤)

---

(١) الرازى ، مختار الصحاح ، تحقيق / محمود خاطر (الاهرة دار الحديث دزت) ص ٤٩٧ .

(٢) القفطى ، إنباه الرواة على أنباه الرواة النحاة ، تحقيق / محمد أبى الفضل إبراهيم ، الجزء الرابع (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م)، ص ١٣٧.

(٣) الزركلى ، مرجع سابق ، ٢٩١/١ وجورجى زيدان ، مرجع سابق ، ٦١/٣

(٤) ابن خلكان : مرجع سابق : ٦٣/١ وفى معجم الأدباء ٢٠٣/٢ ، ١٢٧

ولاحظ الباحث هنا أن ياقوت ذكر فى ترجمته لأبى المظفر أسامة بن مرشد بعض صفات المعلم الناجح غير أن ياقوت لم يهتم بإيضاح الصفات الجسمية والصفات المعنوية وعذره فى ذلك أن لم يؤرخ لعالم بعينه بل ذكر الكثير من تراجم العلماء وهذه الصفات التى ذكرها ياقوت قد تكون فى معظمها صفات ظاهرية من حسن المظهر سواء أكان ذلك من حيث الملبس أو المشى أو تهذيب شعره وتكوير العمامة وتسريح اللحية وغير ذلك من الصفات الحسمية والكرم والأخلاق بل الالتزام ببعض القيم الأخلاقية والسلوكية الرفيعة وقد عمد ياقوت إلى وصف هذا العالم بأنه يجمع الكثير من الكتب ويمكن لنا أن نعتبر ذلك من الوسائل المعينة على تحصيل العلوم لما تجمعه بطون هذه الكتب من علم العلماء وفقه الفقهاء ... الخ وقد نستطيع جمع بعض من صفات المعلم الناجح ونعبر عنها بلغة عصرية

على النحو التالى :

١- **الالتزام بالمظهر الخارجى المقبول داخل مكان التدريس وخارجه**
٢- **مراعاة مستوى فهم الطلاب**
٣- **اتخاذ كل الوسائل المعينة على التحصيل**
٤- **الاستعانة بدفتر التحضير أو مرجع التدريس**
٥- **الالتزام ببعض القيم الأخلاقية السلوكية الرفيعة**
٦- **توفير مناخ تعليمى يساعد على التحصيل ولمزيد من ذلك انظر كتاب مع تراثنا التربوى ، للدكتور مصطفى رجب** (١)

وقد أفاد ياقوت الحموى الكثير أثناء إقامته بمصر فقد كان يجالس العلماء وأكابر الناس من الأدباء والشعراء يأخذ عنهم العلم ويستمع إليهم ويناقشهم فقد كانت مصر وقتها قلعة من قلاع الدولة الأيوبية وحصناً أميناً لرجال الأدب والفكر ولذلك قضى ياقوت فيها مدة من الزمن يبيع الكتب ويتاجر فيها غير أنه تركها فى سنة ٦١٢هـ متجها

---

(١) مصطفى رجب:مع تراثنا التربوى (شخصيات ونصوص)،الطبعة الأولى(القاهرة:مكتبة كوميت،١٩٩٩م،ص ٩٨

إلى جنوب دمشق ولم يستطع ياقوت الإقامة بعيداً عن مصر فقد عاد إليها من حلب مرة أخرى فى سنوات عمره الأخيرة " (١)

ومما سبق يلاحظ أن ياقوت الحموى لم يترك الرحلة والتنقل بين البلدان مادام يجد فى نفسه القوة على ذلك ففى مصر عاش ياقوت فترة من الزمن قد تصل إلى عامين وتنقل فيها بين مدنها وقراها وقد جمعت هذه الرحلة بين الدراسة والتجارة ولو تتبعنا تجوله فى مصر لوجدناه يتحدث عن كل موضع فى مصر فقد كان يشاهد بنفسه قبل أن يتحدث عن مكان المشاهدة وعندما يرى رؤية جديدة كان لا يكتفى برؤية واحدة بل كان يكررها مرة تلو المرة حتى يمكنه الإفادة من هذه الرؤية بالإضافة إلى الإفادة العلمية التى اكتسبها ياقوت أثناء إقامته بمصر ولقائه للعلماء وحضوره مجالس هؤلاء العلماء وجمعه للكثير من كتب العلماء بمصر وقد كان لهذه الكتب أثرها الواضح فى تقدم ياقوت من الناحية العلمية والأدبية حتى نبغ هذا النبوغ الذى يستطيع الباحث أن يقول أنه يعد أحد الأعلام المؤرخين للعلم فهو أديب لغوى بالدراسة . لكنه مؤرخ تربوى بالصدفة.

ياقوت الحموى فى دمشق :

لقد تردد ياقوت فى رحلاته التجارية والعلمية على الشام والعراق لمزاولة مهنته فقد " وصل إلى دمشق عائداً من القاهرة فى سنة ٦١٢هـ وتحدث عنها فى (معجم البلدان) فعدها ياقوت جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارتها وكثرة فاكهتها وكثرة مياهها ووجود الكثير من الطرق الممهدة بداخلها وتبلغ دمشق كما رآها ياقوت طولها ستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف (٢)

وذكر ياقوت أن دمشق كثيرة الأنهار وهو ما لم يره فى بلد آخر .فإن الأنهار تجرى فى قنواتها بالماء فقلما تمر بمسجد ولا مدرسة ولاحى ولا شارع إلا والماء يجرى فى بركة فى

(١) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٤٤
(٢) معجم البلدان ، ٥٢٧/٢

صحن هذا المكان وأما جامعها فهو الذى يضرب به المثل فى حسنه . فهو جامع المحاسن حتى أن أهل دمشق قد عدوه إحدى العجائب فقالوا : إن الوليد بن عبد الملك بن مروان هو الذى قام ببنائه وكان ذا همة فى عمارة المساجد وبدمشق من الصحابة والتابعين وأهل الخير الكثير فهم يزارون فى ميدان خاص بهم يعرف بميدان الحصى . وبجانب هذه الميزات التى جمعتها دمشق فقد كانت رحلة ياقوت إليها أمراً عليه وجب وذلك من حيث تجارته التى يمكنه أن يوزعها على أهل دمشق . وكذا زيارته لبعض الآثار الإسلامية والأماكن الطاهرة وفى مقدمة ذلك الإفادة العلمية التى أفادها من علماء دمشق فقد ضمت دمشق من العلماء بل من أعيان المحدثين (عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن سليمان الدمشقى ، الكنانى الصوفى الحافظ : فقد سمع الدمشقى الكثير وكتب من الكتب الكثير فسمع من أبى القاسم صدقة بن محمد القرشى وأبى نصر بن هارون الجندى ورحل إلى العراق فسمع محمد بن مخلد . ونسخ بالموصل وجمع جموعا كثيرة . وكان شيخاً لابن الأكفانى وقد خرج عنه الخطيب فى عامة مصنفاته . فيقول : حدثنى عبد العزيز بن أبى طاهر الصوفى وقد عاش من ٣٨٩هـ إلى ٤٦٦ هـ . وممن ينسب إليها من المسلمين الكثير فقد ألف لها الحافظ بن عساكر تاريخا مشهورا يعرف بتاريخ دمشق وممن اشتهر بذلك فلا يعرف إلا بالدمشقى (يوسف ابن رمضان بن بندار الدمشقى الفقيه الشافعى) فقد ولد يوسف بدمشق وخرج منها بعد البلوغ إلى بغداد . وهناك ولى التدريس بالمدرسة النظامية وبنيت له مدرسة فكان يذكر فيهما الدرس وانتهت إليه رياسة أصحاب الشافعى ببغداد فى وقته وحدث بشىء يسير عن (هبة الله بن أحمد البخارى وعقد مجلس التذكير ببغداد حتى توفى فى شوال سنة ٥٦٣هـ (١)

---

(١) المرجع السابق،٥٢٨/٢، ٥٢٩، ٥٣٤،ومعجم الأدباء١٠٤/٢ وعمر رضا كحالة،مرجع سابق،٤٥/١، ١٠١ ، ٢٦٧ . وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٨/٦ .

ولاحظ الباحث أن ياقوت اقتصر على ذكر هؤلاء لأنه روى عنهم وقرء من كتبهم الكثير وترك الكثير من العلماء الذين لم يدركهم وهم ينسبون إلى دمشق وقد تأثر ياقوت الحموى ببعض آراء الخوارج الأمر الذى عرضه أثناء تواجده بدمشق لبعض المشاحنات التى كادت تودى بحياته وقد أخذ عليه بعض

العلماء المعاصرين له مجالسته لمن دونه فى التفكير فقد كان ياقوت يتجه إلى الأسواق بدمشق كعادته فى التجارة حتى يتجر فى هذه الأسواق وبالأسواق يختلط الحسن بالسيئ وتكثر الخلافات ويشتد الصراع حول الربح وتكثر تشدقات التجار بالألفاظ والإيمان ويزداد التنافس حول العرض والطلب وعلى وجه الخصوص السلع القليلة أو النادرة الأمر الذى جعل ياقوت يجلس فى أسواق دمشق فى عام ٦١٣هـ ويناظر بعض من يتعصب للإمام على (رضى الله عنه) بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة وكادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزماً بعد أن بلغت القضية إلى والى البلد فطلبه فلم يجده.(١)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموى كان مندفعاً فى مناظرته ولنا أن نصفه بحدة الطبع ولم يدرك أثناء جلوسه فى السوق حب وتقدير العلويين للإمام على (رضى الله عنه) مما دفع هؤلاء إلى الثورة ضده . بل كاد الأمر يصل إلى قتله ولكن الله عز وجل – أنقذه منهم بالإضافة إلى ذلك فلنا أن نصف ياقوت بالحماقة والطيش فهو الذى جمع من العلم الكثير والمعرفة الواسعة والفضل على من دونه يناظر أحد المعجبين بعلى ثم يتحدث عن على بكلام لا تقبله عقول هؤلاء الذين ارتضوا من على (كرم الله وجهه) أن يكون لهم القدوة والمثل الأعلى مع أن ياقوت بلغ فى هذه الآونة الأربعين من عمره والكل يعلم أن هذه السن هى التى يبدأ الإنسان فيها ينتابه الشعور بالكهولة فيعتدل فى تصرفاته ويستقيم فى حياته وتهدأ ثورته مع هدوء قوته ويبدأ محاسبة نفسه على ما كان قدمه من

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٨/٦ . وعلى أدهم ، مجلة الثقافة ، السنة الثالثة عشر ، العدد ٦٤٢ ، ص ٧ .

عمل فى سنوات عمره السابقة حتى يصبح معتدلاً متزناً محبوباً بين الناس قريباً منهم ولكن يمكن أن نرجع ذلك كله إلى كثرة إطلاع ياقوت على كتب الخوارج والتأثر بآرائهم ومجاراتهم ومع هروبه من دمشق لم ينس من فيها من العلماء والأدباء الذين جالسهم وبادلهم أطراف الحديث فى العلم والأدب وقد وصل من دمشق إلى حلب.

ياقوت الحموى بحلب :

تحدث ياقوت الحموى عن حلب فى كتابه (معجم البلدان) فقال " حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء ويغلب على هذه اللفظة (حلب) أن لها أصل فى العبرانية أو السريانية (هما لغتان) لأن كثيراً من كلام أهلها يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجمة يسيرة كقولهم كهنم فى جهنم . ويوجد بها جامع وست كنائس ، وبيمارستان (مستشفى صغير) ، والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتنمية واستثمار أموالهم فقل ما ترى من نشئها من لم يتقبل أخلاق آبائه وقد التقى فيها ياقوت ببعض العلماء الذين كان لهم الأثر فى حياته العلمية فقد أفاد ياقوت منهم الكثير ومنهم (أبو محمد الشاطبى ت : ٥٩٠ هـ) ، وهو إمام القراء وقد كان ضريراً ولد بالشاطبية بالأندلس وتوفى بمصر ، وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة فهو صاحب كتاب حرز الأمان قال عنه الزركلى أنه مطبوع وهو صاحب القصيدة التى تعرف بالشاطبية فى القراءات ويقول عنه ابن خلكان : كان إذا قرئ عليه صحيح البخارى ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه [(١)].

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموى وصل إلى حلب وهناك حرص على الالتقاء بالعلماء ، وحاول ياقوت عدم إذاعة ما حدث منه بدمشق حتى لا يحدث له مالا تحمد عقباه ،وبحلب وجد ياقوت رواجاً تجارياً فأهل حلب أكثرهم من التجار ورواجاً علميا

---

(١) معجم البلدان ، ٣٢٤/٢ ومعجم الأدباء ، ٦٢/٤ والزركلى ، مرجع سابق ، ١٨٠/٥ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٥٨/٧ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١١٠/٨ وابن العماد ، شذرات الذهب ، ٣٠١/٤ والصفدى نكت الهيمان ، ص ٢٢٨

لالتقائه ببعض العلماء النوابغ مما كان له الأثر الإيجابى فى حياة ياقوت العلمية والاقتصادية. ومع خروج ياقوت من حلب اتجه فى رحلته إلى الموصل فلم تطل إقامته بحلب.

ياقوت الحموى بالموصل :

ذكر ياقوت أنه رحل إلى الموصل فرار مما حدث منه بدمشق ولسماعه عن العلماء الأجلاء بالموصل فقد التقى ياقوت ببعض هؤلاء العلماء ومنهم (أبو زكريا بن الدهان البغدادى، ت : ٦١٦ هـ وقد اشتغل ابن الدهان بالأدب وعلوم الدين والتصوف واتصل بخدمة القاهر صاحب الموصل) (١)

ولاحظ الباحث من خلال البحث فى أمهات الكتب أنه لا يوجد مؤلف لابن الدهان غير هذه الأبيات التى مدح بها صاحب الموصل وانتقل ياقوت من الموصل مسرعاً دون المرور على بغداد تحاشياً للرحلة الانهزامية وخوفاً من العلوى الذى كان قد ناظره فى سوق دمشق لأنه كان بغدادياً وخشى ياقوت أن يذاع عنه ببغداد ما صدر منه بدمشق فيقتل ومع خروجه من الموصل وصل إلى إربل ويقول عنها ياقوت هى قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع وبها أسواق ومنازل وجامع للصلاة وهى شبيه بحلب يبلغ طولها ٥ . ٦٩ وعرضها ٣٥٠٥° وتعد إربل من مدن الموصل وبينهما مسيرة يومين – وقد كانت الإفادة العلمية التى حصل عليها ياقوت فى إربل قليلة لقلة العلماء الذين التقى بهم هناك فيقول دخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضل غير (أبى البركات بن المستوفى الأربلى، ت : ٦٣٧هـ. وقد كان من العلماء بالحديث واللغة والأدب. وقد ذكر له الزركلى مؤلف تاريخ إربل وقال أنه مخطوط المجلد الثانى منه وقد حققه الآن سامى الصفار

---

(١) معجم الأدباء، ٦٢٣/٥ وانظره فى : الزركلى، مرجع سابق، ١٤/٨/، وابن شاكر، مرجع سابق، ١٠٩/١ والسيوطى، بغية الوعاة فى طبقات النحويين والنحاة – الجزء الأول، تحقيق / محمد أبى فضل ابراهيم (مطبعة عيسى الحلبى، ١٩٦٤م) ص ٤١٢

والمجلد الرابع منه فى شستربتى رقم (٤٠٩٨) وهو آخر أجزائه وله ديوان شعر [١] ومن العلماء الذين ينسبون إلى إربل جماعة من أهل العلم والحديث منهم (أبو أحمد الشهرزورى الشيبانى الإربلى ت : ٤٨٩هـ بالموصل "[٢]

ياقوت الحموى فى خراسان :

بعد أن قضى ياقوت مدة فى الموصل حصل فيها الكثير من العلم رحل ياقوت إلى خراسان فقد سمع عن علمائها الكثير بجانب اهتمامه بتنوع تجارته التى أراد أن يوزعها هناك بالإضافة إلى جمع الكتب وتحصيل الفوائد والمعلومات وقد تنقل ياقوت بين مدن نيسابور وخراسان حيث التقى بالأدباء وأهل العلم واللغة يأخذ منهم وينقل عنهم ولقد أثرت هذه البلاد فى حياة ياقوت العلمية . ويظهر الجانب التعليمى والأدبى الذى حصل عليه من خلال إقامته بنيسابور فى اطلاعه على بعض كتب العلماء ومن أهمها كتاب "وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر الذى جمع فيه أبو الحسن البيهقى ت : ٥٦٥هـ أشعار أهل عصره وقد أطلق عليه الزركلى كتاب تتمة دمية القصر وكان لذلك أثره التعليمى على حياة ياقوت الحموى.

لاحظ الباحث أن هذه التنقلات والرحلات التى عاشها ياقوت كان لها أثرها فى حياته الاجتماعية ، ولذا لم يقاس ياقوت التجارب العاطفية فى حياته غير هذه التجربة التى شهدتها نيسابور عند شرائه جارية تزكية صادفت من نفسه محلاً كريماً من الحب والعاطفة غير أن ياقوت أبطر هذه النعمة واستخفها فباع هذه الجارية متحججاً بضيق ذات اليد الأمر الذى جعله لا يستطيع الإقامة والاستقرار بنيسابور بل أنه امتنع عن الأكل والشرب حتى أشرف على الهلاك والموت ، وحينما حاول أن يستردها لم يستطع لأن الذى اشتراها كان غنياً فامتنع أن يبيعها مرة أخرى إلى ياقوت [٣]

---

(١) معجم البلدان ، ١٦٧/١ .والزركلى ، مرجع سابق ، ٢٦٩/٥ والسيوطى ، بغية الوعاة ، ٢/ ٣٨٤ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٣٥٨/١

(٢) معجم البلدان ، ١٦٩/١

(٣) معجم الأدباء ، ١٢٩/٤ والسيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٤٧ والزركلى ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٤ وحاجى خليفة ، مرجع سابق ، ٢٠١١/٢

ويذكر ياقوت خراسان* فى كتابه (معجم البلدان بقوله هى بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق وآخر حدودها مما يلى الهند وأورد عنها الكثير من الروايات فى فضلها وبنائها " (١) ومما يدل على فضلها على ياقوت من حيث الجانب التعليمى والأدبى كثرة علمائها ، الذين تتلمذ لهم تلمذة مباشرة أو غير مباشرة فإليها ينسب كل من أهل العلم وفرسانه وسادته وأعيانه ومنهم (البخارى : ٢٥٦هـ) وذكر له الزركلى الجامع الصحيح وقال مطبوع وهو ما يعرف بصحيح البخارى ، وإليها ينسب أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ت : ٢٦١هـ ، صاحب صحيح مسلم قال الزركلى إنه مطبوع وجمع فيه اثنى عشر ألف حديث كتبها فى ١٥ سنة ، ومن هؤلاء العلماء (أبو عيسى الترمذى ت : ٢٧٩هـ صاحب الجامع الصحيح قال الزركلى إنه مطبوع يعرف باسم صحيح الترمذى فى الحديث يقع فى مجلدين وإليها ينسب (أحمد بن حنبل ت : ٢٤١ هـ صاحب المسند قال الزركلى إنه مطبوع يقع فى ستة مجلدات يحتوى على ثلاثين ألف حديث ومنهم (إسحاق بن راهوية ت : ٢٣٨ هـ طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو صاحب المسند قال الزركلى مخطوط منه الجزء الرابع فى دار الكتب ومن هؤلاء العلماء (أبى حامد الغزالى ت : ٥٠٥هـ صاحب كتاب إحياء علوم الدين قال الزركلى هو مطبوع فى أربع مجلدات ، ومنهم (أبو المعالى الجوينى ت : ٤٧٨ د . أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى وهو صاحب كتاب العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية قال الزركلى إنه مطبوع ومنهم (الحاكم النيسابورى ت : ٤٠٥هـ وغيرهم الكثير من أهل الحديث والفقه ، ومن علماء الزهد والأدب (أبو الحسن الجوهرى ت : ٤١٩هـ له كتاب الاستبصار فى الاعتقادات ومن هؤلاء العلماء (عبد الله بن المبارك ت : ١٨١ هـ له كتاب الرقائق قال الزركلى إنه مخطوط

---

* خراسان : تعنى أوزبكستان حاليا والزركلى ، مرجع سابق ، ٥/١٨٥

(١) معجم البلدان ، ٢/٤٠١ .

فى مجلد واحد . ونذكر من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يصعب حصرهم (أبو إبراهيم الفارابى الأديب ت : ٣٥٠ هـ صاحب كتاب ديوان الأدب عرفه بقوله : هو ميزان اللغة ومعيار الكلام قال الزركلى وهو مخطوط رأيت نسخة منه فى خالدية القدس كتبت سنة ٥٠٨هـ ونسخة أخرى كتبت ٦١١هـ فى حلب رأيتها فى مكتبة مغنيسا برقم ٢.١٢٤ (١) ومن هؤلاء العلماء فى الأدب وينسبون إلى خراسان (عطاء الخراسانى) وهو عطاء بن مسلم الخرسانى ت : ١٣٥هـ وهو عالم بالتفسير وقد صنف فى ذلك كتاب التفسير وقد ذكر الزركلى أن منه أوراقاً مخطوطة وله كتاب الناسخ والمنسوخ ويذكر الزركلى أن منه جزءا مخطوطاً وكلاهما فى الظاهرية " (٢)

ومن هؤلاء العلماء (أبو عبد الرحمن حاتم بن يوسف الأصم وقال الزركلى : هو حاتم بن عنوان : ت ٢٣٧هـ) ولاحظ الباحث أن ما ذكره ياقوت أقرب إلى الصواب لأنه شاهد قبر حاتم الأصم .وقرأ ما كتب على قبره وذكر أنه تلميذ شقيق البلخى غير أن الزركلى تشابه عليه فذكر أن حاتم بن عنوان من أهل بلخ لذا كان رأى ياقوت هو الأصح وهو ما يقره البحث هنا وقد اشتهر (حاتم الأصم) بالزهد والتقشف وله كلام مدون فى الزهد والحكم " (٣)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت أفاد الكثير من هذه الرحلة العلمية التجارية إلى خراسان . فقد التقى فيها بالكثير من العلماء كل فى مجال تخصصه من العلوم وقد ساعد ذلك كله ياقوت الحموى فى اتساع مداركه العلمية وقد ظهر ذلك بكثرة فى مؤلفاته العلمية التى تزخر بالكثير من العلوم المتنوعة بين الآيات القرآنية التى كان يكثر

---

(١) معجم البلدان ، ٤٠٤/٢
والزركلى، مرجع سابق، ٢٤٠٧/٦، ٢٢١/٦، ٣٢٢/٢٢١، ٢٠٣/١، ٢٩٢/١، ٢٢/٧ ، ١٦٠/٤ ، ٥/٨ ، ١١٥/٤، ٢٩٣/١١٥.١/٤.
وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٠٤/١١ ، ٩٦/١١، ٢٦٦/٦، ١٨٤/٢٦٦.
(٢) معجم البلدان ، ٤٠٥/٢ ومعجم الأدباء ، ١٢٩/٤
والزركلى ، مرجع سابق : ٢٣٥/٤ وابن العماد ، مرجع سابق ، ١٩٢/١ والذهبى ، مرجع سابق ، ١ / ١٨٢
(٣) معجم البلدان ، ٤٠٥/٢ والزركلى ، مرجع سابق ، ١٥٢/٢

الاستشهاد بها فى كتاباته وبين الأحاديث النبوية التى كان يتجلد بها أمام قسوة الدهر وقد عد ياقوت رحلته إلى خراسان بأنها كانت فى غفلة من الدهر لأنه اعتاد من الدهر القسوة والظلمة فلم يشرف له نوره إلا فى هذه الرحلة العلمية وقد قرأ ياقوت أثناء إقامته بخراسان الكثير من كتب التفسير والفقه والأدب والزهد والحكم والأمثال بل إنه جمع الكثير منها بين يديه ومن مدن خراسان التى ذكرها ياقوت وأفاض الحديث عنها.

مرو (الشاهجان) :

وهذه من أشهر مدن خراسان ومعنى مرو فى اللغة العربية الحجارة البيض التى تستخدم فى ضرب القداح غير أن ياقوت ذكر أنه لم ير بها من هذه الحجارة شيئا وأما الشاهجان فهى فارسية معناها : نفس السلطان لأن الجان هى النفس أو الروح والشاه هو السلطان وقد استشهد ياقوت على فضل مدينة مرو ببعض القصص التى أثرت عن النبى (ﷺ) مع أصحابه ، ومساحتها كما ذكرها ياقوت تبلغ طولها ٧٧° وعرضها أربعون درجة تحت ثانى عشرة درجة من السرطان ، وهذا ما يثبت بحق جغرافية ياقوت فهو عالم جغرافى يتحدث عن مواقع هذه المدن من حيث الموقع الفلكى وهو ما يقصد به: موقع المدينة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض وقد عاش ياقوت بهذه المدينة حياة سعيدة هادئة فأهلها يغلب عليهم الكرم ولين الجانب وحسن العشرة وهى بلدة عامرة بخزائن الكتب التى يحتاج إليها ياقوت الحموى (حتى يمكنه من خلالها التعرف على علوم الأوائل) ومن أهم هذه المعالم جامعان للحنفية والشافعية وبها الكثير من كتب الأصول المتقنة وفيها عشر خزائن : خزانتان إحداهما يقال لها العزيزية وبها اثنا عشر ألف مجلداً أوما يقاربها كما وصفها ياقوت فى كتابه (معجم البلدان) ، والأخرى يقال لها الكمالية يقول ياقوت لا أدرى إلى من تنسب وبها خزانة شرف الملك (أبى سعيد المستوفى ت : ٤٩٤هـ) وهى توجد بمدرسته ، والرابعة من هذه الخزائن لنظام الملك (الحسن بن إسحاق بمدرسته) وخزانة المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين

بها، والخزانة الخانوتية فى مدرستها، والخزانة الضيمرية، وخزانتان للسماعنين، يقول ياقوت الحموى كان لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد أو أكثر بغير رهن أو ضمان ولذا طابت الإقامة لياقوت فى هذه البلدة "(1)

وبجانب تلك الخزائن التى تزخر بها مدينة مرو فإنها أنجبت الكثير من العلماء فإليها ينسب (أبو بكر القفال المروزى ت: ٤١٧ هـ وهو أحد أركان مذهب الشافعى وتخرج به جماعة وانتشر علمه فى الآفاق، ومن هؤلاء العلماء (أبو إسحاق المروزى ت: ٣٤٠هـ بمصر) وانتهت إليه رياسة الشافعية بالعراق بعد ابن سريج وله من التصانيف: شرح مختصر المزنى وهذا الكتاب (مختصر المزنى) هو أحد الكتب الخمس المشهورة بين الشافعية التى يتداولونها أكثر تداول وقد كان سائراً فى كل الأمصار وهو للشيخ الإمام (إسماعيل بن يحيى المزنى ت: ٢٦٤هـ وهو أول من صنف فى مذهب الشافعى "(2)

وقد تحدث ياقوت الحموى عن مرو الشاهجان فى رسالته التى كتبها للقفطى وهو (أبو الحسن الشيبانى ويغلب عليه لقب جمال الدين القفطى ت: ٦٤٦هـ وهو وزير مؤرخ من الكتاب، كان جماعا للكتب حتى أنه جمع من الكتب مكتبة تساوى خمسين ألف دينار، لا يحب من الدنيا سواها ولا زوجة له ولا ولد فقد تشابه حالة بحال ياقوت الأمر الذى جعل ياقوت يكتب إليه بهذه الرسالة، ومن الكتب التى صنفها القفطى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ذكر الزركلى أنه مطبوع مختصره، وله كتاب انباه الرواة على أنباه النحاة ذكر الزركلى أنه مطبوع فى ستة أجزاء "(3)، وفى هذه الرسالة كتب ياقوت جانباً كبيراً عن مرو الشاهجان فتحدث عن كرم أهلها، وما لقيه من كرمهم

---

(1) معجم البلدان، ٥/ ١٣٢ -١٣٤والسيد محمد ديب، مرجع سابق، ص ٥٠ وابن خلكان، مرجع سابق، ص ٥٠ والزركلى، مرجع سابق، ١١١/٧.

(2) معجم البلدان، ١٣٦/٥ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق، ٢٦/٦والزركلى، مرجع سابق، ١١١/٧، ٢٨/١ وابن العماد، مرجع سابق، ٣٥٥/٢ وحاجى خليفة، مرجع سابق، ١٦٣٥/٢.

(3) القفطى، مرجع سابق٤ /٢٣٧والزركلى، مرجع سابق، ٣٣/٥ والأدفوى، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق د/ سعد محمد حسن (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، ٢٣٧.

وتقديرهم للعلم والعلماء ، وفضل أهل العلم بها وهذه المكتبات التى اغتنم منها الكثير من الكتب دون الحاجة إلى رهن أو ضمان ثم تحدث ياقوت عما أصاب هذه المدينة من الخراب والدمار من جراء إغارات التتار عليها بعد ما ظن ياقوت أنه لا مقام له إلا بهذه المدينة وأنه لا محيص عنها إلى أن يجاور التراب وجعل ينشد نفسه هذه الأبيات فيقول :

إذا ما الدهر بيتنى بجيش	طليعته اغتمام واغتراب
شننت عليه من جهتى كمينا	أميراه الذبالة والكتاب
وبت أنص من شيم الليالى	عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو هومى مستريحا	كما جلى همومهم الشراب [1]

ومن ظاهر هذه الأبيات نرى أن ياقوت أراد أن يحارب الدهر فى قسوته وظلمته له من الغربة وترك الأهل والبلد ، والغم الذى يعتريه فى تنقلاته بجيش يختلف عن الجيش المعهود فجيش ياقوت مكون من الذبالة: آلة إضاءة عرفت فى هذا الوقت وبجانبها الكتاب ، فكان جيش ياقوت هو القراءة فى أمهات الكتب ، بل أنه يقول بالقراءة أزيل همومى مع راحة لبدنى ، كما يزيل هموم هؤلاء المترنحين الشراب والسكر.

واستمر ياقوت الحموى فى وصف هذه المدينة (مرو) بعبارات وجمل مسجوعة الألفاظ منمقة الوصف ، ثم يذكر ياقوت بعض الآيات القرآنية مستشهدا بأن هذه الجنان لم يورثها الله (عز وجل) لأحد من بعدهم فيذكر قوله تعالى:

"كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝" [2]

ونرى أن هذه الآيات مناسبة للاستشهاد بها فى هذا الموقف فقد نزلت هذه الآيات فى بنى إسرائيل وخروجهم من مصر [3] وقد يكون ياقوت ذكر هذه الآيات لمطابقة ما

---

(١) معجم الأدباء ، ١٩/١
(٢) سورة الدخان : من الاية ٢٦ .
(٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٨٨م ص ٧٣٣ .

حدث مع بنى إسرائيل فى خروجهم وما حدث مع أهل مرو فى خروجهم قهراً أمام عدوان التتار الغاشم وهو ما يميل إليه الباحث .

ثم يواصل ياقوت رسالته فيتحدث عن الخراب والدمار الذى شهدته هذه البلاد إثر غارات التتار عليها من قتل العلماء ، وإحراق المكتبات لذا وصفهم ياقوت بأنهم أهل كفر وإلحاد ، فأصبحت قصور مرو كالمحو من السطور ، وأصبحت مأوى الغربان ، تتجاوب فى نواحيها البوم ، وتتناوح فى أراجيها الريح السموم : وهى الريح الحارة تهب غالبا على مصر فى شهر مايو.(١) واقتصر الباحث على ذكر مصر من بين المناطق التى تهب عليها هذه الرياح لأننا نشاهدها ونقاسيها .

ويقول الله عز وجل

" وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ "(٢)

وفى الجغرافيا هى ريح محلية ساخنة جافة تثير الأتربة ، ومنها رياح الخماسين فى مصر والسودان ، ويستوحش ياقوت فيها الأنيس فيقول :

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى ... وأقيال ملك فى بسالتهم أسد

فمن حاتم فى جوده وابن مامة ... ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد

تعادى بهم طرف الزمان فأصبحوا ... لنا عبرة تدمى الحشا ولمن بعد (٣)

ولاحظ الباحث أن ظاهر أبيات ياقوت يقول فيها أن مدينة مرو أصبحت من الخراب الذى لحقها من جراء إغارات التتار وكأنها لم يوجد بها قبل ذلك هذه الدمى جمع دمية : وهى الصورة الممثلة من العاج والتى يضرب بها المثل فى الحسن والجمال التى يستأنس بها أهل مرو ونزلائها وكان ملوك اليمن يتخذون هذه الصور فى أماكن إقامتهم

---

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٥/٦.
(٢) سورة الواقعة : الآيات ٤١ : ٤٣.
(٣) معجم الأدباء ، ١٩،٢٠/١ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٥/٦ .

ويجعلون في مقدمة هذه الصور صورة الأسد . ثم يصف ياقوت كرم أهل مرو فإنهم كانوا في جود حاتم الطائى وفى حلم أحنف وسعد . هذه الصور وصفات أهل هذه المدينة أصبحت عبرة لأنهم غابوا غير أن هذه العبرة تدمى القلب حزنا . حينما يتذكرها الإنسان

وذكر ياقوت أن حادثة إغارة التتار على مرو كانت من الحوادث التى تقصم الظهر وتهدم العمر . وتوهى (تصيب وتضعف) الجلد . وتضاعف الحزن المكتوم . وتشيب الوليد وتختار من الإنسان أفضله ولو كان عقله . وتسود القلب . وتذهل العقل . وقد أثر ذلك كله على صاحبنا ياقوت لأنه لم يأمن على نفسه أمام هذا العدو . حتى أنه أشرف أكثر من مرة على الموت وقد ظن نفسه أنه من أهل البوار فقد أشرف على الهلاك فى الكثير من أسفاره وتنقلاته وكان يذكر نفسه دائما بقوله تعالى

"..... لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾"(١)

ووصف ياقوت أهل مرو بأنهم من الشهداء لدفاعهم عن وطنهم وكان يذكر دائما قوله تعالى :

"... وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾" (٢)

وظل ياقوت الحموى يقاسى خطوب الدهر ويعاتبه أحيانا فيقول :

تنكـــر لـــى دهـــرى ولـم يـدر أننى … أعـز وأحداث الزمان تهون

وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه … وبت أريه الصبر كيف يكون (٣)

فكأنه يقول أن الدهر معى فى محاربة مستمرة كلما مر بى حدث أنكره على وزودنى بحدث آخر . ولم يعلم أنى أتجلد أمام هذه الأحداث وتلك الخطوب متخذاً من الصبر حاجزاً يفصل بينى وبين تلك الأحداث.

(١) سورة الكهف : من الآية ٦٢.
(٢) سورة البقرة : من الآية ٢١٦.
(٣) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٧/٦ .

ومما سبق لاحظ الباحث أن الإقامة التى حظى بها ياقوت فى مدينة مرو أضافت الكثير إلى نشاطه العلمى من خلال وجوده بين كتب العلماء التى كانت تزخر بها مدينة مرو، وحصوله على هذه الكتب دون ضمان أو رهن، بل واصطحابها معه إلى منزله ناهيك عن الموقع الجغرافى الذى كان له عظيم الأثر فى نفس ياقوت بالإضافة إلى صفات أهل مرو من الكرم والسخاء وحب العلم وأهله، الأمر الذى أتاح لياقوت ممارسة نشاطه العلمى لتأليف الكتب وتصنيف العلوم حتى أنه ذكر أن الكثير مما جمعه كتاب معجم البلدان كان أثناء إقامته بمدينة مرو ولذا كانت إغارة التتار على مدينة مرو من الأحداث العظام التى أثرت فى نفس ياقوت الكثير لأنها كانت سبباً فى إضاعة الكثير من أمهات الكتب التى أفاد منها، فقد قضى التتار على هذه الثروة العلمية عن طريق الإحراق تارة وأخرى عن طريق السلب والنهب، وأمام جحافل التتار وجيشهم كثير العدد والعدة وكان على ياقوت أن يغادر مدينة مرو إلى مدينة أخرى يجد فيها العوض عن مدينة مرو فقد اضطر ياقوت الحموى إلى ترك مدينة مرو حيث قابل فيها مخاوف كثيرة من التتار بمعاملاتهم الوحشية، للعلماء والمكتبات التى يفيد منها العلماء بل وطلاب العلم ومع ما خرجت مدينة مرو من الأعيان، وعلماء الدين والأركان، ما لم تخرج مدينة مثلهم، إلا أن ياقوت غادرها مكرهاً مجبراً على ذلك مبتعداً عن وجود التتار فصار بعدها إلى خوارزم.

ياقوت الحموى فى خوارزم :

حرص ياقوت على الرحلة إلى الخوارزم لما سمعه عن فضل علمائها فقد كانت من أشهر مدن الشرق فى ذلك الوقت تخريجاً للعلماء وبها نشأت حركة علمية وأدبية واسعة وقد وصل إليها ياقوت فى رمضان سنة ٦١٦ هـ وتحدث ياقوت عن أهم المعالم التضاريسية التى شاهدها هناك فيصف نهر جيحون وهو متجمد فيقول :" وقد شاهدت نهر جيحون وهو متجمد وركبت فيه فكان الناس إذا استحكم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل

والعجل والبقر ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه كما يكون في البوادي ويبقى على ذلك نحو شهرين " (١)

ومنه لاحظ الباحث أن ياقوت كان عالماً في الجغرافيا يصف بعض المعالم التضاريسية التي يشاهدها ولا أرى إلا أن ياقوت كان عالماً بليغاً فقد بالغ في وصف هذا النهر كونه جعل النهر المتجمد مثل الطريق يتطاير عنه الغبار وقد استعان ياقوت بالمجاز اللغوي في ذلك فشبه قطع الثلج الصغيرة عند تطايرها من حوافر الحيوانات بالغبار المتطاير من هذه الحوافر عند مرورها على الأرض الجافة .

علماء خوارزم الذين أفاد منهم ياقوت :

تمت الإشارة فيما سبق إلى أن خوارزم كانت من أشهر المدن في ذلك الوقت تخريجاً للعلماء ومن أشهر العلماء الذين أفاد منهم ياقوت (أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي ت : ٦٢٦ هـ) ومن هؤلاء العلماء أيضا (يوسف بن أحمد نجم الدين الخوارزمي ت : ٦٣٤هـ) ومنهم (مؤيد الدين الخوارزمي كان حيا : ٦٢٠ هـ ومن مؤلفاته شرح نوابغ الكلم للزمخشري . ومنهم (أبو المؤيد الخوارزمي ت : ٥٦٨هـ) صاحب كتاب : مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة . قال الزركلي إنه مطبوع . وقد أخذ العربية عن الزمخشري بخوارزم ،ومن العلماء الذين اهتموا بالدراسات العقلية في خوارزم (أبي على الجغميني الخوارزمي ت: ٦١٨هـ) من كتبه كتاب الملخص في علم الهيئة قال الزركلي إنه مطبوع وترجم إلى الألمانية .(٢)

ومن هؤلاء العلماء (أبو عبد الله الخوارزمي ت ٢٣٢هـ) الذي كان ينعت بالأستاذ فقد عهد إليه المأمون بجمع الكتب اليونانية وترجمتها . فاختصر كتاب المجسطي لبطليموس وسماه (السند هند) أي الدهر الداهر . فكان هذا الكتاب أساساً

---

(١) معجم البلدان ، ١٩٤/٢-١٩٦.
(٢) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٨٢/١٣ ، ٢٦٩/١٣، ٥٥/١٣ والزركلي ، مرجع سابق ، ٣٣٣/٧، ١٨١/٧ والقفطي ، مرجع سابق ، ٢٣٢/٣ وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ١٩٧٨/٢ ، ١٨٣٧/٢ ، ١٨١٩/٢

لعلم الفلك بعد الإسلام . وله كتاب الجبر والمقابلة قال الزركلى إنه ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الانجليزية ، ونشر بهما ، وطبع بالعربية . وله كتاب وصف أفريقيا قال الزركلى إنه مطبوع(١) .

وقد أفاد ياقوت الحموى أثناء إقامته بخوارزم بالكثير من علوم هؤلاء العلماء سواء أكان هؤلاء الذين صنفوا فى علوم الفقه والعربية ، أم هؤلاء الذين صنفوا فى العلوم العقلية غير أن الفترة التى قضاها ياقوت هناك كانت قصيرة ، لم يسعد فيها ياقوت بكثرة التزود من هذه العلوم . فالزمن لم يطب له حتى يهنأ بالإقامة الطويلة بين هؤلاء العلماء حتى يحصل منهم على الكثير وكان ذلك بسبب " سوء العلاقة التى نتجت بين الدولة الخوارزمية وبين المغول الأمر الذى من خلاله تقدم جنكيز خان من بلد إسلامى إلى آخر مستخدما الهجوم العنيف والعدوان الشديد . فتراجع الخوارزميون أمامه . مما اضطر ياقوت الحموى إلى الرحيل عن خوارزم ، وقد قص ياقوت الضائقة التى شاهدها أثناء خروجه من خوارزم والرحيل عنها ، ما كان يكل عن شرحه إذا ذكره . وكان ذلك فى سنة ٦١٦ هـ . ومن الأمور التى جعلت ياقوت فى ضائقة أثناء خروجه من خوارزم وعودته إلى بعض مدن العراق أنه مر بخراسان ، ورأى آثار الدمار والخراب فى المدن الإسلامية من جراء الهجوم التتارى على هذه المدن ، مما جعله لا يستطيع الإقامة مرة أخرى بهذه المدن التى عز على نفسه أن يشاهدها على هذه الحالة وقد كانت سببا فى تقدمه العلمى ونشاطه الاقتصادى من خلال تجارته بها ، وقد تحدث ياقوت عما شاهده بخوارزم والمدن الإسلامية فى رسالته التى كتبها للقفطى وقد أشرنا إلى مقتطفات منها ." (٢)

وقد أضاف ياقوت برحلته إلى إربل الكثير إلى ميراثه التربوى . وحصيلته العلمية فقد كانت الإقامة التى حظى بها ياقوت فى إربل أتاح له فرصة الالتقاء بالعلماء . غير أنه كانوا من القلة بحيث أن ياقوت لم يذكر منهم سوى المستوفى .

---

(١) الزركلى ، مرجع سابق ، ١١٦/٧ وحاجى خليفة ، مرجع سابق ، ٥٧٩/١.
(٢)أبو الفتوح التوانسى ، ياقوت الحموى الجغرافى الرحالة الأديب ، مرجع سابق ، ص ٨٧ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٨/٦ ومعجم البلدان ، مرجع سابق ، ١٩٤/٢.

ياقوت الحموى ببغداد :

رحل ياقوت عن إربل متجها إلى بغداد وهناك التقى ببعض علمائها . فساهموا فى بنائه التربوى التعليمي وقد ذكر ياقوت من بينهم (أبى طالب الكرخى ت : ٥٨٥هـ) ويقول ياقوت : أدركت زمانه ولقبت بالبغدادى أوانه . إلا أننى لم أره لصغر السن حينئذ والاشتغال فى ذلك الوقت بغير طلب العلم . وقد كان الكرخى إماما زاهدا فاضلا .أوحد زمانه فى حسن الخط . وقد صار فى ذلك على طريقة (على بن البواب ت ٤٢٣هـ وهو خطاط مشهور . من أهل بغداد . نسخ القرآن بيده ٦٤ مرة . لا تزال بعض هذه النسخ محفوظة فى مكتبة بالقسطنطينية كما ذكره الزركلى".(١)

وقد ذكر ذلك ياقوت فى رسالته التى كتبها للقفطى . وأوضح فيها رحلاته وتنقلاته والإفادة العلمية التى حظى بها ياقوت أثناء هذه الرحلات

عودة ياقوت الحموى إلى حلب :

وصل ياقوت إلى حلب بعد أن استحالت الإقامة فى المدن التى رحل إليها . لما وقع من التتار حيال هذه المدن . وحلب ليست جديدة بالنسبة له . فقد عاش بها بعد ذلك واختارها ياقوت حتى يقضى بها الفترة الباقية من عمره . وذلك لما بينه وبين وزيرها الذى طلب منه ياقوت أن يساعده فى الوصول إلى حلب . ولذا كان ياقوت لا يفارق حلب إلا إلى زيارة بعض الأماكن المقدسة والعودة إليها . فقد زار المسجد الأقصى فى ٦٢٤هـ وزار أطراف العراق ومصر . وعاد إلى حلب حيث مجالس العلماء والأدباء . التى يتزود منها".(٢) .فقد جالس ياقوت الحموى بحلب بعض علمائها ومنهم (الواسطى ت :٦٢٦هـ وقد كان عالما بالعربية فى حلب . له من الكتب كتاب شرح المقامات الحريرية قال

---

(١)الزركلى ، مرجع سابق ، ٣١/٥ ومعجم البلدان ، ١٣٨/١ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٣٤٥/١ ومعجم الأدباء، ٣٩/٣ وابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثانى عشر ، (القاهرة : دار الفكر العربى ، د.ت) ص ١٤. وابن الجوزى المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق د/ حسن عيسى الحكيم ، الجزء الثامن ، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب ، ١٩٨٥م) ، ص ١٠ .

(٢) معجم الأدباء ، ٦٢٠/٤ ـ ٦٢٦ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٨/٦

الزركلى إنه مخطوط فى مكتبة عارف حكمت تحت رقم (٩٧أدب) وله كتاب خطب أورد ياقوت منه نماذج حسنة ."(١)

ويقول الواسطى : أنشدنا ياقوت لنفسه فى ذى الحجة ٦٢٠ هجرية بحلب أبياتا فقال :

أرى بغضى على الجهلاء داء	يموت ببغض القلب العليل
فهم موتى النفوس بغير دفن	وأحياء عزيزهم ذليل
يغطون السماء بكل كف	لها فى الطول تقصير طويل
وتبدو الطلاقة من وجوه	كما يبدو لك الحجر الثقيل
إذا قاموا لمجد أقعدتهم	مسالك مالهم فيها سبيل
وإن طلبوا الصعود فمستحيل	وإذا لزموا النزول فما يزول
كذاك السجل فى الدولاب يعلو	صعوداً والصعود له نزول (٢)

ومن ظاهر الأبيات يبين ياقوت البغض والمقت الذى ينال هؤلاء الجهلاء الذين يصير جهلهم داء فى قلوبهم يموتون به ، وهؤلاء الجهلاء فى حكم الموتى وإن كانوا حياء فإن العزيز منهم بجاهه ، ذليل بجهله ، ولا تجد الطلاقة من ألسنتهم ولكن تراها من وجوههم ، ولا يمكنهم الارتفاع عن مكانتهم ، لان العلم هو الذى يرفع هؤلاء ، ولا يحظون به كما لا ينفك عنهم النزول بالجهل ، فهم مثل السجل (هو الدلو) المملوء بالماء قل أوكثر"(٣) فإن ارتفاعه نزول وتراه واضحاً إذا ارتفع من الخلف هبط ليمتلأ بالماء من الأمام ، ويلاحظ فى ذلك الدعوة الصريحة من ياقوت إلى ترك الجهل وطلب العلم ، فهو الذى يرفع الأقوام ،والجهل يخفض قدرهم ، وإن ارتفعت مكانتهم به .

---

(١) عمر رضا كحالة ، ١١١/٨ والزركلى ، مرجع سابق ،١٨٠/٥ والسيوطى ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق ، ١٢٨/٢
(٢) معجم الأدباء ، ٦٢٦،٦٢٧/٤
(٣) الرازى ، مرجع سابق ،ص ٢٨٧

وقد ظل ياقوت بحلب حتى وافته منيته فى يوم الأحد، العشرين من رمضان ٦٢٦هـ، ١٢٢٩م بعد أن وقف كتبه على مسجد الزيدى، بدرب دينار ببغداد، وقد سلمها لابن الأثير، فحملها إلى هناك (١)

عقيدة ياقوت :

من خلال الرسالة التى كتبها ياقوت الحموى إلى الوزير القفطى تبين للباحث أن ياقوت كان ذو عقيدة إسلامية صافية، متأثراً بالتنشئة الأولى التى نشأ فيها بين يدى مولاه عسكر، ويتضح ذلك بصورة واضحة فى استشهاد ياقوت بالكثير من الآيات القرآنية يؤيد بها كلامه، والأحاديث النبوية التى يوثق بها بيانه، وكان يذكر الكثير من قصص الأولياء والصالحين، وصحابة النبى (ﷺ) ليضرب بهم المثل أثناء تعرضه لكتابة موضوع ما، واعتقاد ياقوت فى كل الأمور الغيبية المحسوس منها وغيره، ويبين ذلك أيضا وصفه للتتار بأنهم أهل كفر وإلحاد وضلال، وما أبداه من أسف شديد على تفكك الدولة الإسلامية العربية وانهيارها أمام جحافل التتر، الملحدة المتبربرة، وحزنه الدفين على تركه مدينة مرو الزاهرة العامرة بمكتباتها، وعلمائها الأجلاء وما بهذه المكتبات من كتب ذات قيمة علمية وتربوية استطاعت أن تنسى ياقوت الأهل والأحباب، والوطن والأصحاب وكانت بمثابة عوض عن إقامة منزل يشعر فيه بالراحة الأبوة.

ويذكر عبد الرحمن حميده فى كتابه (أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم) قوله " وقد رأى سيده التاجر، الذى لم ينل حظا وافر من التعليم أن يفيد من هذا الحدث النابه (الذكى) بأن يوفر له ذلك، كى يستعين به فى حساباته ومعاملاته. فأدخله الكتاتيب يتعلم فيها الكتابة، ونال تعليما إسلاميا جيدا "(٢)

---

(١) ابن خلكان، مرجع سابق، ٦/١٣٩

(٢) عبد الرحمن حميده، مرجع سابق، ص ٢١٤

ومنه لاحظ الباحث أن ياقوت نشأ من البداية نشأة إسلامية كانت سبباً فى قوة عقيدته الإسلامية ، وذلك جعله فى النهاية يختار ويفضل الآخرة على الدنيا حتى أنه "وقف كتبه على مسجد الزيدى ببغداد"(١) ،وذلك حتى لا تقتصر الإفادة من هذه الكتب على طائفة خاصة بل تعم الإفادة منها ويستطيع أن يطلع على هذه الأعمال وتلك المؤلفات رواد هذا المسجد ، ونقلت هذه الكتب بعد ذلك إلى مكتبات بغداد حتى تشمل الفائدة أهلها

أخلاق ياقوت الحموى :

جمع ياقوت الحموى الكثير من الصفات الأخلاقية الحميدة ،والتى كان يوصف بها من بين أهل البلدان التى يرحل إليها فقد كان "رقيق العاطفة مرهف الحس ، دؤوب على العمل ، وله نفس ذكية داركة وكان صريحا فى قوله ، لا يداهم ولا يرائى ، يقول ما يؤمن به ويعتقد فيه ،وإن أغضب غيره ،وقد كان فيه صدق العلماء ، وصدق الصادقين من العلماء والرواه ."(٢)

ومن الصفات التى كانت تلازم شخص ياقوت الحموى هى التواضع فى العلم فكان إذا سئل عن شىء ولم يعرفه كان لا يخجل من أن يقول لا أعرف أو لا أعلم فيقول : أما الشعر فقد قلت فيه مع اعتراف بقلة بضاعتى فى الشعر وعلمى بركاكة نظمى ونثرى(٣) وقد وصف ياقوت بأنه لا ينفق إلا على من جبل (طبع) على العلم طبعه ،وعمر بحب الفضل ربعه (داره) فظل للآداب خدينا (حبيباً وصاحباً) ولصحة العقل قريناً (مصاحباً) قد عجنت بالظرافة طينته وسيرت باللطافة سيرته " (٤)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت كان مولعاً بالعلم حريصاً على تحصيله مهما كلفه ذلك من جهد وطاقة ، وكان على درجة من التدين ، وعلى صلة بربه ، وكانت يداه

---

(١) ابن خلكان،مرجع سابق ، ١٣٩/٦ والزركلى ، مرجع سابق ، ١٣١/٨ وجورجى زيدان ، مرجع سابق ، ٨٨/٣
(٢) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٥٦
(٣) معجم الأدباء، ٣٦/١
(٤) المرجع السابق، ٣٣/١ .

تجودان بالخير، سباق إلى المعروف، وقد رأيناه يقف كتبه على مسجد الزيدى بالعراق فهو بذلك اشترى آخرته بدنياه قولا وعملا، وقد كان ياقوت معتزا بنفسه يفتخر على أهل الجهل بأعماله، ويعترف بفضل العلماء الذين سبقوه، عن طريق الاستفادة من أعمالهم وفى كل مؤلف قام بتأليفه، ولذا فقد عاش ياقوت طيلة حياته طالباً للعلم فى مجالس العلماء والأدباء بل كان لا يتكبر على العلماء فكان يرحل إليهم قاطعا البيداء والبحار والأنهار حتى يصل إلى أماكن إقامة هؤلاء العلماء والتعرف على علومهم.

العلماء الذين تتلمذ لهم ياقوت :

من خلال ما تمت الإشارة إليه عن حياة ياقوت تبين أنه عاش حياته بين الأسر فى الصبا، والتجارة والكتابة وجمع الكتب فى الشباب، من مختلف البلدان، وأثر العزلة فى السنوات الأخيرة من عمره لما حدث أمامه من إغارات التتار على البلدان الإسلامية ،وما رأه قد حل بالمدن الإسلامية فقد كانت حياته متقلبة لم يعرف فيها الاستقرار ولم يأنس فيها بالهدوء وراحة البال، كل هذه الظروف لم تتح لياقوت التفرغ بالجلوس إلى الكثرة من العلماء والشيوخ، بل نستطيع أن نقول أن ياقوت اتخذ من الكتاب معلماً أكثر من اعتماده على الشيوخ والعلماء، فقد شغلته الرحلة والتجارة، ونسخ الكتب عن ذلك غير أنه كان إذا حل ببلد وصادق شيخا انتفع بعلمه وحصل منه، ولا يمكنه أن يصادق شيخا غيره لعدم إطالة الإقامة، فالسفر إحدى مصادر المعرفة ،وقد قيل فى السفر سبع فوائد ورغم ذلك كله نستطيع أن نتتبع حياة شيخين تتلمذ لهما ياقوت، وكان لهما أثر فى ثقافته أكثر من غيرهما وهما :

" سالم بن أحمد وهو أبو المرجى التميمى ويغلب عليه لقب المنتخب ت ٦١١هـ" وهو من علماء النحو والعروض، من أهل بغداد ووفاته فيها ،التقى به ياقوت الحموى وقرأ عليه العربية والعروض، من مؤلفاته : كتاب صناعة الشعر وكتاب القوافى والعروض ،وله

أرجوزة فى النحو . وقد سافر سالم بن أحمد إلى خراسان لسماع صحيح مسلم ،وقد سمعه من المؤيد الطوسى [(١)]

ويرى الباحث أن ياقوت (شيخنا) قد جانبه الصواب فقد اقتصر فى ترجمته لأستاذه على سطور قليلة ، غير أنه اعترف بأستاذيته له ، وأخذ العلم عليه . وفى نفس الوقت كان ياقوت قد تترجم فى كتابه (معجم الأدباء) للكثير من العلماء والأدباء ليسوا بهذه المكانة من ياقوت ، ومع ذلك أكثر عنهم الحديث ،وكذلك لم يورد ياقوت لشيخه شيئا من شعره ، ولم يورد أى خبر عن الأحداث التى دارت بينه وبين شيخه . وذكرياته معه مع أنه تتلمذ على يديه فى العراق.

ومن هؤلاء العلماء السمعانى وهو (أبو سعد السمعانى المروزى) ت :٥٦٢هـ مؤرخ رحالة ، من حفاظ الحديث ،مولده ووفاته بمرو ، لقى العلماء والمحدثين وأخذ عنهم ، وأخذوا عنه ، من مؤلفاته : كتاب الأنساب وهو من أشهر مؤلفاته وقد ذكر الدكتور مصطفى رجب فى كتابه " مع تراثنا التربوى " أن كتاب الأنساب معروف حاليا بين دارسى التاريخ وعلوم التراجم ،ونقل عن ابن خلكان قوله أن هذا الكتاب كان فى نحو ثمانى مجلدات ثم اختصره ابن الأثير الجزرى إلى ثلاثة مجلدات واستدرك عليه ، ويضيف ابن خلكان قوله والمختصر هو الموجود بأيدى الناس والأصل قليل الوجود " وله كتاب : تاريخ مرو قال الزركلى أنه مطبوع يزيد على عشرين جزءا ، وكتاب : تذييل تاريخ ببغداد للخطيب البغدادى قال الزركلى إنه مختصر مخطوط ،وله كتاب : أدب الإملاء والاستملاء وقد قام الدكتور مصطفى رجب بتحقيق هذا الكتاب ،وله كتاب فرط الغرام إلى ساكنى الشام فى ثمانية أجزاء وكتاب التحبير فى المعجم الكبير قال الزركلى إنه مخطوط ،ينقص أوراقا قليلة من أوله ومن آخره ويقول الزركلى اقتنيت تصويره ،وله كتاب : تبين معادن المعانى قال الزركلى أنه مطبوع فى لطائف القرآن الكريم ، وله كتاب : تاريخ الوفاة للمتأخرين

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٥٧/٣ والزركلى ، مرجع سابق ، ٧٠/٣ والسيوطى ، مرجع سابق ، ص ٢٥١

من الرواة .وكتاب : طراز الذهب فى أدب الطلب ويقول عنه الدكتور مصطفى رجب يبدو أنه كتاب تربوى ولكنه مفقود فلم يجد الباحث أى إشارة إليه فى المصادر المتاحة عدا طبقات السبكى .ولم يعثر عليه فى قائمة المخطوطات فى دار الكتب المصرية " (١)

وقد أشار ياقوت الحموى إلى أستاذه السمعانى فى أكثر من موضع من معجميه (الأدباء . والبلدان) وفى كل مرة يتحدث ياقوت عن شيخه يختار له عبارات المدح والثناء .وذكر الفوائد التى حصل عليها من خلال حضوره لمجالس التعليم التى كان يعقدها شيخه السمعانى . فقد نشأ السمعانى نشأة علمية فى أسرة وفرت له فرصة لقاء العلماء الذين كانوا يترددون على زيارة والده .والإفادة من علمه فقد " كان جده المنصور ت :٤٨٩هـ إمام عصره بلا منازع .وصار إمام الشافعية فى التدريس والافتاء وكان والده (محمد ابن المنصورت : ٥١٠ هـ إمام فاضلا .ومحدثا فقيها على مذهب الشافعية .ومدرسا فى المدرسة النظامية ببغداد يدرس مادة الحديث " (٢)

ومما سبق يرى الباحث أن البيئة الأسرية والظروف المحيطة بالسمعانى كان لها أثر بالغ فى تقدمه العلمى . فنشأته فى بيت علم مثل هذا البيت وفرت له منذ بداية حياته فرصا قد يفتقر إليها غيره من لقاء العلماء الذين كانوا يزورن هذا البيت ويعرفون لأصحابه فضلهم ومكانتهم . كما كان لذلك أثره فى دفعه إلى التعلم فى سن مبكرة . إذا عرفنا أن أباه توفى وكان السمعانى صغيرا أدركنا أنه لم يقض فى حياة أبيه إلا أقل من أربع سنوات أى أنه بدأ الجلوس فى حلقات العلم فى سن مبكرة جدا الأمر الذى ساهم فى بنائه العلمى وتكوينه التربوى .

---

(١) الزركلى ، مرجع سابق ، ٥٥/٤ ، والسبكى ، مرجع سابق ، ٢٥٩/٤ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٥٦٣/٥ وجورجى زيدان ، مرجع سابق ، ٦٨/٣ ، وتذكرة الحفاظ ، ١٠٧/٤ ومصطفى رجب ، مرجع سابق ، ص ص ٨١،٨٢ نقلا عن ابن خلكان، ١١٦/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ٤/٦
(٢) الزركلى ، مرجع سابق ١١٢/٧ والسبكى ، مرجع سابق ، ١٨٦/٤- ١٨٩

وقد اهتم السمعانى بلقاء الشيوخ، طوال رحلاته وحياته العلمية، فقد بلغ عددهم أربعة آلاف شيخ أو يزيد، ويبدو أن علاقته بهم أو بمعظمهم كانت تقوم على تقدير عظيم له، فإننا نجد أن بعضهم حين كان يخرج لتوديعه عند زيارته لهم يبكى، مما يدل على قوة علاقته بهم وإكبارهم لمكانته "(١) وذكر ياقوت الحموى أنه لم يقتصر على تلمذته لشيخه السمعانى فقط وإنما تتلمذ على كتب والده (محمد بن المنصور) ،وقد اعتمد ياقوت عليها فى كثير من مؤلفاته غير أنه كان إذا أشار إليها يقول " وقد ذكر شيخنا فى كتاب منهاج السنة ،وكتاب الانتصار مسألة القدرية " (٢)

ولاحظ الباحث هنا التواضع فى حديث ياقوت عن شيخه، والوفاء والتوقير لمكانته فكان إذا ذكره يلقبه بشيخنا أو عالمنا، مما يدل على الاحترام من التلميذ لأستاذه، اعترافاً بفضله، وما أسداه إليه من علم، وما اكتسبه منه من خلق وفضل، وما حصله من معرفة وعلم، غير أن الحياة التى مر بها ياقوت فى رحلاته وتنقلاته بين البلدان بسبب ضيق ذات اليد التى كان يعيشها لم تتح له أن يتتلمذ تلمذة مباشرة على يد شيوخ معروفين فى عصره غير هؤلاء الذين التقى بهم فى بلدة العلماء (مرو) والتى قضى به أزهى سنوات عمره ،وقد أضاف الدكتور / السيد محمد ديب فى كتابه" ياقوت الحموى ناقداً وأديباً " إلى هذين الشيخين عالماً ثالثاً ظن أن ياقوت تتلمذ على يديه وهو (يعيش بن على بن يعيش ت : ٦٤٣هـ) ،وقد قام الباحث باستطلاع كتب التراث والمصادر المتاحة فلم يجد أى إشارة إليه، بالإضافة إلى أن ياقوت نفسه لم يشر إلى تلمذته على يد (أبى البقاء يعيش) غير ما ذكره الزركلى عن سنة وفاته (٣)

ومن علماء مرو الذين تتلمذ لهم ياقوت وقد أشار إليهم ياقوت إشارة مفردة وقصيرة على غير عادته فى حديثه عن شيوخه فى كتاب (معجم البلدان) منهم (أبو عبد

---

(١) مصطفى رجب، مرجع سابق، ص ٨١ .
(٢) معجم الأدباء، ٥٦٥/٤، ٣٦٨/٣ ومعجم البلدان، ١٠/١ و٣٤/٥ -١٠٧
(٣) الزركلى، مرجع سابق ٢٠٥/٨ والسيد محمد ديب، مرجع سابق، ص ٦١

الله الحامدى ت: ٤٠٥هـ)[١] ولتقدم سن وفاته عن ميلاد ياقوت فإن الباحث يرى أن هذه التلمذة ، كانت على كتب الحامدى أى تلمذه غير مباشرة ، وقد كان هؤلاء العلماء من الكثرة ، حتى أن ياقوت لم يفرد لهم فى تراجمه .

الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى عاشها ياقوت :

لقد عاش ياقوت الحموى ظروفا اجتماعية واقتصادية قاسية منذ بداية أسره من بلاده ، وتولى سيده عسكر أمره ، ويكفى أن نلاحظ أن الحياة التى عاشها ياقوت كانت من القسوة بحيث أنها لم تتح له الفرصة على بناء أسرة يشعر فيها بالأبوة والحنان ، غير هذا الجارية التى اشتراها أثناء إقامته بنيسابور فى غفلة من الدهر خرج بها عن عادته مع ياقوت ،وقد صادفت هذه الجارية من نفس ياقوت محلا كريما ،من حيث العاطفة التى تبادلها ياقوت مع هذه الجارية التى أحسن الله – عز وجل – فى خلقها وخلقها ، وكان له ميل إليها يضاعف ميله إليها ، غير أنه باعها متحججا بضيق ذات اليد ، الأمر الذى عاش ياقوت بسببه حالة من عدم الاستقرار العاطفى [٢] هذا عن الحياة الاجتماعية التى عاشها ياقوت

أما عن الحياة الاقتصادية لياقوت :

فقد كانت حياته معدمة ، حيث قبل العمل فى تجارة سيده عسكر الحموى وقد شغله مولاه بالأسفار فى متاجره ، وبها كان يتردد بين البلدان ،ويعود إلى حيث إقامة سيده فى الشام ، حتى حدثت بينه وبين مولاه نبوه (جفوة وتباعد) كانت سببا فى عتقه فأبعده سيده عنه ،وكان ذلك فى سنة ٥٩٦هـ ،وبجانب تردد ياقوت بين البلدان فى تجارة سيده عسكر اهتم بالكتابة والنسخ بالأجرة ، حتى يزيد بذلك دخله ،ويرفع مكانته الاقتصادية لضروريات الحياة ، كما أتاحت له الكتابة والنسخ أن يطلع على آلاف الكتب

---

(١) الزركلى ، مرجع سابق ، ٧٧/٦ .
(٢) معجم البلدان ، ٣٠٦/٣ ، ومعجم الأدباء ، ٣٠٧/٣

التى لا نستطيع حصرها وبيان عددها ، فلا تكاد تمر ورقة من مؤلفاته إلا رأيناه يشير إلى كثير من أمهات الكتب ، وعند الإشارة إلى كتاب كان يعطى فكرة عن موضوعه ، مع الاهتمام بالضبط اهتماماً كبيراً ، وبالنسخ والكتابة اضطلع ياقوت على الكثير من خزائن الكتب الموجودة فى المدن التى رحل إليها ،والتى كانت فى متناول يده . ولم يجد صعوبة فى وصوله إليها وحصوله على هذه الكتب . فكانت له همة فى تحصيل المعارف وجمع المعلومات . وكان مدمنا للقراءة . شغوفاً بأخبار العلماء متطلعاً إلى أنباء الأدباء وبتجارته فى أموال سيده بقيت بيده بقيه من مال سيده جعلها رأس ماله ، واتخذها طريقاً للتجارة (١)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموى خرج إلى الحياة يتعلم منها شيئا جديدا ، لأنه لا يملك مالاً يتاجر به سوى هذا الجزء البسيط الذى ورثه عن سيده ، فأخذ يتنقل به بين البلدان للتجارة به ، واعتمد على جودة خطه فى نسخ الكتب ، فقد كان لديه خط جميل يستطيع أن يكتسب به قوته ، وهو ذو ماض فى التجارة ، فأخذ يتاجر فى الكتب حتى أصبحت الكتابة هى صناعته التى يكتسب منها ، بل استخدمها أيضا لنفسه يقرؤها بعناية وتصفح ويتاجر فيها مكتوبة ، ومدونة فى كتب ، وإنه كانت هذه المهنة لا تدر دخلاً كبيراً غير أنها تجعل صاحبها على قدر كبير من الثقافة العلمية من خلال ما يجمعه من الكتب ،وما يقرؤه منها .

منهج ياقوت فى التأليف :

لقد اتخذ ياقوت الحموى لنفسه منهجاً فى التأليف والكتابة يتجلى فى كل مؤلفاته فقد اعتمد على التوثيق والتأكد من مصادر المعلومات التى يقتبسها من كبار العلماء فى العلوم ، فقد اشتهر بالإسناد ،وذلك بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب الذى قام بتأليفه . لذا احتوت مؤلفاته على أسماء مؤلفين ومؤلفات لا نعرف عنهم شيئاً ، نرى أنها

---

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٧/٦ ومعجم الأدباء ، ١١/١

فقدت أثناء غارات التتار على المدن الإسلامية وإحراقهم للمكتبات وما بها من كتب العلماء [1]

وقد جاء كتاباه معجم الأدباء ومعجم البلدان شاهدين على ذلك فقد جمعا بين دفتيهما أسماء كتب قد ضاعت لعمالقة من علماء العرب والمسلمين . ولا تكاد تمر ورقة من مؤلفاته إلا رأيناه يشير إلى كثير من أمهات الكتب وعندما يشير إلى كتاب يعطى فكره عن موضوعاته التى يحويها هذا الكتاب . وقد اعتمد فى كتاباته على إثبات الكتابات التى سبقته فى مجال تأليف كتبه ، مشيرا إلى الفائدة التى اطلع بها من خلال قرأته لهذه الكتب . والذى لم يطلع عليه من هذه الكتب التى نقل منها واعتمد عليها .فذكر من الكتب التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه " معجم الأدباء " كتاب : أخبار النحاه للصابئ (محمد بن عبد الملك) قائلا :" ثم ألف فيه أى الترجمة للعلماء والأدباء ، أبو سعيد المرزبانى السيرافى ت : ٣٦٨ هـ وقد كتب السيرافى كتاب : أخبار النحويين المصريين قال عنه الزركلى إنه مطبوع ، وكتاب : شرح كتاب سيبويه ، قال الزركلى إنه مخطوط فى دار الكتب تحت رقم ١٣٧، ١٣٨، ٢٦١ نحو . ويقول ياقوت عن كتاب الصيرافى إنه كتاب صغير فى نحاة البصرة نقلنا أيضا من فوائده إلى هذا الكتاب (معجم الأدباء) ويذكر أيضا من الكتب التى اعتمد عليها كتاب : شجرة الذهب فى أخبار أهل الأدب لصاحبه (أبى الحسن المجاشعى القيروانى ت : ٤٧٩هـ) وهو عالم باللغة والأدب والتفسير من أهل القيروان [2] وعنه قال ياقوت " وقع إلى شيئ منه (كتاب شجرة الذهب فى أخبار أهل الأدب " فوجدته كثير التراجم ، إلا أنه قليل الفائدة لكونه لا يعتنى بالأخبار . ولا يعبأ بالوفيات والأعمار [3] ولذا اهتم ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) بذكر تاريخ الميلاد

---

(١) معجم الأدباء ، ٢٨،٢٩/١ وزغلول راغب النجار ، وعلى عبد الله الدفاع ، مرجع سابق ، ص ٣٩٧

(٢) حاجى خليفة ، مرجع سابق، ٣٠/١ والزركلى ، مرجع سابق ، ١٩٦/٢ ، ٣١٩/٤ والقفطى ، مرجع سابق ، ٣١٣/١ ، ٢١٩/٢ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق ، ٣٤١/٧ وابن الأنبارى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٩ والسيوطى ، مرجع سابق ، ص ٣٤٥

(٣) معجم الأدباء ، المقدمة ، ص١٠

وتاريخ الوفاة، لكل عالم أو أديب يترجم له. ومنه رأى الباحث أن ياقوت كان يتحرى الدقة والصدق فى المعلومات التى يحصل عليها، ويثبت منها ما يراه صائباً ويترك ما خلاف ذلك وإن ثبته كان يقول هو عند فلان كذا وكذا.

وكان ياقوت يخالف غيره من المؤلفين والكتاب فى استشهاده ببعض آيات القرآن الكريم، فى الكثير من كتاباته، وكان يذكر الآية نصا أو يضمنها كلامه بتصرف منه، وربما استطرد فى شرحها وبيان مناسبتها ثم يعود مرة أخرى إلى حديثه فيقول فى حديثه عن مكة فى كتابه معجم البلدان، أن الله - تعالى - سماها أم القرى فقال:

"..... لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ..." (١).

وسماها البلد الأمين فى قوله تعالى:

" وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ " (٢)

ويقول إن الله تعالى قال:

" لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ " (٣)

وقال تعالى "..... وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ " (٤)

وقال تعالى " جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ... " (٥)

ثم يذكر ياقوت ما ورد على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فى قول الله تعالى:

" رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ " (٦)

---

(١) سورة الشورى : من الآية ٧.
(٢) سورة التين : الآيات ١ : ٣.
(٣) سورة البلد : الآيات ١ : ٢.
(٤) سورة الحج : من الآية ٢٩.
(٥) سورة المائدة : من الآية ٩٧.
(٦) سورة إبراهيم : الآية ٣٧.

وقوله تعالى :

" رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ "(١)

وكان ياقوت يذكر أحيانا الآيات القرآنية بتصريف . فحينما يتحدث عن مصر كان يحرص على ربط كتاباته ببعض آيات القرآن الكريم مصرفة فيقول : إن مصر خزائن الأرضين كلها وسلطانها سلطان الأرضين كلها ألا ترى إلى قول يوسف (عليه السلام) لملك مصر

" قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ " (٢)

ففعل فأغاث الله الناس بمصر وخزائنها . ثم يقول ياقوت إن الله - عز وجل - لم يذكر مدينة بعينها بمدحها غير مكة إلا مصر . فإنه قال:

" ... أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ... " (٣)

وهذا تعظيم ومدح (٤)

ولم يقتصر ياقوت فى كتاباته على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم فقط وإنما كان يستشهد بأحاديث النبى (ﷺ) يذكرها مرة منصوصة وأخرى بتصريف فقد ذكر فى حديثه عن ببيت المقدس قول النبى (ﷺ) : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ،والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس . وكان ياقوت عند استشهاده بالأحاديث يترك السند (الرواه) ، حتى لا يضخم حجم كتاباته

وقد اتخذ ياقوت من الأمثال محكاً للحكم على ما يذكره فى كتاباته . وقد استعان بالأمثال العامة التى تعبر عن ثقافة طبقة عريضة من المجتمع . وكان يشرح أصل هذه الأمثال . ويبين المناسبة التى قيلت فيها هذه الأمثال ثم يذكر مكانة المثل من القصة التى

---

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٥.
(٢) سورة يوسف : الآية ٥٥.
(٣) سورة الزخرف : من الآية ٥١.
(٤) معجم البلدان، ١٨٢/٥ ، ١٣٧/٥ - ١٦٦

يذكرها "مثل قصة أسعد بن المنذر، وعمرو بن هند فقد ذكر فيها مثل قال فيه : إن الشقى وافد البراجم [1]

وقد أكثر ياقوت من هذا النوع من الكتابة فى معجم الأدباء، حتى أن الباحث لاحظ فى أكثر التراجم الطوال أن ياقوت كان يذكر الأمثال ويشرحها فى أسلوب مرسل قد لا يدخل فيه البديع أحيانا، كما ذكر فى ترجمته للقفطى الذى سبقت ترجمته [2]

وكان ياقوت الحموى يتخذ من السجع فى أسلوبه القليل عند حديثه عن تراجم بعض العلماء، كما وضح ذلك فى ترجمته لابن النديم "[3]

وكان ياقوت الحموى كثيرا ما يتبع الأسلوب العلمى فى حديثه عن البلدان التى رحل إليها، معتمدا على الملاحظة الدقيقة دون الانصراف بذهنه إلى الزخرفة، اللفظية بل يصف ما يشاهده مثل وصفه للأهرامات المصرية، ووصفه لنهر جيحون، ومن هنا فقد جاء أسلوب ياقوت التأليفى فى كتبه معتمدا على الملاحظة ووصف المشاهدات والأخذ بالمحسنات البديعية بقصد وبدون إسراف إلا حيث يستدعى الموقف، وكذلك نلاحظ أسلوبه سهل الألفاظ، واضح العبارات، ساعده ذلك على إتمام كتاباته، وقد جمع ياقوت العديد من الألوان البلاغية فى كتاباته ومن أكثر هذه الألوان التشبيه الذى ظهر واضحا فى ترجمة ياقوت للحسن بن محمد الكاتب واعتمد ياقوت على الاستعارة فى بعض المقامات التى تستدعى هذا اللون من ألوان البلاغة "[4]

وبالإضافة إلى ذلك كان ياقوت يكثر الاستشهاد بالشعر فى مؤلفاته فقد لاحظ الباحث أن ياقوت أكثر من استشهاده بالشعر فى تراجم العلماء والأدباء، فى معجم الأدباء أكثر من غيره من المؤلفات الأخرى، فقد كانت تطول شواهده فى معجم الأدباء عن

---

(١) المرجع السابق، ١/٣٧٤ ـ ٥٠٥
(٢) معجم الأدباء، ٤/٤٧٩ .
(٣) المرجع السابق، ٤/٣٥٧
(٤) معجم البلدان، ٢/١٩٧ ومعجم الأدباء، ٣/١٠٥، ٥/١٤-٦٥وز غلول راغب، وعلى الدفاع، مرجع سابق، ص ٣٩٥

غيره من المؤلفات لأنه يترجم فيه لرجال يحتاج معهم للنقل عنهم وذكر مواقفهم من العلوم الأخرى (١)

وكان ياقوت يعبر عن شخصه وبيئته من خلال كتاباته ولا يخشى أن يسأل إذا لم يتمكن من معرفة الشيء بل يطلب من غيره أن يعاونه فى ذلك حينما يعجز عن إتمام الفائدة العلمية فيقول : وفى أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها فليعذر الناظر فى كتابى هذا ومن كانت عنده أهلية ومعرفة وقتل شيئا منها علما فقد أذنت له فى إصلاحه مأجوراً (٢)

وكان ياقوت يتحرى الصدق والدقة فى النقل . ولا يتحمل تبعة مالا يطمئن إلى صحته بل ينوه عليه فيقول : هذا شيء من أخبار الصين الأقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته فإن كان صحيحا فقد ظفرت بالغرض وإن كان كذبا فتعرف ما تقوله الناس (٣) ومن خلال هذا المنهج الذى قدمه شيخنا ياقوت كان يطلب من مؤلفى الكتب ضرورة التأكد من صحة المعلومات بعد جمعها عن طريق المراجعة بعد الانتهاء من كتابة مؤلفاتهم بل أنه يفضل أن تكون المراجعة عن طريق شخص آخر غير مؤلف الكتاب لأنه يكون أبصر بما فى الكتاب من خلل وقصور أكثر من مؤلف الكتاب غير أنه يطلب من الشخص الذى يراجع الكتب ألا يتعمد العنت ولا يقصد طريق من رأى حسناً ستره وإذا رأى عيباً أظهره بل عليه أن يتأمل الكتب بين الإنصاف والتوسط لأن الكمال محال لغير الله (عز وجل) والإنسان ليس معصوماً من الخطأ بل النسيان فى الإنسان موجود فيقول فى معجم الأدباء" وأنا فقد اعترفت بقصورى (عجزى) فيما اعتمدت عن الغاية وتقصيرى عن الانتهاء إلى النهاية ، فأسأل الناظر فيه ألا يعتمد العنت ولا يقصد قصد من إذا رأى حسناً ستره وعيباً أظهره وليتأمله بعين الإنصاف لا الانحراف فمن طلب عيباً

---

(١) السيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ص، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .
(٢) معجم البلدان ، ٩٨/٢
(٣) المرجع السابق ، ٤٠/٣ .

وجده ومن افتقد (بحث) زلل (خطأ) أخيه بعين الرضا فقد . فرحم الله امرأ قهر هواه وأطاع الإنصاف ونواه وعذرنا فى خطأ إن كان منا وزلل إن صدر عنا . فالكمال محال لغير ذى الجلال . فالمرء غير معصوم . والنسيان فى الإنسان غير معدوم وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب فقد علم أن كل مجتهد مصيب . فإنا وإن أخطأنا فى مواضع يسيرة فقد أصبنا فى مواطن كثيرة (١)

ولا شك أن هذه دعوة صادقة ومنهج علمى سليم تتكشف فوائده لمن يتخذ من منهج ياقوت منهجا علميا يسير عليه بالنسبة لهؤلاء الكتاب وقد تبع بعض العلماء منهج ياقوت كما فعل جعفر بن يحيى (٢)

وقد تحدث بعض الكتاب عن فضل ياقوت فى التأليف وأنه لم يترك شيئاً . كما ذكر ذلك الأستاذ محمد عبد الغنى حسن وقد أرجع فضل ياقوت إلى عمله بالنسخ فترة طويلة (٣)

وقد أفاد ياقوت من جودة خطوط العلماء والكتاب مثل خط ابن البواب والقاشانى صاحب الخط كثير الضبط المعقد . سلك فيه طريقة شيخه ابن جنى (٤)

الخلاصة :

من خلال هذا العرض لمنهج ياقوت الحموى فى الكتابة والتأليف نلاحظ أنه اتصف بالصدق والأمانة العلمية . واعتمد على الملاحظة الدقيقة والمشاهدة الواقعية . وجمع فى كتاباته الكثير من المحسنات البلاغية . وألوانها والعبارات والألفاظ السهلة . مستخدما اللغة فى صياغة هذه العبارات وتلك الجمل متنوعاً فى ألوان الفنون بين ما يعتمد منها على العقل والتفسير . وبين ما يكتفى فيه بالرواية والسماع . مما يجعل ياقوت كاتباً بارعاً

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٤/١
(٢) المرجع السابق ٣٤/١
(٣) محمد عبد الغنى حسن ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ م)، ص ٦٧
(٤) معجم الأدباء ، ٣٥٢/٤ ـ ٤١٣

ويمكن أن نطلق على هذا المنهج الذى استخدمه ياقوت منهج الربط والإحالة فكان إذا تكلم عن بلد ذكر علمائها، ثم يحيل القارئ إلى الترجمة لهذا العالم أو غيرة فى معجمة

مؤلفات ياقوت :

بدأ ياقوت حياته العلمية فى تأليف الكتب مع بداية رحلاته وتنقلاته بين البلدان وبعد الحادث الأليم الذى قاسى ياقوت مرارة وضراوته وهو غزو التتار وبيع الجارية. ومع هذه الحياة القلقة المضطربة استطاع ياقوت أن يكتب الكثير من الكتب غير أن الكثير منها فقد أثناء تنقلاته ورحلاته، ومن المؤلفات التى بين أيدينا نتداول فوائدها وكان ياقوت قد كتبها بعد عودته من خرسان وخوارزم ومن هذه المؤلفات التى أشار لها ياقوت: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب وسماه أيضا إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء ويعرف أيضا معجم الأدباء وهو من الكتب المطبوعة منه: طبعة دار المأمون التى تقع فى عشرين جزء وقد طبع الكتاب عن طريق دار الكتب العلمية ببيروت طبعة تقع فى ست مجلدات يحتوى كل منها على أربعة أجزاء والمجلد السادس فهارس، ومن مؤلفاته: كتاب معجم البلدان وهو من الكتب المطبوعة يقع فى ثمانى مجلدات وله كتاب: معجم الشعراء وهو مطبوع جمع فيه ياقوت الكثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين وقد رتبه على اثنتين وأربعين جزءا على حروف التهجى، وكتاب: المشترك وضعاً والمختلف صقعاً وهو من الكتب النافعة وهو مطبوع أيضا وله كتاب المبدأ والمآل فى التاريخ، وكذلك كتاب: الدول وعنوان: الأغانى، وكتاب المقتضب من كتاب جوهرة النسب وهو مخطوط وله أيضا كتاب أخبار المتنبى.(1)

---

(1) معجم الأدباء، ١٢،١٣/١ وجورجى زيدان، مرجع سابق، ٨٨/٣ والزركلى، مرجع سابق، ١٣١/٨ وحاجى خليفة، مرجع سابق، ١٧٣٣/٢، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٦٩٠، ١٦٩٢، ١٩٩٣

معجم الأدباء وآراء العلماء فيه :

كان على الباحث أن يوضح بشيء من الإيجاز أهمية كتاب معجم الأدباء ، وهو من الكتب الزاخرة بالعلم والعلماء ، حتى أن ياقوت لم يخصه بزمن محدد لتأليفه ، بل كان يضيف إليه باستمرار حتى سنة وفاته . فلم يتوقف ياقوت عن تغذية المعجم بكل جديد ومن يتصفح هذا الكتاب المخطوط يجد في بعض التراجم مسافات بيضاء كسطر أو نصف سطر كان ياقوت قد تركها عند التبييض على أمل أن يملأها بما ستأتي به الأيام أو يصل إلى معرفته بالبحث أو السؤال أو التنقيب .

بدأ طبع هذا الكتاب لأول مرة بمطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٩٠٧ م واكتمل الكتاب في نهاية الطبع سبعة أجزاء ، وقد أشرف المستشرق ديفيد صموئيل مرجليوث على نشره وتصحيحه ، وتحملت لجنة الورثة للمستشرق تكاليف الطبع ، واعتمد الناشر على نسخة خطية محفوظة في مكتبة برويل بجامعة اكسفورد تحت رقم ٧٢٣ ، وفي مقدمة الكتاب يحكي مرجليوث قصة اقتناء مكتبة برويل لهذه النسخة التي احتوت على أغلاط كثيرة بين تحريف وتصحيف واضطراب في الخط الأمر الذي يدل على أن الناسخ لها كان غريباً عن العربية ، وقد اعترف الناشر بجهد العلماء الأفذاذ الذين قرءوا نماذج الكتاب قبل أن يتم طبعه ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد حسنين الغمراوي ، والشيخ إبراهيم اليازجي وقسطاس الحمصي ، وجورجي زيدان ، وقد أعاد مرجليوث طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٣ بعد أن أدخل عليه بعض التعديلات والتنقيحات الكثيرة بعد أن استشار : أحمد زكي والأب انستاس الكرملي وبعض المراجع التي تيسر له الحصول عليها وأفاد مرجليوث أن الكتاب لم يصل كاملاً حتى هذه الطبعة ، ثم قامت دار المأمون في سنة ١٩٣٦ بطبع الكتاب في عشرين جزءا بمطبعة عيسى الحلبي وكان كل جزء في مجلد وقد عاونت وزارة المعارف دار المأمون في تصحيح وإعداد الكتاب للطبع (١)

(١) معجم الأدباء ، المقدمة ، ص ٤ ،٦، ٥.

وقد اعتمد الباحث على هذه الطبعة فى بدء الدراسة غير أنه وجد بها بعض الأخطاء والمفارقات التى كانت تتطلب منه التوقف كثيراً للتأكد من صحتها . وقد أكمل الباحث الدراسة مستعيناً بنسخة قامت دار إحياء التراث العربى ببيروت بطبعها . وهى تقع فى ست مجلدات تحتوى الخمس الأولى على عشرين جزء كل أربعة أجزاء فى مجلد واحد والسادس يتناول الفهارس .

ويرى الباحث أن الكتاب بهذا الوضع يحتاج إلى طبعة أخرى تنقى من هذه الأخطاء وتضع التراجم الملحقة فى مكانها حسب الترتيب المعمول به فى هذا الكتاب .

وبتحليل الكتاب نجد أن مقدمته تعد من أطول ما كتب من المقدمات فى كتب التراجم والطبقات إذ لم تكن أطولها جميعا . غير أن شيخنا ملأها بالفوائد الأدبية وحدد فيها بعض مناهجه عن هذا الكتاب . وهى تقع فى إحدى وعشرين صفحة حتى تتناسب مع حجم الكتاب . ولم يغفل ياقوت فى مقدمته عن ذكر من سبقوه بالكتابة فى تراجم الرجال فقد كتب عنهم وتحدث عن كتبهم وكان له منهج سليم فى عرض هذه الكتب فهو ينقدها ويشير إلى موضوعها ويذكر عدد مجلداتها كما ذكر : المقتبس للمرزبانى (١)

وقد شرح ياقوت منهجه فى الترجمة للرجال فقد ذكرهم بطريق الإيجاز مع ذكر مواليدهم وتواريخ وفياتهم . وكان يذكر بعض مستحسن أخبار العالم . وبعض المختار من شعره . وقد تمسك ياقوت بهذا الكتاب دون إعارته لأحد وكان سبب هذا الشح أن الكتاب كان مخطوطاً لدى ياقوت وخشى إن أعاره لسواه أن تتسرب معلوماته إلى من عداه . ومن يدرى لعل شيئا قليلا أو كثيرا من الكتاب ينقله ناقل وينسبه إلى نفسه ويضيع على ياقوت ما بذله من جهد ووقت . وتفكير وإبداع . وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله " وقد أقسمت ألا أسمح بإعارته ما دام فى مسودته . لئلا يلح طالب بالتماسه "(٢)

---

(١) المرجع السابق ، ٤٧/١
(٢) المرجع السابق ، ٦٢/١

وقد ترجم ياقوت فى معجمه لكل من اشتغل بالعلم والأدب واللغة والنحو والكتابة فى الرياضيات والهندسة والفلك وغيرها من العلوم العقلية . واهتم بجانب هؤلاء بالترجمة للوراقين وأصحاب الخطوط لألفة المهنة فقد اشتغل ياقوت فى مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة . ولم يقتصر ياقوت فى معجمه على أدباء عصر دون عصر بل ترجم لكل من خدم الأدب العربى إلى عهده وزمانه . وقد ترجم لأدباء أحياء فى عصره مثل : القفطى الذى توفى بعده بعشرين عام .

وقد رتب ياقوت الأعلام فى معجمه على نظام الترتيب الألف بائى فقال :" وقد جعلت ترتيبه على حروف المعجم . أذكر أولا من أول اسمه (أ) ثم من أول اسمه (ب) ثم (ت) ثم (ث)إلى آخر الحروف " (١)

وكان ياقوت إذا اتفق الرجال فى أسمائهم وأسماء آبائهم كان يلجأ صاحبنا إلى تاريخ الوفاة فيقدم فى الذكر من تقدمت وفاته وقد سبق أن أشرنا إلى منهج ياقوت فى تأليف كتبه .

---

(١) المرجع السابق ، ١/٥١.



الفصل الثاني
جوانب من بعض العلوم التي وردت
في كتاب معجم الأدباء و أهم أعلامها

مقدمة :

يتناول هذا الفصل جوانب من العلوم الدراسية التي ذكرها ياقوت الحموي أثناء ترجمته للعلماء سواء أكانت هذه العلوم علوما شرعية تتناول : علم أصول الفقه . وعلم الحديث . وعلم التفسير.

أم علوما لغوية كالنحو والصرف . والعروض .

وكذلك العلوم العقلية المتمثلة في: علوم الفلسفة والمنطق . وعلم الفلك وعلم الطب والهندسة وعلم التاريخ والجغرافيا .

ولذلك قام الباحث باستخلاص هذه العلوم التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) . حتى يمكن للقارئ أن يتزود من كتاب (معجم الأدباء) الذي يعد مصدرا من مصادر المعرفة . على مدار عدة قرون . ويمكن من خلاله التعرف على أعلام الفقه . وأعلام التفسير والتعرف على مؤلفاتهم التي نالوا الشهرة من خلالها . وكذا معرفة علماء النحو والصرف وعلماء اللغة والتعرف على أهم مؤلفاتهم . وبجانبهم أعلام الفلك والنجوم والأطباء وعلماء الهندسة وعلماء الفلسفة والمنطق واشهر مؤلفاتهم في الفترة من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس والسادس الهجريين وقد اتبع الباحث في تصنيفه لهؤلاء العلماء ومؤلفاتهم تصنيفا يعتمد على الترتيب الزمني حسب تاريخ الوفاة من الأقدم إلى الأحدث . حتى يسهل على المتصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بفقيه أو محدث أو غيرهما في أقصر وقت ممكن . مقتصرا في ذكر العالم على الكنية والاسم واللقب وتاريخ الوفاة .

وقد قام الباحث بتقسيم هذا الفصل من فصول الدراسة إلى ثلاثة محاور، يتضمن **المحور الأول** منها الحديث عن العلوم الشرعية وأهم أعلامها.

والمحور الثاني : يتضمن الحديث عن العلوم اللغوية وأهم أعلامها.

والمحور الثالث : يتضمن الحديث عن العلوم العقلية وأهم أعلامها.

وفيما يلي توضيح لهذه المحاور:

المحور الأول : العلوم النقلية والشرعية ومنها :

أولا : علم الفقه وأصوله :

ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء عددا من العلماء الذين اهتموا بعلم الفقه فألفوا فيه الكثير من الكتب، وصنفوا فيه التصانيف واجتهدوا في تعليمه لغيرهم.

ومن هؤلاء العلماء في القرن الثاني الهجري :

أبو عبد الله القاسم بن أمعن المسعودى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله (ﷺ) المتوفى ١٨٨ﻫ فقد كان مهتما بتلقى علم الفقه عن علمائه وكان فقيها من علماء الكوفة، ولم يكن له بالكوفة شبيها في علمه، ولا أحد يخالفه في شيء يقوله، ومن أهم كتبه الفقهية كتاب غريب المصنف وقد ذكر أحمد ابن كامل أنه كان من أصحاب أبى حنيفة الإثبات في النقل الرقعاء في اللغة والفقه [(١)].

ومن هؤلاء العلماء في القرن الثالث الهجري :

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ الذي أظهر نبوغا مبكرا وكان يفتي وهو ابن عشرين سنة، ومع تقدمه في دراسة الفقه صار صاحب مذهب، وهو أحد المذاهب الأربعة المشهورة، وعن تعلمه يقول : عمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال، وبجانب هذا المذهب الفقهي الذي نسب إليه واشتهر به، كانت له حركة علمية في تأليف الكتب والأصول الفقهية، ومن أهم مؤلفاته

---

(١) معجم الأدباء : ٤/٥ وابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٨/٨ والزركلى، مرجع سابق : ١٨٦/٥ والذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٢٠/١ .

الفقهية كتاب الرسالة الذي جمع فيه الكثير من القضايا الفقهية، والمسائل المتعلقة ببعض جوانب الدنيا والآخرة(١).

محمد بن أتقد المدني الوادي المتوفى ٢٠٧ هـ له في علم الفقه كتاب الاختلاف الذي يحتوى على اختلاف أهلا لمدينة والكوفة في الصدقة والشفعة، وكتاب اعمري وارقبي وكتاب الوديعة(٢).

أبو عبد الرحمن، بقى بن مخلد الأندلسي المتوفى ٥٢٧٦ هـ تعلم الفقه عن طريق الرحلة إلى العلماء، فقد رحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد، وروى عن مائتين وأربعة وثمانين شيخا، من ينهم: أحمد بن حنبلي، وقد رجع إلى الأندلس فملأها علما وقد شغله طلب الفقه عن العمل وطلب الرزق، وقد تصدى للإفتاء بالأندلس فكان يفتى بالأثر، وكان خاصا بأحمد بن حنبلي، ومن آثاره العلمية كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم(٣).

أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدى المتوفى ٢٨٢ هـ نشأ بالبصرة وأخذ الفقه على مذهب الإمام مالك عن ابن المعدل، وتقدم في هذا المذهب حتى صار علما فيه، وقد نشر من مذهب الإمام مالك مال يكن بالعراق في وقت من الأوقات وقد صنف في الاحتجاج لمذهب الإمام مالك والشرح له(٤).

أبو إسحاق الحربي المتوفى ٢٨٥ هـ كان عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان قول: إن أبى كان يقول لي اذهب إلى أحمد بن حنبل يلقى عليك علم الفرائض، وقد صنف الحربي في علم الفقه كتاب مناسك الحج الذي

---

(١) معجم الأدباء: ٢١٦/٥ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٣٢/٩ وابن خلكان، مرجع سابق؛ ٥٦٥/١ والذهبى سير أعلام النبلاء: ١٤٧/٧ والزركلى، مرجع سابق؛ ٢٦/٦ وابن كثير، مرجع سابق: ٢٥١/١٠.

(٢) معجم الأدباء: ٣٩٤/٥ والخطيب البغدادى، مرجع سابق: ٥٦/٣ وابن العماد، مرجع سابق: ١٨/٢ والزركلى مرجع سابق: ٢٠٠/٧ وحاجى خليفة، مرجع سابق: ١٢٣٧/٢، ١٢٣٩، ١٤٢٠.

(٣) معجم الأدباء: ٣٣١/٢ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٥٣/٣ وسير أعلام النبلاء: ٦٨/٩ وابن تغرى بردى مرجع سابق: ٧٥/٣ وحاجى خليفة، مرجع سابق: ٤٤٤/١.

(٤) معجم الأدباء، ١٩٥/٢ وعمر رضا كحاله، مرجع سابق: ٢٦/١ وابن النديم، مرجع سابق: ٢٠٠/١.

قال عنه الزركلي انه مطبوع ، وقد رجح الأستاذ (حمد الجاسر) نسبته إليه وصدره بكتاب في سيرته وأخباره ، ومن بين كتبه أيضا كتاب الهدايا والسنة وقد قال فيه الزركلي أنه مطبوع وله كتاب آداب الحمام(١) .

ومما سبق نلاحظ الدور الإيجابي للأسرة في توجيه أبنائها إلى تعلم أصول الفقه كما فعل والد أبو إسحاق الحربي ، الذي كان يشجع ابنه على تلقي علم الميراث والفرائض عن الإمام احمد بن حنبل ، كما يتضح للباحث أن علماء الفقه في القرن الثالث الهجري كانوا مهتمين أشد الاهتمام بنشر هذا العلم في الأمصار التي لا توجد بها المذاهب الفقهية وبهذا الدور يكون هؤلاء العلماء قد ساهموا في نشر علم الفقه في كثير من الأمصار الإسلامية معتمدين على ما كتبه أصحاب هذه المذاهب وعلى كتاباتهم أنفسهم .

علماء الفقه في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ الذي وفد إلى مصر وسمع من علمائها وقرأ ما استطاع أن يقرأ من مؤلفات العلماء الذين لم يسمع منهم ، وكان الطبري مجتهدا وليس مقلدا ، وقد اقتدى كثير من الناس به ، وعلموا بأقواله وآرائه وله في الفقه كتاب اختلاف الفقهاء قال فيه الزركلي أنه مطبوع في الفقه ومذاهبه(٢) .

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي المتوفى ٣١٨ هـ كان على مذهب أهل العراق في الفقه من حيث الاعتماد عل القياس واعتباره أصلا ، فهو مذهب أبو حنيفة ، ولذا كان مفتيا في علوم شتى ومنها الفقه(٣) .

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد العتكي الأزدي المتوفى ٣٢٣ هـ كان فقيها على مذهب الحنابلة(٤) .

---

(١) معجم الأدباء ٧٥/١٤ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٣/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ٢٧/٦ وتذكرة الحفاظ : ١٤٧/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٢/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٤٣/٥ وتذكرة الحفاظ : ٣٥١/٢ وسير أعلام النبلاء: ٢٠٦/٩ وابن الأثير : الكامل في التاريخ: ٤٢/٨ وأحمد الحوفى : مرجع سابق: ص ١٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٢٥٣/١ والصفدى : مرجع سابق : ١٢٠/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٥/١ .
(٤) معجم الأدباء : ١٧٠/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ١٥٩/٦ والزركلى ، مرجع سابق ٦١/١ .

أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المتوفى ٣٢٧ هـ كان فقيها على مذهب الطبري ومن أصحابه واهتم بمجالس التعليم . بجانب تأليف الكتب فله كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرته(١) .

محمد بن حارث الأندلسي الملقب بصاحب التواريخ المتوفى ٣٣٧ هـ من الفقهاء الحفاظ من أهل القيروان ، وكان من أهل العلم والفضل . ومن آثاره العلمية كتاب أخبار الفقهاء المحدثين قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب طبقات فقهاء المالكية(٢) .

ومما سبق يتضح لنا أن بعض العلماء والمهتمين بدراسة علم الفقه في ذلك القرن كانوا يدرسون علم الفقه على بعض المذاهب دون المذاهب الأخرى . وذلك إما لانتشار المذهب في البيئة المحيطة بالدارس (المتعلم) ، أو حبا في صاحب المذهب الفقهي لما أسداه من حلول لبعض المسائل الفقهية ، كما يتضح لنا تنوع كتابات العلماء في علم الفقه فكل ينظر إلى كتاباته من حيث مذهبه الذي يتقرب من خلاله ، ولذا نلاحظ هذا التنوع في كتابات العلماء ، وذلك لانتشار المذاهب الفقهية في ذلك القرن .

علماء الفقه في القرن الخامس الهجري :

لقد كثر عدد العلماء الذين درسوا علم الفقه ، وصنفوا فيه التصانيف ومنهم في القرن الخامس الهجري :

أبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى ٤١٤ هـ أخذ علم الفقه قراءة وسماعا عن العلماء فقد تتلمذ على الأستاذ أبى بكر الخوارزمي ، وتفقه على القاضي أبي الهيثم ثم جدد الفقه على القاضي أبى العلاء صاعد(٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ٧٩/٢ وابن النديم ، مرجع سابق : ١٤٧/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٠٤/٢ والقفطى تاريخ الحكماء : ص ٧٨ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٨٥/٥ وتذكرة الحفاظ : ١٩٦/٣ وابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس : ٤٠٤/١ والزركلى مرجع سابق : ٧٥/٦ .

(٣) معجم الأدباء : ٧٨/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٣٥/٩ والصفدى ، مرجع سابق : ٣٣٣/١ .

ومع نبوغه وتفوقه غير أنه لم يهتم بالتصنيف والكتابة في علم الفقه حيث أنه أظهر اهتمامه لبعض العلوم الأخرى في التأليف والكتابة .

أبو القاسم على بن الحسين الذي يغلب عليه لقب المرتضى المتوفى ٤٣٦ هـ الذي جمع بين التأليف والتعليم لعلم الفقه فهو نقيب الطالبين . وأحد الأئمة ترك لنا عددا كبيرا من المراجع الفقهية منها كتاب الشافي في الإمامة قال الزركلى عنه أنه مطبوع ، وله كتاب المغنى لعبد الجبار بن أحمد قال فيه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب الملخص في الأصول وكتاب الذخيرة في الأصول وله غرر الفرائد ودرر القلائد في المحاضرات قال عنه الزركلى أنه مطبوع ويعرف بأمالي المرتضى وله الكثير من الرسائل في علم الفقه ، وله كتاب الذريعة في أصول الفقه قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وقد كتب الكثير من المسائل الفقهية منفردة[(١)]

أبو العباس أحمد بن رشيق الأندلسي المتوفى ٤٤٠ هـ الذي ترك العلوم العقلية واتجه بعقله إلى تعلم العلوم النقلية ومال إلى علم الفقه ، وكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها ، نظر العمل والسياسة ، ويشتغل بالفقه[(٢)] .

أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ فقد اهتم بالكتابة والتأليف في العلوم النقلية والتي منها علم الفقه ، بعد أن تلقى هذا العلم عن العلماء ، قام بتدريسه[(٣)] ، ومن آثاره العلمية أنه ترك مجموعة من الكتب الفقهية ومنها : كتاب الفقيه والمتفقه قال عنه الزركلى أنه مطبوع ويقع في اثني عشر جزءاً ، وله كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق قال فيه الزركلى أنه مطبوع ، وله رسالتين في الفقه منهما صلاة التسبيح قال عنها الزركلى أنها مطبوعة ، والأخرى النهى عن صوم يوم الشك[(٤)] .

---

(١) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٨١/٧ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤٣٣/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ٢٥٦/٣ وابن حجر ، لسان الميزان: ٢٢٣/٤ وابن الحوزى ، المنتظم : ١٢٠/٨ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٨/٤

(٢) معجم الأدباء : ٣٥٦/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٢٢/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٢٥/١ .

(٣) معجم الأدباء : ٥٠٠/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٣/٢ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٨/١١ وتذكرة الحفاظ ٣١٢/٣ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٨٧/٥ .

(٤) الزركلى ، مرجع سابق : ١٧٢/١ والكامل في التاريخ : ٢٣/١٠ ومعجم الأدباء : ٥٠٠/١ .

أبو الحسن محمد بن عل الواسطى المتوفى ٤٦٨ هـ الذي تفقه في بغداد على أبى إسحاق الشيرازى ، وعلق عليه تعليقات ، وسمع من أبى بكر الخطيب البغدادي ، وأبى سعد المتولي ، وكان شديد التعصب لمذهب الإمام الشافعي ، وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية ، وقد تحدث فيها عن مسألة الرزق وذكر رأى الشافعي في الرزق(١) .

أبو الوليد سليمان بن خلف الملقب بالباجى المتوفى ٤٩٤ هـ الذي تفقه على مذهب الإمام مالك ، وقد رحل إلى الحجاز سنه ٤٢٦ هـ فمكث بها ثلاثة أعوام ،و ببغداد ثلاثة أعوام ، وبها أخذ الفقه عن ابن عمروس ، وأخذ الأصول عن أبى إسحاق الشيرازى وأقام بالموصل عاما وبها أخذ علم الكلام عن أبى جعفر السمعانى ، وقد اهتم بتأليف الكتب بجانب تلقيه العلم عن العلماء ومن مؤلفاته : كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول قال عنه الزركلى أنه مخطوط ، ومنه نسخة في مجلد ضخم في خزانة القرويين بفاس ، كتبت سنة ٦٨١ هـ تحت رقم ٦٢١/٤٠ ، وله كتاب المقتبس في علم مالك بن أنس له كتاب المهذب في شرح المدونة ، وله كتاب الحدود قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب الإشارة ذكره الزركلى بأنه مخطوط في أصول الفقه ، وله كتاب فرق الفقهاء وكتاب المنتقى قال فيه الزركلى أنه مطبوع في شرح موطأ الإمام مالك(٢) .

ويتضح مما سبق أن علماء الفقه في القرن الخامس الهجري جمعوا في مصنفاتهم بين الكثير من العلوم العقلية والنقلية ، فقد كتب الخطيب البغدادي الكثير من المؤلفات في هذه العلوم ، كما أن بعض المتعلمين كانوا يميلون إلى الأخذ ببعض المذاهب دون الأخرى في التعليم ، كما تعلم البعض من خلال رحلاتهم المتعددة إلى البلدان للسماع من علمائها والأخذ عنهم والإفادة من علومهم ، ومع تقدمهم يهتمون بالكتابة والتصنيف .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٩٥/٣ والسبكى ، مرجع سابق : ٨٠/٣ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٧/٦ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٩٥/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢١٥/١ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ١٧٥/١ وابن عساكر : مرجع سابق : ٢٤٨/٦ والزركلى ، مرجع سابق : ١٢٥/٣ .

علماء الفقه في القرن السادس الهجري :

ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء : -

أبو جعفر محمد بن إبراهيم الجرباذقاني المتوفى ٥٤٩ هـ الذي اهتم بمصاحبة العلماء حتى يحصل منهم العلوم فقد كان يقول عن علماء عصره : كان رفيقنا المحدث الفقيه ، وكنا نسمع معا ، ولم نر له مثلا في الزهد والعلم ، ونبالة الأخلاق ، وقد صنف في علم الفرائض ، وكان على مذهب الشافعي (١) .

أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب المتوفى ٥٦٨ هـ فقد كان عارفا بعلوم الدين وقرأ علم الفرائض على أبي بكر المرزوقي (٢) . ونلاحظ أن أبا محمد الخشاب لم يصنف في علم الفقه وإنما اعتمد على تعلمه فقط .

أبو الحسين أحمد بن علي الرشيد الأسواني المتوفى ٥٦٢ هـ الذي اهتم بدراسة العلوم الشرعية ، بجانب اهتمامه بالعلوم العقلية ، حتى كان أوحد عصره في الشرعيات وقد صنف العدد من الكتب في الفقه وقد أثبتت تفوقه ونبوغه ، ومن هذه الكتب كتاب منية الألمعي (الذكي المتوقد) وبلغة المدعى قال الزركلي عنه أنه مطبوع ويشتمل على كثير من العلوم (٣) .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى ٥٦٥ هـ الذي اهتم بالكتابة والتصنيف في علم الفقه والميراث ، فقد كان عالما فقهيا ، مشاركا في الفقه والأصول والفرائض من مؤلفاته : كتاب أصول الفقه قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب الفرائض قال الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب نهج الرشاد في الأصول ، وكتاب كنز الحجج في الأصول كتاب الزكاة قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب إيضاح البراهين في الأصول (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٨١/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٩٤/٤ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٤٥/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٣٥/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٧/٤ وانباه الرواة ٩٩/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٠/٦ .

(٣) معجم الأدباء : ٥١٨/١ والأدفوي : الطالع السعيد في نجباء أبناء الصعيد : ص ص ٤٧ - ٥٠ . والزركلي مرجع سابق : ١٧٣/١ .

(٤) معجم الأدباء : ١١٤/٤ والصفدي : مرجع سابق : ٦٨/١٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .

ابن حيدرة شيث بن إبراهيم المعروف بابن الحاج القناوي المتوفى ٥٩٨ هـ تعلم الفقه بجانب نبوغه وتفوقه في العربية واللغة وفنون الأدب ، فقد تفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، وله مسائل وتعاليق في الفقه جملة ، وله كلام في الرقائق(١) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث من خلال عرض ياقوت الحموي لعلم الفقه وعلماؤه ، أن هذا العلم تطور لما صار الإسلام دولة مترامية الأطراف حيث احتاج أمراؤها إلى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا إلى القرآن والحديث فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم في العادات والمعاملات ، وكان المسلمون في عهد النبي (ﷺ) يتلقون الأحكام منه فلما توفى رجع الصحابة إلى القرآن والسنة لاحتياجهم إلى القياس ، وبذلك كان القراء أول الفقهاء المسلمين أو حاملي شريعتهم ، وكانوا يرجعون إليهم في الفتيا والأحكام ، فلما عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء .

وبذلك صار علم الفقه من العلوم الدراسية التي حرص الطلاب على تعلمها والتزود المعرفي من خلالها ، وأن هؤلاء الطلاب لم يذهبوا إلى مؤسسات تربوية في بادئ الأمر حتى يتلقوا هذه العلوم على أيدي العلماء ، وإنما المؤسسات التربوية كانت بمثابة الأماكن العامة ومجالس العلماء ، التي كان يجتمع فيها الطلاب مع العلماء للاقتباس من علومهم .

وقد ظهرت المذاهب الفقهية في الأمصار الإسلامية عن طريق العلماء الذين اعتنقوا هذه المذاهب ، فقد نادوا بمبادئها ودافعوا عن هذه المذاهب ، وتمسكوا بها بعيداً عن المذاهب الفقهية الأخرى ، كان الخلفاء لا يقطعون أمراً دون هؤلاء الفقهاء ، ولم يخلف

---

(١) معجم الأدباء : ٤١٢/٣ والأدفوى ، مرجع سابق : ص ١٣٧ والسيوطي : حسن المحاضرة : ٢٥٨/١ .

فقهاء العصر الأموي آثار مكتوبة بقدر كبير لأن الفقه نضج وتكيف بعد نبوغ الأئمة الأربعة في العصر العباسي .

ثانيا : علم الحديث ورجاله :

ذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) عددا من العلماء والطلاب الذين اهتموا بعلم الحديث كواحد من العلوم النقلية . فألفوا فيه الكثير من الكتب ، وحرصوا على جمعه وتصنيفه ولو كلفهم ذلك تحمل أعباء السفر والرحلة بين البلدان ، للقاء العلماء ورجال الحديث ، وقد اجتهدوا في تعليمه لغيرهم ، ومن هؤلاء العلماء :

علماء الحديث في القرن الثاني الهجري :

(أبو محمد السدى الكبير الملقب بالأعور ، المتوفى ١٢٧ هـ فقد كان من التابعين وإماما عارفا بعلم الحديث ، اهتم برواية الحديث عن الرجال (العلماء) الثقات فقد روى عن أنس بن مالك ، وأبى صالح ، ورأى ابن عمر ، وروى عنه الثوري وشعبة ، وزائدة ، وسماك بن حرب ، وإسماعيل بن أبى خزيمة ، وسليمان التيمى ، ولذلك اعتبر السدى الكبير ثقة مأمونا[(١)] .

غير أنه لم يترك من المؤلفات ما يمكننا من معرفة الأحاديث التي جمعها .

أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى ١٥٠ هـ كان من أهل المدينة ولم يكن أحد بها يقارب علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من حفاظ الحديث ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وقد كتب عنه العلماء غير أن بعضهم من أصحاب الحديث ، كانوا يضعفونه ويتهمونه لأنه كان يحمل عن اليهود والنصارى في كتبه ويسميهم أهل العلم الأول ، وقد روى عنه أخويه عمر وأبو بكر[(٢)] .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٩٥/٢ وابن الأثير : اللباب : ٥٣٧/١ والزركلى : مرجع سابق : ٣١٧/١ وابن تغرى بردى مرجع سابق : ٣٠٨/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٢١/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢١٣/٦ والذهبى : تذكرة الحفاظ : ١٦٣/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢١٤/١ وابن حجر : تهذيب التهذيب : ٣٨/٩ .

ومما سبق نلاحظ أهمية دراسة سند الحديث أو ما يسمى بعلم مصطلح الحديث ومعرفة الرواة، حتى يتمكن الدارس من معرفة سند الحديث، وقوته وضعفه.

مجالد بن سعيد بن عمير الهمذاني المتوفى ١٤٤هـ الذي اهتم برواية الحديث واختلفوا في توثيقه، فقال البخاري صدوق، فقد روى عن الشعبي فأكثر وروى عنه الهيثم بن عدي، وهو عند بعض أصحاب الحديث ضعيف(١).

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى ١٥٧ هـ الذي روى عن النبي (ﷺ)، فكان راوية أخباريا، صنف في الفتوحات الإسلامية(٢).

أبو سلمة حماد بن سلمة الملقب بالإمام المتوفى ١٦٧ هـ الذي كان مهتما بجمع الحديث وروايته، فقد كان أحد رجال الحديث، حافظا ثقة مأمونا، إلا أنه لما كبر، ساء حفظه فتركه البخاري، وأما مسلم فأجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره وقال الذهبي : أنه روى عن ثابت، وأبى عمران الجوفي، وعبد الله بن كثير، وابن مليك وروى عنه مالك، وسفيان، وشعبة وابن مهدى وعفان، وفى رواية عمران بن سلمة قال كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث، وقال ابن المديني : كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث وقال : يحيى بن معين المتوفى ٢٣٣ هـ أن حماد بن سلمة أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل، و أثبتهم فيه، وهو ثقة الناس (٣).

ولاحظ الباحث ومن خلال تناول أمهات الكتب لحياة حماد بن سلمة أنه علم طلابه علم الحديث عن طريق الكتابة والرواية، وحفظ هذه الأحاديث حتى تقدموا في علم الحديث، ومنه أصبح حماد من الثقات، يصحح عليه طلابه الأحاديث.

---

(١) معجم الأدباء :٥٣/٥ والعسقلانى : الجرح والتعديل : ٣٦١/٤ والزركلى : مرجع سابق : ٢٧٧/٥ .

(٢) معجم الأدباء :٢٩/٥ الصفدى:مرجع سابق: ٢٤٦/٣ ابن شاكر الكتبى:مرجع سابق:٢٤٠/٢ والزركلى : مرجع سابق: ٢٤٥/٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٤٥/٣ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق: ٧٢/٤ وابن حجر : تهذيب التهذيب : ١١/٣ والذهبى : تذكرة الحفاظ: ١٨٩/١١ وابن حجر : ميزان الاعتدال: ٢٧٧/١ والزركلى : مرجع سابق: ٢٧٢/٢ .

أبو عبد الله، القاسم بن معن المسعودي المتوفى ١٨٨ هـ كان من أروى الناس للحديث، يقال له شعبي زمانه، وهو من حفاظ الحديث، من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود، من مؤلفاته كتاب غريب المصنف قال الزركلى أنه مطبوع، وقد كان من المحدثين الزهاد والثقات[١].

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري المتوفى ١٨٨ هـ كان من كبار العلماء قدم دمشق، وحدث بها، وكان من أصحاب الأوازعي ومعاصريه، ويقول: ابن عساكر الفزاري هو الذي أدب أهل الثغر (بيروت وأطرافها)، وعلمهم السنة، وكان من الثقات فقد روى عن الأعمش، وسلمان البتى، وأبو إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني، وعبد الملك بن عمير، ت: ١٦٠ هـ ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسفيان الثوري.: ١٦١ هـ، وقد سئل عنه ابن عيينة، فقيل له: حديث سمعت أبي إسحاق رواه عنك، أحببت أن أسمعه منك، فغضب ابن عيينة وانتهر (أهان) من سأله، قائلا له لا يقنعك أنك تسمعه من أبي إسحاق، والله ما رأيت أحدا أقدمه على أبي إسحاق، وهو كثير الحديث[٢].

ومما سبق نلاحظ أن علماء الحديث، جمعوا بين علم الرواية، وكذلك التأكد من صحة سند الحديث، وهو ما يسمى بالجرح والتعديل، لمعرفة الحديث الحسن والضعيف فقد روى الفزاري عن ثقات العلماء من رجال الحديث.

أبو جعفر محمد بن مناذر بن تميم المتوفى ١٩٨ هـ الذي روى الحديث، غير أنه تزندق فغلب عليه اللهو والمجون، ومع ذلك كان له معرفة بالحديث فقد روى عنه سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وشعبة، وجماعة، وقد ذكر ليحيى بن معن المتوفى ٢٣٣هـ[٣] فقال لا يروى عنه من فيه خير[٤].

---

(١) معجم الأدباء: ٤٤٧/٥ والذهبي: تذكرة الحفاظ: ٢٢٠/١ والعسقلاني: الجرح والتعديل: ١٢٠/٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٨٦/٥ وابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣٣٨/٨.

(٢) معجم الأدباء: ١٣٤/١ وعمر رضا كحالة: مرجع سابق: ٩٠/١ والذهبي: سير النبلاء: ٩٢/٦ وتذكرة الحفاظ: ٢٥١/١ وابن عساكر: التهذيب: ٢٥٢/٢ وابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٥٣/١ وابن العماد: مرجع سابق: ٧٠٣/١ والزركلي: مرجع سابق: ٥٩/١، ١٠٤/٣.

(٣) الزركلي: مرجع سابق: ١٧٢/٨.

(٤) معجم الأدباء: ٤٤٧/٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢٧٧/١ وابن حجر: لسان الميزان: ٣٩٠/٥ والزركلي: مرجع سابق: ١١١.

ومنه نرى أنه من فقد الأماني والصدق من رجال الحديث لا تصح الرواية عنه لأنه لا يعد من الثقات في سند الحديث .

علماء الحديث في القرن الثالث الهجري :

ذكر ياقوت من بين علماء الحديث في القرن الثالث الهجري :

أبو عبد الله ، محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ الذي اهتم بتفضيل علم الحديث على غيره فقد اهتم بطلب علم الحديث ، فيقول : الزبير بن بكار ، انصرفت معه إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، فما ترك عنده إلا القليل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فأنقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه من الحديث ، ثم عاد إلى المدينة بعد فترة ثم خرج إلى مكة حيث ابن داود فجمع عنه الكثير(١) .

ويلاحظ الباحث هنا أن الإمام الشافعي قد حصل الكثير من علم الحديث عن طريق الرحلة والتنقل بين البلدان ، ولقائه العلماء ورجال الحديث والأخذ عنهم .

أبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاري المتوفى ٢٠٦ هـ الذي اشتغل بالحديث فوصم بالكذب ، وقد حدث ب ببغداد ولم يحدث عنه بها سوى إسماعيل بن عيسى العطار المتوفى ١٩٠هـ فقد سمع من مصنفاته ، وقد اهتم البخاري بتعليم الحديث وروايته عن رجاله ، غير أنه لم يبين صحيحه وضعيفه ، فقد حدث عن (محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى ١٥١ هـ ، وعن (مقاتل ابن سليمان المتوفى ١٥٠ هـ وقد كان متروك الحديث ، وعن (مالك بن أنس المتوفى ١٧٩ هـ أخذ الأئمة الأربعة ، وعن عبد الملك بن جريج ، وعن جويبر بن سعيد وعن إدريس بن سنان ، وعن سعيد بن أبي عروبة ، وعن سفيان الثوري ت: ١٦١ هـ وعن خلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة ، ومما يدل على ضعفه أنه ذكر

---

(١) معجم الأدباء : ١٩١/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٣٢/٩ والذهبى : سير النبلاء : ١٤٧/٧ ، والخطيب البغدادى : مرجع سابق: ٥٦/٢ وابن تغرى بردى : مرجع سابق: ١٧٦/٢ والسبكى : مرجع سابق: ١/٤ .

أحاديث في مصنفاته ليست لها أصول ، وكان يروى عن قوم ليسوا ممن يدركهم مثله ، فإذا سئل عن آخرين دونهم يقول : من أين أدركت هؤلاء ؟ ، وهو يروى عمن فوقهم ، فكانت غفلة ، وكان يحدث عن ابن طاووس ورجال من كبار التابعين ، ممن ماتوا قبل (حميد الطويل ت : ١٤٢ هـ ومات ابن طاووس قبل مولده[(١)] .

ومما سبق يلاحظ الباحث أن أبا حذيفة ، اهتم بجمع الحديث وروايته قط ، حتى أنه روى أحاديث ضعيفة ، ولم يصحح سند هذه الأحاديث ، ثم يذكر أحاديث عن رجال لم يدركهم في حياتهم ، وبذا كان البخاري يفتقد عنصرا هاما ، وشرطا من شروط المعلم بل من أهم هذه الشروط ألا وهو الصدق في نقل العلم عن أصحابه ، وعدم إدعاء العلم إلى غير أهله حتى لا يوصف بعدم علمه لما يقول .

أبو عمرو إسحاق بن مرار الكوفي المقلب بالأحوص المتوفى ٢٠٦ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه لعلم الحديث ، فقد روى عنه ابنه عمرو ، وأحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وكان ثقة ، وحدث ببغداد ، وكان معه من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن في البصرة مثل أبى عبيدة في السماع والعلم ، من مؤلفاته كتاب غريب الحديث ، وله كتاب الخليل ، وفى رواية يونس بن حبيب : قال دخلت على أبى عمرو ، وبين يديه قمطر (وعاء) فيه أمهات من الكتب فقلت له هذا علمك ؟ فتبسم وقال : إنه من صدق كثير[(٢)] .

ونرى أنه قصد بقوله هذا ، أي أنه متى كان هذا العلم من صادق فإنه يكون كثير الإفادة للمتعلمين .

---

(١) معجم الأدباء: ١٦٣/٢ والزركلى: مرجع سابق: ٢٨١/٧ ، ٢٥٧/٥ ، ١٠٤/٣ ، ٢٩٤/١ وابن حجر : لسان الميزان: ٣٥٤/١ والخطيب البغدادى : مرجع سابق : ٣٢٦/٦ .

(٢) ابن خلكان : مرجع سابق: ٦٥/١ وابن الأنبارى : نزهة الألبا : ص ١٢٠ والزركلى : مرجع سابق: ٢٩٦/١ والخطيب البغدادى : مرجع سابق: ٣٢٩/٦ والذهبى : ميزان الاعتدال : ٣٧٣/٣ .

الواقدي : (محمد بن واقد المتوفى ٢٠٧ هـ) الذي كان من أشهر حفاظ الحديث فكان يروى ثلاثين ألف حديث غريب ، وكان يهتم بلقاء العلماء للسماع منهم والرواية عنهم فقد لقي ابن جريج ، وابن عجلان ، وثور بن يزيد[١] .

أبو عاصم الضحاك بن مخلد الملقب بالنبيل البصري المتوفى ٢١٢ هـ الذي كان شيخا لحفاظ الحديث في عصره ، وقد تعلم الحديث عن طريق السماع من العلماء فسمع من جعفر الصادق وابن جريج ، والأوازعى ، وابن عروبة ، وأخرج له البخارى في صحيحة وأجمعوا على توثيقة[٢] .

أبو زيد سعيد بن أوس ويغلب عليه الأمام الأديب المتوفى ٢١٥ هـ كان من الثقات في رواية الحديث ، قال ابن الأنبارى : كان سيبويه إذا قال سمعت الثقة عنى أبي زيد وقد روى عن ابن عون ، وجماعة ، وكان ثقة تبتا وفى رواية (سفيان الثوري المتوفى ١٦١ هـ قال ابن مناذر أحفظ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصارى فأوثقهم وعنه قال (صالح بن محمد ت : ٢٩٣ هـ) وهو من أئمة أهل الحديث ، رحل إلى الشام ومصر وخراسان ، فى طلب الحديث ولم يكن في العراق وخراسان في عصره أحفظ منه[٣]

أبو الحسن على بن المغيرة الأثرم المتوفى ٢٣٠ هـ الذي كان عالما بالحديث ، ومن مؤلفاته في علم الحديث كتاب غريب الحديث . وله كتاب النوادر قال الزركلى إنه مطبوع"[٤] .

(١) معجم الأدباء : ٣٩٢/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٩٥/١١ والذهبى : تذكرة الحفاظ : ٣١٧/١ وجورجى زيدان : مرجع سابق : ١٤٧/٢ والزركلى : مرجع سابق : ٣١١/٦ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٢٥/٣ والصفدى : مرجع سابق : ٨٤/١٤ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢٧/٥ والزركلى : مرجع سابق : ٢١٥/٣ .

(٣) معجم الأدباء: ٣٧٧/٣ وابن خلكان : مرجع سابق : ٢٠٧/١ وابن الأنبارى : مرجع سابق : ص ١٧٣ والقفطى : إنباه الرواة : ٣٠/٢ والسمعانى : مرجع سابق : ص ٣٥٢ والزركلى : مرجع سابق : ٩٢/٣ وتاريخ بغداد : ٧٧/٩

(٤) معجم الأدباء : ٢٣٢/١ والزركلى : مرجع سابق : ٢٣/٥ والقفطى : إنباه الرواة : ٣١٩/٢ .

أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى المتوفى ٢٥٥ هـ كان من كبار علماء البصرة وكان المبرد يلازم القراءة عليه ، وروى عن النسائى في سننه والبزار في مسنده ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وله من التصانيف نيف وثلاثون كتابا ، وذكره ابن حيان في الثقات[١]

ومما سبق لاحظ الباحث أن العلماء أخذوا علم الحديث عن الصحابة والتابعين الذين أرادوا المحافظة على أقوال الرسول (ﷺ) وما روى عنه فقاموا بتدوينها خوفا عليها من الضياع ، وبذلك لا يمكننا ترك أقوال الرسول (ﷺ) لمصادفات الحفظ في الصدور ، في مجتمع كانت الأقوال المأثورة للبشر العاديين تحفظ بالتدوين .

أبو داود سليمان بن معبد المروزى المتوفى ٢٥٨ هـ كان محدثا اهتم برواية الحديث وأخذه عن رجاله من الرحلة إليهم حيث رحل إلى اليمن والعراق والحجاز ، وقدم مصر وبغداد ، وذاكر الحفاظ بهما[٢] ، وقد خرج له علماء الحديث .

فقد خرج له مسلم بن الحجاج المتوفى ٢٦١ هـ (صاحب صحيح مسلم الذي جمع فيه إثنى عشر ألف حديث ، كتبها في خمسة عشر سنة ، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث) ، وروى عنه : محمد بن عبد الله الحضرمي ، وعبد الرحمن بن يوسف ابن خراس ، وأبو بكر بن أبى داود[٣] .

أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن القرشي المتوفى ٢٦٤ هـ الذي كان من رجال الحديث بمصر ، حدث عنه ثقات منهم : مسلم في صحيحه ، وقد اختلط بعد خروج مسلم من مصر فتكلم فيه أهل الحديث وضعفوه ، بإجماع شيوخ مصر على ضعفه[٤] .

أبو جعفر أحمد بن أبى عبد الله البرقى المتوفى ٢٧٠ هـ الذي اهتم بدراسة الحديث وعلومه ، وخص من نفسه علم الإسناد ، وغريب الحديث ، وأكثر الرواية عن

---

(١) معجم الأدباء:٤٠٣/٣ والذهبى:سير النبلاء:٢٠٦/٨والصفدى:مرجع سابق:٥/١٤والزركلى:مرجع سابق: ١٤٣/٣

(٢) معجم الأدباء : ٤٠٠/٣ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢٧٦/٤ .

(٣) الزركلى : مرجع سابق : ٢٢١/٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ : ١٥٢/٢ وميزان الإعتدال : ٥٣/١ والسبكى : مرجع سابق : ١٩٩/١ .

الضعفاء واعتمد المراسيل الحديث المرسل ، ومن آثاره العلمية مصنف في معرفة الصحابة قال عنه الزركلي أنه مطبوع(١) .

أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى ٢٧٦ هـ كان إماما مجتهدا صنف في الحديث كتابا رتبه على أسماء الصحابة والتابعين ومن دونهم(٢) .

أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير المتوفى ٢٨٢ هـ الذي صنف كتاب الرد على أبي عبيدة في غريب الحديث وله كتاب الأبيات في الحديث(٣) .

أبو عبد الله محمد بن القاسم الهاشمي الملقب بأبي العيناء المتوفى ٢٨٣ هـ الذي سمع من الأصمعي ، وأبي عبيدة(٤) .

أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى ٢٩٩ هـ الذي اهتم بتعليم علم الحديث لغيره وتصنيف الكتب ، فكان يعلم الحديث من خلال مجالسه التي كان يعقدها لطلابه ، ويقول ابن العماد نقلا عن التوحيدي : ما رأيت مجلسا أكثر فائدة ، وأجمع لأصناف العلوم من مجلس ابن كيسان ، فكان يقرأ على من حضر أحاديث النبي (ﷺ) فإذا قرىء خبر غريب ، أبان عنه وتكلم عليه ، وسأل أصحابه عن معناه ، ومن مؤلفاته كتاب غريب الحديث يقع في نحو أربعمائة ورقة قال به الزركلي أنه مطبوع(٥) .

ومما سبق يتضح أهمية دراسة علم مصطلح الحديث ، ومعرفة أسانيد الرجال حتى يمكن للعالم أن يرد الحديث الضعيف ، ويستطيع أن يتعرف على سبب الضعف ، وكذلك معرفة أنواع الأحاديث .

ومن خلال عرض بعض علماء الحديث في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة نلاحظ أن علماء الحديث جمعوا بين تعليم الحديث لطلابهم والمريدين لعلم الحديث ، وبين

---

(١) معجم الأدباء : ٥٦٤/١ والصفدي ، مرجع سابق : ٤٦/٦ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٨٦/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٣٢/٢ وسير أعلام النبلاء : ٦٨/٩ وتذكرة الحفاظ : ١٨٤/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٠/٢ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٧٤/١ .
(٤) معجم الأدباء : ٣٩٧/٥ والصفدي ، مرجع سابق : ٣٤١/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٤٠/٣ ، ٣٣٤/٦ .
(٥) معجم الأدباء : ٩٤/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢١٣/٨ والزركلي : ٣٠٨/٥ .

التصنيف والتأليف للكتب الحديث ، فقط ظهر في القرن الأول والثانى الهجريين تدوين بعض الأحاديث عن طريق التسجيلات المتفرقة ، وتم تصنيف الحديث أيضا فقد رتبت الأحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها ، في فصول لأحكام الفقه أو أبواب ، وبدأ هذا مع الربع الثاني من القرن الثاني الهجري ، واستمر إلى أن ظهرت مع أواخر القرن الثانى للهجرة طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء الرواة من صحابة الرسول (ﷺ) في كتب يحمل الواحد منها اسم المسند ، وفى القرن الثالث الهجري نقحت كتب الحديث على أساس الكتب المنهجية المبكرة وذلك في صورة مجموعات فقهية وقد كانت كتب الحديث على أساس منهجى في علم الحديث ، عن طريق السماع من العلماء ، وذلك بأن يسمع التلميذ أو السامع ، المرويات التي يلقيها الشيخ من حافظته ، أو يقرأها من كتابه ويقدم لهذا بعبارات مثل : سمعت عن ، أو حدثنى ، وهى من أكثر طرق التعليم شيوعا بين رجال الحديث .

وذكر ياقوت الحموي من علماء الحديث في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ الذي اهتم بكتابة الحديث عن مشايخه الذين روى عنهم أو تتلمذ عليهم ، فقد كتب بالكوفة عن (أبى كريب محمد بن العلاء الهمذانى المتوفى ٢٤٨ هـ وكان من كبار أصحاب الحديث) ، وعن (هناء بن السرى المتوفى ٢٤٣ هـ) وأخذ عنهما عن طريق المسألة والإجابة والسماع فقد سمع الطبرى من أبى كريب مائة ألف حديث ، واهتم الطبرى بمدارسة الحديث وتعلمه عن العلماء ، وخاصة غريب الحديث ، فقد تذاكر مع (أبى الهيجاء المتوفى ٣١٧ هـ بالدينور ، وأثبت أبو بكر بن سهل الدينورى (من العلماء الحفاظ للحديث) أن الغلبة كانت للطبرى (١) .

(١) معجم الأدباء : ٢٤٩/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٤٧/٩ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٦/٩ وابن العماد مرجع سابق : ٢٦٠/٢ وابن كثير ، مرجع سابق : ١٤٥/١١ .

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخى المتوفى ٣١٨ هـ الذي اهتم برواية الأحاديث عن العلماء، وروى عن الكثير من العلماء، فقد حدث حديثا كثيرا عن أبى حفص بن شاهين، والملخص، وكان التنوخى ثقة، ولأبيه إسحاق مسند كبير حسن، وكان ثقة ثبتا (أى حجة) جيد الضبط لما حدث به [1].

أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى ٣٢٧ هـ الذي اهتم بكتابة الحديث وتعليم أبناء الخلفاء، فقد كان يعلم أبناء الخليفة الراضى، ومن آثاره العلمية كتاب غريب الحديث قال عنه الزركلى أنه من أجل كتبه يقع في حوالى ٤٥٠٠ ورقة [2].

أبو بكر أحمد بن كامل القاضى المتوفى ٣٥٠ هـ الذي اهتم بأخذ علم الحديث عن علماء ثقات، فروى وحدث عن (محمد بن سعد العوفى المتوفى ٢٣٠ هـ الذي حدث وكتب غريب الحديث)، وروى عن محمد بن الجهم السمرى، وأحمد بن عبيد الله النردسى المتوفى ٢٢٨ هـ، وعن أبى مسلمة الواسطى، والمدائنى المتوفى ٣٢٥ هـ، وعن أحمد بن سعيد الجمال المتوفى ٣٥٠ هـ الذي كتب التاريخ الكبير في المحدثين، وروى عن أبى قلابة الرقاسى، وعن الحارث بن أسامة، وعن الترمذى المتوفى ٢٨٠ هـ، وكتب عنه أبو بكر البغدادى في تواريخ أصحاب الحديث [3].

أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المتوفى ٣٥١ هـ الذي اهتم بكتابه الحديث من خلال رحلاته العلمية وتنقلاته بين الموصل وبغداد، والكوفة والبصرة، ومكة والشام وحدث عن خلق كثير وروى عنه أبو بكر بن مجاهد، وأبو حفص بن شاهين، وقال الذهبى في ميزان الأعتدال عنه: أنه اعتمد عليه الدانى في كتاب التيسير، وعلى رواياته في القراءات وقلبى لا يسكن إليه وهو عندى متهم عفا البله عنه، وفى رواية عبيد الله بن أبى الفتح قال

---

(١) معجم الأدباء: ٢٥٣/١ والصفدى، مرجع سابق: ١٢٠/٥ والزركلى، مرجع سابق: ٩٥/١

(٢) معجم الأدباء: ٤١٤/٥ وابن خلكان، مرجع سابق: ٥٠٣/١ وابن الانبارى، مرجع سابق: ص ٣٣٠ والخضيب البغدادى، مرجع سابق: ١٨١/٣ وجورجى زيدان، مرجع سابق: ١٨٢/٢ والزركلى، مرجع سابق: ٣٣٤/٦.

(٣) معجم الأدباء: ٥٤٨/١ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٢١/١٠ والزركلى، مرجع سابق: ٢٠٨/١.

: كان النقاش يكذب في الحديث والغالب عليه القصص ، فله كتاب أخبار القصاص قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب شفاء الصدور في التفسير قال عنه الزركلى أنه مخطوط وقد حدث من سمع أبا بكر البرقانى حينما ذكر هذا الكتاب قال : ليس فيه حديث صحيح [(١)] .

أبو الحسن بن عبد الرحمن الخلادى المتوفى ٣٦٠ هـ محدث العجم في زمانه ، وأول سماعه بفارس سنه ٢٩٠ هـ ، كان مكثرا من الحديث ، واهتم بملازمة العلماء للأخذ عنهم ومن آثاره العلمية كتاب المحدث الفاضل بين الراوى والواعى قال عنه الزركلى أنه مخطوط في علوم الحديث ، ونقل قوله عن الثعالبى عن الذهبى قال : ما أحسنه من كتاب في سبعة أجزاء في مجلد واحد بسوهاج برقم ٩٣/ حديث ، ونسخة في الأسكوريال رقم ١٦٠٨ [(٢)] .

أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب المتوفى ٣٨٥ هـ الذي اهتم بسماع الحديث وإملائه على طلابه ، ولم يتقدم في ذلك إلا بعد أن طهر نفسه من نقائص كانت قد لحقت به واشهد أصحابه على ذلك ففى رواية (أبو الحسن الطبرى الكيا المتوفى ٣٨٠ هـ قال : لما عزم الصاحب على الإملاء لطلابه ، خرج يوماً متطلساً (لابسا الطيلسان وهو لباس العلماء) بزى أهل العلم ، قائلا : قد علمتم قدمى في العلم ، فأقروا لى بذلك ، فأنا متلبس بالعلم ما أنفقته من صغرى إلى وقتى هذا من مال أبى وجدى ، ولا أخلو من تبعات ، أشهد الله وأشهدكم أنى تائب منها إلى الله ، واتخذ لنفسه بيتا سماه بيت التوبة ، لبث فيه أسبوعا ثم أخذ كتابات الفقهاء بصحة توبته ، فقعد للإملاء وحضر للأخذ عنه خلق كثير فكتبوا عنه [(٣)] .

(١) معجم الأدباء :٣٠٨/٥ وابن خلكان، مرجع سابق: ٦١٩/١ وميزان الإعتدال: ٢٣٧/٣ والزركلى، مرجع سابق: ٨١/٦
(٢) معجم الأدباء : ٩/٣ والثعالبى، مرجع سابق: ٣٣٣/٣ والزركلى، مرجع سابق : ١٩٤/٢ وتذكرة الحفاظ : ١٧٤/٢
(٣) معجم الأدباء : ٢٥٨/٢ والكامل فى التاريخ : ٣٧/٩ وانباه الرواة : ٢٠١/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٢٥/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٧٥/١ وابن الجوزى ،المنتظم : ١٧٩/٧ .

أبو القاسم أحمد بن محمد الخطابى المتوفى ٣٨٨ هـ الذي كان حجة صدوقا، رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان، وكان يشبه أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤ هـ والذى كان من كبار علماء الحديث، وكان مؤدبا. فكان الخطاب يشبه ابن سلام في العلم والأدب، والزهد والورع، والتدريس والتأليف. ومن مؤلفاته كتاب أعلام السنن في شرح صحيح البخارى، وكتاب معالم السنن في شرح أبى داود وكتاب أعلام الحديث وكتاب إصلاح غلط المحدثين (١).

أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى الملقب ببديع الزمان المتوفى ٣٩٨ هـ الذي اهتم بدراسة الجرح والتعديل في أصل الحديث. فكان له معرفة تامة بالمتون، وله معرفة بالرجال أى الإسناد (٢).

ومما سبق لاحظ الباحث أنه يجب على العالم ألا ينتقص من شأن غيره من العلماء، فينسب الفضل والصواب لنفسه، والخطأ لغيره من العلماء، إلا إذا كان صادقا في هذا الحكم حتى لا يتنافى هذا العلم مع الأمانة العلمية التي تفرض عليه الصدق في الرواية والأخذ عن العلماء.

كما أن بعض علماء الحديث كانوا يعلمون طلابهم علم الحديث عن طريق الإملاء عليهم، حتى يتمكن هؤلاء المتعلمين من تحصيل علم الحديث.

ومن خلال العرض الذي أمدنا به ياقوت الحموي عن علماء الحديث في القرن الرابع الهجري، وأوضحته لنا مصادر المؤلفين نخلص إلى: أن كتابة الحديث وتدوينه لم تكتب مطابقة للمنهج العلمى للتأليف في نهاية القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث وإنما اعتمدت على الروايات الشفوية التي حصل عليها العلماء من خلال رحلاتهم الطويلة والتى صنفوها الرواية بجانب الأخرى، لأنها نشأت قبل أن تؤلف الكتب الرسمية، غير أن

(١) معجم الأدباء: ٢٥١/٣ وانباه الرواة: ١٢٥/١ وابن تغرى بردى، مرجع سابق: ١٩٩/٤ وحاجى خليفة، مرجع سابق: ١٠٤/١.

(٢) معجم الأدباء: ٢٦٦/١ وتذكرة الحفاظ: ٢١٧/٣ وابن خلكان، مرجع سابق: ٣٩/١ وابن العماد، مرجع سابق: ١٥٠/٣ وابن كثير، مرجع سابق: ٣٤٠/١١.

القرن الثالث نقحت فيه هذه الكتابات . مع العصر الأموى وبعده العصر العباسى الأول حتى القرن الرابع الهجري . ولذا يرى الباحث هنا أهمية خاصة لمراجعة وتقويم بعض الكتب التي يكتبها غير المتخصصين . وتكون المراجعة على أيدى علماء غير متخصصين أمثال هذه الكتيبات التي تزخر بها أكشاك الصحافة وأرصفة القطارات وأمام أبواب المساجد . وعلى أسوار المدارس . فلا بد وأن يراجعها علماء متخصصين .

كما أن طلاب الحديث كانوا يعتمون بملازمة العلماء للأخذ عنهم والسماع منهم

وقد اوضح ياقوت أنه من صفات المعلم القائم على العملية التعليمية أن يكون حسن المظهر الخارجي في لباسه . متخلقا بالأخلاق الحسنة . تاركا للنقائص التي كانت قد لحقت به . حتى لا يكون ذلك سهما للشك في علمه . فإذا وقع من العالم مثل هذه النقائص فعليه أن يقلع عنها . وعلى رؤوس الأشهاد . بعد أن يعترف بها . وبإقلاع المعلم عن هذه الأخلاق المذمومة . يصح معه التعليم . والأخذ عنه .

وذكر ياقوت من علماء الحديث في القرن الخامس الهجري :

أبو نصر إسحاق بن أحمد الصغار المتوفى ٤٠٥ هـ بالطائف . الذي اهتم برواية الحديث وتدوينه فقد حدث عن نصر بن أحمد الكناني . وروى عنه الحسن بن على واقتصر على طلب الحديث من أنواع العلم . ومن آثاره العلمية كتاب الرد على حمزة في حدوث التصحيف (١) .

أبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى ٤١٤ هـ الذي اشتغل بعلم الحديث غير أنه لم ينقل عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه من التفسير والفقه . ولم يكن لعدم السماع له (٢)

أبو بكر على بن الحسين الملقب بالفلكى المتوفى ٤١٢ هـ الذي اهتم بالرواية عن العلماء فروى عن الحسن بن الحسين التميمي المتوفى ٢٣١ هـ . وعن على بن الحسن بن البراز . وعن أبى بكر عمر بن سهل المتوفى ٤٥٠ هـ وروى عنه ابناه أبو عبد الله الحسين

(١) معجم الأدباء : ١٦١/٢ - ١٦٣ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٣٠/٢ وبغية الوعاة : ٢٩٩/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٧٩/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٣٥/٩ حاجى خليفة ، مرجع سابق: ١٢٧٨/٢- ١٦٣٩

وأبو الصقر الحسن ، ولذلك كان الفلكى من حفاظ الحديث ، ومن مؤلفاته كتاب منتهى الكمال في معرفة الرجال (١) .

أبو عبد الله إسماعيل بن أحمد الحيرى الملقب بالضرير ، المتوفى ٤٣٠ هـ الذي اهتم بسماع الحديث عن رجاله فقد رحل في طلب الحديث كثيرا ، وسمع من زاهد السرخسى ، وأبى الحسين الخفاف ، ومحمد بن مكى الكشيهنى ، وروى عنه الخطيب وسمع صحيح البخارى ببغداد ، وكان مفيدا ، عالما من علماء الحديث (٢) .

أبو على الحسين بن على الأهوازى المتوفى ٤٤٦ هـ الذي اهتم برواية الحديث فقد حدث عن(المعافى بن زكريا المتوفى ٣٩٠ هـ ويعرف بالجريرى لأنه تفقه على مذهب ابن جرير الطبرى) ، وقد حدث عن أبى حفص الكتانى المتوفى ٣٩٠ هـ ، الحجة الثقة ، وروى عن الخطيب البغدادى المتوفى ٤٦٣ هـ ، وكان الأهوازى مكثر من الحديث ، حسن التصنيف ، جمع في ذلك شيئا كثيرا ، ومن مؤلفاته كتاب شرح البيان في عقود الإيمان أتى فيه بأحاديث استنكرها علماء الحديث ، وله كتاب الصفات قال الذهبى لو لم يجمعه لكان خيرا له (٣) .

أبو بكر أحد بن على الخطيب البغدادى المتوفى ٤٦٣ هـ الذي كان يعد مرجعاً يقاس عليه أحاديث العلماء ، فقد تقدم رئيس الرؤساء (ابن مسلمة وزير القائم العباسى) ببغداد إلى القصاص والوعاظ ، ألا يورد أحد حديثا عن رسول الله (ﷺ) حتى يعرضه على أبى بكر الخطيب ، فما أمرهم بإيراده أوردوه ، وما منعهم منه تركوه ، وكان جامعا رحل إلى مكة ، وسمع بالبصرة والكوفة ، وعرف قدره ببغداد (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٤٣/١ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٤٥/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٨/٤ .
(٢) معجم الأدباء :١٩٣/٢ ونكت الهيمان :ص ١١٩ والسبكى،مرجع سابق:١١٥/٣ والزركلى، مرجع سابق: ٣٠٩/١ .
(٣) معجم الأدباء: ١٩/٣ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٢٤٧/٣ وسير أعلام البلاء : ١٥٢/١١ والزركلى ، مرجع سابق: ٢٤٥/٢ .
(٤) ابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٢/١ والوافى بالوفيات: ٨٢/٦ وتذكرة الحفاظ: ٣١٢/٣ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق: ٨٧/٥ والزركلى ، مرجع سابق: ١٧٢/١ .

أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى المتوفى ٤٨٨ هـ الذي اهتم بتصنيف علوم الحديث من الجرح والتعديل والإسناد . فيقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديمها والاهتمام بها ، العلل : وأحسن كتاب صنف فيها كتاب الدار قطنى ، ومعرفة المؤتلف والمختلف : وأحسنها كتاب أبو نصر بن ماكولا ، ووفيات الشيوخ : وليس فيها كتاب فأردت أن أكتب فيه كتابا فشغلنى عنه الصحيحان ، ومن آثاره العلمية كتاب أسماء رواة الحديث وأهل الفقه وذوى النباهة في الشعر والأدب قال الزركلى أنه مطبوع ومن الكتب المخطوطة التي ذكرها له ياقوت كتاب تفسير ما في الصحيحين ، وكتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسيل وكتاب الجمع بين الصحيحين .

وقد تحدث الحميدى عن الدعوة إلى العلم ، وحذر من إضاعة الوقت ، فهو للإنسان بمثابة المنحة من الله - عز وجل - ، وعنه الإنسان مسئول أمام الله - عز وجل - (١) .

أبو بكر محمد بن أحمد الدقاق المتوفى ٤٨٩ هـ الذي اهتم بدراسة الحديث وكتابته ونسخه ، فقد كان حافظا فهما ، قرأ الحديث فأكثر ، ويشار إليه بالقراءة الصحيحة للحديث (٢) .

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى المتوفى ٤٩٤ هـ ، الذي اهتم بأخذ الحديث عن الثقات ولازمهم حتى برع في الحفظ ، فقد كان من رجال الحديث ، مكث بالحجاز مجاورا ثلاثة أعوام ملازما للحافظ أبى ذر المحدث يسمع منه ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاما ، وفى دمشق وحلب مدة سمع الحديث فيها من أبن جميع وغيره ، وسمع من عبيد الله بن أحمد الأزهرى ، وابن غيلان ، والصورى ، وبرع في الحديث ، ومن آثاره العلمية كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول قال الزركلى عنه أنه مخطوط ، وله كتاب

---

(١) معجم الأدباء : ٣٩٥/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ٣٩٢/٣ والوافى بالوفيات : ٣١٧/٤ والزركلى ، مرجع سابق: ٣٢٧/٦ .

(٢) معجم الأدباء : ١٥٦/٥ والبغدادى ، هدية العارفين ، ١٧٧/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٧٣/٨ .

اختلاف الموطآت قال فيه الزركلي أنه مطبوع، وله كتاب التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح [1].

أبو محمد جعفر بن أحمد السراج المتوفى ٥٠٠ هـ الذي اهتم بتعليم الحديث عن طريق السماع من العلماء فقد سمع الحديث وهو طفل لا يتجاوز عمره خمس سنين، حتى صار من حفاظ الحديث وقد رحل إلى مكة والشام ومصر، ومن مؤلفاته كتاب حكم الصبيان وقد نظم السراج عدة كتب، خرج له الخطيب البغدادي فوائد في عدة أجزاء [2]

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في ذلك القرن كانوا لا يقتصرون على الرواية والسماع للحديث فقط، وإنما نهجوا منهجا تربويا وهو القياس، فكان الخطيب البغدادي بمثابة محكا للأحاديث التي يرويها رجال الحديث.

كما اهتم علماء الحديث بنسخ الحديث وتدوينه، وعلى رجال الحديث وعلمائه ألا يجعلوا المال هو غاية مرادهم، والمسيطر على عقولهم في العلم، ربما كافأهم الله - عز وجل بخيرات حسان في الدنيا والآخرة، وهو ما فطن إليه علماء الحديث في القرن الخامس الهجري كما تخصص بعض علماء ذلك القرن بدراسة علوم الحديث، وبوجه خاص علم التجريح والتعديل والإسناد.

ولأهمية علم الحديث فإن تعليم الطلاب كان يتم في سن الطفولة المبكرة والمتأخرة كما تعلم الجبرتيي والسراج، حيث أن قدرة استيعاب الطفل في هذه المرحلة، تكون أوسع وأشمل على تسجيل هذه العلوم في الذاكرة أكثر ممن يتعلم في سن الكبر. فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالنقش على الماء، ومع حصول هؤلاء المتعلمين على قدر من التعليم، يتمكن كل منهم من الكتابة والتصنيف في فروع علم الحديث.

---

(١) معجم الأدباء: ٣٩٢/٣ والوافي بالوفيات: ٢١٥/١ وابن شاكر الكتبي، مرجع سابق: ١٧٥/١ والتهذيب: ٢٤٨/٦ والزركلي، مرجع سابق: ١٢٥/٣.

(٢) معجم الأدباء: ٣٧٢/٢ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ١٣١/٣ وابن الخوزي، مرجع سابق: ١٥١/٩ وسير النبلاء: ٥٢/١٢ والزركلي، مرجع سابق: ١٢١/٢ والكامل في التاريخ: ١٥٤/١٠.

وذكر ياقوت من علماء الحديث في القرن السادس الهجري :

أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي المتوفى ٥٠٧ هـ الذي سمع الحديث من إسماعيل الجرجاني المتوفى ٥٣١ هـ . ومن عبد الوهاب الشهيد المتوفى ٥٠٠ هـ . ومن أبي محمد السمرقندي المتوفى ٤٩١ هـ . وكان الأبيوردي إمام زمانه في الحديث . ومن آثاره العلمية كتاب بحر الأسانيد في صحاح المسانيد قال عنه الزركلي أنه جمع فيه مائة ألف حديث . في ثمانمائة جزء . وقد عده الذهبي في سير أعلام النبلاء : أنه لم يقع مثله في الإسلام (١) .

خميس بن علي الحوزي المتوفى ٥١٠ هـ الذي كان من حفاظ الحديث ومن المحققين بمعرفة رواة الحديث . وهو من فضلاء واسط . وكان يدعو إلى ملازمة العلماء والسماع منهم (٢) .

أبو سعد آدم بن أحمد الهروي المتوفى ٥٣٦ هـ الذي ورد إلى بغداد فاجتمع إليه أهل العلم والعامة . وقرءوا عليه الحديث عن طريق دروسه التي كان يعقدها بالمساجد (٣)

أبو بكر . المبارك بن الحسن الشهرزوري المتوفى ٥٥٠ هـ الذي اهتم بسماع الحديث فقد سمع من أبي الفضل بن الحسن بن جيرون الأمين . وكان الشهرزوري حسن السيرة شديد الأخذ على الطلاب في تعليمهم (٤) .

أبو الفضل محمد بن أبي القاسم زين المشايخ المتوفى ٥٦٢ الذي سمع الحديث من الزمخشري ومن غيره ومن مؤلفاته كتاب مفتاح التنزيل قال فيه الزركلي أنه مخطوط الجزء الثالث منه في الظاهرية (٥) .

---

(١) معجم الأدباء : ١٦٠/٥ وعمر رضا كحالة،مرجع سابق: ٣١٤/٨، ٢٦٧/٢وسير أعلام النبلاء: ٦٥/٢ والزركلي مرجع سابق: ١٨٥/٤ ، ١٨٠/٢ .

(٢) معجم الأدباء: ٣٠٥/٣ والكامل في التاريخ: ١٧٥/١٠ والبغدادي ، مرجع سابق: ٨١/٢ .

(٣) معجم الأدباء: ٦٣/١ والبغدادي ، مرجع سابق: ٥٨٤/٢ .

(٤) معجم الأدباء: ٣٨/٥ وسير أعلام النبلاء: ٢١٠/١٢ ر: ٨٥/٤ .

(٥) معجم الأدباء : ٤١٥/٥ وبغية الوعاة : ٩٢/١ والوافي بالوفيات: ٣٤٠/٤ والزركلي ، مرجع سابق: ٣٣٥/٦ .

أبو الحسن على بن زيد البيهقي المتوفى ٥٦٥ هـ الذي كتب في علوم الحديث بعد أن سمعها من العلماء والأئمة الثقات حيث يقول : صححت على الإمام أحمد الميدانى المتوفى ٥١٨ هـ كتاب غريب الحديث ، وسمعت من الإمام محمد الفزارى كتاب غريب الحديث للخطابى ، ومن آثاره العلمية كتاب تاريخ حكماء الإسلام قال فيه الزركلى أنه مطبوع ، وقد سماه تتمة صوان الحكمة (١) .

أبو القاسم على بن أبى محمد ابن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٧١ هـ الذي سمع الحديث من مشايخ عصره ، عن طريق تنقلاته ورحلاته بين البلدان فقد رحل إلى العراق ومكة ، والمدينة والكوفة ونيسابور وغيرهم الكثير من البلدان ولذا قال عنه ياقوت : بلغ عدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة وحدث ببغداد ومكة ونيسابور ، وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هو أسن منهم ، وصنف الكثير من الكتب في علم الحديث ، نذكر منها كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة والثقات قال الزركلى عنه أنه مطبوع ، وكتاب الإشراف على معرفة الأطراف قال فيه الزركلى أنه مخطوط يقع في ثلاثة مجلدات ، وكتاب تهذيب الملتبس من عوالى مالك بن أنس ذكر الزركلى أنه مطبوع ، ومن الكتب المطبوعة التي ذكرها له الزركلى كتاب معجم الصحابة ، ومعجم النسوان ، وفضل أصحاب الحديث ، وأربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة ، وله كتاب معجم الشيوخ والنبلاء ذكر الزركلى أنه مخطوط يقع في ٤٦ ورقة في شيوخ أصحاب الكتب الستة وهو بالظاهرية (٢) .

---

(١) معجم الأدباء : ١١٤/٤ وسير النبلاء : ٨٤/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٩٦/٧ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١٤/١ ، ٢٩٠/٤ . وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٦٣٤/١ .

(٢) معجم الأدباء : ١٨٣/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٣/٤ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٥٤/١ ، ٥٧ ، ١٠٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٥٠٦ ، ٥٧٤ ، ٩٧٤ ، ١٧٣٦/٢ ، ١٧٣٧ .

أبو طالب المبارك بن المبارك بغداد أوانه المتوفى ٥٨٥ هـ الذي سمع الحديث من ابن الحصين وقاضي البيمارستان ، وشيخه ابن الحاج . وحدث عنهم . وكان مقبولا عند الخاص والعام (١) .

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في القرن السادس كانوا يقومون بتدريس الحديث لأهل المكان الذي يسكنوا فيه . سواء أكان هؤلاء المتعلمون من خاصة طلاب العلم، أم من عامة البلدة ، وذلك بجانب قيام هؤلاء العلماء بتأليف الكتب وتصنيفها في علم الحديث ، كما فعل الهروى .

وقد اتصف علماء الحديث في ذلك القرن ببعض الصفات التربوية من الأخلاق الحسنة والسيرة الحميدة ، والمقدرة على السيطرة على طلابهم . حتى يكونوا معلمين ناجحين ، مثل الشهرزورى الذي جمع بين الكثير من هذه الصفات التي ذكرها له شيخنا ياقوت .

كما أن التعليم في ذلك القرن لم يقتصر على الرجال فقط في تعليم الطلاب ، وإنما كان للنساء دور أيضا وجهدا في تعليم هؤلاء الطلاب ، ومريدين علم الحديث ، وقد جمع ابن عساكر في مؤلفاته الكثير من أفواه هؤلاء من النساء ، وتتلمذ على أيديهن ، وقام بتصنيف ما وجده مكتوب من علم الحديث بالبلدان التي كان ينزل بها .

وذكر ياقوت من علماء الحديث في القرن السابع الهجري :

أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى ٦٠٦ هـ اهتم بسماع علم الحديث فقد سمع بالموصل من جماعة من المحدثين منهم : أبو الفضل الطوسى ، وسمع ببغداد من : أبى القاسم صاحب بن الخل ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وعاد إلى الموصل فحدث بها وقد صنف ابن الأثير الكثير من الكتب في الفترة التي أصيب فيها بمرض النقرس وقد أملاها على طلبته وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة ، ومن هذه الكتب في علم الحديث

(١) ابن كثير ، مرجع سابق : ٢٩٥/١٢ وجورجي زيدان : مرجع سابق : ٧٣/٣ والزركلي ، مرجع سابق ، ١٧٧/٥ ، ١٧٥/٤ .

كتاب النهاية قال عنه الزركلي أنه مطبوع في غريب الحديث، وكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول (ﷺ) قال فيه الزركلي أنه مطبوع ويقع في عشرة أجزاء، جمع فيه بين الكتب الستة (الموطأ، ومسلم، والبخاري، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، والترمذي) وله كتاب الشافي في شرح مسند الشافعي ذكر الزركلي أنه مخطوط في الحديث. وكتاب المختار في مناقب الأخيار قال عنه الزركلي أنه مخطوط، وكتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب قال عنه الزركلي أنه مخطوط جمع فيه بين الأحاديث الطوال والأوساط وصنفه بعد انتهائه من كتاب النهاية ويقول الزركلي: رأيت نسخة منه متقنة جدا بخط ابن أخيه: محمد بن نصر الله سنة ٦٠٦ هـ في خزانة الرباط، برقم ١٨٢ أوقاف (١).

أبو القاسم قثم بن طلحة الملقب بابن الأتقى، ت: ٦٠٧ هـ الذي كانت له معرفة وفضيلة في علم الحديث، فقد سمع من أبي عبد الله الحسين بن علي الغزي ت: ٥٨٠ هـ ومن أبي بكر أحمد الكرخي (٢).

أبو المرجى سالم بن أحمد التميمي الملقب بالمنتخب ت: ٦١١ هـ الذي سافر إلى خراسان لسماع صحيح مسلم، فسمعه من المؤيد الطوسي، وكان محبوبا حسن الأخلاق (٣).

أبو بكر المبارك بن المبارك الملقب بالوجيه ت: ٦١٢ هـ الذي سمع الحديث من طاهر ابن محمد المقدسي حينما قدم بغداد (٤).

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في القرن السابع الهجري كانوا يتقربون بعلمهم إلى الحكام، وكانت للعلماء منزلة خاصة عندهم تقديرا وإجلالا لعلمهم

---

(١) معجم الأدباء: ٥٠/٥ وحاجي خليفة، مرجع سابق: ٥٣٥/١، ٦١٨، ١٣٨٣/٢، ١٦٨٣، ١٩٨٩ والزركلي مرجع سابق: ٢٧٢/٥ وابن تغري بردي، مرجع سابق: ١٩٨/٦ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ١٧٤/٨ وسير النبلاء: ١١٢/١٣.
(٢) معجم الأدباء: ٨/٥ والزركلي، مرجع سابق: ١٩٠/٥، ٢٤٦/٢.
(٣) معجم الأدباء: ٣٥٧/٣ وابن خلكان، مرجع سابق: ٤٨٨/٢ والزركلي، مرجع سابق: ٧٠/٣
(٤) معجم الأدباء، ٤١/٥ وابن خلكان، مرجع سابق: ١٥٢/٤ ونكت الهميان: ص ٢٣٣ وابن تغري بردي، مرجع سابق: ٢١٤/٦ والزركلي، مرجع سابق: ٢٧٢/٥.

فقد كان الضرير (أبو الفتح على بن على رهمويه) يدخل على الخليفة الناصر يخلو معه ويحاضره وعلمه علم الأوائل(١).

كما جمع علماء هذا القرن بين رواية الحديث، وبين تأليف الكتب وتصنيفها في علم الحديث. فقد كان ابن الأثير متحدثا راويا لعلم الحديث. مصنفا لكتبه وقد تحدث في هذه الكتب عن علوم الحديث من حيث الإسناد والجرح والتعديل.

وقد كانت الرحلة من الطرق التعليمية التربوية التي يحصل من خلالها طلاب الحديث الكثير عن مشايخهم وعلمائهم، بجانب طريقة السماع، وقد لاحظنا أهمية أن يجمع الشيخ أو العالم بين الصفات الحسنة والأخلاق القويمة حتى لا يطعن في روايته للحديث، وغيره من فروع العلم.

ثالثا : قراءة القرآن الكريم :

وهي من أقدم العلوم الشرعية الإسلامية، وكان للقراء شأن في صدر الإسلام عظيم فسموا الذين يحفظون القرآن "قراء" تمييزا لهم عن سائر المسلمين لأنهم كانوا أميين، وقد جمع عثمان بن عفان القرآن الكريم وكتبه لما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته، ولم يمض على ارسال مصاحفه إلى الأقطار الإسلامية إلا زمن قصير، حتى اصبح لأهل كل قطر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئا يثقون بصحة قراءته وقد انتشر ذلك بين الأقطار الإسلامية، ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، وإن كان بعض العلماء يعدها عشرا.

وقد ذكر ياقوت الحموي من علماء القراءات في القرن الثاني الهجري :

أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدى: ١٢٧ هـ الذي اهتم بعلم قراءة القرآن الكريم، فكان أعلم بالقرآن من الشعبي، فقد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ)

(١) معجم الأدباء: ١٣/٥.

منهم : سعد بن أبى وقاص ت : ٥٥ هـ ، وسعد بن مالك الخدرى ت : ٧٤ هـ وابن عمر وأبو هريرة ، وابن عباس [١] .

أبو عمر زبان بن العلاء الملقب بالإمام ت : ١٥٤ هـ بالكوفة ، أخذ علم القراءات عن شيوخ عصره ، فقد أخذ عن مجاهد ، وعن : أبى حفص محمد بن عبد الرحمن ت:١٢٣هـ مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير ، وأعلم قرائها بالعربية ، وقد انفرد بقراءة حروف خالف فيها المصحف فترك الناس قراءته ، ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة ، وروى له مسلم والترمذى والنسائى حديثا واحدا ، وأخذ عن : نصر بن عاصم ت : ٨٩ هـ كان أول من نقط المصحف ، وأخذ عن : يزيد الأسدى ت : ١٣٠ هـ ، وأخذ عن : أبى جعفر

بن القعقاع ت : ١٣٢ هـ ، وبذلك كان أبو عمر أحد القراء العشرة ، ولذا عرف بالقارىء وبذلك لم يكن من القراء السبعة أكثر شيوخا منه ، وقد اتخذ أبو عمر من المساجد مكانا أو مؤسسة تعليمية يلقن فيها المتعلمين ، وطلاب العلم القراءات ، خاصة الجامع الأموى وقد تتلمذ عليه ،اخذ عنه القراءة جماعة كثيرون منهم : عبد الله بن المبارك واليزيدى [٢] .

أبو عمارة حمزة بن عمارة الملقب بالإمام ت : ١٥٨ هـ الذي أخذ علم القراءات عن المشايخ فقد أدرك الصحابة ، وأخذ علم القراءة عن حمران بن أعين ت : ٨٨ هـ من فصحاء العرب ، وأخذ عن : محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ت : ١٤٨ هـ ، وطلحة بن مصرف ت : ١٢٢ هـ وهو أقرأ أهل الكوفة في عصره ، وكان يسمى سيد القراء ، وكان حمزة قارئا يقول عنه أبى حنيفة : لقد علبتنا في شيئين لا ننازعك فيهما : القرآن والفرائض وكانت قراءته تعد بالدرر وكان شيخه إذا رآه مستقبلا يقول : هذا حبر القرآن [٣] .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٩٥/٢ واللبان : ٥٣٧/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٧/٣ ، ٣١٧/١ .
(٢) معجم الأدباء ، ٣٤٥/٣ ، ١٢٠/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٨٦/١ ، ٢٧٨/٢ والتهذيب : ٣٢٥/١١ والوافى بالوفيات : ٢٢١/٣ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ١٦٤/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٤/٨ ، ١٨٢/٨ - ١٨٦ ، ٤١/٣ .
(٣) معجم الأدباء:٣٦٢/٣ وابن كثير، مرجع سابق: ١١٣/٩ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٨٦/٢ ، ١٨٩/٦ ، ٢٣٠/٣ .

أبو جعفر محمد بن أبي سارة الرواسى ت : ١٨٧ هـ الذي اهتم بعلم القراءات فهو أستاذ سيبوية ، والكسائى والفراء ، وكلما قال سيبويه : الكوفى عنى الرواسى ، ومن مؤلفاته كتاب معانى القرآن وكتاب مصابيح القرآن العظيم ذكر فيه الزركلى أنه مخطوط في خزانه شستربتى برقم ٣٥٣٨ ، وكتاب البرهان ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب القرءات [١] .

وذكر ياقوت من علماء القراءات في القرن الثالث الهجري :

أبو على محمد بن المستنير قطرب ، ت : ٢٠٦ هـ الذي اهتم بعلم القراءات ، وكان يؤدب أولاد أبى دلف العجلى ، ومن مؤلفاته كتاب الأضداد قال عنه الزركلى أنه مخطوط وكتاب الرد على الملحدين في تشابه القرآن ، وكتاب غريب الأثر ذكر الزركلى أنه مطبوع وكتاب معانى القرآن قال الزركلى عليه اعتمد الفراء ولم يسبق له مثيل [٢] .

إبراهيم بن محمد بن سعدات ت : ٢٥٠ هـ الذي ورث علم القراءات أخذا عن والده فقد كان أبوه أحد أعيان أهل العلم من القراء ، وكان إبراهيم أحد من كتب وصحح ونظر وحقق ، ومن مؤلفاته كتاب حروف القرآن ذكر الزركلى أنه مطبوع [٣] .

أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ت : ٢٥٥ هـ الذي اهتم بعلوم القرآن وعلم القراءات ، وكان يجلس بالمسجد ليعلم الناس وإذا أخطأ أمامه المتعلم عمد إليه فعنفه وضربه ، وقال له لا تعود إلى مثل هذا ، ولذلك كان مقرئا روى عن أبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ت : ٢٠٩ هـ وهما من أئمة علوم القرآن ، وقد ترك السجستانى الكثير من المؤلفات في علم القراءات منها كتاب مجاز القرآن قال عنه الزركلى أنه مطبوع ويقع في جزأين ، وكتاب إعراب القرآن ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وكتاب إختلاف

---

(١) معجم الأدباء : ٣٧٧/٥ وبغية الوعاة : ٣٣/٢ والوافى بالوفيات ، ٩٢/٣ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٣٢٤/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧١/٦ ، ٨٩/٣ - ١١٩ ، ٢٧١/٧ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٤٥/٥ والكامل فى التاريخ : ١٢٩/٦ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٥/١٢ وحاجة خليفة مرجع سابق : ١١٥/١ ، ٧٢٣ ، ٨٣٩ ، ١٢٠٤/٢ ، ١٣٨٩ ، ١٧٣٠ ، ١٩٨٠ .

(٣) معجم الأدباء : ١٣٦/١ وإنباه الرواة : ١٨٥/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٩٤/١ .

المصاحف وكتاب القراءات، وكتاب الإدغام، وكتاب الفصاحة، وكتاب ما يلحن فيه العامة وقد ذكر الزركلى أن هذه الكتب مطبوعة (١).

أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسحاق الأزدى ت: ٢٨٢ هـ الذي كان من أجل علماء القراءات بالعراق، وقد صنف في علوم القرآن الكثير من الكتب، فله كتاب أحكام القرآن قال الزركلى أنه لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله، ومن الكتب المطبوعة التي ذكرها له الزركلى كتاب الاحتجاج بالقرآن، وكتاب مسند القراءات وكتاب في معاني القرآن (٢).

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء القرن الثالث الهجري كانوا مهتمين بتعليم الطلاب لعلم القراءات وعلوم القرآن بالإضافة إلى كثرة المؤلفات التي تركها لنا هؤلاء العلماء، فقد جمعوا بين مجال التدريس والتأليف للكتب، كما يتضح لنا أن المتعلم كان يعاقب عند التقصير في تعلمه لعلوم القرآن، بل كان يعرض نفسه للقضاء والمحاكمة عن طريق الشرطة حينما يخطئ، فقد ذكر ياقوت ذلك في ترجمته لأبي حاتم السجستاني" (٣).

وذكر ياقوت من بين علماء القراءات في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت: ٣١٠ هـ الذي اهتم بعلم القراءات نزولا على رغبة رفاق الرحلة العلمية التي قام بها، بل من واكبوا عصره، وقد تحدث الطبرى في كتابه الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة عن آداب الدرس التي يتبعها الطلاب مع شيوخهم، ويتبعها الشيوخ مع عامة أهل مجتمعهم، وقد صنف الطبرى في علم القراءات كتاب الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش وقد ذكر الزركلى أن الطبرى جمع فيه

---

(١) معجم الأدباء: ٤٠٣/٣ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٢٨٥/٤ وسير أعلام النبلاء: ٢٠٦/٨ والوافي بالوفيات: ٥/١٤ والزركلى، مرجع سابق: ٢٧٢/٧، ١٤٣/٣.
(٢) معجم الأدباء: ١٩٥/٢ وابن كثير، مرجع سابق: ٧٢/١١ والزركلى، مرجع سابق: ٣١٠/١
(٣) معجم الأدباء: ٤٠٣/٣.

نيف وعشرون قراءة ، وأنه اختصره في ثماني عشرة مجلدة ذكر فيها جميع القراءات من المشهور والشواذ ، وله كتاب الشذور (١) .

أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت : ٣١١ هـ الذي طلبه الوزير المعتضد العباسى فأدب له ابنه ، إلى أن ولى ابنه القضاء في الوزارة ، ومن مؤلفاته في علم القراءات كتاب معانى القرآن ذكر الزركلى أنه مطبوع في ثلاثة أجزاء ، ومنه مخطوطة في خزانة الرباط تحت رقم ٣٣٣ أوقاف ، مكتوبة على الرق في عام ٣٨٢ هـ إلى ٣٧٨ هـ في أربع وخمسين جزءا ، جمعت في عشرة مجلدات ، وورد اسمها بلفظ : مختصر إعراب القرآن ومعانيه وعلى الجزء التاسع عشر منها مكتوب : معانى القرآن وإعرابه (٢) .

أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضى ت : ٣٥٠ هـ الذي اهتم بعلم القراءات دراسة وتصنيفا فقد تتلمذ على يد (محمد بن جرير الطبرى) وقد اختار لنفسه مذهب الطبرى ومن مؤلفاته في علم القراءات كتاب غريب القرآن وكتاب القراءات ذكر الزركلى أنهما مطبوعان ، وكتاب التقريب في كشف الغريب ، وكتاب موجز التأويل في حكم التنزيل (٣) .

أبو بكر محمد بن الحسن الملقب بالعطار المقرئ ، ت : ٣٥٤ هـ كان عالما بالقراءات من أهل بغداد ، وكان يقول : كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية فالقراءة بها جائزة ، وإن لم يكن لها سند ، فرفع القراء أمره إلى السلطان ، فأحضره واستتابه وقد استمر على قراءته إلى أن مات ، فقرأ القرآن بقراءات تخالف الإجماع، ومن آثاره العلمية كتاب مفردات القراء ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب اللطائف في جمع

---

(١) معجم الأدباء : ٢٤٥/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٤٧/٩ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٦/٩ وابن العماد مرجع سابق : ٢٦/٢ وابن كثير ، مرجع سابق : ١٤٥/١١ والزركلى ، مرجع سابق : ٦٩/٦ وحاجى خليفة مرجع سابق : ٤٢/١ ، ٥١٤ ، ٥٧٦ ، ١٤٢٩/٢ ، ١٤٤٩ .

(٢) معجم الأدباء : ٩٥/١ والأنبارى ، مرجع سابق :ص ٣٠٨ وانباه الرواة :١٥٩/١ وابن خلكان،مرجع سابق : ١١/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٤٠/١ .

(٣) معجم الأدباء : ٥٤٧/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ١١٤/٣ وتاريخ الاسلام : ٥٧/٤ .

هجاء المصاحف . وذكر له ياقوت من الكتب التي استخرج لها وجوه من اللغة والمعنى كتاب الاحتجاج في القراءات وكتاب الانتصار لقراء الأمصار وكتاب الموضح وكتاب شفاء الصدور في القراءات [(١)] .

أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب . ت : ٣٨٥ هـ الذي تبحر في القرآن وعلومه .وإعجازه . وكان يتقد علما حينما يسأل في القرآن . فقد جاء إليه بعض أهل أصفهان يسألونه : لو كان القرآن مخلوقا لجاز أن يموت . ولو مات في آخر شعبان بماذا كنا نصلى التروايح في رمضان ؟ فقال لهم لو مات القرآن . كان رمضان يموت أيضا ويقول لا حياة لى بعدك ... ومن آثاره العلمية كتاب الكشف عن مساوى المتنبي وقد ضمنه الكثير من الاستشهادات بالقرآن الكريم . وله كتاب الإمامة [(٢)] .

ومما سبق يتضح للباحث أن علماء القراءات في القرن الرابع الهجري اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا في علم القراءات عن طريق الاجتهاد . الذى يأخذ عليه المجتهد إن أصاب أجران . وإن أخطأ فله أجر واحد . غير أن هذا الاجتهاد كان في كتاب الله - عز وجل - الأمر الذي جعل العالم منهم في نظر العلماء مرتكب إثم يجب التوبة منه .

كما يلاحظ أن هؤلاء العلماء تنوعت مؤلفاتهم لتشمل الكثير من فروع العلم . الأمر الذي لم يكن متاحا إلا لذوى الأفهام المبسوطة . والأبصار الثاقبة . وبذلك كانت مؤلفاتهم بمثابة موسوعات علمية في الكثير من المجالات والميادين العلمية المتنوعة .

وذكر ياقوت من علماء القراءات في القرن الخامس الهجري :

أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنانى ت : ٤٥٤ هـ الذي اهتم بعلم القراءات . فقد كان عالما بالقراءات من أهل قرطبة . ومن مؤلفاته كتاب القرطبين قال فيه الزركلى أنه مطبوع . وقد جمع بين كتابى : غريب القرآن . ومشكل القرآن لابن قتيبة [(٣)] .

---

(١) معجم الأدباء : ٣١٠/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٢٧/٩ والزركلى ، مرجع سابق : ٨١/٦ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٤٠/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٧٤/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٣٠/١ ، ٦١٩ ، ٩٠١ ، ١٢٧٨/٢ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٨ ، ١٣٧٦ .
(٣) معجم الأدباء : ١٩٣/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ .

أبو الطاهر إسماعيل بن خلف الأنصارى ت : ٤٥٥ هـ الذي كان عالما بالقراءات من سرقسطة بالأندلس ، من مؤلفاته كتاب العنوان في قراءات السبعة القراء قال عنه الزركلى أنه مخطوط ، رأيته في مغنيسيا برقم ٧٤٣٩ ، وكان اعتماد الناس عليه في هذا الفن وله كتاب إعراب القرآن قال الزركلى عنه أنه مخطوط النصف الثاني منه في الإسكندرية (ن ٣٤٧٥ ح) (١) .

أبو نصر بن أحمد الكركانجى ت : ٤٨٤ هـ الذي اهتم بتحصيل علم القراءات فكان إماما فاضلا فيه ، رحل بين العراق والحجاز ، والجزيرة والشام للأخذ والرواية عن علمائها ، من آثاره العلمية كتاب التذكرة لأهل التبرة ذكر الزركلى أنه مطبوع (٢) .

وذكر ياقوت من علماء القراءات في القرن السادس الهجري : -

أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزورى المقرىء ت : ٥٥٠ هـ الذى اهتم بعلم القراءات ونبغ فيه فكان إماما في القراءات ، عالم بها مجود لها ، ومن آثاره العلمية كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر ، قال الذهبى أنه رواه من نحو خمسمائة طريق (٣) .

أبو الحسن على بن زيد البيهقى ت : ٥٦٥ هـ الذى اهتم بحفظ القرآن الكريم فقد كان لأسرته دور بارز في تنشئته الفكرية ، فقد ورث حفظ القرآن عن والدته التي كانت حافظة للقرآن ، عالمة بوجوه تفسيره ، من آثاره العلمية كتاب عوارب الغرائب قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب أسئلة القرآن مع الأجوبة ومن مسماه أنه يأخذ الصورة التربوية في تناوله لطريقة الاستدراك على منهج الأسئلة والأجوبة ، لإعمال الذهن حتى يسهل على المتعلم تناوله (٤) .

---

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق : ٧٦/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٣/١ .
(٢) معجم الأدباء : ١٥٧/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٩٥/٨ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٦/٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٧/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٦٩/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٧١/٨
(٤) معجم الأدباء : ١١٦/٤ والوافى بالوفيات : ٦٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .

رابعا : علم التفسير :.

من العلوم الدراسية التي أرخ لها ياقوت من خلال كتابه (معجم الأدباء) : وذكر ياقوت من علماء التفسير في القرن الثالث الهجري : -

أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد الأندلسي ت : ٢٧٦ هـ الذى اهتم بعلم التفسير والكتابة فيه ، فقد ضمن كتبه التفسير بالأثر . وقد أخذ ذلك عن علمائه وأساتذته فقد تعلم عن : يحيى بن يحيى الليثى ت : ٢٣٤ هـ عالم الأندلس في عصره ، وسمع بالحجاز من أبى مصعب الزهرى ، وإبراهيم بن المنذر الخزامى ، وسمع بمصر من يحيى بن بكير ومن أبى طاهر السرح ، وبدمشق من هشام بن عمار ، ت : ٢٤٥ هـ وهو من القراء المشهورين بها وصاحب كتاب فضائل القرآن ، وسمع ببغداد من علماء أجلاء وسمع بالكوفة من يحيى بن الحمانى ، ومن أبى بكر بن أبى شيبة ، حتى أنه عدد شيوخه بمائتين أربع وثمانون رجلا ، ومن مؤلفاته كتاب تفسير القرآن قال ابن حزم عنه ، ما صنف تفسير مثله أصلا فقد كان مجتهدا لا يقلد أحدا ، بل يكتب بالأثر [١] .

وذكر ياقوت من علماء التفسير في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .: ٣١٠ هـ الذى اهتم بعلم التفسير ، فكان له منهجا خاصا في التفسير فقد عنى بتفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيره بالسنة ، وتفسيره ببيان أسباب النزول ، كما أقر العلماء بذلك ، ولمعرفة أسباب النزول فوائد منها الوقوف على المعنى ، وكان الطبرى يقرأ على العلماء تفسيره ، ولم تقف عنايته عند الجانب اللغوى والنقلى ، بل جاءت عنايته بالجانب الفقهى والأدبى ، وهذه هى طبيعة المدرسة المصرية في التفسير ، فقد جمعت بين الاتجاهات المتعددة لتكتمل العملية المنهجية في التفسير ، ومن مؤلفات الطبرى في علم التفسير كتاب جامع البيان في تفسير القرآن الذى يقع في ثلاثين جزءا ، ويعرف بتفسير الطبرى [٢] .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٣٢/٢ وسير أعلام النبلاء : ٦٨/٩ والزركلى ، مرجع سابق : ١٨٦/٨ ، ٨٧/٨ وكشف الظنون ٤٤٤/١ ، ١٦٧٩/٢ .

(٢) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٤٧/٩ والزركشى ، البرهان فى علوم القرآن : ٢٢/١ ، والطبرى ، جامع البيان : ٣٩٨/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٦٩/٦ .

أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ت : ٣٢٢ هـ الذى اهتم بالكتابة فى علم التفسير فله كتاب : جامع التأويل في التفسير . ذكر الزركلى أن سعيد الأنصارى الهندى جمع منه نصوصا وردت فى مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الفخر الرازى الذى سماه ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل قال الزركلى عنه أنه مطبوع (١) .

ابن الأغبس ت : ٣٢٦ هـ فهو شيخ أبو حيان التوحيدى . وقد درس بالبصرة وأخذ عنه أهلها . فقد كان عالما بالقرآن من جهة العربية والتفسير . ويميل إلى النظر والحجة من مؤلفاته كتاب الجامع (٢) .

أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ت : ٣٧٠ هـ الذى اهتم بعلم التفسير فكتب فيه كتاب التقريب فى التفسير قال عنه الزركلى أنه مطبوع . وكتاب الزاهر فى غرائب الألفاظ أو ما يسمى بغريب الألفاظ التى استعملها الفقهاء قال عنه الزركلى أنه مخطوط وكتاب تفسير السبع الطوال وكتاب تفسير أسماء الله الحسنى (٣) .

وذكر ياقوت من علماء التفسير فى القرآن الخامس الهجرى :

أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى المفسر . ت : ٤٢٧ هـ كان مفسرا من أهل نيسابور ففى رواية : عبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى قال : كان الثعلبى أوحد زمانه فى علم التفسير . فهو صاحب تفسير الحاوى الذى جمع الكثير من الفوائد فى المعانى والإشارات ووجوه الإعراب والقراءات . وقد سمع منه الواحدى ت : ٤٦٨ هـ صاحب تفسير الواحدى (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٣٩/٥ والوافى بالوافيات : ٢٤٤/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٥٠/٦ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٥٣٨/١ ، ١٩٢٠/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٣١١/١ والسبكى ، مرجع سابق : ٨٢/٢ وابن خلكان، مرجع سابق : ١٨/١ .
(٣) معجم الأدباء : ١١٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٢٦/١٠ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١١/٥ .
(٤) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٤/٢ والوافى بالوفيات : ٩٠/٦ وتذكرة الحفاظ : ٩٨/٤ . والزركلى ، مرجع سابق : ١٧٣/١ .

وذكر ياقوت من علماء التفسير فى القرن السادس الهجرى : -

أبو محمد سعيد بن المبارك الدهان ت: ٥٦٩ هـ بالموصل . اهتم بالكتابة والتصنيف فى علم التفسير فقد كان جل اهتماماته . فمن آثاره العلمية كتاب تفسير القرآن قال عنه الزركلى أنه مطبوع يقع فى أربع مجلدات . وله تفسير سورة الإخلاص . وله تفسير سورة الفاتحة قال عنهما الزركلى أنهما مطبوعان . وقد أخذ عنه الخطيب التبريزى وغيره من العلماء (١) .

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسى السلمى ت : ٦٥٥ هـ الذى اهتم بتصنيف الكتب فى علم التفسير . فله كتاب رى الظمآن فى تفسير القرآن قال عنه الزركلى أنه مطبوع يزيد على عشرين جزء . وله كتاب التفسير الأوسط ذكر الزركلى أنه يقع فى عشرة أجزاء وكتاب التفسير الصغير قال عنه الزركلى أنه يقع فى ثلاثة أجزاء (٢) .

الخلاصة :

من خلال هذا العرض الذى تناوله الباحث أخذا عن ياقوت الحموى وذكر بعض تراجم العلماء التى لم يتعرض لها ياقوت ، وضح للباحث أن العلماء الذين اهتموا بعلم القراءات وعلوم القرآن ، كانوا طلابا حصلوا الكثير من هذا العلم دراسة وتعليما عن العلماء ، ثم اتخذوا لأنفسهم الكثير من الطلاب لتعليمهم هذا العلم ، وقد قابل علم القراءات اهتماما خاصا من طلاب العلم والشيوخ وقد بدأ هذا الاهتمام بتدوين كتاب الوحى (القرآن الكريم) فى حياة الرسول (ﷺ) جمع القرآن فى خلافة أبى بكر ، وعمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) ، وعثمان بن عفان وقام بذلك مجموعة من العلماء ، وبهذا تحول مركز الاهتمام إلى القرآن الكريم فى نصه المدون ، ولكن وجود بعض الأخطاء الإملائية فى رسم المصحف ، جعل بعض العرب لا يقرءون القرآن قراءة صحيحة ، خاصة

---

(١) معجم الأدباء: ٣٨٠/٣ وانباه الرواة: ٤٧/٢ والزركلى ، مرجع سابق: ١٧٣/١ .
(٢) معجم الأدباء: ٣٥٠/٥ والوافى بالوفيات: ٣٥٤/٣ والزركلى ، مرجع سابق: ٢٣٣/٦ .

وقد بدأت كل قبيلة من القبائل تقرأ القرآن تبعا لعاداتها الصوتية ، وقدج ظهرت هذه الاختلافات فى القراءات فى حياة الرسول (ﷺ) ، ولذلك فقد تضافرت هذه العوامل مجتمعة لظهور الدراسة العلمية للنص القرآنى ، فى وقت مبكر جدا .

بدأت هذه الدراسات بتدوين المصحف العثمانى ، وقام أبو الأسود الدؤلى بوضع رموز تدل على الحركات ، وأعقبه تلميذه : نصر بن عاصم ت: ٨٩ هـ ، وقد عارض ذلك ورفضه بعض الصحابة والتابعين مثل : عبد الله بن عمر ، وقتادة ، ومحمد بن سيرين .

وبعد ذلك تم نقط المصحف ، ثم قدم الحجاج بن يوسف عملا عظيما قسم فيه المصحف إلى أجزاء ثم أدخل نصر بن عاصم تسميات الأخماس والأعشار ، ومنه كتاب عواشر القرآن لقتادة ت : ١١٨ هـ ، وظهرت فى النصف الثانى للقرن الأول الهجرى عدة مدارس للقراءات حول بعض التابعين فى المدينة ومكة والبصرة ، دلل عليها ياقوت فى تراجم العلماء بقوله : أخذ القراءة عنه عرضا ، وقوله : روى القراءة عنه ، فالتلاميذ كانوا يقرءون الكتاب على مشايخهم بالإضافة إلى العلاقة القائمة بينهما .

وقد أضاف ياقوت الحموى الكثير من أمهات كتب القراءات وعلوم القرآن إلى حصيلة التراث العلمى الذى تركه بعض العلماء المؤلفين قبله ، فقد ترك فؤاد سازكين فى مؤلفه : تاريخ التراث العربى الكثير من هذه المؤلفات ، غير أنه اقتصر على ما أتيح له فقد ذكر من بين هذه الكتب كتاب الوقف وكتاب رسم المصحف وكتاب المقطوع والموصول ، ثم يقول أن محاولة إيجاد قراءة : أبو عمرو بن العلاء ، فى مؤلفاته [(١)] .

وقد ظهرت بعض الكتب ذات الأهمية البالغة فى علم القراءات وعلوم القرآن من خلال تاريخ ياقوت لهذا العلم ففى القرن الرابع ظهر الكثير من كتب علم القراءات مثل كتاب متشابه القرآن للكسائى ، وكتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة المثنى ، وكتاب فضائل

---

(١) فؤاد سازكين ، تاريخ التراث العربى : ترجمه حجازى (د. محمود فهمى) وأبو الفضل (د. فهمى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ، ١/٩، ١٠ .

القرآن لأبى عبيد بن سلام ، وكتاب غريب القرآن لعبد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ومعه كتاب مشكل القرآن ، وكتاب إعجاز القرآن للباقلانى ت : ٤٠٣ هـ وكتاب جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى ت : ٣١٠ هـ وكتاب غريب القرآن لليزيدى ت : ٣١٠ هـ وكتاب معانى القرآن للفراء ت : ٢٠٧ هـ .

ومع القرن الخامس والسادس ظهر من هذه الكتب ، كتاب العنوان فى قراءات السبعة قراء لإسماعيل بن خلف الأنصارى ت : ٤٥٥ هـ . وكتاب المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر للشهرزورى ت : ٥٥٠ هـ ، وقد جمع كتاب البطائحى ت : ٥٧٢ هـ بين الكثير من اختلاف القراء وقراءة كل واحد منهم .

وبذلك نستطيع أن نقول من خلال هذا التراث العلمى الذى أرخ له ياقوت أنه من المهتمين بتاريخ التربية والتعليم ، وأن كتابه (معجم الأدباء) يمكن الاعتماد عليه فى التاريخ لبعض العلوم الدراسية ، وبوجه خاص علوم التراث الإسلامى من علم الفقه ، وعلم الحديث ، وعلم القراءات وعلم التفسير غير أن ياقوت قد أغفل ذكر علماء التفسير فى القرن الأول الهجرى مع أنه يوجد بدار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب إلى ابن عباس الصحابى المشهور ، ت : ٦٨ هـ والمتواتر أنه أول من فسر القرآن الكريم ، كما أنه لم يذكر من علماء القرن الثانى الهجرى : مجاهد المتوفى ١٠٤ هـ الذى كان من القراء والمفسرين الذين يعدهم المسلمون مرجعا لهم فى استخراج الأحكام ، وقد كانوا يتناقلون التفسير شفاها إلى أواخر القرن الأول الهجرى [١] . وبذلك أشار ياقوت إلى أن التفسير لم ينضج ويكتب فيه العلماء الكثير من الكتب إلا فى العهد العباسى .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ٢٣/١ ، وأحمد أمين ، فجر الإسلام : ص ٩٤ نقلا عن : جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية : ٢١٦/١ .

المحور الثانى : العلوم اللغوية وأهم أعلامها :

أولا : علم النحو والصرف :

ذكر ياقوت الحموى من علماء النحو والصرف فى القرن الأول الهجرى : -

على بن أبى طالب ت : ٤٠ هـ الذى اهتم بوضع علم النحو، لتقويم لسان العامة والمتعلمين فقد كان أول من وضع النحو وسن العربية، وذلك لأنه : مر برجل يخطأ فى تلاوة القرآن، ويقول الزجاج : حدثنا أبى الأسود الدؤلى قال : دخلت على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه - فرايته مطرقا (مفكرا) فقلت : فيم تفكر ؟ فقال : إنى سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا فى أصول اللغة، فقلت : إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة (١) .

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف فى القرن الثانى الهجرى : -

أبو عمر زيان بن العلاء الإمام، ت : ١٥٤ هـ الذى اهتم بعلم النحو، فقد أخذه عن نصر بن عاصم الليثى ت : ٨٩ هـ الذى كان من أول واضعى علم النحو، وأول من نقط المصحف، ثم تتلمذ على ابى عمر، وأخذ عنه الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصرى ت : ١٨٢ هـ الذى صار إمام النحاة فى عصره، وقد أخذ عن يونس سيبويه، والكسائى والفراء وغيرهم من الأئمة، وكان مجلس يونس وحلقته بالبصرة ينتابها طلاب العلم وفصحاء الأعراب، ووفود البادية، وقال ابو عبيدة : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ ألواحى من حفظه (٢) .

أبو سلمة حماد بن سلمة الإمام، ت : ١٦٧ هـ الذى اهتم بعلم النحو والصرف لعموم فائدته على سائر العلوم حيث يقول : مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها، وكان سيبويه : يتعلم النحو من حماد فأخطأ فقال

---

(١) معجم الأدباء : ١٧٣/٤ ، ١٧٤ وابن كثير ، مرجع سابق : ٣٥٣/٧ - ٣٦١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٥/٤

(٢) معجم الأدباء : ٣٤٧/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٨٦/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٤/٨ ، ٢٦١/٨ ، ٤١/٣

لا جرم لأطلبن علما لا تلحننى فيه فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد ، ت : ١٧٠ هـ واضع علم العروض ، فهو أستاذ سيبويه (١) .

أبو الحسن على بن حمزة الكسائى ت : ١٦٩ هـ الذى قرأ النحو بعد الكبر وتنقل فى البادية وحمل إلى أبى الحسن الأخفش خمسين دينارا ليقرأ عليه كتاب سيبويه سرا(٢)

وقد مدح الكسائى علم النحو فى أبيات نذكر منها قوله : ـ

إنما النحو قياس يتبع	وبه فى كل أمر ينتفع
فإذا ما نصر النحو الفتى	مر فى المنطق مرا فاتسع
فاتقاه جل من جالسه	من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم ينصر النحو الفتى	هاب أن ينطق جبنا فانقطع
فتراه يرفع النصب وما	كان من خفض ومن نصب رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما	صرف الإعراب فيه وصنع
والذى يعرفه يقرؤه	فإذا ما شك فى حرف رجع
ناظر فيه وفى إعرابه	فإذا ما عرف اللحن صدع
كم من وضيع رفع النحو وكم	من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم	ليست السنة فينا كالبدع

ومن آثاره العلمية كتاب المصادر قال عنه الزركلى إنه مطبوع ، وله كتاب الحروف ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب ما يلحن فيه العوام ذكر الزركلى أنه مطبوع وقد نشرته المجلة الأشورية ببرلين (٣) .

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ت : ١٧٠ هـ كان من العلماء البارعين فى علم النحو أخذ علم النحو عن أبى عمرو بن العلاء ، وتخرج على الفراهيدى

---

(١) معجم الأدباء : ٢٤٥/٣ وتهذيب التهذيب : ١١/٣ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٢/٢ ، ٣١٤/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٩٩/٤ وانباه الرواة : ٢٥٦/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٣٠/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٩٩/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٨٣/٤ .

العديد من علماء النحو، فقد أخذ عنه الأصمعى، وسيبويه، والنضر بن شميل ت : ٢٠٣ هـ الذى هو أحد أعلام فقه اللغة، من آثاره العلمية كتاب الاستدراك على كتاب العين وكتاب تفسير حروف اللغة ذكر الزركلى أنه مخطوط وكتاب النقط والشكل ذكر الزركلى أنه مطبوع (١).

ومما سبق نلاحظ أن علماء النحو والصرف فى القرن الأول والثانى الهجريين كانوا مهتمين بالكتابة والتصنيف فى علم النحو، بجانب اهتمامهم بتعليم الطلاب ولذلك كثر طلابهم ومريدهم للأخذ عنهم.

كما نلاحظ أهمية تعلم النحو فهو ذو فائدة عظيمة فتعلمه يفيد صاحبه فى تقويم اللسان للمتحدث، ويمنع وقوع اللحن من المتعلم، بل إن علم النحو يرفع أقواما بتعلمه فمن لم يجد علم النحو يكن جبانا فى حديثه لا يستطيع أن يملء مكانه فبالنحو ينكشف الخطأ واللحن ويصحح الأمر ويبينه، فإذا وجد خطأ قام بتصحيح هذا الخطأ ومراجعته وقياسه على القاعدة الصحيحة.

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو على محمد بن المستنير " قرب " ت : ٢٠٦ هـ اهتم بالكتابة والتصنيف فى علم النحو ومن آثاره العلمية كتاب الأضداد والضد : فى اللغة يقع على معنيين متضادين والمراد هاهنا الألفاظ التى توقعها العرب على المعانى المتضادة فيكون الحرف منها مؤديا لمعنيين مختلفين بدلالة السياق، وله كتاب علل النحو وكتاب الأزمنة (٢).

---

(١) معجم الأدباء : ٣٠١/٣ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ١٢٢/٤ وانباه الرواة : ٣٤١/١ والكامل فى التاريخ ١٧/٦ والزركلى مرجع سابق: ٣٣/٨ ، ٣١٤/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٤٤١/٢ ، ١٤٤٢ .

(٢) معجم الأدباء: ٤٤٥/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٥/٢ وحاجى خليفة، مرجع سابق: ١٥٥/١، ١٤٣٢/٢، ١٤٤٧ - ١٤٤٧ وهدية العارفين : ٩/٢ .

أبو حنيفة الدينورى ت : ٢٨٢ هـ الذى جمع بين مذهب البصريين والكوفيين فى علم النحو وقد جمع بين حكمة الفلاسفة ، وبيان العرب ، من مؤلفاته الفصاحة وكتاب جواهر العلم وكتاب المقصور والممدود(١) .

أبو العباس ثعلب ت : ٢٩١ هـ كان إماما للكوفيين فى النحو واللغة ، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة ، وعنه قال المبرد : أنه أصدق أهل العربية لسانا وأعظمهم شأنا وأوضحهم علما ، وأثبتهم حفظا من مؤلفاته كتاب الفصيح ذكر الزركلى عنه أنه مطبوع اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجرى فى كلام الناس ، يقع فى نحو ستين صفحة وقد انتقده أبو القاسم على بن حمزة البصرى فى كتابه التنبيه على ما فى الفصيح من الغلط قال الزركلى إنه مخطوط منه نسخة فى الأسكوريال ، ولأبى سهل الهروى كتاب التلويح فى شرح الفصيح ذكر الزركلى أنه طبع بمصر سنه ١٢٨٩ هـ ومعه ذيل على الفصيح للموفق البغدادى : ٦٢٩ هـ ، وكتاب شرح غريب الفصيح لأبى العباس الترمذى قال عنه الزركلى منه نسخة خطية فى مكتبة نور عثمانية بالأستانة ، وله فى الصرف كتاب التصغير ذكر الزركلى أنه مطبوع (٢) .

ومما سبق نلاح أن علماء النحو والصرف فى القرن الثالث الهجرى اهتموا بعلم النحو كمادة من المواد الدراسية ، وقد قسموا هذا العلم إلى الأزمنة (الزمان والمكان) وهمزة إن وموقعها مع الكلام متى تضمر ومتى تظهر ، وحروف العلة ، والغريب فى كلمات اللغة ، كما نلاحظ أيضا أن ذلك القرن شهد ظهور مدرستين من مدارس النحو الشهيرة التى تتلمذ شيخنا ياقوت على بعض علمائها ، مثل مدرسة البصريين ، ومدرسة الكوفيين وقد كان لكل مدرسة منهما منهجها فى تفسير بعض قواعد النحو والصرف .

---

(١) معجم الأدباء: ٣٥٢/١ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٢١٨/١ والزركلى، مرجع سابق: ١٢٣/١ وهدية العارفين: ٨٩/١

(٢) معجم الأدباء: ٥٦/٢ والزركلى ، مرجع سابق: ٢٦٧/١ وجورجى زيدان ، مرجع سابق: ١٨١/٢ وانباه الرواة ١٣٨/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق: ١٢٧٢/٢ ، ٣٣/١- ١٢٣ - ١٦٤ .

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو العباس أحمد بن محمد الملقب ولاد ، ت : ٣٠٢ هـ الذى ورث علم النحو عن والده الذى كان بصيرا فى النحو ، وقد رحل ولاد من مصر إلى بغداد للأخذ عن الزجاج الذى كان يفضله عن أبى جعفر النحاس ، وكان الزجاج يثنى عليه لعلمه ، من مؤلفاته كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد وكتاب المقصور والممدود (١) .

أبو بكر محمد بن على المراغى كان حيا فى : ٣١١ هـ اهتم بعلم النحو ، وقرأه على أبى إسحاق الزجاج ، من آثاره العلمية كتاب المختصر فى النحو ، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه (٢) .

أبو بكر محمد بن السرى الملقب بابن السراج البغدادى ، ت ٣١٦ هـ الذى صحب المبرد وقرأ عليه كتاب سيبويه فى النحو ، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين ، وقد أخذ عنه الزجاجى ، والسيرافى ، والفارسى وبذلك كان أحد علماء وأئمة النحو ، وإليه انتهت الرياسة فى النحو بعد المبرد ، من مؤلفاته كتاب الموجز فى النحو وكتاب شرح كتاب سيبويه ذكر الزركلى أنهما مطبوعان ، وكان إذا سئل عن مسألة فأخطأ وبخه الزجاج ، قائلا : مثلك يخطىء فى مثل هذه المسألة الأمر الذى جعله يرجع إلى كتاب سيبويه وينظر فى دقائقه (٣) .

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخى ت : ٣١٨ هـ كان من علماء النحو ، وكان ينتصر لمذهب الكوفيين ، من تصانيفه فى علم النحو كتاب النحو على مذهب الكوفيين ذكر الزركلى أنه مطبوع (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٦٠٣/١ وانباه الرواة : ٩٩/١ وابن العماد، مرجع سابق : ٣٣٢/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٧٣/١
(٢) معجم الأدباء : ٣٨٣/٥ والوافى بالوفيات : ١٢١/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٤٠/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٤١/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٩/١٠ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٥/١ - ١١١
(٤) معجم الأدباء : ٢٣٥/١ وسير أعلام النبلاء : ٢٦٩/٩ والوافى بالوفيات : ١٢٠/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٥/١ .

أبو زيد البلخى ت : ٣٢٢ هـ كان معلما للصبيان ، ثم رفعه العلم إلى مرتبة علية جمع بين التدريس لطلابه ، وبين تصنيف الكتب ، فله كتاب العلم والتعليم وهو من خلال مسماه يدل على أنه ذو قيمة تربوية ، يخدم أغراض التربية ومؤسساتها ، وله كتاب الأسماء والكنى والألقاب (١) .

أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكى ت : ٣٢٤ هـ كان متصرفا فى بعض العلوم وفنونه مثل النحو وغيره من العلوم ، وقد كان مقبول الألفاظ فى درسه ، ومع ذلك لم يعبأ بالتصنيف فى كتب النحو ، مع أنه نادم ابن المعتز ، والمعتمد العباسيين ، وذلك لتأثره بالظروف السياسية السائدة فى ذلك الوقت (٢) .

أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء ، ت ٣٢٥ هـ كان يعلم النحو العامة بمكتبه ويحترف التدريس من كتبه ، فله كتاب الجامع فى النحو (٣) .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى ت : ٣٢٧ هـ أخذ علم النحو عن أبيه ، وثعلب وغيرهما وكان يتردد إلى أولاد الخليفة المكتفى بالله ، يعلمهم فقد كان أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظا من آثاره العلمية كتاب الكافى فى النحو ذكر الزركلى أنه مطبوع وله كتاب الأمثال والأضداد وكتاب الزاهر فى النحو ذكر الزركلى أنهما مطبوعان . وله كتاب الأمالى ذكر الزركلى أنه اطلع على قطعة منها كتبت فى المدرسة النظامية وقد أملاها الأنبارى على طلابه ليكتبوها عنه (٤) .

أبو بكر محمد بن على الملقب بمبرمان النحوى ت : ٣٤٥ هـ كان من كبار علماء العربية ، أخذ عن المبرد ، والزجاج ، وعنه أخذ الفارسى ، والسيرافى : وكان ضفينا بالأخذ عنه لا يقرأ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، من آثاره العلمية كتاب شرح شواهد كتاب سيبويه ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب التلقين ذكر الزركلى أنه مطبوع (٥) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٧٥/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٣٤/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢٢٧/١ ، ١٤٤٠/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٣١٥/١ وسير أعلام النبلاء : ٥٤/١٠ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤١/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٨٩/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٠٩/٥ .
(٤) معجم الأدباء : ٤١٠/٥ والوافى بالوفيات : ٣٤٤/٤ وحاجى خليفة، مرجع سابق : ٩٤٧/١،٢ ، ١٤٢٢ـ ١٤٥٣ ـ ١٩٠٥
(٥) معجم الأدباء : ٣٧٩/٥ والوافى بالوفيات : ١٠٨/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٣/٦ .

أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس ت : ٣٦٩ هـ الذى تخصص فى علم اللغة والنحو وكان جل اهتمامه مع النحو ، على مذهب المدرسة الكوفية ، فكان يناظر أصحابه فى مسائل من جنس العلم الذى يتعاطاه ، فإذا وجد صاحبه بارعا فى علمه ، جره فى المجادلة إلى اللغة ، فيغلبه فيها ، من مؤلفاته كتاب الفصيح وكتاب تمام الفصيح ، وله كتاب مقاييس اللغة ذكر الزركلى أنه مطبوع يقع فى ستة أجزاء ، وكتاب المجمل ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وقد وصف هذا المخطوط سنه ٤٧٩ هـ وأهدى هذا الوصف إلى مكتبة جامعة طهران ، وقد طبعت منه أجزاء صغيرة الآن [(١)] .

أبو إسحاق إبراهيم بن على الفارسى ت : ٣٧٧ هـ كان من أعيان العلماء فى النحو ، تتلمذ على أبى على الفارسى ، وصنف كتبا أملاها على تلاميذه منها كتاب الجرمى . وقد رحل إلى بخارى لطلب المزيد من علم علمائها [(٢)] .

أبو القاسم الحسين الملقب بابن العريف ت : ٣٩٠ هـ أخذ العربية عن ابن القوطية وقد سكن مصر مدة ثم عاد إلى الأندلس فاختاره صاحبها المنصور محمد بن أبى عامر) مؤدبا لأولاده ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح الجمل للزجاجى ذكر الزركلى أنه مخطوط فى دار الكتب المصرية [(٣)] .

تعقيب :

تحدث ياقوت الحموى عن بعض علماء النحو والصرف فى القرن الرابع الهجرى موضحا أهم مؤلفات هؤلاء العلماء ، وأثر الظروف السياسية والاقتصادية عليهم ، ومدى توافق الحياة العلمية بين المعلمين وطلاب العلم ، والتى حصر شيخنا الكثير منها فى مؤلفه (معجم الأدباء) ، وقد لاحظ الباحث من خلال هذا العرض أن تفضيل طلاب العلم كان

---

(١) معجم الأدباء : ٥٣٤/١ ، ٥٣٥ وإنباه الرواة : ٩٢/١ ، ٩٣ والزركلى ، مرجع سابق : ١٩٣/١

(٢) معجم الأدباء : ١٣٠/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٦٦/١ والوافى بالوفيات : ٥٤/٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٢١٠/٣ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٦٧/٤ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٦٠٤/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٦١/٢ .

يتم حيث قدراتهم العلمية ، وتفوقهم على سائر زملائهم بل أن الطلاب كانوا يذهبون مذهب شيوخهم فى التعليم ، وينتصرون لمذهبهم أيضا ، وذلك لأن علماء النحو والصرف فى القرن الرابع الهجرى لم يسيروا على منهج المدرسة البصرية والكوفية فقط ، بل نهجوا منهجا يخالفهما أحيانا ، كما يلاحظ أن العالم كان يوبخ المتعلم ويزجره إذا أخطأ فى مجلس التعليم ، ولا يمنعه من ضربه سوى سخرية زملائه منه ، وإهدار قيمته بين غيره من المتعلمين ، وقد كان تقدم العلماء وطلاب العلم وتفوقهم ، مرتبطا بالظروف السياسية التى يسير بها المجتمع الذى يقطنه هؤلاء العلماء متلازما ذلك مع الصفات العلمية التى يتميز بها هؤلاء العلماء وطلاب العلم الأمر الذى يساعدهم على التقدم والتفوق والنبوغ ، وتأليف الكتب وتصنيفها ، فقد جمع علاء ذلك القرن بين تأليف الكتب وبين التعليم لغيرهم من طلاب العلم بل كان ذلك القرن ميدانا لظهور التربية الخاصة ، التى منها تعليم الكبار أو العامة ، وهو ما يعرف فى عصرنا الحالى بمحو الأمية وتعليم الكبار ، والذى استقبلته كليات التربية ، وفتحت له قسما خاصا من بين أقسامها الدراسية ، كما لازم ذلك العصر أيضا ظهور نوع خاص من التعليم ، وهو ما يعرف فى عصرنا الحالى بالتعليم الخاص ، من المدارس الخاصة ، بل من الجامعات الخاصة ، وقد أخذ هذا التعليم طريقه فى القرن الرابع الهجرى فى صورة تعليم أبناء الأمراء والوزراء كتعليم خاص بعيداً عن أبناء العامة من أهل المدن التى سكنها العلماء وقد استخدم العلماء مع طلابهم بعض الطرق التربوية مثل :طريقة الإملاء من المعلم على طلابه حتى يكتبوا عنه ما يملى عليهم .

كما نلاحظ أن علماء النحو فى ذلك القرن كانوا يتقاضون الأجرة على تعليم النحو لغيرهم من المتعلمين ، فهذا بمبرمان كان يقرئ كتاب سيبويه بمائة دينار ، أجرة مقابل تعليم ، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض علماء النحو فى ذلك القرن كانوا يهتمون بالتأليف وتصنيف الكتب أكثر من اهتمامهم بتعليم الطلاب وذلك بغية إرضاء الأمراء والوزراء وكذا سماع غيرهم من العلماء عن هذه المؤلفات والإفادة منها .

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو طالب أحمد بن محمد الملقب بابن السراج ت : ٤٠١ هـ كان عارفا بالعربية قيما بها ، تعلم النحو عن أبى بكر الأنبارى وترك من مؤلفاته فى علم النحو كتاب مختصر فى النحو ، وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار ذكر الزركلى أنهما مطبوعان (١) .

أبو القاسم على بن عبيد الله الدقيقى ت : ٤١٥ هـ الذى أخذ علم النحو عن أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى ، وأبى الحسن الرمانى ، وكان مباركاً فى التعليم ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح الإيضاح وكتاب شرح الجرمى (٢) .

أبو على أحمد بن محمد المرزوقى ت : ٤٢١ هـ الذى تتلمذ على ابى على الفارسى وكان معلما لأبناء بنى بويه ، من تصانيفه كتاب شرح المفضليات ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وكتاب الأمالى قال عنه الزركلى مخطوط قطعة منه ، وله فى الصرف كتاب الأزمنة والأمكنة مطبوع فى مجلدين (٣) . ولاحظ الباحث أن جهود علماء القرن الخامس كانت تنصب حول شرح كتب العلماء السابقين لهم .

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف فى القرن السادس الهجرى : -

أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانى ت : ٥١٨ هـ الذى اهتم بتعليم النحو، وتصنيف الكتب فى هذا العلم ومن مؤلفاته كتاب نزهة الطرف ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب السامى فى الأسامى مطبوع أيضا ، وكتاب الهادى للشادى قال عنه الزركلى أنه مخطوط فى النحو ، وله كتاب النموذج فى النحو وكتاب مأوى الغريب ومرعى الأديب ذكر الزركلى أنهما مطبوعان ، وكتاب شرح المفضليات أى أسماء التفضيل ، وقد ذكر فى كتابه نزهة الطرف عشرة أبواب ، الأول : مقدمة التصريف ، والثانى أبنية الأسماء ، والثالث : أبنيه الأفعال ، والرابع : فى ألقاب الأنواع ، والخامس : أبنية المصادر ، والسادس : فى الفاعل

---

(١) معجم الأدباء : ٤٢٧/٣ وبغية الوعاة : ٢٧٢/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٠/٣ .
(٢) معجم الأدباء : ١٨١/٤ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٤٤/٧ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٠/٤ .
(٣) معجم الأدباء : ١٩/٢ وانباه الرواة : ١٠٦/١ وبغية الوعاة : ١٥٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١٢/١ .

والسابع : فى الحذف والزيادة ، والثامن : فى القلب والإبدال ، والتاسع : فى أحكام الهمزة والعاشر فى حل العقد [(١)] .

أبو جعفر أحمد بن على البيهقى ت : ٥٤٤ هـ كان إماما فى علم النحو والعربية ومن آثاره العلمية كتاب تاج المصادر فى اللغة قال فيه الزركلى أنه مخطوط فارسى عربى ومنه نسخة فى مغنسيا تحت رقم (٢٨٢٣) كتبت سنه ٩٦٣ هـ فى مجلد واحد فى ٢١٨ ورقة ، ومنه نسخة فى الأزهرية (٤/٨) ، ونسخة فى خزانة طلعت بدار الكتب ، وله كتاب ينابيع اللغة قال عنه الزركلى أنه مطبوع [(٢)] .

أبو منصور محمد بن على العتابى البغدادى ، ت : ٥٥٦ هـ كان ناسخا من أهل بغداد وصدر للقراء ، فقد تصدر للقراءة (ليقرأ عليه الناس) ، وكان يتنافس فى خطة مع أهل العلم [(٣)] .

أبو محمد سعيد بن المبارك الملقب بالدهان ، ت : ٥٦٩ هـ كان عالما من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين ، أخذ علم النحو عن الرمانى ، وأقام بالموصل يقرأ الناس عليه علم النحو ، وبجانب ذلك صنف الكثير من الكتب فله كتاب فصول ابن الدهان فى النحو وله كتاب العقود فى المقصور والممدود ، وكتاب زهر الرياض يقع فى سبعة مجلدات ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب الدروس فى النحو قال عنه الزركلى أنه مخطوط فى النحو بدار الكتب ، مصور عن شهيد على (٢٣٤٩/١) ، وعليه شرح من تأليفه [(٤)] .

على بن سليمان المعروف بحيدرة اليمنى ت : ٥٩٩ هـ الذى اهتم بعلم النحو حتى كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علما ونحوا ، من آثاره العلمية كتاب كشف المشكل فى

---

(١) معجم الأدباء : ٢٥/٢ وابن العماد ، مرجع سابق : ٥٨/٤ وانباه الرواة : ١٢١/١ والوافى بالوفيات ١٢٧/٦ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١٤/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٨٥/١ - ٩٧٤ ، ١٠٤٣/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٥١٦/١ وتذكرة الحفاظ : ٩٨/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ١٧٣/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٧٥/٥ وانباه الرواة : ١٨٨/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٨٩/٤ ، ٥١٩/١
(٤) معجم الأدباء : ٣٨٠/٣ والوافى بالوفيات : ٨٥/١٣ والزركلى ، مرجع سابق : ١٠٠/٣ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢١٢/١ - ٧٥٢ - ٨٧٢ - ٩٦٠ .

النحو قال عنه الزركلى رأيت مخطوطته عند (محمد بن إبراهيم الكتانى) فى الرباط وقد مدح مخطوطته بقوله : -

صنفت للمتأدبين مصنفا سميته بكتاب كشف المشكل
سبق الأوائل مع تأخر عصره كم آخر أزرى بفضل لأول
قيدت فيه كل ما قد أرسلوا ليس المقيد كالكلام لمرسل (١)

وذكر ياقوت من علماء النحو والصرف في القرن السابع الهجرى : -

أبو عبد الغنى سليمان بن بنين الملقب تقى الدين الدقيقى ت : ٦١٣ هـ بالقاهرة اهتم بالكتابة والتصنيف فى علم النحو، ومن مؤلفاته فى هذا العلم، كتاب فرائد الآداب فى قواعد الإعراب قال الزركلى عنه أنه مطبوع وكتاب لباب الألباب فى شرح كتاب سيبويه قال الزركلى أنه مخطوط الجزء الأول منه فى خزانة (حسن حسنى عبد الوهاب بتونس)، وكتاب الأحكام الشوافى فى أحكام القوافى قال عنه الزركلى أنه مطبوع (٢)

أبو نصر محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركمان شاه ت : ٦٢٠ هـ الذى ظهر إهتمامه بعلم النحو : ذكر الزركلى قول القفطى : رأيت مصنفه التبر المسبوك وهو من حسان ما جمع فى علم النحو وانتقل إلى وهو فى ملكى وفيه فوائد جميلة، صنفه لابن صديقه (عبد الواحد بن مسعود المسمى : بالشريف أبى منصور (٣).

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسى السلمى الملقب بشرف الدين، ت : ٦٥٥ هـ اهتم بعلم النحو فرحل فى طلبه من مرسيه إلى الأندلس، وزار خراسان وبغداد، وأقام بحلب مدى وبدمشق، وانتقل إلى مصر سنه ٦٢٤ هـ، من مؤلفاته كتاب الضوابط النحوية فى علم العربية وكتاب الكافى فى النحو ذكر الزركلى أنهما من الكتب المطبوعة (٤)

---

(١) معجم الأدباء : ١٢٥/٤ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق : ١٠٥/٧ والزركلى، مرجع سابق : ٢٩١/٤ وحاجى خليفة، مرجع سابق : ١٤٩٥/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٩٣/٣ وبغية الوعاة: ٢٦١/١ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق : ٢٥٦/٤ والزركلى، مرجع سابق : ١٢٢/٣ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٤٦/٥ وابن العماد، مرجع سابق : ٩٣/٥ والزركلى، مرجع سابق : ١٥٠/٦
(٤) معجم الأدباء : ٣٥٠/٥ والوافى بالوفيات : ٣٥٤/٣ والزركلى، مرجع سابق : ٢٣٣/٦ .

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء النحو فى القرن السابع الهجرى اهتموا بدراسة علم النحو، تعلما وتأليفا، وقد سار هؤلاء العلماء على نهج المتقدمين من العلماء فقد تشابهت مؤلفاتهم، بل أن أكثرهم قام بشرح وتوضيح المؤلفات التى كتبها العلماء من قبلهم، وكان بعض العلماء يكتب مؤلفاته بغية التقرب إلى الأمراء والوزراء، وذلك عن طريق إهداء هذه المؤلفات إليهم، ولم تتطور عملية الكتابة فى القرن السابع الهجرى كثيرا بل ظلت تخطو فى خطى ثابتة ومنتظمة، ولذلك فإن علماء القرن السادس قد ابتكروا بعض الطرق التربوية الجديدة فى كتاباتهم، فقد رأينا ابن الحاج القناوى الذى جعل عوامل الإعراب فى جداول يسهل تناولها، ويسهل فهمها على الطلاب الدارسين لعلم النحو ومنه يمكن إكتشاف ما وقع فى النص المكتوب من أخطاء، كل هذا وذلك بجانب الطرق التقليدية القديمة من الحفظ والإملاء، وكان هذا التطور فى القرن السادس بهدف إسباغ الطرق التربوية على التعليم فى ذلك القرن.

ومن خلال عرضنا لعلماء النحو فى القرن الأول حتى القرن السابع الهجرى تبين لنا أن علماء النحو أدركوا أهمية علم النحو فى حياتهم العلمية، فإنه من غير شك أن للنحو دورا أساسيا واضحا فى كشف معانى النص الشرعى، إذ النحو اصل من أصول الدين، ومعتمد من معتمدات الشريعة، وما كان لباحث أن يتصدى للنظر فى القرآن الكريم، والكتابة فى أى علم من العلوم النقلية إلا إذا كان فقهيا فى علم النحو، وذلك لأن منزلة النحو فى العلوم اللسانية، يتساوى ومنزلة الدستور من القوانين الحديثة، فهو أصلها الذى تستمد عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه فى جليل مسائلها وفروع تشريعها فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن علم النحو، أو يستغنى عن معونته أو يسترشد بغير هداه.

وقد ذكر ذلك دكتور جمال عبد العزيز فى مقاله: (من المناظرات بين النحاة والفقهاء) بقوله: " مما اختص به علم العربية من الفضل أن كل علم يفتقر إليه، ولهذا

تنافس فيه جلة من العلماء وأعاظم الفقهاء وتعلم النحو معرفته ضرورى فى تعلم الشريعة لأن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، وقد نقلها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ، ومن أهمها علم تقويم اللسان وهو النحو [(١)] .

ثانيا : علم اللغة :

ذكر ياقوت الحموى من علماء اللغة فى القرن الأول الهجرى : -

أبو الأسود ظالم بن عمرو الملقب بالدؤلى والمعروف بالحاضرى الجواب ، ت : ٦٧هـ وإليه ينسب الفضل فى وضع علم اللغة ، فقد رفع إلى زيادة بن أبيه أن يضع علما يقوم به ألسنة الناس من الخطأ ، وعلل ذلك بقوله : إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم وفسدت ألسنتها ، فقال له زياد لا تفعل ، حتى جاءه رجل وقال له : لقد توفى أبانا وترك بنون فقال زياد ، ادعو لى أبا الأسود ، فلما جاءه قال له : ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ، وقيل رسم له (على بن أبى طالب) شيئا من أصول النحو فكتب فيه أبى الأسود ، وأخذه عنه جماعة ، وقد سكن الدؤلى البصرة فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، ولم يذكر له ياقوت شيئا من مؤلفاته التى كتبها ، وكذلك جل كتب التراجم لم تذكر له أيضا [(٢)]

وذكر ياقوت من علماء اللغة فى القرن الثانى الهجرى : -

أبو عبد الله القاسم بن معن المسعودى ت : ١٨٨ هـ كان من علماء الكوفة بالعربية واللغة ، والثقات فى النقل واللغة ، يناظر فى كل فن أهله ، وقد جالس أبا حنيفة وحدث عن عاصم ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان الفراء كثير الرواية عنه ، ومن آثاره العلمية التى ذكرها له شيخنا ، كتاب النوادر وكتاب غريب المصنف ذكر الزركلى أنهما مطبوعان فى علم اللغة [(٣)] .

---

(١) جمال عبد العزيز أحمد ، من المناظرات بين النحاة والفقهاء ، مجلة الأزهر ، العدد السادس : اكتوبر/نوفمبر سنه ١٩٩٦ م ص ٨٨٩ .

(٢) معجم الأدباء: ٤٣٦/٣ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٤٧/٥ والوافى بالوفيات : ١٢٧/١٤ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٧٧٠/١ .

(٣) معجم الأدباء: ٤/٥ وتذكرة الحفاظ: ٢٢٠/١ والعسقلانى، مرجع سابق: ١٢٠/٣ والزركلى ، مرجع سابق: ١٨٦/٥ .

وذكر ياقوت من علماء اللغة فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو عبد الله محمد بن زياد الملقب بابن الأعرابى ت : ٢٣٢ هـ كان علامة باللغة من أهل الكوفة ، ويقول ثعلب شاهدت مجلس ابن الأعرابى ، يحضره زهاء مائة إنسان يسألهم ويقرأ عليهم ويجيب من غير كتاب ، وقد اعتمد فى تعليم طلابه على الإملاء . فقد أملى على الناس ما يحمل على إبل ، وبهذا كان ابن الأعرابى من أئمة اللغة المشار إليهم فى العلم ، ومن آثاره العلمية كتاب النوادر المفيدة ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وكتاب الحيل وكتاب الألفاظ فى علم اللغة ذكر الزركلى أنهما مطبوعان . وله كتاب الأمثال السائرة فى اللغة ذكر عنه الزركلى أنه مخطوط (١) .

أبو جعفر محمد بن حبيب ، ت : ٢٤٥ هـ كان مؤدبا لأهل بغداد ، وبجانب ذلك اهتم بالكتابة والتصنيف ، وكانت كتبه صحيحة ، وقد ذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب المحبر قال الزركلى عنه أنه مطبوع ، وقد ينسب إليه فيقال المحبرى ، وله كتاب نقائص جرير والفرزدق ذكر الزركلى أنه مطبوع وله كتاب أنساب الشعراء قال عنه الزركلى أنه مطبوع (٢) .

ومن خلال العرض السابق لاحظ الباحث أن علماء اللغة فى القرن الأول الهجرى اقتصروا على نشر علم اللغة بين المتعلمين دون الاهتمام بالكتابة والتأليف فى هذا العلم بينما جمع علماء القرنين الثانى والثالث الهجريين بين تعليم طلابهم وبين الكتابة وتصنيف الكتب فى علم اللغة ، وقد اعتمد علماء اللغة على طريق الإملاء فى تعليم طلابهم وقد شهدت مجالس التعليم تزايد عدد المتعلمين فى القرن الثالث الهجرى بهدف الاضطلاع بهذا العلم .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٣٦/٥ والوافى بالوفيات : ٧٩/٣ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢٨٢/٥ وابن العماد مرجع سابق : ٧٠/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١١/١٠ والبغدادى ، مرجع سابق : ١٢/٢ والزركلى مرجع سابق : ١٣١/٦ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٤١٥/٢ - ١٤١٩ - ١٤٥٢ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٨٩/٥ وابن النديم ، مرجع سابق : ١٠٦/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٨/٦ وحاجى خليفة مرجع سابق : ١٧٩/١ ، ١٤٦٦/٢ ١٩٧٣ .

وذكر ياقوت من علماء اللغة فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو محمد سلمة بن عاصم ت : ٣١٠ هـ كان عالما بالعربية ، وتتلمذ على يد الكثير من علماء اللغة ، فقد أخذ عن خلف الأحمر وسمع منه كتاب العدد ، وأخذ عن سلمة بن يحيى ثعلب ت : ٢٩١ هـ وقد مدحه فقال : كان سلمة حافظا لتأدية ما فى الكتب حاذقا بالعربية ، من آثاره العلمية كتاب المسلوك فى العربية قال عنه الزركلى أنه مخطوط (١)

أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ، ت : ٣٢١ هـ كان من أئمة اللغة وقد رحل فى طلبها إلى عمان ، وعاد إلى البصرة ، ثم بغداد ، فأجرى عليه المقتدر العباسى خمسين دينارا فى كل شهر ، كأجرة مقابل تعليم أبناءه ، وقد ذكر له شيخنا من المؤلفات كتاب الوشاح فى الآداب وكتاب المقصورة الدريدية وقال عنهما الزركلى أنهما مطبوعان وله من الكتب أيضا كتاب الجمهرة وكتاب الحيل (٢) .

أبو عبد الله الملقب بالزاهد المطرز . ت : ٣٤٥ هـ كان عالما باللغة ، وأحد أئمتها المكثرين من التصنيف وقال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدى : لم يتكلم فى اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبى عبد الله الزاهد فهو من تلاميذ ثعلب وقد أملى من حفظه نحو ثلاثين ألف ورقة ، من تصانيفه كتاب الياقوتة فى اللغة وكتاب المدخل فى اللغة الذى نشر فى رسالة بمجلة المجمع العلمى وكتاب المرجان فى اللغة وقد ذكر الزركلى أنهم من الكتب المطبوعة . وله استدراك على فصيح ثعلب ، والعين ، والجمهرة فقد ألحق بكل منهم جزءا لطيفا (٣) .

أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ت : ٣٥٦ هـ ببغداد ، كان من أحفظ أهل زمانه فى اللغة ، وإماما فيها ، ومتقدما متقنا لها ، وقد استفاد الناس منه

---

(١) معجم الأدباء: ٣٩٢/٣ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٢٤٠/٤ وإنباه الرواة: ٥٦/٢ والزركلى، مرجع سابق: ١١٣/٣

(٢) معجم الأدباء : ٣٠١/٥ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٢٤٠/٣ والسبكى ، مرجع سابق : ١٤٥/٢ وجورجى زيدان ، مرجع سابق : ١٨٨/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٣٦٣/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٥٠٠/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٣٥٦/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ١٧٦/٤ .

واتخذوه حجة فيما نقله ، وقد ألف فى علمه هذا تآليف مشهورة تدل على سعة علمه ساعده فى ذلك المستنصر بن الناصر ، الذى رغبة فى ذلك العلم وأكرمه .ومن مؤلفاته كتاب أمالى القالى فى الأخبار والأشعار ذكر الزركلى أن حجمه يبلغ نحو ثلاثة آلاف ورقة ويقول لا نعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله . وله كتاب البارع فى اللغة وهو على حروف المعجم (١) .

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأشبلى اللغوى ت : ٣٧٩هـ كان عالما باللغة ولذا طلبه المستنصر بالله إلى قرطبة ، حتى يؤدب فيها ، فتعلم على يديه ولى عهد الحكم هشام المؤيد بالله . ومن آثاره العلمية التى ذكرها له شيخنا كتاب مختصر العين قال عنه الزركلى أنه مخطوط ، وقال عنه شيخنا ياقوت : إن أهل الغرب يتنافسون فى كتبه خصوصا كتابه الذى اختصره من كتاب العين لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه وله كتاب الاستدراك على سيبويه فى كتاب الأبنية قال عنه الزركلى أنه مخطوط من مخطوطا فى الفاتيكان تحت رقم (٥٢٦ عربى) وكتب سنه ٦٢٢ هـ (٢) .

أبو على محمد بن الحسن الملقب بالحاتمى ت : ٣٨٨ هـ الذى جمع بين الأدب واللغة فقد روى عن أبى عمرو أخبارا فى مجالس الأدب ، وقد أخذ عنه ابن دريد ، وكان من حذاق أهل اللغة ، شديد المعارضة فى هذا العلم ، ومن مؤلفاته كتاب الحالى العاطل وكتاب حلية المحاضرة قال عنه الزركلى أنه مخطوط فى مجلدين ، منه نسخة فى القرويين بفاس برقم (٥٩٠) ، وله كتاب مختصر فى العربية ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وقد طبع جزء منه (٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٠٤/٢ وسير أعلام النبلاء : ٧٤/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٨٦/٢ وإنباه الرواة ٢٠٤/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٢١/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٣٣٠/٥ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٥١٤/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ٩٤/٣ والزركلى مرجع سابق : ٨٢/٦ .

(٣) معجم الأدباء : ٣١٣/٥ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢١٤/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٢/٦ .

تعقيب :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت (رحمه الله) قد تحدث عن أعلام علماء اللغة فى القرن الرابع الهجرى ، الذين اهتموا بتدريس علم اللغة لتلاميذهم ، بل والكتابة والتأليف فى هذا العلم . وبذلك يذكر شيخنا ياقوت نوع من أنواع الكتاب المدرسى الذى تناوله علماء القرن الرابع الهجرى ، فى الكتابة والتدريس ، وهو شرح كتابات العلماء . فإن كل عالم وضع كتابه ليفهم بذاته من غير شرح وإنما احتيج إلى الشرح لأن كمال مهارة المصنف تتمثل فى قوة ذهنه وحسن عباراته فهو يتكلم على معان دقيقة بكلام وجيز يدل دلالة كافية على معرفة المطلوب . ولكن الذين يدرسون هذا الكتاب فهم ليس فى مرتبته فربما عسر عليهم فهم بعض عبارات الكتاب ، أو تعذر فهمها ، فيحتاج الأمر إلى زيادة بسط فى العبارة لتظهر تلك المعانى الخفية ، ومن هنا شرح بعض العلماء تصنيفات غيرهم من العلماء ، بالإضافة إلى أن المؤلف قد يهمل ذكر بعض القضايا المتعلقة بموضوع الكتاب فيكون فى حاجة إلى الشرح لبيان هذه القضايا المهملة وتوضيح ما يمكن توضيحه فى ذلك العلم ، بل وترتيب بعض القضايا حتى تساير تقدم العصر الذى يعيشه الشارح ، كما أن المؤلف قد يضمن كتابه بعض العبارات المجازية البلاغية والتى تتضمن أكثر من تأويل فيكون على الشارح توضيح وبيان أغراض هذه العبارات وترجيح المناسب منها ، كما أن الشرح قد يكون أحيانا حذفا لبعض القضايا والعبارات المتكررة بغير ضرورة ، ولذلك فقد ذكر ياقوت فى تراجمه للعلماء الكثير من هذه الشروح التى قام بها بعض العلماء على مصنفات العلماء المتقدمين عليهم .

كما لاحظ الباحث كثرة اهتمام الأمراء والوزراء بتعليم أبنائهم فى ذلك القرن لعلم اللغة مما جعل الكثير من العلماء يهتمون بتدريس هذا العلم ، بل ويتجهون إلى الإكثار من مؤلفاتهم فيه ، فقد كان بعض الحكام يطلبون العلماء من أماكن إقامتهم حتى يأتوا لتعليم أبنائهم كما فعل المستنصر العباسى ، ساعد العلماء على ذلك وجود أكثرية عربية

فى المناطق التى أرخ لها شيخنا ياقوت جعلت تعلم اللغة أمر ضرورى ومهم بالدرجة الأولى لدى الأسر، وعلى وجه الخصوص الأوساط الفصيحة.

كل ذلك جعل العلماء يتجهون إلى كثرة الاختصارات فى الكتب، حتى يسهل تعلمها لدى طلاب العلم، وبخاصة تعليم أبناء الأمراء والسلاطين، فقد كانت المختصرات لهذه الكتب من أجل التقرب إلى الحكام عن طريق تعليم أبنائهم.

وذكر ياقوت من علماء اللغة فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو نصر إسحاق بن أحمد الملقب بالصغار، ت : ٤٠٥ هـ بالطائف، كان أحد أفراد زمانه فى علم اللغة العربية، والمعرفة بدقائقها الخفية، وقد تتلمذ عليه الكثير من أهل بغداد، ثم خرج إلى الطائف وبها توفى، وكانت رحلاته بهدف السماع من العلماء لمعرفة الكثير من دقائق علم اللغة، فقد سمع من الكنانى الكندى ت : ٣٢٧هـ، وروى عنه التميمى البغدادى ت : ٤٤٤ هـ ومن آثاره العلمية كتاب المدخل إلى سيبويه وكتاب المدخل الصغير ذكر الزركلى أنه يقع فى نحو خمسمائة ورقة (١).

أبو عبد الله جعفر القزاز، ت : ٤١٢ هـ كان إماما علامة قيما بعلوم العربية رحل إلى مصر فى خدمة العزيز بالله الفاطمى، وعاد إلى القيروان فتصدر لتدريس اللغة والأدب وكان من نماذج شعراء القيروان. وذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب الجامع فى اللغة قال عنه حاجى خليفة هو كتاب معتبر غير أنه قليل الوجود، وله كتاب المثلث فى اللغة ذكر الزركلى أنه مخطوط، وكتاب العثرات فى اللغة ذكر الزركلى أنه مطبوع وكتاب أدب السلطان والتأدب له ذكر الزركلى أنه مطبوع يقع فى عشرة أجزاء (٢).

أبو غالب تمام بن غالب الملقب بابن التيان ت : ٤٣٦ هـ كان إماما فى اللغة والأدب، من أهل مرسية بالأندلس، من آثاره العلمية كتاب تلقيح العين فى اللغة قال

---

(١) معجم الأدباء : ١٦٠/٢ والمزهر فى علم اللغة : ٣٤٦/٢ والزركلى، مرجع سابق : ٢٠١/٢ .

(٢) معجم الأدباء : ١٦٢/٢، ٢٨١/٥ والوافى بالوفيات : ٣٠٤/٢ وابن خلكان، مرجع سابق : ٥١٤/١ وحاجى خليفة مرجع سابق : ٥٧٦/١، ١٥٨٧/٢ - ١٨٠٨ والزركلى، مرجع سابق : ٧١/٦ .

عنه حاجي خليفة ، لم يؤلف مثله ، اختصارا وإكثارا ، ومما يدل على فضل هذا الكتاب على غيره من كتب اللغة التى سبقته ، أن الأمير بالجيش العامرى ت : ٤٣٦ هـ أرسل إلى مؤلفه ألف دينار أندلسية ، على أن يزيد فى ترجمته لهذا الكتاب فرفض ، ورد الدنانير ، وقال لقد جمعته لكل طالب عامة (١) .

تعقيب :

لاحظ الباحث هنا أن ياقوت الحموى أرخ لقضية من قضايا التربية والتعليم فى القرن الخامس الهجرى وما قبله وهى قضية المعلم ، وهى من أهم القضايا التربوية التى جمعها وأوضح لها كتابه (معجم الأدباء) ، لا سيما وأن وظيفة المعلم من أشرف الوظائف ، ذلك أن أشرف مخلوق على الأرض هو الإنسان ، والمعلم يقوم بتعليم هذا الإنسان وتهذيبه وإرشاده ، ومن ثم كانت وظيفته هى اشرف المهن ، وأفضلها على الإطلاق ومن اشتغل بمهنة التعليم فقد تقلد أمرا عظيما ، وقد ذكر ياقوت فى ترجمة ابن التيان قوله أنه جمع الكثير من صفات المعلم المثالى فى التربية ، حيث أنه قام بوظيفته فى كتابة المؤلفات حتى يتعلم منها طلاب العلم ، ويرفض أن يأخذ على ذلك أجرة من الأمراء والوزراء ، فهو يقوم بوظيفته بدافع إسلامى نبيل ، وينشر العلوم والمعارف بدافع ابتغاء وجه الله - عز وجل - وقد صورت كتب التراث المعلم المثالى بالكثير من الصور الإسلامية فيذكر ابن جماعة أن المعلم المسلم المثالى هو الذى يقصد بتعليم طلابه وتهذيبهم وجه الله تعالى ، ونشر العلم ، وإحياء الشرع ، ودوام ظهور الحق ، وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائها (٢) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٦٠/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٦/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٤٨١/١ .
(٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم نقلا عن الفكر التربوى الإسلامى : ص ص : ٣٩٤ - ٣٩٦

والمعلم هو الذى يرغب طلابه فى العلم ويحثهم على طلبه والإقبال عليه فى أكثر أوقاتهم ، وذلك لا يكون إلا إذا رأى الطلاب عدم تدنى المعلم أمام هذه النقود ، وإنما يكون "بذكر ما أعد الله - تعالى - للعلماء من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء " (١) .

استدراك من الباحث على التراجم التى لم يذكرها شيخه ياقوت :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت (رحمه الله) ، عند عرضه لتراجم العلماء فى القرن الخامس الهجرى ، قد أغفل علما من أعلام اللغة وأهمل ذكره ألا وهو الإمام المتمكن المتبحر فى علم اللغة : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى ت : ٤٣٠ هـ وكان رحمه الله شيخ الأدب واللغة فى عصره ، وإمام اللغة فى زمانه ، له من المؤلفات الممتعة الشيىء الكثير ، ومن التصانيف النافعة العدد الكثير ، وليس أدل على فضله وسعته علمه ، من كتابه العظيم فقه اللغة .

ولسنا ندرى فى الحقيقة سببا يسوغ لشيخنا ياقوت عدم ذكره الثعالبى إلا أن نقول أنه ذهول منه عن الرجل ، وعدم توارد لقدره على خاطره حال الكتابة ، وكم لهذا من نظير فى كتب التراجم ، فهذا ابن خلكان يغفل ترجمة ابن مالك صاحب الألفية ت:٦٧٠هـ رغم أنه قرينه ، وصديقه وكانت بينهما مودة وتزاور ، ولم يكن ثمة تنافس يدفع ابن خلكان إلى إغفال ابن مالك .

وهذا الإمام العلامة الحافظ ابن كثير يغفل عن ذكر الإمام القرطبى صاحب التفسير فى كتابه البداية والنهاية ، رغم أنه يلهج بذكره ، والنقل عنه فى تفسيره بإسراف

عودة إلى الإمام الثعالبى ولمحة عن كتابه فقه اللغة فهو كتاب مشهور متداول، من معاجم المعانى التى يؤمها من يعرف المعنى ، ويريد الوقوف على اللفظ الذى يعبر عن هذا المعنى ، وقد جمع فيه الثعالبى أقوال أئمة اللغة ، وقد نسج هذه الأقوال حتى صارت عقدا واحدا يزين به جيد فكره اللغوى كل محب للغة القرآن (٢) .

---

(١) محمد عطية الإبراشى ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الباب الحلبى ١٩٦٩ م ص ص ٢٧٦ - ٢٧٨
(٢) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٢٨٨/٢ .

وقد حمل الثعالبى على هذا الكتاب حملاً من الأمير أبى الفضل الميكالى ، فهو صاحب فكرته والآمر به . وقد أشار الثعالبى إلى ذلك فى مقدمة كتابه بقوله " كانت تجرى فى مجلس الأمير أبى الفضل الميكالى نكت من أقاويل أئمة الأدب فى أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها مما لم يتنبهوا لجمع شمله ولم يتوصلوا إلى نظم عقده وإنما اتجهت لهم فى أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات فقال لى الميكالى ؛ ليس له إلا أنت فإن أخذت فيه أجزت وأحسنت ، فقلت : سمعا "(١) .

وبذلك نلاحظ أن الثعالبى لم يأخذ مقابل مادى من الميكالى ، سوى طلب العفو والرضا والتقرب إليه .

وعن هذا الكتاب يقول " أمين فاخر " : لقد اختار الثعالبى لمؤلفه اسما يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه " (٢) .

ويبدو أن الميكالى استمد تلك التسمية من أحمد بن فارس ت : ٣٩٥ هـ صاحب كتاب الصاحبى فى فقه اللغة فهو أول من سمى من العلماء فقه اللغة ، إذ لم يقف أحد الباحثين إلى الآن على أحد سمى بهذا من قبله (٣) .

وللثعالبى أيضاً كتاب يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر وقد نوع فيه بين أهل الأدب واللغة والشعر فى همذان والشام ومصر والعراق ، وأهل فارس وأهل خراسان وما وراء النهر ، وبذلك هو من أحسن الكتب الأدبية ، وأكملها بلاغة ونظما (٤) .

وله كتاب سر الأدب فى مجارى كلام العرب ذكر الأنبارى أن الثعالبى جمع فيه بين كتابى فقه اللغة ، وسر الأدب وسماه فقه اللغة وسر العربية وأطلق عليه أحيانا اسم

---

(١) الثعالبى ، يتيمة الدهر ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، (مطبعة الصاوى ، ١٩٣٤ م ، ص ١٥ .
(٢) أمين فاخر ، دراسات لغوية : ص ١٧ .
(٣) المرجع السابق : ص ١٧ .
(٤) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ٩٨٥/١ .

شمس الأدب فى استعمال العرب وقد ذكر ذلك بروكلمان وقال عنه : هو كتاب فى المترادف ، ألفه وقد تقدمت به السن ، وقد جمع فيه بين أسرار اللغة وخصائصها (١) .

قيمة فقه اللغة العلمية : -

كان لهذا الكتاب أثره الذى لا ينكر فى التأليف اللغوى بوجه عام ، وممن عرف له قدره من علماء اللغة السيوطى ت : ٩١١ هـ فى مزهره ، فقد نقل عنه السيوطى فصولا كاملة فى المزهر فى علم اللغة ، غير أن السيوطى أجاد فيه وابتكر فى ترتيبه ، واخترع فى تنويعه وتبويبه ، لم يسبق إليه ، وقد وصف السيوطى كتاب فقه اللغة بقوله : هو مجلد جمع فيه الثعالبى فأوعى (٢) .

ويقول الزبيدى : أن كتاب فقه اللغة من الكتب التى اعتمدت عليها فى تأليف معجم الجامع (تاج العروس من جواهر القاموس) (٣) .

وبذلك نلاحظ أن شيخنا قد أغفل موسوعة لغوية أفاد منه العلماء الذين كتبوا بعده فى علم اللغة .

وذكر ياقوت من علماء اللغة فى القرن السادس الهجرى : -

أبو المظفر الأبيوردى ت : ٥٠٧ هـ الذى اهتم بعلم اللغة ، فيقول كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرن طبيعى على العربية ، وظل على ذلك حتى صار أوحد عصره وفريد دهره فى معرفة اللغة ، وذكر له شيخنا ياقوت من آثاره العلمية كتاب الدرة الثمينة فى اللغة ذكر الزركلى أنه مطبوع (٤) .

---

(١) الأنبارى ، مرجع سابق : ص ٣٦٥ . وبروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، تحقيق عبد الحليم النجار : ١٨٨/٥ ، ١٨٩ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٠٦٠/٢ - ١٦٦٠ .

(٢) المزهر فى علم اللغة : ١٢٣/١ - ٢٦٨ .

(٣) الزبيدى ، تاج العروس : ٤/١ نقلا عن : إحياء علوم الدين للغزالى ؛ ١١٠/١ .

(٤) معجم الأدباء : ١٦٥/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٨/٤ والسبكى ، مرجع سابق : ٦٢/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٦/٥ .

أبو رشاد أحمد بن محمد الملقب بذى الفضائل ت : ٥٢٨ هـ كان فاضلا بارعا ، له الباع الطويل فى معرفة اللغة ، وله ردود على جماعة من الفضلاء ، وكان يكتب فى دواوين السلاطين ، من مؤلفاته كتاب الزوائد فى شرح سقط الزند للمعرى (١) .

أبو سعد آدم بن أحمد الهروى ت : ٥٣٦ هـ كان يجتمع إليه أهل بلدته ببغداد وعلمائها ليتعلموا منه ، فقد كان عالما بأصول اللغة ، بل كان مالكا لرقاب اللغة (متمكن منها) .

أبو الفضل محمد بن أبى القاسم الملقب زين المشايخ ت : ٥٦٢ هـ كان إماما فى اللغة وحجة فى لسان العرب ، أخذ علم اللغة والإعراب عن الزمخشرى ، ثم بعد أن تمكن من علم اللغة ، جلس مكان الزمخشرى للتعليم ، من آثاره العلمية كتاب تقويم اللسان ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب منازل العرب فى الأدب قال عنه الزركلى أنه مخطوط (٢)

تعقيب :

من خلال ما قدمه الباحث من عرض بعض التراجم التى أوردها ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) تبين للباحث أن شيخه ياقوت أرخ للكثير من العلماء من حيث المهنة التى كانوا يقومون بها بجانب التعليم ، فذكر أن من العلماء من كان ينسب بصفة دائمة إلى مهنة التعليم بصفته معلما ، يقوم بتعليم أهل المدينة التى يسكنها ، ومنهم من يقوم بالتعليم الخاص لأبناء الأمراء والسلاطين فهو مدرس ، أو معلم خاص بديوان (بلاط) السلطان .

وقد ذكر ياقوت بعض الوظائف التى شغلها هؤلاء العلماء ، ومن خلال عرض الباحث لتراجم العلماء تبين له أن نسبة الذين امتهنوا مهنة التجارة أو الحرف ، إزدادوا

---

(١) معجم الأدباء : ٢٨/٢ وانباه الرواة : ١٣٢/١ وبغية الوعاة : ١٦٢/٢ ومعجم البلدان : ١٥٠/١ وعمر رضا كحالة مرجع سابق : ١٤٤/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١٥/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٤١٥/٥ وبغية الوعاة : ٩٢/١ والوافى بالوفيات : ٣٤٠/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٣٥/٦ .

خلال القرنين الثاني والثالث الهجري ، وتدل التراجم على أن الحرف ومجالات التجارة تنوعت إلى حد كبير في هذين القرنين .

ففي القرن الثاني ظهرت بعض الألقاب مثل : الخياط ، والسراج والصباغ والصفار ، والمراكبي والتمار ، والزجاج ، والقطان (بائع القطن والحنطة والشعير) .

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده حتى وفاة شيخنا ياقوت ظهرت بعض المهن الأخرى وضحت من خلال تراجم بعض العلماء ، ومن هذه المهن : الجوهري أو الصانع والدهان والإسكافي والخفاف والحداد ، والدباس بجانب ظهور بعض الألقاب العلمية مثل ، ابن الفقيه ، وزين المشايخ ، والإمام ، والعابد .

ثم يوضح شيخنا ياقوت أن هؤلاء العلماء لا يمكنهم الجلوس والتصدر لمجالس التعليم إلا بعد الأخذ عن مشايخهم ، وأن تلحقهم الإجازة من هؤلاء العلماء حتى يجلسوا في أماكنهم لتعليم غيرهم من طلاب العلم ، فكان على المعلم ألا يتصدى لمهنة التدريس إلا إذا أتقن ما يعلمه للطلاب وألا يستحي أن يطلب علماً يجهله أو يعترف بقصوره العلمي إذ لم يكن يعلم ، بل عليه أن يسعى إلى تكميل نفسه علميا ، ولذلك فإنه لا ينتصب (المعلم) للتدريس إذا لم يكن أهلا له ، ولا يقوم بالتدريس من لا يعرف هذا العلم [١] ، كذلك عليه " أن لا يستنكف أن يستفيد مالاً بعلمه ، ممن هو دونه ، منصباً أو نسباً فيكون حريصا على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها [٢] .

ثالثا : علم الأدب :

أرخ ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) لبعض العلماء الذين تحدثوا عن عامة أخبار الأعراب ، ومجالس الأدباء ، وصنفوا في هذا العلم ، ودرسوا الكثير من هذه المؤلفات لتلاميذهم ، وقد صنف الباحث هؤلاء العلماء حسب تاريخ الوفاة ، كما تسير خطوات

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، بحوث في التربية الإسلامية ، (دار الفكر العربي ، د.ت) ص ٧٨ .
(٢) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، الجزء الأول ، (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، د.ت) ص ١١ .

البحث ، موزعا ذلك على القرون الهجرية التى بها العالم ، فقد يكون نشاط العالم فى قرن هجرى ثم يتوفى فى القرن اللاحق ، فيذكره الباحث فى القرن الذى توفى به .

وذكر ياقوت من علماء الأدب فى القرن الثانى الهجرى : -

من خلال عرض الباحث لتراجم العلماء الذين أوردهم ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) لم يتعرض بالذكر لعلماء الأدب (الأدباء) فى القرن الأول الهجرى ، غير أنه ذكر الكثير من علماء الأدب الذين توفوا فى القرن الثانى الهجرى ومنهم : -

أبو عمر زيان بن العلاء الملقب بالإمام ت : ١٥٤ هـ بالكوفة ، كان يهتم بعامة أخبار الأعراب الذين أدركوا الجاهلية ، وأخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى ت : ٢٠٩ هـ والأصمعى ، ومعاذ بن مسلم النحوى ت : ١٨٧ هـ ، وكان أبو عمر أعلم الناس بالأدب وأيام العرب ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف [(١)] .

ولاحظ الباحث هنا اهتمام أبو عمر بأخبار أهل الأدب عن الأعراب الذين اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا فى التربية والتعليم لأبنائهم فقد " كانت التربية عندهم (فى العصر الجاهلى) ترمى إلى إعداد النشء لتحصيل ما هو ضرورى لحفظ الحياة مثل آبائهم فى كسب العيش أو تخريج الأحداث فى الصناعات والمهن المختلفة ، وقد كانت الأسرة فى هذا النظام من أهل وسائل التربية عند العرب ، وقد تشاركها فى ذلك العشيرة التى تجمع أفرادها أواصر النسب وروابط القرابة " [(٢)] .

ولاحظ الباحث من خلال ترجمة شيخه ياقوت لأبى عمر أن هذه التربية لم يكن لها طرق معهودة ومحددة ، وإنما كان الأطفال يأخذون ما يصلهم من الآداب والأخلاق والمعارف عن طريق التقليد والمحاكاة ، ونصائح الآباء والأمهات ، وذلك بخلاف الخضر فقد كانت التربية عندهم واضحة عن طريق التدريس بطرقه المختلفة " [(٣)] .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٤٧/٣ وابن خلكان، مرجع سابق: ٣٨٦/١ والزركلى، مرجع سابق:٢٧٢/٧، ٢٥٨/٧، ٤١/٣ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٤١/٣ .
(٢) عمر رضا كحالة ،فى ربوع التربية والتعليم، (مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م) ص ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) المرجع السابق : ص ص ٨٧ ، ٨٨ .

وذكر ياقوت من علماء الأدب في القرن الثالث الهجرى : -

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى العدوة اليزيدى ت : ٢٢٥ هـ ، كان عالما بالأدب مجيدا وكان من ندماء المأمون العباسى ، له معه أخبار فى مجالس أنسه ، وذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه إبتدأ فيه وهو ابن سبع عشرة سنة ولم يزل يكتب فيه إلى أن أتت عليه ستون سنة ، وهو مخطوط فى مكتبة كوبر ولوزاده أحمد باشا ، باستنبول رقم (٣٢٧) ، والنسخة الجليلة عليها خطه ألفه فى اكثر من أربعين سنة (١).

أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن حمدون النديم : كان حيا فى ٢٩١ هـ وقد عرف بشيخ أهل الأدب ، وهو أستاذ أبى العباس ثعلب ، وقد قرأ عليه ابن الأعرابى ، وتخرج عليه الكثير من طلابه ، وكان خصيصا بالمتوكل العباسى ، وقد نادمه مده خلافته ، فحصل منه على مبلغ (٣٦٠.٠٠٠ دينار) ، ثم نادم المستعين ، فحصل منه أكثر مما حصل عليه من المتوكل ، من آثاره العلمية كتاب بنى عقيل وطئ ، وكتاب ضوء المشكاة قال عنه الذركلى أنه مخطوط (٢).

تعقيب :

لاحظ الباحث من خلال عرضه لبعض المواد الدراسية كقضية من قضايا التربية والتعليم التى ذكرها ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) ، أن بعض الأسر كانت تهتم بتعليم الطلاب فى الصغر ، فإن ذلك أجدى إلى أن يحصل الطلاب الكثير من العلوم لصفاء الذهن ، وخلو القريحة ، حتى أن بعضهم قال التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر والتعليم فى الكبر كالنقش على الماء ، وليس ذلك من قلة فى العقل والذاكرة ، وإنما بسبب

---

(١) معجم الأدباء : ٢٢٨/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٢٦/١ وانباه الرواة : ١٨٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٩/١ والخطيب البغدادى : مرجع سابق : ٢٠٩/٦ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٩٣/١ والوافى بالوفيات : ١١١/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٥/١ .

التشتت وعدم الانتباه ، وهذا بدوره يؤدى إلى قلة الفائدة العلمية ، وقد ذكر ياقوت ذلك فى ترجمة أبو إسحاق العدوى الذى كتب الكثير وهو صغير السن .

بالإضافة إلى ذلك أن بعض العلماء كان ينتمى إلى وظائف خاصة فى ديوان الأمراء والسلاطين حتى يؤدبوا أبنائهم ، وينادموا الأمراء فى مجالسهم ، وعقب ذلك كله تصل هؤلاء العلماء أجرة مقابل تعليمهم لهؤلاء الطلاب ، وتكون بمثابة التمويل لهم والإعانة على تأليف كتب العلم والتفرغ لهذا العمل .

وذكر ياقوت من علماء الأدب فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو الحسن محمد بن أحمد المغربى كان حيا : ٣٥٤ هـ كان أحد الأئمة الأدباء والأعيان رحل إلى مصر والعراق ، وما وراء النهر ، وقد جالس الصاحب ، وروى عنه الأصفهانى وذكر من مؤلفاته كتاب الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبى ذكر الزركلى أنه مطبوع وله كتاب النبيه المنبئ عن رذائل المتنبى قال الزركلى فيه أنه مخطوط ، وله الرسالة المتعة ذكر الزركلى أنها مخطوطة فى ورقات ، وله كتاب تذكرة النديم قال عنه الزركلى إنه مطبوع ، وكتاب بقية الانتصار المكثر للاختصار(١) .

أبو إسماعيل بن القاسم الملقب بالقالى البغدادى ت : ٣٥٦ هـ كان أحفظ أهل زمانه بالأدب وقد رحل إلى العراق وأقام ببغداد سنه ٢٥ ، ثم رحل إلى المغرب سنه ٣٢٨هـ فدخل قرطبة فى أيام عبد الرحمن الناصر ، وأخذ علم الأدب عن ابن دريد والأنبارى ونفطويه ، وابن درستويه ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح قصائد المعلقات قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب الأمالى والمسمى بأمالى القالى فى الأخبار والأشعار ، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادى(٢) .

---

(١) معجم الأدباء : ٨٦/٥ والوافى بالوفيات : ٦٨/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٨/٩ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٤٢/١ وابن كثير ، مرجع سابق : ٢٦٤/١١ وسير أعلام النبلاء : ٧٤/١ وانباه الرواة : ٢٠٤/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٢١/١ .

إسماعيل بن يحيى اليزيدى ت : ٣٧٥ هـ كان أحد الأدباء الفضلاء ، ومن مؤلفاته كتاب طبقات الشعراء ، وقد أنشد اليزيدى من الشعر ما يدعو إلى العمل بالعلم فمن كان عالما ولم يعمل بهذا العلم لا ينفعه علمه ، حيث لا يقتدى به غيره ، ما دام هو غير عامل فيقول : -

من لم يكن عاملا بعلم　　　رواه لم ينتفع بعلم (١)

أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ت : ٣٧٧ هـ كان مجيدا فى الأدب ، وقد صنف كتاب الفهرست وجود فيه واستوعبه استيعابا يدل على اطلاعه على فنون العلم وتحققه لجميع الكتب ، وذكر الزركلى عنه أنه مطبوع ، ومن أقدم كتب التراجم ومن أفضلها ، وقد كان النديم وراقاً (يبيع الكتب) ، وذكر الزركلى أن النديم صنف كتابه هذا سنه ٣٧٧ هـ وله كتاب التشبيهات (٢) .

أبو عبد الله محمد بن الحسن المعروف بابن الكتانى ت بعد : ٤٠٠ هـ كان له مشاركة قوية فى علم الأدب ، ففى رواية ابن آبار قال : هو من أهل قرطبة ، خدم المنصور وابنه المظفر ، وقال عنه عمر رضا كحالة : أنه أخذ عن عمر بن عبدون الجبلى ، وعن عمر بن يونس الحرانى ، وعن سعيد بن فتحون ، ومسلمة المجريطى ، وروى عنه ابن حزم والمصحفى ، وذكر له شيخنا ياقوت من المؤلفات كتاب محمد وسعدى قال عنه الزركلى أنه مليح فى معناه ، وله كتابات ورسائل معروفة ، فائقة الجودة عظيمة النفع (٣) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الأدب فى القرن الرابع الهجرى حصلوا الكثير من هذا العلم عن طريق الرحلة إلى العلماء والالتقاء بهم فى مختلف الأمصار ، والأخذ عنهم

---

(١) معجم الأدباء : ٣١٤/٢ وانباه الرواة : ٢١٣/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١١٠٢/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٢٨/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٤١/٩ والوافى بالوفيات : ١٩٧/٢ وهدية العارفين : ٥٥/٢
(٣) معجم الأدباء : ٣٣٢/٥ والوافى بالوفيات : ٣٤٩/٢ ومعجم المؤلفين : ١٨٧/٩ والزركلى ، مرجع سابق ٨٣/٦ وابن ابى أصيبعة ، مرجع سابق : ٤٥/٤ .

وحضور مجالس العلماء والأمراء، الأمر الذى ساعدهم على كتابة الكثير من المؤلفات والتصانيف المشهورة التى تضم أبكار علم الأدب.

وذكر ياقوت من علماء الأدب فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو الحسن أحمد بن على البتى الكاتب ت : ٤٠٣ هـ كان غاية فى جمع خلال الأدب، وكان يغلب عليه الظرف والمجون فى الكتابة، فقد كتب للقادر بالله العباسى ونادم الوزراء، وكان لا يكمل أنسهم إلا بحضوره، من مؤلفاته كتاب القادرى وكتاب العميدى وكتاب الفخرى (١).

أبو الريحان البيرونى ت : ٤٢٣ هـ الذى اهتم بالإطلاع والقراءة والتأليف فكان لا يرى إلا مكبا على تحصيل العلوم عاكفا على تصنيف الكتب فكان لا يفارق يده القلم، ولا عينه النظر، ولا عقله التفكير، ولذا قضى معظم حياته فى كشف قناع العلوم، وقد تعددت مؤلفات البيرونى، فضمت الكثير من أنواع العلوم اللغوية، فلم يقتصر فى همته على مدارسة العلوم العقلية، بل تناول الآداب بالكتابة والتصنيف، ونذكر من مؤلفاته الأدبية كتاب شرح شعر أبى تمام قال الزركلى عنه أنه لم يتمه، وله كتاب المسامرة فى أخبار خوارزم وكتاب مختار الأشعار والآثار ذكر الزركلى أنهما مطبوعان (٢).

أبو المطاوع محمد بن الحسن الملقب وجيه الدولة ت : ٤٢٨ هـ بمصر، كان أديبا فاضلا ولى إمارة دمشق سنه ٤١٢ هـ، ثم عزل ثم وليها سنه ٤١٥ هـ، وتقلد إمارة الإسكندرية وأقام بها سنة ثم رجع إلى دمشق (٣).

أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى ت : ٤٣١ هـ كان متمكنا فى علم الأدب وقد دخل بغداد طالبا لعلم الأدب، مع تحققه بالأدب، ومع ذلك روى كثيرا منه (٤).

---

(١) معجم الأدباء : ٤٨١/١ ومعجم المؤلفين : ٣١٩/١ والخطيب البغدادى، مرجع سابق : ٣٢٠/٤
(٢) معجم الأدباء : ١٢٣/٥ - ١٢٦ والزركلى، مرجع سابق : ٣١٤/٥ وعلى الشحات، أبو الريحان البيرونى (حياته - مؤلفاته - أبحاثه العلمية) تقديم د/ عبد الحليم منتصر (دار المعارف ١٩٦٨ م) ص ٦٨.
(٣) معجم الأدباء : ٣٢٥/٣ وابن خلكان، مرجع سابق : ٧٦/١ فى انباه الرواة : ٢٦٤/١.
(٤) معجم الأدباء : ٥٦/٥ والزركلى، مرجع سابق : ٢٨٥/٥.

أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي ت : ٤٥٠ هـ كان أديبا غزير مادة العلم كتب الكثير من الكتب في علم الأدب ومن مؤلفاته كتاب الصحاح قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب ديوان الأدب قال عنه القفطي : إن أبا إبراهيم الفارابي هو مصنف هذا الكتاب الذي يعد ميزان اللغة ومعيارا الكلام ، وهو مخطوط من نسخة في خالدية القدس كتبت سنه ٥٨٨ هـ ، ونسخة كتبت في سنه ٦١١ هـ في حلب في مكتبة مغنسيا رقم (٢٨٢٤) ، وقد وضعه على ستة فصول ، ويقول عنه حاجي خليفة ، أنه كتاب متميز على خمسة أقسام ، وقد ألفه بمدينة زبيد ، ومات قبل أن يروى عنه وقد لخصه وهذبه حسن بن مظفر النيسابوري ت : ٤٤٢ هـ [(١)] .

أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الملقب الخبري ت : ٤٧٦ هـ كان عالما بالأدب ، من فقهاء الشافعية ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح ديوان الحماسة قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب شرح ديوان البحتري وكتاب شرح ديوان المتنبي قال الزركلي أنهما مطبوعان وكان الخبري حسن الخط [(٢)] .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الأدب في القرن الخامس الهجري كانوا أكثر نشاطا في التأليف والكتابة في علم الأدب ، فقد رحلوا إلى مختلف الأمصار الإسلامية بهدف التزود من علماء هذه الأمصار ، بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء جمعوا بين تولي المناصب السياسية والإمارات الإدارية وكانت هذه المناصب لا تمنع صاحبها من الكتابة الأدبية ، بل كانت مجالس الأمراء والوزراء غاصت بعلم هؤلاء الأدباء ، أصحاب المناصب السياسية .

---

(١) معجم الأدباء : ١٥٩/٢ واللباب : ٨٨/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٣/١ ، ٢٩٣/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ٤٨/١ - ٧٧٤ ومجلة المجمع العلمي : ٥٠٧/٢٢ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٤٣/٣ ومعجم المؤلفين : ١٧/٦ وابن تغري بردي ، مرجع سابق : ١٥٩/٥ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ٦٩٢/١ - ٧٧٩ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٣/٤ .

وذكر ياقوت من علماء الأدب في القرن السادس الهجرى : -

أبو إسماعيل الحسين بن على الملقب مؤيد الدين ت : ٥١٦ هـ الذى فاق أهل عصره بصنعة النثر والنظم ، وكان ينعت بالأستاذ . من مؤلفاته كتاب الإرشاد للأولاد (١)

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ت : ٥٢٩ هـ بالمهدية . الذى حصل من الأدب ما لم يدركه كثير من الأدباء ، وقد أقام بمصر عشرين عاما . ومن آثاره العلمية كتاب الحديقة فى الأدب وقد نسجه على منوال اليتيمة ، وله ديوان أمية ذكر الزركلى أنه مطبوع، وله كتاب الرسالة المصرية ذكر فيها ما رآه فى مصر من آثارها ، وله رسالة فى الموسيقى قال عنها الزركلى أنها مطبوعة ، وله كتاب طبقات الشعراء صنفه فى شعراء العصر الحكيم (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن الكتابة الأدبية قد أخذت طريقها إلى الظهور والتطور، فقد أخذت الكتابة الأدبية فى قوتها وتطورها مع بداية العصر العباسى الثانى الذى بدأ سنه ٣٣٤ هـ حيث سقطت بغداد فى يد البويهيين وخضعت الخلافة العباسية لسلطانهم ، وكان لابن العميد جهود جبارة فى ازدهار الكتابة من حيث الاهتمام بالمعنى إلى جانب اللفظ ، واستعمال السجع القصير الفقرات والاعتدال فى استعمال بعض أنواع البديع بغير إفراط أو تقصير ، والاقتباس من كلام البلغاء والحكماء ، والإسناد إلى الحكم المأثورة ، وقد حاول ابن العميد السير على طريقة الجاحظ فى الكتابة ، ونجح فى ذلك بسبب ثقافته الأدبية والعلمية وموهبته فى كتابة الرسائل ، وحفظ اللغة ودواوين الشعر الأمر الذى جعل من هؤلاء المعاصرين له كتابا من أعظم كتاب العربية ، وأرفعهم منزلة فى صناعة الكتابة ، ومع القرن الرابع الهجرى شارك الكثير من العلماء فى هذه المكانة الأدبية

---

(١) معجم الأدباء : ١٥١/٣ والوافى بالوفيات : ١٥٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٤٦/٢ .
(٢) معجم الأدباء: ٣٢٣/٢ ومعجم المؤلفين: ٣١٣ وابن العماد ، مرجع سابق : ٨٤/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٣/٢

والأساليب القوية فى الكتابة ومنهم : التوحيدى والصاحب وقد امتد تأثير هؤلاء إلى القرن الخامس الهجرى .

ومع القرن السادس الهجرى ظهرت مجموعة من الكتاب لهم الشهرة والعطاء فى هذا الفن ، وكان من بين أعلام القرن السادس الهجرى فى الكتابة ياقوت الحموى الذى تجدور حوله هذه الدراسة وحول كتابه (معجم الأدباء) غير أن الكتابة مع هؤلاء العلماء أخذت صورة جديدة فى الأسلوب والطريقة فقد أخذت الكثير التكلف والإكثار من المحسنات البديعية ، واستعمال المجاز اللغوى ، والصناعة اللفظية من الجناس والتورية والطباق والسجع .

ومنه نستطيع أن نقول أن ياقوت الحموى ومن خلال عرضه لعلماء الأدب فى القرن الثانى الهجرى حتى القرن السادس الهجرى فى كتابه (معجم الأدباء) أنه كان من المهتمين بقضايا التربية والتعليم ، وظهر ذلك من اهتمامه بالأدباء وذكر الكثير من المؤلفات والتصانيف التى يزخر بها كتابه (معجم الأدباء) ، ولذلك يصلح هذا الكتاب أن يكون من بين الكتب التى تناولت تاريخ التربية ، وعلوم التراث والتى من بينها علم الأدب وذلك من خلال ما عرضه وقدمه من العلماء وكتاباتهم القصصية والمقامات والرسائل حيث أجاد ياقوت فى الكتابة وأعطاها كل اهتمام وعناية ، ولا زالت مؤلفاته تشهد بنبوغه وتفوقه فى هذا الفن ، حيث أنه عاش فى العصر الثانى العباسى فانعكست عليه بعض ملامح هذا العصر فى التكلف بقيود الصنعة والتأثر ، والالتزام بالسجع والتعبير عن المعنى الواحد بجمل متعددة .

رابعا : يتفرع عن علم الأدب بعض أفرع العلوم الدراسية من العلوم العربية مثل (الشعر - وعلم العروض (موسيقى الشعر والقافية) : -

وقد ضم معجم الأدباء الكثير من الشعراء الذين أنشدوا الشعر للتقرب إلى الأمراء والوزراء ، وبين الذين أنشدوا الشعر من أجل الحصول على المال ، وسوف يتناول الباحث

كل من هؤلاء الشعراء حسب القرن الهجري الذي توفي فيه متبعا في ذلك منهج الدراسة وهو المنهج التاريخي، الذي يقتضي التاريخ لمثل هؤلاء الشعراء وعلومهم.

وقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء الشعراء في القرن الثاني الهجري : -

أبان بن عبد الحميد الملقب بالرقاسي ت : ٢٠٠ هـ كان شاعرا من أهل البصرة اتصل بالبرامكة في بغداد فأكثر مدحهم، وخص به الفضل بن يحيى، واهتم بالشعر التعليمي فنظم كتاب كليلة ودمنة وكتاب سيرة أردشير وكتاب سيرة أنوشروان وعن طريقهم اتصل بالرشيد فكان من شعرائه، وقد استمر شعر الفلسفة والشعر التعليمي بعد ذلك في العصر العباسي الثاني على لسان ابن الجهم، وابن المعتز(١).

وذكر ياقوت من علماء الشعر في القرن الثالث الهجري : -

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت : ٢٠٤ هـ الذي خرج إلى اليمن، وخص نفسه فيها بعلم النحو والغريب والشعر، ويقول المبرد : كان الشافعي أشعر الناس وأكثرهم معرفة بالأدب، وأعرفهم بالفقه والنحو، فقد كان من أحذق الناس بقول الشعر وأيام العرب، ومن آثاره العلمية كتاب فضائل قريش ذكر الزركلي أنه مطبوع، وكتاب أدب القاضي وكتاب السبق والرمي ذكر الزركلي أنهما مطبوعان.

وقد كان الشافعي شاعرا من شعراء الزهد والتصوف والمدائح النبوية حيث يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لي إن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاص(٢)

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت : ٢١١ هـ كان مهتما بالعروض بعد الفراهيدي الذي عاش في القرن الثاني، وزاد الأخفش في العروض باب الخبب، وذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب القوافي قال عنه الزركلي أنه مخطوط في دار الكتب

---

(١) معجم الأدباء : ٩٢/١ وخزانة الأدب : ٤٥٨/٣ وابن النديم، مرجع سابق: ١٢٤/١ وابن تغرى، مرجع سابق: ١٦٧/٢ والزركلي، مرجع سابق : ١٢٤/١.

(٢) معجم الأدباء: ١٩١/٥ ومعجم المؤلفين: ٣٢/٩ وابن خلكان، مرجع سابق: ٦٥/١ وتهذيب التهذيب : ٢٥/٩ والزركلي، مرجع سابق: ٢٦/٦.

المصرية . مصور عن جسين شلبى ٢٣٠ بيتا . وله كتاب أبيات المعانى ذكر الزركلى أنه مخطوط . وله كتاب معانى الشعر قال عنه الزركلى أنه مطبوع (١) .

أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم ت : ٢٣٦ هـ كان راويا للشعر حافظا للأخبار . ومن أكثر أهل عصره أدبا وظرفا وعلما . ومن مؤلفاته كتاب النغم والإيقاع ذكر الزركلى أنه مطبوع . وله كتاب قيان الحجاز او القيان وكتاب الرقص والزفن وكتاب الاختيار من الأغانى ألفه للواثق (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن شعراء ذلك القرن قد تأثروا بما حدث من المهاجرين حينما استقبلوا رسول الله(ﷺ) . من الغناء والتهليل . وإقرار النبى (ﷺ) للغناء بمجلسه وبذلك جمع هؤلاء الشعراء بين شعر الموسيقى الغنائية (كتاب الأغنية فى العصر الحالى) وكذلك شعر المديح . وقد اهتم هؤلاء الشعراء بالعروض والقافية فى شعرهم . وبجانب ذلك ظهر نوع آخر من الشعر فى ذلك القرن وهو شعر الزهد والتصوف والمدائح النبوية وعنه يقول شوقى ضيف ظهر هذا النوع من الشعر منذ ظهور الإسلام . ويعد الزهد والتقشف من صميم حياة المسلم فى طيبات الحياة ومتاعها وهو إقبال يوازن فيه المسلم بين عبادة ربه وترك المعاصى وبين السعى لرزقه .(٣) .

وقد رأى الباحث أن يذكر بعض الآراء حول الشعر " فقد كان موقف الرسول(ﷺ) لاتلاف فى تفسيره . فقد جاء الحديث مؤيدا جانبا من جوانب الشعر فى قوله (ﷺ) : إن من الشعر لحكمة(٤) . صحيح أن صيغة تقريع الشعراء جاءت عامة فى القرآن الكريم(٥)

---

(١) معجم الأدباء: ٣٨٥/٣ وابن شاكر الكتبى مرجع سابق: ٢٥٤/٣ والوافى بالوفيات : ٨٦/٣ وسير النبلاء : ١٨٨/٧ .
(٢) معجم الأدباء : ١٥٥/٢ ومعجم المؤلفين : ٢٧٧/٢ وانباه الرواة : ٢١٥/١ والأصفهانى ، مرجع سابق : ٢٦٨/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٢/١ .
(٣) شوقى ضيف ، مرجع سابق : ص ٤٠٥ .
(٤) ملكة أبيض ، مرجع سابق : ص ٢٢٦ .
(٥) القرآن الكريم : سورة الشعراء : الأيات (٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥) " والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون " .

وقد روى جميع الشعراء هذا الحديث الذى ذكره النبى (ﷺ) ، والرسول (ﷺ) لم يترك سلاح الخطابة والشعر فى أيدى خصومه يستغلونه للهجوم عليه وعلى المسلمين بل رأى من الضرورى توجيهه لدعم الحق ، ولذا أمر بوضع منبر فى المسجد لشاعره حسان بن ثابت ، يلقى منه قصائده فى مدح الإسلام والمسلمين ، وهجاء الشرك والمشركين وقد سار الخلفاء الراشدون على خطى الرسول (ﷺ)[1] .

وذكر ياقوت الحموى من علماء الشعر فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالمفجع ت : ٣٣٠ هـ الذى اهتم بشعر المديح فكان شاعرا من أهل البصرة ، ومن آثاره العلمية كتاب قصيدته المسماه ذات الأشباه الذى تناول فيه أخبار الأنبياء ، ففى رواية الرازق بن معمر الزهرى قال : إن النبى (ﷺ) قال وهو فى محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم فى علمه ، ونوح فى همه ، وإبراهيم فى خلقه ، وموسى فى مناجاته ... الخ ، فأنظروا إلى هذا المقبل فإذا هو على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) وقد مدحه المفجع بقوله :

أيــا لائمــى لحبــى عليا   قم ذميما إلى الجحيم خزيا
أبخير الأنام عرضت لازلت   مــذودا عــن الهدى مزويــا[2]

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ ت : ٣٨٤ هـ كان نابغة كتاب جيله ، وقد مال إلى الأدب فتقلد دواوين الرسائل ، والمظالم ، والمعارف تقليدا سلطانيا ، فى أيام المطيع لله العباسى ، ثم قلده المعز ديوان رسائله سنه ٣٤٩ هـ ، ولذا عرف بأنه من شعراء الوزراء ، وبشعره فتحت له الأبواب ، وأعجب به الوزير المهلبى ، فأحضره مجالس أنسه وقلده ديوان رسائله ، وذكر له شيخنا ياقوت مختارات من رسائله فى مجلدين ، وكانت أشعاره مطبوعة بطابع المحسنات البديعية ، وفيها يقتبس من آى القرآن الكريم، ويضمنها

---

(١) ملكة ابيض ، مرجع سابق : ص ٢٢٦ .
(٢) معجم الأدباء : ١٣٧/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٧٩/٨ والثعالبى ، مرجع سابق : ١٢٩/٢ والوافى بالوفيات : ١٢٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٠٨/٥ .

أحاديث نبوية فى بعض الأحيان ، وكان يحمل أشعاره بالفكاهة التى تدل على ظرفه ولذا قرب من نفوس معاصريه ، وله كتاب التاجي فى أخبار بويه ، وكتاب الهفوات النادرة ذكر حاجى خليفة أنه طبع ونشر عن طريق المجمع العلمى العربى بدمشق (١) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن القرن الرابع الهجرى ظهر فيه نوع من أنواع الشعر وهو الشعر العلمى ، أو الشعراء المتفلسفة ، وقد كثر على ألسنة هؤلاء المتفلسفة منذ الكندى أنهم نظموا معارفهم الفلسفية وغيرها فى أبيات من الشعر ، بل تعرضوا للحديث عن النفس والجسم والعلاقية بينهم فى الحياة وبعد الممات . فهذا ابن النفيس أحد متفلسفة القرن الرابع يقول : -

فى النفس والجسم إن فكرت معتبرا ... بل دون ذلك ضل الرأى والفكر

وحار كل لبيب فى اتحادهما ... وتلك عين وهذا حكمه الأثر

يا ليت شعرى إذا الأبدان أضمرها ... يد البلى وحواها الترب المدر

هل للنفوس التفات نحو عالمها ... كما تلفت حول المركز الحجر

ليحصل الفوز فى دار الخلود لها ... وتلتقي دونها الآفاق والغير (٢)

فهذه الأبيات تعرض مشكلة الخلود بعد الموت ، فتتحدث عن النفس وهل هى تفنى أم الجسد فقط ، وهذه المسألة حارت فيها الإفهام والعقول غير أن هذه الأبيات قد جعلت الحكم فى النهاية للواحد الأحد .

كما لاحظ الباحث من خلال عرضه للشعراء فى القرن الرابع الهجرى أن الأمراء والوزراء اهتموا بقيمة التراث ، وبصفة خاصة خلفاء بنى أمية ، فكانوا ينصحون الشعراء والمؤدبين بالعناية بالحكم والأمثال والأشعار التى تمجد الفضائل الفردية والجماعية ، وعن

---

(١) معجم الأدباء :٢٠/١ ومعجم المؤلفين : ١٢٤/١٠ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٣٢٤/٣ وأنباه الرواة : ٧٠/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٨/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢٧٠/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٠٦/٣ .

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق : ٥٢/١ .

الابتعاد عن الأقوال الخارجة والأشعار التى تنافى الحشمة والفضيلة . ولذلك كان ولاة بنى أمية يحثون الناس على تعلم العربية ويبينون لهم الصلة الوثيقة بينها وبين التعليم الصحيح للقرآن . وقد ذكرت ملكة أبيض فى رسالتها استشهادات من كتاب تاريخ إبن عساكر فقالت " كان الفزارى والى عمر بن عبد العزيز على الجزيرة يقول : والله ما استوى رجلان دينهما واحد . وعقلهما واحد ومروءتهما واحدة أحدهما يلحن . والأخر لا يلحن . إن أفضلهما فى الدنيا والآخرة الذى لا يلحن (١) .

وبذلك حرص الأمراء والوزراء . وأحيانا الخلفاء على إحاطة أنفسهم بمستوى رفيع وجعلوا مجالسهم أشبه ما تكون بالندوات الفكرية . وعندما دخل الغناء إلى بعض مجالس الوزراء كانوا ينظرون إليه على أنه يزيد الشعر جمالا ووقعا فى النفوس .

وقد ظهر فى ذلك القرن الكثير من أنواع الشعر وعلمائه مثل : شعر المديح وشعرائه وكان العباسيين يكثرون العطايا للشعراء . حتى يكثروا هم من قصائد المدح . بل أكثر من ذلك كان الوزراء يعينون الشعراء فى وظائف حكومية عامة . بل وظائف سياسية خاصة وقد تعرض شعراء ذلك القرن للحديث عن بعض القضايا الخلافية بين علماء المسلمين وذلك حتى يصلوا إلى بيان فيها .

وذكر ياقوت من علماء الشعر فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو سعد محمد بن أحمد الملقب بالعميدى ت : ٤٣٣ هـ الذى سكن مصر وتولى ديوان الترتيب ، وديوان الرسائل ، وكان يزن ما يلقى من الشعر عروضيا ، ومن مؤلفاته كتاب العروض والقوافى وكتاب الإبانة عن سرقات المتنبى ذكر الزركلى أنهما مطبوعان (٢) .

---

(١) ملكة أبيض ، مرجع سابق : ص ١٥٠ نقلا عن تاريخ دمشق : ١٣٧/١٣ .
(٢) معجم الأدباء : ٤٠/٢ ومعجم المؤلفين : ١٣/٩ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٧٦/٢ .

وهو مختلف عن (أبن العميد ، أبى الفضل محمد بن الحسين ت : ٣٦٠ هـ) الذى كان مهتما بعلم العروض ، وكان مثقفا ثقافة واسعة فهو من أئمة الكتاب ، ولذا لقب بالجاحظ الثانى فى أدبه ، قال الثعالبى : بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد(١) .

وكان شعره رقيقا ، اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره ، وقد حفظ من أشعار العرب ما لم يحفظه غيره ، وعلى يديه تخرج عضد الدولة ، ومنه تعلم محبة العلماء ، ومن مؤلفاته كتاب البلاغات قال عنه الزركلى أنه مخطوط ، من إنشائه يقع فى ثمانى ورقات فى رسالة رقم (١٦٦٧) بمغنيسا ، وله مجموع من الرسائل ذكر الزركلى أنه مخطوط فى مجلد ضخم (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن ذلك القرن اتسم بالكتابة الإنشائية ، وتعلم الطلاب عن المعلمين، هذا النوع من أنواع الكتابة والأشعار، ونشطت كذلك الترجمة من الفارسية وإليها .

وذكر ياقوت من علماء الشعر فى القرن السادس الهجرى : -

أبو محمد القاسم بن على الحريرى ت : ٥١٦ هـ كان يسكن البصرة ، ويختلف إلى علماء عصره يأخذ عنهم الأدب ، حتى اصبح غزير العلم ، عكف على الأدب واللغة ، فكتب مجموعة من الرسائل وآيته الرائعة المقامات وله كتاب درة الغواص فى أوهام الخواص ذكر الزركلى أنه مطبوع ، سجل فيه ما يشيع على ألسنة العامة ، وقد بالغ فى ذلك حتى عد بعض الكلمات الفصيحة غير صحيحة ويذكر ابن تغرى بردى قوله : " كان الحريري لا يبارى فى الأدب والبلاغة والفصاحة ، وتعد مقاماته آية براعته ، التى ليس لها لاحقة

---

(١) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، ص ٦٥٥ والوافى بالوفيات : ٣٨٣/٢ وأبو حيان التوحيدى ، مرجع سابق : ٦٦/١

(٢) معجم المؤلفين: ٢٥٧/٩ والزركلى ، مرجع سابق: ٩٨/٦ .

مماثلة ، وكأنما أغلق الأبواب بكلتا يديه بعده ، فلم يستطع أحد أن يجاريه ، أو يبلغ مبلغه"
ويشهد له الزمخشرى بقوله :

أقسم بالله وآيــاتــه	ومشعر الحج وميقاته
إن الحريري جـرى بـأن	تكتب بالتبر مقاماته[١]

وقد ترجمت مقاماته فى القرن الثامن عشر إلى اللاتينية والألمانية ، وترجمة بالإنجليزية .

أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ت : ٥٣٨ هـ صاحب كتاب الكشاف ومن يقرأه يجد مليئا بشعر التصوف ، ففى قوله تعالى :

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... "

فأنشد الزمخشرى توسلا قال فيه

يا من يرى مد البعوض جناحها	فى ظلمة الليل البهيم الأليـل
ويرى عروق نياطها فى نحرها	والمخ فى تلك العظام النحـل
اغفر لعبد تـاب من فرطاته	ما كان منه فى الزمان الأول[٢]

ابن التلميذ ، ت ٥٦٠ هـ كان من شعراء الفلسفة والشعر التعليمى ، وكان يكثر من هذا النوع من الشعر ، وأورد له ياقوت طائفة حسنة من هذا الشعر لهبة الله بن الفضل ت: ٥٨٨ هـ[٣] .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٦١/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤١٩/١ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٢٢٥/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ١٧٧/٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦ والزمخشرى ، الكشاف عن حقائق التنزيل : ١٨٧/١ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٩٥/٤ ومعجم الأدباء : ٤٨/٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٦٩/٢ ولسان الميزان : ١٨٩/٦ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٨٦/٢ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ٣١٤/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٥/٨ .

ابن ظفر الصقلى ت : ٥٦٧ هـ الذى اهتم برواية شعر الزهد والتصوف والتقشف فى كتبه بعد أن رحل من صقلية إلى مكة لطلب العلم ، ونهل من حلقات علمائها ، ثم ارتحل إلى مصر وأفريقيا ، ثم عاد إلى صقلية ، فيقول فى شعره :

يا متعبا كده الحرص	فى الفصول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى	وما حوى وأفاده
ما كنت إلا معنى	ومغرما بالزيادة
لم يصف فى الأرض عيش	غلا لأهل الزهاده

من مؤلفاته كتاب سلوان المطاع فى عدوان الطباع وهو فى نوادر وأخبار السلاطين ، وقد ترجم للفارسية (١) .

أبو العز محمد بن محمد الخرسانى ت : ٥٧٦ هـ كان شاعرا عروضيا ، قرأ على أبى منصور الجواليقى ، وقد اهتم بمدح الملوك والوزراء ، من مؤلفاته كتاب النوادر التى تنسب إلى حدة الخاطر ، ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وله ديوان شعر يشتمل على خمسة عشر مجلدا (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن شعراء هذا القرن عنوا باستحداث نمط شعرى جديد وهو الشعر التعليمى ، فقد تحدث هؤلاء الشعراء عن الكثير من المعارف الفلسفية والطبيعية وتعرضوا للحديث عن الجسم والنفس والعلاقة بينهم فى الحياة وبعد الممات ، بالإضافة إلى شعر الزهد والتصوف والتقشف ، حتى أن المتعلمين رحلوا إلى الكثير من البلدان لسماع الشعر وتعلمه ، وكثر فى ذلك القرن شعر المديح للوزراء والأمراء ، وقد تعلم الطلاب الشعر عن طريق المحاكاة ، والأخذ عن العلماء عن طريق القراءة .

---

(١) معجم الأدباء : ٤٨/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٤١/١٠ وسير أعلام النبلاء : ٢٧٠/١٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٣٨/٣
(٢) معجم الأدباء : ٤٤١/٥ ومعجم المؤلفين : ٣٠٤/١١ وهدية العارفين : ٩٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٥/٧ .

وذكر ياقوت من علماء الشعر فى القرن السابع الهجرى : -

أبو المرجّى سالم بن أحمد بن أبى الصقر التميمى الملقب بالمنتخب ت : ٦١١ هـ ببغداد كان نحويا عروضيا . قرأ عليه شيخنا ياقوت . اللغة العربية والعروض ببغداد وهو أول شيخ قرأ عليه شيخنا ياقوت فيقول : قرأت عليه العربية والعروض ببغداد . ومن كتبه التى قرأتها أرجوزة فى النحو . وكتاب فى العروض والقوافى وكتاب فى صناعة الشعر وقد تعلم المنتخب عن طريق القراءة على العلماء فقد قرأ اللغة العربية . والعروض على المؤيد الطوسى ببغداد . صاحب كتاب القوافى ذكر ياقوت أنه مطبوع(١) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن العلماء كانوا لا يتقدمون للقيام بالعملية التعليمية إلا بعد ان يكملوا تعليمهم على أيدى شيوخهم . وكان ذلك سببا فى تقدم صاحبنا ياقوت فى مختلف العلوم الدراسية . وتأريخه لهؤلاء العلماء .

غير أن الباحث يتعجب من اقتصار ياقوت فى ترجمته لشيخه على سطور قليلة بعد اعترافه بأستاذيته له وتعلمه عليه . فى الوقت الذى ترجم فيه لأدباء ليسوا بهذه المكانة عشرات الصفحات . فلم يروى له شيئا من شعره . ولم يورد أى خبر عن ذكرياته العلمية معه . علما بأنه تتلمذ على يديه فقى العراق .

كما لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت فقى كتابه (معجم الأدباء) كان إذا ترجم لأحد الشعراء ذكر من شعره ما يدلل به على موهبته . ومكانته بين الشعراء . فقد اختار ياقوت من فنون الشعر شعر الغزل وشعر الوصف . ولذا نلاحظ أن معظم القصائد التى وردت فى مؤلفات ياقوت كانت فى الوصف . وقد أكثر من ذكر شعراء المديح الذين عنوا بمدح الوزراء والأمراء . وتحدث كثيرا عن شعراء الزهد والتصوف فى مختلف قرون الهجرة

---

(١) معجم الأدباء : ٣٥٧/٣ وبغية الوعاة : ٢٥١/١ والزركلى، مرجع سابق : ٧٠/٣ .

وكذا شعراء الشعر التعليمى ، ومن خلال ذلك كله لاحظنا أهمية الشعر فى بناء قريحة المتعلم وتهذيب كلماته وألفاظه .

خامسا : علم البلاغة :

من العلوم الدراسية التى تناولها ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) وقد تحدث ياقوت عن علماء البلاغة من القرن الثالث ، ولم يتعرض بالذكر لعلماء البلاغة فى القرن الأول ، والقرن الثانى من الهجرة .

وذكر ياقوت من علماء البلاغة فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو الفضل أحمد بن طاهر المروزى ت : ٢٨٠ هـ أحد الشعراء والبلغاء ، وقد كان مؤدبا للكتاب ، كثير الأمثال ، وله مزدوجة ترجم فيها أمثالا للفرس ، ووزنها من نظم الرجز حض بها العباسيون منذ عصرهم الأول ، وكان مولعا بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية وقد ذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب المختلف والمؤتلف وكتاب فضل العرب على العجم ، وكتاب لسان العيون وكتاب المشتق ذكر الزركلى أنها من الكتب المطبوعة (١) .

أحمد بن إسماعيل الملقب نطاحة ت : ٢٩٠ هـ الذى اهتم بعلم البلاغة ، فكان واحدا من علمائها بالأنبار ، متقدماً فى صناعتها ، وكان يكتب لأبى عبيد الله بن طاهر ويذكر فضل علم البلاغة فى أبيات من إنشائه فيقول : -

خير الكـــلام قليل ... على كثير ودليل
والعى معنى قصير ... يحويه لفظ طويل
وفى الكـلام عيون ... وفيـه قـال وقيـل
وللبليـغ فصـــول ... وللعـــي فضـــول

ومن مؤلفاته كتاب طبقات الكتاب ذكر الزركلى عنه أنه مطبوع (٢) .

(١) معجم الأدباء : ٣٨٥/١ ومعجم المؤلفين : ٢٥٦/١ والوافى بالوفيات : ١٧/٦ والزركلى ، مرجع سابق : ١٣٩/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢١١/٤ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٠٦/١ وهدية العارفين : ٥٣/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٦/١ .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء البلاغة فى القرن الثالث الهجرى اهتموا بتوضيح فرع من علم البلاغة وهو : المجاز اللغوي ، وهو الإيجاز الذى يعطى المعنى المقصود من الكلام ، وعدم الإطالة فى الكلام ، ما دام المعنى يفهم بهذا الإيجاز ، والإيجاز يدل على بلاغة المتحدث ، والعى أو الإطالة يدل على فضول المتحدث على علم الكلام والمعانى .

وذكر ياقوت من علماء البلاغة فى القرن الرابع الهجري : -

أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ كان أحد البلغاء الفصحاء الكتاب ومن مؤلفاته كتاب نقد الشعر وكتاب ترياق الفكر وكتاب حشوحشاء الجليس وكتاب نزهة القلوب وزاد المسافر ذكر الزركلى أنها من الكتب المطبوعة وله كتاب صناعة الجدل قال الزركلى عنه أنه مخطوط ، وقد كان قدامة من الذين يضرب بهم المثل فى الملاحظة فيقال : لو أوتى من البلاغة ، مثل بلاغة قدامة (١) .

أحمد بن محمد الملقب بالكاتب ت : ٣٦٨ هـ الذى اهتم بعلم البلاغة ، فكان أحد الأفاضل من الكتاب ، بلاغة وفصاحة وصناعة ، كان من أهل الكوفة ، وقد نزل بغداد وتتلمذ له ابو عبد الله الكوفى (٢) .

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحرانى ت : ٣٨٤ هـ الذى تفوق فى علم البلاغة حتى عده بعض علماء أنه من أفصح البلغاء ، فبلاغته وحسن ألفاظه أغنت شهرتها عن صفتها حيث يقول فيه بعض علماء البلاغة : -

أصبحت مشتاقا حليف صبابة — برسائل الصابى أبو إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى — ذوب البراعة سلوة العشاق
طورا كمارق النسيم وتارة — يحكى لنا الأطواق فى الأعناق

(١) معجم الأدباء : ٩/٥ ومعجم المؤلفين : ١٤٢/٣ وتذكرة الحفاظ : ٢٨٩/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ١٩١/٥ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٦١/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٠٩/١ .

وقد ألزمه والده بعلم الطب، وهو له كاره، ويميل إلى الأدب، ثم جاءه يوما بكتاب بليغ فكاد يطير فرحا، وقبله وقال له، الآن كن كاتبا (١).

أبو على أحمد بن نصر الملقب البازيار ت: ٣٥٢ هـ الذى اتصل بالأمراء وكان خادم المعتضد وكاتبه، وذكر له ياقوت من مؤلفاته كتاب تهذيب البلاغة وكتاب اللسان ذكر الزركلى أنهما من الكتب المطبوعة (٢).

ابن أبى عون، ت: ٣٢٢ هـ الذى كتب فى بعض أفرع البلاغة، ومن مؤلفاته كتاب التشبيهات وهو فى التشبيهات عامة من الشعر القديم والحديث، ومن الذكر الحكيم (٣).

تعقيب:

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء البلاغة قد نشطوا فى تعليم البلاغة لطلابهم غير أن المؤلفات التى كتبت فى ذلك القرن كانت قليلة بصفة ملحوظة.

وذكر ياقوت من علماء البلاغة فى القرن الخامس الهجرى: -

أبو الفتح على بن محمد البستي ت: ٤٠١ هـ كان كاتبا فى عصره، من كتاب الدولة السامانية فى خراسان، وقد قال عنه الثعالبى: أنه صاحب الطريقة الأنيقة فى التجنيس الأنيس، البديع التأسيس، وكان يسميه المتشابه ويأتى فيه بكل طريقة لطيفة ولم يستخدم الجناس استخداما واسعا فى أشعاره فحسب بل كان أيضا يستخدمه فى كتاباته ونثره، وأورد له الثعالبى: طائفة من جناساته وسجعاته فى رسائله، يدلل بها على قدرته فى التجنيس البديع، وقد كان ذلك سببا فى إذاعة صيته فى الأوساط الأدبية الإيرانية، وفى كتب الأدب الكثير من نظمه (٤).

---

(١) معجم الأدباء: ٢٠٤/١ ومعجم المؤلفين: ١٢٤/١ والثعالبى، مرجع سابق: ٢٣/٢ والزركلى، مرجع سابق: ٧٨/١

(٢) معجم الأدباء: ٤٣/٢ وابن النديم، مرجع سابق: ١٣١/١ والزركلى، مرجع سابق: ٣١٩/١.

(٣) شوقى ضيف، البلاغة تطور وتاريخ (ط دار المعارف، د.ت) ص ٣٢٠.

(٤) معجم الأدباء: ١٠/٢ وابن خلكان، مرجع سابق: ٣٥٦/١ والثعالبى، مرجع سابق: ٢٠٤/٤، ٢٠٥ والزركلى مرجع سابق: ٣٢٦/٤.

إبراهيم بن على الملقب بالحصرى ت : ٤١٣ هـ كان أديبا ناقدا من أهل القيروان يحب المجانسة والمطابقة فى الاستعارة تشبيها بأبى تمام فى أشعاره ، وقد ذكر له شيخنا ياقوت من آثاره العلمية كتاب زهرة الآداب وثمر اللباب ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وله مختصر نور الطرف ونور الظرف قال عنه الزركلى أنه مخطوط ، وله كتاب المصون فى سر الهوى المكنون ذكر الزركلى أنه مخطوط فى مكتبة عارف حكمت فى المدينة برقم (٧٧٢) وله كتاب جمع الجواهر فى الملح والنوادر ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وله فيه شعر فيه رقة(١) .

أبو محمد أحمد بن على الكاتب المصري ت : ٤٣١ هـ كان بليغا فاضلا ، مكثرا من العلم الذى ورثه عن والده ، متأثرا بالبيئة الأسرية التى عاش فيها ، من مصنفاته ديوان شعر صغير مطبوع ، وله مجموع رسائل ذات قيمة بلاغية (٢) .

أبو سعد محمد بن أحمد الملقب بالعميدى ت : ٤٣٣ هـ الذى اهتم بعلم البلاغة من خلال أشعاره التى امتدح بها أبى الحسين بن الصواف بمصر ، وقد تولى ديوان الترتيب والإنشاء بمصر ، ومن مؤلفاته التى تركها كتاب تنقيح البلاغة ذكر الزركلى أنه مطبوع فى عشر مجلدات وله كتاب الإرشاد فى حل المظلوم وكتاب الهداية إلى نظم المنثور ذكر الزركلى أنهما مطبوعان (٣) .

تعقيب :

من خلال عرض الباحث لبعض تراجم علماء البلاغة فى القرن الخامس ، لاحظ أن علماء البلاغة فى ذلك القرن اهتموا بالإشارة إلى أقسام علم البلاغة ، من حيث المادة العلمية التى جاءت كتب هؤلاء العلماء شاهدة عليها ، فقد تحدث هؤلاء العلماء عن الجناس ، والطباق ، والإرداف ، والمبالغة ، والالتفات ، والمساواة ، والمطابقة ، والموازنة

(١) معجم الأدباء: ٢٢٦/١ وابن خلكان، مرجع سابق: ١٥/١ ومعجم المؤلفين: ٦٤/١ والزركلى ، مرجع سابق: ٥٠/١

(٢) معجم الأدباء : ٤٩٢/١ والزركلى ، مرجع سابق: ١٧٢/١ .

(٣) معجم الأدباء: ١٤٥/٥، ١٤٦ ومعجم المؤلفين: ١٣/٩ والوافى بالوفيات : ٧٥/٢ والزركلى ، مرجع سابق: ٣١٤/٥

والإشارة والغلو، وقد نقد بعضهم ألوان البديع، بل واعتمد البعض الآخر على مؤلفات العلماء أثناء كتاباتهم فى علم البلاغة.

وذكر ياقوت من علماء البلاغة فى القرن السادس الهجرى : -

أبو الحسن على بن زيد البيهقى ت : ٥٦٥ هـ كان جل اهتمامه بالكتابة والتأليف فى علم البلاغة، فقد ذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب معارج نهج البلاغة ذكر الزركلى أنه مخطوط، وكتاب وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر ذكر الزركلى أنه مطبوع، وكتاب غرر الأمثال ودرر الأقوال رتب فيه الأمثال على الحروف، وذكر لكل منها السبب ثم شرحها إعرابا ومعانى، وهو مأخذ الميدانى الذى أخذ منه الأمثال (١).

وذكر ياقوت من علماء البلاغة فى القرن السابع الهجرى : -

الحسن بن على الملقب بشميم الحلى ت : ٦٠١ هـ اهتم بعلم البلاغة، فصنف فيه كتاب الأنيس الجليس فى التجنيس (٢).

إسماعيل بن على الخضيرى ت : ٦٠٣ هـ ببغداد، كان فاضلا متميزا، ذا لسان طلق، وبلاغة وبراعة، وله تصانيف ورسائل مدونة، وخطب، وله كتاب جيد فى علم القراءة (٣).

والخلاصة : لقد توصل الباحث من خلال هذه الرسالة، عن طريق هذا العرض لعلماء البلاغة أن شيخه ياقوت قد أرخ لعلماء البلاغة، وبين فى حديثه عن هؤلاء العلماء أقسام علم البلاغة، ونشاط كل بلد من البلدان الإسلامية تجاه علماء البلاغة بها، وقيام الأمراء بدور المؤسسات التمويلية تجاه هؤلاء العلماء حتى ينشطوا فى الكتابة والتصنيف لأقسام البلاغة وبيان أنواعها، ولذلك يمكن أتبار كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموى من

---

(١) معجم الأدباء : ٢١٩/٣ ومعجم المؤلفين : ٩٦/٧ وسير أعلام النبلاء : ٢٨٤/٢ وحاجى خليفة، مرجع سابق : ٦٣٤/١، ١٢٠٠/٢ - ١٤٣٨ - ٢٠١١ والزركلى، مرجع سابق : ٢٩٠/٤.
(٢) معجم الأدباء : ٥٠/٤ ومعجم المؤلفين : ٢٥٧/٣ وسير أعلام النبلاء : ٩٤/١٣.
(٣) معجم الأدباء : ٣٠١/٢ والزركلى، مرجع سابق : ٣١٩/١.

الكتب التي تناولت الحديث عن علماء البلاغة وتطور هذا العلم وبذلك كانت هذه الرسالة حتى يمكن للمتصفح لها أن يحصل على ما يريده من هذا العلم وعلمائه وفى وقت قصير وبإفادة كبيرة ، فقد تحدث ياقوت عن علماء البلاغة فى القرون الهجرية بداية من القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع الهجرى ، وعن كتب هؤلاء العلماء فى علم البلاغة ، الأمر الذى انفرد به ياقوت فى هذه الفترة الطويلة من الزمن ، والذى كلف الباحث المزيد من الجهد لإيضاح ذلك وبصفة خاصة إذا كان كتاب معجم الأدباء كتاب غير متخصص فى التربية ، فإن ذلك يضاعف من أجله الجهد ، ولا يعد الباحث مبالغا إذا ذكر أن كل البلاد العربية كانت مشتركة فى التراث اللغوي والنحوي والبلاغي بحيث لم يكن يظهر كتاب مهم فى بيئة من البلاد إلا نجده يصل إلى البلاد الأخرى .

ويمكن القول إن العصور الماضية مع ما فيها من قلة المواصلات كانت أفضل من عصرنا الذى كثرت به المواصلات ، فإننا لا نستطيع أن نبلغ مبلغ أسلافنا فى سرعة التواصل بينهم ، فى الكتب وفى شتى مجالات علوم الدراسة ، ساعدهم على ذلك الرحلات السنوية للحج والزيارة ، والتقاء العلماء ، بل كان بعض العلماء إذا افتقد كتابا ولم يستطع الحصول عليه عن طريق الرحلة إلى العلماء ، قام بالنداء عليه فى الحج ليخبره عنه بعض من رآه فى مكتبة من المكتبات المتناثرة ، وكان العالم فى أى علم أو فن يرى أن علمه لا يكتمل إلا إذا رحل بين البلدان ، وأبعد في رحلته حتى يلتقى بالعلماء ، ويقرأ الكثير من كتب التراث الخاصة بالعلم أو الفن الذى يريد دراسته ، والإجادة فيه ، وحتى ينقل إلى بلاده ما كتبه العلماء الذين سبقوه إلى هذه العلوم ، فكانت المؤلفات تسبق العلماء إلى البلدان ويقوم عليها علماء ومدرسون يقدمونها للطلاب ، بل كان عيدا لطلاب العلم أن يفد عليهم عالم من البلاد الإسلامية والعربية يستفيد منه الطلاب وأساتذتهم ، حتى يصبح في التو محاضر ، يلتف حوله طلاب العلم يفيدون من علمه .

وكما هو ملاحظ فإن علم البلاغة ، وكل ما تنتجه البيئات العربية من العلوم الدراسية يصبح حقا مشاعا لكل البيئات الأخرى ، أو يقوم العلماء بشرح مؤلفات غيرهم من العلماء كما شرحت كتب الإمام على (كرم الله وجهه) ، وقد شرحت الكثير من كتب العلماء مثل كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وكتاب التبيان في علم البيان لابن الزملكانى[1] .

ولذلك يمكن الإفادة من هذه الدراسة ، فقد قام الباحث بتصنيف علماء البلاغة ومؤلفاتهم حسب تاريخ الوفاة لكل منهم ، وإذا قال البعض كيف ذلك وهو كتاب في الأدب نقول " إن هناك علوم مساعدة يمكن من خلالها التعاون بين المؤرخين والعلماء الآخرين تفيد كليهما كلا في مجاله ، وتوسع آفاقه فضلا عن النتتائج التي يصل اليها العلماء الآخرون ، والتى تساعد المؤرخون على إيجاد التكامل في البحث التاريخى ومن هذه العلوم علم الأدب ، وفقه اللغة ، اللذان ما زالا يلعبان دورا هاما في البحث والدراسة التاريخية[2]

الدراسات النقدية :

تحدث ياقوت عن بعض الدراسات النقدية بعد أن تحدث عن النشاط البلاغى ومن العلماء الذين نشطوا في ذلك : -

الحسن بن بشر الآمدى ت : ٣٧١ هـ الذى اهتم بالكتابة فى هذا المجال فهو صاحب كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى وقد تحدث الآمدى فيه عن مذهبين مختلفين من المذاهب النقدية فى فهم الشعر وصنعه وعمله ، هما : مذهب المجددين من أنصار أبى تمام ، وأصحاب المعانى ، والفلسفة والبديع ومذهب المحافظين من أنصار البحترى الذين يتمسكون بالشعر العربى وتقاليده،مؤثرين حسن العبارة ، وحلاوة اللفظ وجمال أنغامه[3]

---

(١) الشوكانى ، البدر الطالع : ٣٢١/٢ .
(٢) حسين محمد سليمان،المدخل الى دراسة علم التاريخ، (السعودية،دار الإصلاح ، ١٤٠٤ هـ) ص ص : ٦٣ - ٦٥
(٣) معجم الأدباء : ٧٥/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ١٨٥/٢ وانباه الرواة : ٢٨٥/١ وشوقى ضيف فى النقد الأدبى (دار المعارف د ، ت) ص : ٦٤ .

محمد بن عمران المرزبانى ت : ٣٨٤ هـ كان خرسانى الأصل ، وله كتاب الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، وهو سجل لنقد اللغويين من القرن الثانى حتى القرن الرابع ، وذلك شمل شعراء الجاهلية والإسلام ، وشعراء العصر العباسى حتى نهايته متخللا ذلك بنظرات نقدية كثيرة له ولسابقية[١] .

المحور الثالث : العلوم العقلية وأهم أعلامها : -

أرخ شيخنا ياقوت للعلوم العقلية ، وتحدث عن بعض أعلامها ، ومن بين هذه العلوم العقلية التى تحدث عنها : علم الطب - علم الصيدلة - علم الكيمياء - علم الفلك والنجوم - علم الفلسفة والحكمة - علم التاريخ - علم الجغرافيا - علم الرياضيات - علم المنطق وعلم النفس .

أولا : علم الطب : أرخ ياقوت الحموى لهذا العلم ، فتحدث عن علماء الطب وذكر جهود هؤلاء العلماء فى تصنيف كتب الطب .

ذكر ياقوت الحموى من بين علماء الطب فى القرن الأول الهجرى : -

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ت : ٨٥ هـ كان حكيما فى قريش ، وعالم عصره فى الطب ، فقد أتقنه وألف فيه الكثير من الكتب ، وكان موصوفا بالعلم والعقل والدين ، وله همة ومحبة للعلوم ، جمع علم العرب والعجم فى الطب ، وقد ذكر له ياقوت كتاب السر البديع فى فك الرمز المنيع[٢] .

وقد استرعى انتباه الباحث أن شيخه ياقوت لم يتعرض لعلماء الطب قبل عصر الإسلام وعلماء الطب فى صدر الإسلام ، وعذره فى ذلك أنه لم يهتم بتوضيح وإيضاح

---

(١) معجم الأدباء : ٢٦٨/٥ ومعجم المؤلفين : ٩٧/١١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ١٣٥/٣ والوافى بالوفيات : ٢٣٥/٤ وابن كثير ، مرجع سابق : ٣١٤/١١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٨٤/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٦٨/١ ومعجم المؤلفين : ٩٨/٤ ، ٩٩ والجاحظ ، مرجع سابق : ١٧٨/١ وابن النديم ، مرجع سابق : ٢٤٢/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٠٠/٢ .

الإطباء وإنما ذكر نماذج من علماء كل قرن فقط ، وقد ترك من علماء الطب في القرن الأول الهجري من الذين كان لهم أثر في الطب :

أبو الحكم الدمشقي ، الذي استطبه عدد من الخلفاء الأمويين ابتداء من معاوية ابن أبي سفيان (٤١ - ٦١ هـ) حتى الوليد بن عبد الملك ت : ٩٦ هـ وقد توفي أبو الحكم إبان حكم الوليد ولم تعرف له مؤلفات في الطب [١] .

وقد كانت خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٥ - ١٥٨ هـ) وحفيده هارون الرشيد زاخرة بأعلام الطب اليوناني ، في الوقت الذي تضاءل فيه العلم في الكثير من المدن [٢]

وذكر ياقوت من بين علماء الطب في الثالث الهجري : -

عيسى بن الحكم الدمشقي ت : بحدود : ٢٢٥ هـ كان من الأطباء ، ولذا يمكن اعتباره من أطباء العصر العباسي أكثر مما هو من العصر الأموي ومن مؤلفاته كتاب الكناش الكبير ومنافع الحيوان [٣] .

وذكر ياقوت من بين علماء الطب في القرن الرابع الهجري : -

أبو سعيد سنان بن ثابت الحراني ت : ٣٣١ هـ كان ماهرا بصناعة الطب ، رفيع المنزلة عند المقتدر العباسي ، وجعله رأساً للأطباء ، وكان لوالده ثابت معرفة جيدة بالطب وقد ترك من مؤلفاته كتاب مسائل في الطب وكتاب وجع المفاصل وكتاب الحصى المتولد في الكلى والمثانة وكتاب جوامع الأمراض الحادة لجالينوس وقد ساهم معه ابنه سنان في تقدم الطب ببغداد ، وكانا كلاهما طبيبا ممارسا ولقدرة سنان في الطب عهد إليه الخليفة المقتدر بامتحان الراغبين في تعاطة صناعة الطب للحصول على إجازة ممارسة الطب قبل

---

(١) محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ، (الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م) ص ص : ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) المرجع السابق : ص ص : ٦٠ ، ٦١ .
(٣) معجم الأدباء : ٢٦٠/٤ ومعجم المؤلفين : ٢١٠/٣ .

أن يباح لهم علاج المرضى ، وكان سبب ذلك أن بعض الأطباء أخطأ في معالجة مريض فمات ، وإليه يرجع فضل إنشاء أول مستشفى للسجون بأمر من وزير المقتدر (١) .

ثابت بن سنان الصابيء الحراني ت : ٣٦٣ هـ كان طبيبا مؤرخا ، جمع الكثير من علم الطب في عصره ، وخدم المستكفي والراضي بالله العباسي ، ثم المتقي لله والمطيع (٢) .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابي ت : ٣٦٥ هـ كان علامة في الطب تركن النفس إلى ما يوجهه من علمه ، وقد ورث ابنه الطب عنه ، فكان رأسا في الطب ، ولم يكن في زمانه من يماثله في الطب ، ومن تلاميذه (عيسى بن أسد النصراني ت : ٢٨٨ هـ) (٣)

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيرواني ت : ٣٦٩ هـ كان مهتما بعلم الطب ، وفرغ لتأليف العديد من مراجع الطب التي ظلت متداولا يفاد منه ، ومن آثاره العلمية كتاب زاد المسافر في صلاح الأمراض وقد ذكره الزركلي باسم زاد المسافر وقوت الحاضر وقال عنه أنه مخطوط في الطب يقع في مجلدين ، منه نسخة في مكتبة الشعب بباريس ودرسدن بألمانيا ،ورينور بالهند ، وهافانا بهولندا ، وشستربتي برقم ٥٢٢٣/٦ .

وله كتاب طب الفقراء ذكر الزركلي أنه مخطوط في المتحف العراقي ، ويقول رأيت مخطوطته مجموعة عند (حماد بن عباد) في الرباط ، وله كتاب التحذير من أخراج الدم . وكتاب الخواص ونصائح الأبرار وله رسالة في الزكام وله رسالة في النوم واليقظة والمجربات وله مقالة في الجذام وله رسالة في المعدة (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٤٠٢/٣ وتاريخ الحكماء : ص ١٩١ وابن ابى أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٢٠/١ والزركلى مرجع سابق : ١٤١/٣ .

(٢) معجم الأدباء : ٨٥/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ وتاريخ الحكماء : ص ٧٧ وابن العماد ، مرجع سابق : ٤٤/٣

(٣) معجم الأدباء : ٣٦٤/٢ وتاريخ الحكماء : ص ٨٩ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٨/٢ .

(٤) معجم الأدباء : ٨٥/٢ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٣٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٥/١

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الطب فى القرن الرابع الهجرى اهتموا بالكتابة والتصنيف فى علم الطب ، بالإضافة إلى انشغالهم بتعليم طلابهم لمفردات هذا العلم ، وقد ظهر على ايدى العلماء الكثير من أقسام علم الطب ، فقد صفنوا فى كل قسم من أقسامه الكثير من مؤلفات هؤلاء العلماء .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الطب فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلى ت : ٤٢٠ هـ كان عالما بالطب من أهل نيسابور ، وكان عارفا بصناعة الطب ، من آثاره العلمية كتاب اختصار كتاب المسائل لحنين فى عدة مجلدات وله تلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس " مع شرح لأبن بكر الرازى (١) .

أبو الفرج عبد الله بن الطبيب ت : ٤٣٥ هـ كان طبيبا من أهل العراق واسع العلم كثير التصنيف ، وكان يعلم الطب فى البيمارستان العضدى ، ويعالج المرضى ، وكان معاصرا للرئيس ابن سينا ، ومن آثاره العلمية كتاب مقالات أرسطو ذكر الزركلى أنه مخطوط وله شرح أربع مسائل من كتب جالينوس وذكر الزركلى أنه مخطوط أيضا (٢) .

أبو الحسن مختار بن الحسن المعروف بابن بطلان ، ت : ٤٥٨ هـ الذى قرأ على علماء عصره (من نصارى الكرخ) علم الطب ، ومن آثاره العلمية كتاب دعوة الأطباء ذكر الزركلى أنه مطبوع وله كتاب تقويم الصحة ذكر الزركلى أنه مخطوط ترجم إلى اللاتينية والألمانية وطبع بهما ، ولا يبقى منه سوى ترجمة لاتينية ، وأخرى ألمانية فى عصر النهضة وهو من تلاميذ أبو الفرج الطيب (٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٧٩/٣ والثعالبى ، مرجع سابق : ٣٠٨/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٧/٣ .
(٢) ابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٣٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٤/٤ وهدية العارفين : ٤٥٠/١ .
(٣) معجم المؤلفين : ٢١٠/١٢ وجورجى زيدان ، مرجع سابق : ١٠٥/٣ والزركلى ، مرجع سابق : ١٩١/٧ .

أبو الحسن سعيد بن هبة بن الحسين ت : ٤٩٥ هـ كان طبيبا متميزا ، فقد كان طبيب الخليفتين المقتدى بأمر الله ، وولده المستظهر بالله العباسيين ومن آثاره العلمية كتاب المغنى فى تدبير الأمراض ذكر الزركلى أنه مخطوط فى استامبول . وشستربتى رقم ٣٩٧٨ ، وله كتاب الإقناع فى الطب ذكر الزركلى أنه مطبوع (١) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن تقدم علماء الطب فى القرن الخامس ، ساعد على إنشاء البيمارستانات (المستشفيات) ، فقد أنشأ عضد الدولة بيمارستان فى بغداد يقول ابن خلكان عنه : " ليس فى الدنيا مثل ترتيبه ، وبه من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه ، وقد عين به ٢٤ طبيبا ، رتبهم لمعالجة المرضى (٢) .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الطب فى القرن السادس الهجرى : -

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، ت : ٥٢٩ هـ كان من أهل دانية بالأندلس ، انتقل إلى المهدية من بلاد القيروان ، وكان من أكابر الفضلاء فى صناعة الطب . فقد بلغ فى صناعته مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء ، ومن آثاره العلمية كتاب أبقراط ذكر الزركلى أنه بخط المؤلف (أبو الصلت) منه نسخة مبتورة ، غير قديمة رآها فى خزانة الرباط برقم ٢٨١ ق (٣) .

أبو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصرانى ت : ٥٦٠ هـ كان عالما بالطب وبه خدم خلفاء بنى العباس ، وتولى البيمارستان العضدى إلى أن توفى ، ومن آثاره العلمية كتاب حاشية على القانون لابن سينا ، وكتاب الكناش فى الطب وله كتاب شرح فيه أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية وكتاب الموجز فى البيمارستان يشتمل على ثلاثة عشر بابا ، وله مقال فى الفصد ذكر الزركلى أنه مخطوط (٤) .

---

(١) ابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٥٤/١ وهدية العارفين : ٣٩٠/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٠٣/٣ .
(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق : ١٠٥/٣ وتاريخ الحكماء : ص ١٩٨ .
(٣) معجم الأدباء : ٣١٧/٢ والخريدة : ٧٧/١١ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٣/٢
(٤) معجم الأدباء : ٢٤٣/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٩١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٢/٨

أبو الحسن على بن زيد البيهقى ت : ٥٦٥ هـ كان متبحرا فى علم الطب والصيدلة وكتب فيهما كتاب أطعمة المرضى وكتاب قوام علوم الطب وكتاب المعالجات الاعتبارية وكتاب أسامى الأدوية وخواصها ومنافعها وكتاب تعليقات بقراط ذكر الزركلى أنها من الكتب المطبوعة (١) .

أبو بكر محمد بن عبد الملك الأندلسى ت : ٥٩٥ هـ كان من نوابغ الطب فى الأندلس ، فلم يكن فى زمانه أعلم منه بصناعة الطب ، وقد أخذ هذا العلم عن أبيه ، وعرف بالحفيد بن زهر ، وكان حسن المعالجة جيد التدبير ، ومن آثاره العلمية كتاب الترياق الخماسيني فى الطب وله رسالة فى الطب (٢) .

تعقيب :

مما سبق استطاع الباحث أن يصنف علماء الطب حسب تواريخ الوفاة ، ومعرفة أهم مؤلفات كل منهم ، وذلك من خلال ما ذكره ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) ، حيث أن هذا الكتاب يعتبر من بين كتب التراث التى اهتم مؤلفها بتدوين بعض العلوم التى كانت سائدة آنذاك بين علماء المسلمين وبذلك يعد ياقوت الحموى من علماء التراث الذين علموا أن تراث أية أمة هو بذرة بقائها ، ودعامة وجودها الحضارى ولا يكون ذلك إلا عن طريق دراسة العلوم الدراسة وبحثها ، والتى تعد قدما تسير من خلالها الأمم إلى الأمام فى خطى ثابتة ، وعن طريق ربط تراثها بخيوط حاضرها ومستقبلها وهو ما قدمه ياقوت نحو علم الطب فقد ذكر محصلة هذا العلم على مر القرون الهجرية الستة من القرن الأول حتى القرن السادس ، فهو لم ينسب هذا التقدم الهائل الذى نجده اليوم إلى الحضارة المعاصرة وإنما وضح حصيلة خبرات وتجارب أجيال وأجيال من قوافل الطباء على مر هذه القرون والدور الريادى الذى قدمه الأطباء العرب المسلمين فى هذه المحنة التاريخية لعلم الطب

---

(١) معجم الأدباء : ١١٧/٤ ومعجم المؤلفين : ٩٦/٧ والوافى بالوفيات : ٦٨/١٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤

(٢) معجم الأدباء : ٣٥٤/٥ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٦٧/٢ والوافى بالوفيات : ٣٩/٤ . والزركلى ، مرجع سابق : ٢٥٠/٦ .

وعلمائه . ووضح ياقوت دور الخلفاء المسلمين فى تقدم هذا العلم وتطوره . بإعتبار ذلك حافز وتنافس بين الأطباء . كما لاحظ الباحث الدور التربوى الذى قامت به الأسرة فى غرس هذا العلم فى نفوس أبنائها . وما قامت به البيئة الأسرية من دور تربوى تجاه أبنائها . كما لاحظ الباحث أن تقدم علم الطب فى كل قرن من القرون الهجرية كان رهن مساهمة الخلفاء والأمراء وبوجه خاص خلفاء بنى العباس . بالإضافة إلى ما قامت به البيمارستانات من دور تربوى تعلم من خلالها طلاب العلم الكثير من علم الطب عمليا ونظريا وما تركه هؤلاء من تراث علمى . وقد قام الباحث فى دراسته الحالية باستعراض أهم مراحل تطور علم الطب عند المسلمين والعرب . وذلك من خلال منهجة التاريخى بدءا من علم الطب أثناء عصر الخلفاء الراشدين . ثم العصر الأموى ودور بنى أمية فى تطور علم الطب . ثم المرحلة التالية والتى تمثلت فى علم الطب أثناء العصر العباسى الأول والثانى والعصر الذهبى لعلم الطب . وقد ذكرنا فى كل مرحلة أبرز علماء الطب فيها . وأهم ما قاموا به من مؤلفات . غير أن ذلك كان من غير توسع فهدفنا تأريخ وليس دراسة أكاديمية

وهناك أطباء كثيرون غير من ذكرنا . ولكل منهم مأثرته وفضله فى ناحية واحدة على الأقل من نواحى علم الطب . لكننا اكتفينا بأشهرهم إذ لا يتسع المقام لجميعهم .

وقد لاحظ الباحث تبارى الخلفاء والوزراء وذوو الجاه والثروة . وأهل العلم والفضل فى ترقية الطب ورفع شأنه . فأنشأ الخليفة المنصور العباسى مدرسة طبية ببغداد وأقام الرشيد أخرى فى دمشق . وأسس الخليفة الناصر لدين الله الأموى الأندلسى مدرسة قرطبة . ثم أخذت المدارس تتزايد فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه . وكان يلحق بكل مدرسة بيمارستان (كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين - بيمار - بمعنى مريض . وستان بمعنى مكان أو موضع [1] .

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب ، (بيروت - منشورات عويدات ، ١٩٨٨ م) .

ثانيا : علم الصيدلة :

الصيدلة هى علم الأدوية ، وقد ذكر الدكتور مرحبا فى كتابه تاريخ العلوم عند العرب أن هذه الكلمة من أصل هندى فإن " اللفظ صيدلانى أو صيدنانى معرب من لفظ جندنانى أو جندل بالهندية هو الصندل ، والصندل من العطور المعروفة عند العرب وأهل الهند يستعملونه فى العلاج كثيرا[1] وبالتالى أطلقت هذه الكلمة على مزاول الأدوية .

ويقول عنها حاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون) : " اقرابازين هو لفظ يونانى معناه التركيب ، أى تركيب الأدوية المفردة وقوانينها [2] . أى أن كلمة صيدلة أصلها هندى ويونانى التى تقابل كلمة عقار ، ولكن الكلمة قد أخذت عند العرب مدلولا دقيقا فأصبحت تعنى الأدوية المركبة .

ومن خلال ما أورده ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) لاحظ الباحث أن كلمة الصيدلة كانت فى بداية أمرها تابعة لعلم الطب ، ملحقة به ، غير مستقلة عنه ، إذ كان كل طبيب هو فى الوقت نفسه صيدلانيا ، وكان له أعوان يساعدونه فى عمله ، عن طريق جمع الأعشار الطبيعية والنباتات الشافية ، وقد كثرت العقاقير وتشعبت طرق تركيبها فأشتدت الحاجة إلى من يتفرغ لها وحدها بالإضافة إلى زهد الأطباء عن تناول شن الدواء من المريض ، ولذلك قام العرب مع تفتح الطب الإسلامى بفصل الصيدلة عن الطب ، فهم المؤسسون الحقيقيون للصيدلة ، وأنشأوا لها المدارس لتعليمها.

وذكر ياقوت من بين علماء الصيدلة فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيروانى ت : ٣٥٠ هـ الذى اهتم بعلم الصيدلة ، وأكثر فيها من التصانيف ، ومن آثاره العلمية كتاب الاعتماد فى الأدوية المفردة ذكر الزركلى أنه مخطوط فى الأدوية بالجزائر ، وأياصوفيا ويقع فى ١٤٠ ورقة فى المتحف البريطانى ، ألفه

---

(١) المرجع سابق : ص ٢٩١ .
(٢) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٣٦/١ .

لأحد الملوك الفاطميين بأفريقية ، ومنه مختصر فى الرباط برقم (١٢١١) د . ، وكان له أدوية يفرقها (أى يوزعها على ذوى الحاجة إليها حسبة وبدون ثمن) .، وله كتاب البغية فى الأدوية المركبة [١] .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الصيدلة فى القرن السادس الهجرى : -

أبو اللت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ت : ٥٢٩ هـ كان من علماء الصيدلة ومن المهتمين بها فقد صنف فيها كتاب الأدوية المفردة ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وقد رآه فى مغنيسا برقم (١١٨١٥) ، وقد كتب فى ١٨٨ ورقة ، وقد عبث به بعض الأغبياء فجعلوا فى أعلاه كتاب القارورة للإسرائيلي [٢] .

أبو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ ، ت : ٥٦٠ هـ كان من المهتمين بعلم الصيدلة ، ومن آثاره العلمية كتاب المقالة الأمينية فى الأدوية البيمارستانية ذكر الزركلى أنه مخطوط [٣] وعن صناعة الأدوية قال القفطى : " وفيه قومة يتناولون طبخ الأدوية " [٤] .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل فى فصل علم الصيدلة عن علم الطب ، فقد افتتحوا الصيدليات العامة وذلك فى زمن المنصور ، كما ألحقوا بكل بيمارستان صيدلة خاصة به ، بل أن صناعة الأدوية كانت تتم بأيدي عمال متخصصون بهذه البيمارستانات ، وكان ذلك الاهتمام العرب الشديد بعلم الطب ، لأن كل منهم متمم للآخر وجزء لا يكاد يتجزأ منه .

---

(١) معجم الأدباء : ٨٥/٢ والوافى بالوفيات : ١١/٥ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢٥٣/١ ومعجم المؤلفين : ١٣٧/١ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٣٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٥/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٣١٧/٢ وابن العماد ، مرجع سابق : ٨٣/٤ وابن أبى اصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلى مرجع سابق : ٢٣/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٤٣/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٩١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٢/٨ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٥٩/١ .

(٤) تاريخ الحكماء : ص ٣٤٠ .

وقد اهتم الوزراء بجانب الخلفاء بالصيدلة وأقاموا عليها رجال متخصصين ، حتى لا يعطى المريض أى شيء مخالف يكون سببا فى وفاته ، ولذلك : أمر المأمون ت : ٢١٨ هـ بإجراء امتحان للصيادلة لاختبار أهليتهم للصيدلة ، وأن يعطى الصيدلى الذى تثبت أهليته منشورا يجيز له العمل ، وإلا حيل بينه وبين تعاطى هذه الصناعة "(١) .

كما لاحظ الباحث أن علماء الصيدلة من العرب كانوا أول من وضعوا كتبا خاصة بتركيب الأدوية أطلقوا عليها اسم الصيدلة وأحيانا الأدوية وقد اخضعوا هذه للرقابة من رجال الشرطة (المحتسب) .

ثالثا : علم الكيمياء :

قبل البدء بالكلام على الكيمياء عند ياقوت من خلال كتابه (معجم الأدباء) يجب أن نبحث أولا عن اشتقاقات هذه الكلمة . فقد ذهب البعض إلى أن الكلمة مشتقة من كلمتى *Kmty Chem* أى التربة السوداء ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على بلادهم إشارة إلى الخصب والبركة أو رمزا إلى السر والخفاء الذى يكتنف هذا العلم ضناً به على غير أهله (٢) . وقد نقل حاجى خليفة عن الصفدى فى لامية العجم أن " هذه اللفظة معربة من اللفظ العبرانى ، وأصله كيم يه ومعناه أنه من الله "(٣) . أى أن هذا العلم من وحى الله وتنزيله يخص به من يشاء من عباده . لكن الخوارزمى يرى أن هذه الكلمة من أصل عربى فيقول " اسم هذه الصناعة (الكيمياء) عربى ، واشتقاقه من كمى يكمى إذا ستر وأخفى (٤) . أى هو من العلوم السرية المضنون به على غير أهلها ، وهذا المعنى يتكرر كثرا عند القدماء ، ولذلك يقول حاجى خليفة نقلا عن الجلدكى " اعلم أن من

---

(١) المرجع السابق : ص ص ١٨٨ - ١٨٩ .
(٢) محمد يحيى الهاشمى ، الإمام الصادق ملهم الكيمياء (المؤسسة السورية العراقية ، القاهرة ، حلب - بغداد ، ١٩٥٩ م) ص ٢٠ .
(٣) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢/١٥٣٠ .
(٤) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، (القاهرة ١٣٤٢ هـ) ص ١٤٦ .

المفترض علينا كتمان هذا العلم وتحريم إذاعته لغير المستحق من بنى نوعنا . وأن لا نكتمه عن أهله . لأن ذلك تضييعا لهم [1] .

وبعد هذه الإشارة إلى معنى كلمة كيمياء نعود إلى " معجم الأدباء " فقد ذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الكيمياء فى القرن الأول الهجرى : -

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ت : ٨٥ هـ كان يلقب بحكيم آل مروان فقد كان كما يذكر ابن خلكان من أعلم قريش بفنون العلم . وله كلام فى صنعة الكيمياء والطب وقد كان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما . وأخذ علم الكيمياء عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الرومى . وقد تضمنت احدى رسائله ما جرى له مع مريانس وصورة تعلمه منه . وهناك علم آخر اسمه اصطفن الإسكندرانى . أمره خالد أن ينقل له بعض أصول الصناعة (الكيمياء) ومن آثاره العلمية الكتب الآتية كتاب الرشد وكتاب الحكمة فى الكيمياء وكتاب الأدعية والقرابين التى تستعمل قبل صناعة الكيمياء وكتاب الاختيار النجومى للصناعة وكتاب الأوقات والأزمنة وكتاب التعليقات [2] .

ولم يذكر ياقوت من علماء الكيمياء فى القرن الثانى الهجرى : -

جابر بن حيان المتوفى فى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة . فهناك مجموعة من المؤلفات تحمل اسمه . تنم عن اطلاع واسع واعتماد كبير على التجارب العلمية والمشاهدات الحسية . وعدم الاكتفاء بالفرضيات والتحليلات الفكرية التى كانت محور المعرفة عند اليونان . وهذه الأعمال تدل دلالة واضحة على قيام علم كيميائى عربى وبذلك كانت كيمياء جابر تتسم بالاعتماد على التجربة واستبعاد الخوارق . ومن آثاره العلمية كتاب السبعين [3] .

---

(١) حاجى خليفة ، مرجع سابق :٢/١٥٣٠ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٨٤/٣ والتهذيب : ١٦٦/٥ ومعجم المؤلفين : ٩٨/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٦٨/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٠٠/٢ .
(٣) د. زكى نجيب محمود ، جابر بن حيان ، سلسلة أعلام العرب ، العدد السادس (القاهرة ١٩٦١ م) ص ٢١ .

ولم يذكر شيخنا ياقوت من علماء الكيمياء فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ت : ٣٢١ هـ والذى كان أحد أفذاذ مفكرة الإسلام والذى أقام علم الكيمياء علما تجريبيا مستقلا بعيدا عن أوهام الرمزية والتنجيم والتصوف ويذكر الدكتور / سيد حسين نصر فى كتابه (دراسات إسلامية) قوله : " إن الرازى رغم استخدامه تعابير جابر بن حيان . ومع أنه أخذ حتى عناوين كتبه منه . فقد عالج الرازى المواد الطبيعية من حيث واقعها الخارجي دون مدلولها الرمزى : فحقائق العالم ظلت موضوعا للدرس كما كانت من قبل . لكن بما هى حقائق لا بما هى رموز . وبذلك كان جابر أهم مصدر من مصادر الرازى ومن آثاره العلمية فى هذا العلم كتاب سر الأسرار وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية . وإلى اللاتينية . وإلى الألمانية . وهذا الكتاب مختصر عن كتاب قبله يسمى الأسرار (١) .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الكيمياء فى القرن السادس الهجرى : -

الحسين بن على الأصبهاني الطغرائى ت : ٥١٣ هـ والذى كان ينعت بالأستاذ وقد صنف فى هذا العلم كتاب جامع الأسرار فى الكيمياء ذكر الزركلى أنه مخطوط يقع فى ٥٥ ورقة . وله كتاب حقائق الاستشهاد فى الكيمياء ذكر الزركلى أنه مخطوط (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث الدور البارز الذى قام به علماء العرب والمسلمون تجاه علم الكيمياء ، وما قدموه من تجارب واستشهادات على سبقهم فى هذا العلم . ومن خلال ما صدره ياقوت كتابه (معجم الأدباء) . نقول أن علم الكيمياء لم يكن من محصلة علوم الغرب . وإنما هو محصلة علوم العرب .

---

(١) د. سيد حسين نصر ، دراسات إسلامية (بيروت ، ١٩٧٥ م) ص ٨١ .
(٢) معجم الأدباء : ١١٧/٢ ومعجم المؤلفين : ٣٦/٤ والوافى بالوفيات : ٩٣/١١ وسير النبلاء : ١٦٠/١٢ والزركلى مرجع سابق : ٢٤٦/٢ .

رابعا : علم الهيئة (علم الفلك والنجوم) :

أرخ ياقوت الحموى فى كتابه (معجم الأدباء) للكثير من علماء الفلك والنجوم (الهيئة) . ولما للنجوم من أثر واضح فى نفوس العرب والمسلمين رأى الباحث أن يتحدث فى البداية عن معنى النجوم وكيفية تأثيرها . ثم تضيف علماء الفلك والنجوم : فقد " كان العرب تسميه علم الهيئة . وعلم هيئة الأفلاك . ويقال له فى الاصطلاح الحديث علم الفلك وعلم النجوم التعليمى . وعلم النجوم . وعلم صناعة النجوم . ويقابله علم أحكام النجوم أو علم التنجيم[(١)] " والنجوم " ظاهرة رآها الإنسان منذ القدم . فأثارت فى نفسه كوامن الدهشة .ملأت قلبه روعة وجلالا . فهى التى تروى قصة الخلق بصمت عجيب . وهى التى تحتفظ بسر الخلق ولا تبوح به . وهى ساعة الإنسان القديم وتقويمه ودليله . اهتدى بها فى حالك الديجور . فوجد فيها النور المشع . فأحس الإنسان بضآلته . لأنه يشاهد ما يند عن سيطرته[(٢)] .

وبذلك فعلم الهيئة هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة والمتحركة . فهو علم مبنى على الرصد والمشاهدة . لا على أوهام صناعة التنجيم . وقد كان العرب قبل الإسلام على شيىء من العلم بالسماء ومواقع النجوم . وكانوا ينتفعون بعلمهم هذا فى حساب المواسم والأيام والشهور وتقدير حركتى الشمس والقمر تقديرا بدائيا بسيطا لا تدقيق فيه

وكان للعرب أيضا معرفة بدائية بسيطة بالبروج . والبروج هى الصورة النجومية التى ترى فى السماء . سواء أكانت فى فلك الشمس أو خارجه . وقد سميت بذلك من البرج وهو المضىء المنير[(٣)] .

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق: ص ٤١٧ .

(٢) يحيى عبد الأمير التامى ، النجوم فى الشعر العربى القديم حتى أواخر العصر الأموى ، دكتوراة فى الأدب العربى كلية الأداب ، جامعة القديس (بيروت - منشورات الأفاق الجديدة ، ١٩٨٠ م) ص ٢٣ .

(٣) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق: ص ٤١٧ .

وبعد هذا العرض نستعرض أراء ياقوت عن علم النجوم فى كتابه (معجم الأدباء) فقد ذكر ياقوت من علماء الفلك فى القرن الأول الهجرى : -

أبو الوليد حسان بن ثابت ت : ٥٤ هـ الذى اهتم بعلم النجوم ، واستخدم ألفاظه تلك فى رثاء أهل البيت فقال :

أظلمت الأرض لفقدانه وأسود نور القمر الفاضل

فهو يقول هذه هى الأرض تظلم شمسها لمرع حمزة بن عبد المطلب ويشجب نور القمر ويسود وجهه .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الفلك (الهيئة) فى القرن الثانى الهجرى : -

محمد بن إبراهيم الفزارى ت : ١٨٨ هـ كان مهتما بعلم الهيئة (الفلك والنجوم) فقد تقدم علم الفلك فى العصر العباسى تقدما كبيرا ، كغيره من سائر العلوم ، وكان أبو جعفر المنصور أول من عنى بهذا العلم ، فهو الذى أمر بنقل كتاب السند هند إلى اللغة العربية ، فقدفطى فى كتابه : أخبار الحكماء قال : قدم بغداد حكيم هندى خبير بمعرفة النجوم حوالى عام ١٥٦ هـ يحمل كتاب السند هند فى علم الفلك ، فأمر المنصور بترجمته إلى العربية ، وأن يؤلف منه كتابا تتخذه العرب أصلا فى حركات الكواكب ، فنقله ابو اسحق الفزارى ، وصنف على نهجه كتابا اتخذه العرب أصلا فى حركات الكواكب وحول فيه سنين الهنود النجومية إلى سنين عربية قمرية ، فضلا عن ذلك فإن الفزارى أول من عمل من المسلمين اسطرلابا ، وقد أطلق المنجمون على كتاب الفزارى كتاب السندهند الكبير ، وكلمة السندهند تعنى الدهر الداهر أو الأبد ، وقد بقى هذا الكتاب معمولا به إلى ايام المأمون ، ومن آثاره العلمية أيضا كتاب الزيج على سنى العرب وكتاب المقياس للزوال[1] .

---

(١) معجم الأدباء: ١١٧/٥ ومعجم المؤلفين: ٩٠/١ وسير أعلام النبلاء: ٩٢/٦ وتهذيب التهذيب: ١٥١/١ وأخبار الحكماء: ص ١٧٧ والزركلى ، مرجع سابق: ٢٩٣/٥ ..

وقد زاد اهتمام الناس بعلم الهيئة فى ذلك القرن ، وزادت عناية المنصور به فعلى عهده نقل (أبو يحيى البطريق ، كتاب الأربع مقالات فى صناعة أحكام النجوم لبطليموس ، ثم علق عليها (عمر بن الفرخان ت : ٢٠٠ هـ)[١] .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الفلك (الهيئة) فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوى ت : ٢٧٦ هـ كان من المهتمين بالكتابة فى علم النجوم فله كتاب الأنواء فى مواسم العرب قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وهو خير أثر باق لمن أراد الرجوع إليه من حيث الاطلاع على النجوم ومعرفة منازلها ، ومطالعها ومساقطها ، وأنوائها ، وله أيضا كتاب العرب وعلومها ذكر الزركلى أنه مخطوط[٢] .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء القرن الرابع الهجرى فى علم الفلك : -

أبو هلال الحسن بن عبد الله الملقب بالعسكرى ت : ٣٩٥ هـ كان مهتما بعلم الفلك والنجوم وصنف فى ذلك كتاب الأوائل أورد له الزركلى أنه قال : فرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ هـ[٣] .

استدراك :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت قد أغفل بعض علماء القرن الرابع والذين كانت لهم يد ساطعة فى التأليف والكتابة فى علم الفلك ، وقد ذكر من هؤلاء العلماء الدكتور / محمد عبد الرحمن مرحبا نقلا عن الصوفى فى كتابه صور الكواكب :

أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى الرازى ت : ٣٧٦ هـ الذى كان من أفاضل المنجمين ومصنفى الكتب فى علم الهيئى ، اشتهر بدقة وصفه للنجوم ورصده لهما نجما نجما وتعيين أماكنها وأقدارها بحسب رصده ويقول الصوفى يزرى غيره من العلماء المقلدين : عولوا على ما وجدوه فى الكتب من أطوالها وعروضها فرسموها فى الكرة من غير

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق : ص ٤٢٤ .
(٢) معجم الأدباء : ١٤٤/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢٥١/١ ونزهة الألبا ، ص ٢٧٢ ولسان الميزان : ٣٥٧/٣ وجورجى زيدان ، مرجع سابق : ١٧٠/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ١٣٧/٤ .
(٣) معجم الأدباء : ٢٦٠/٢ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/٣ وخزانة الأدب : ١١٢/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٩٦/٢

معرفة بصوابها من خطئها " وقد اعتمد الصوفى فى إثبات هذه النجوم على المشاهدة والعيان فقال : وأما أقدارها ومراتبها فى العظم والصغر فعلى ما وجدناه بالعيان . فليس الخبر كالعيان (١) .

أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفى المصرى ت : ٣٩٩ هـ الذى عرف الفاطميون قدره ونبوغه فأجزلوا له العطاء . وشجعوه على متابعة بحوثه فى الهيئة والرياضيات فبنوا له مرصدا على جبل المقطم . وجهزوه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات وصنف فى ذلك كتاب الزيج الكبير الذى رصد بداخله كسوف الشمس وخسوف القمر فى القاهرة حوالى سنة ٩٧٨ م (٢) .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الفلك فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ت : ٤٤٨ هـ الذى قام بتدريس علم الفلك والنجوم بخوارزم وكانت بينه وبين ابن سينا مراسلات أثمرت هذه الدراسات المتعددة أن يألف البيرونى كتاب القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم وهو مصنف ضخم . تناول فيه علم الفلك بحذافيره فكان أكبر مؤلف فى هذا العلم . وله تاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ذكر الزركلى أنه مخطوط بالمتحف البريطانى (٣) .

وذكر ياقوت من بين علماء الفلك (الهيئة) فى القرن السادس الهجرى : -

أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت : ٥٠٢ هـ كان من المهتمين بعلم الفلك والنجوم . وقد جاء كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء مليئا بالحديث عن النجوم وأبعادها . وقد ذكر الزركلى أن هذا الكتاب مطبوع فى مجلدين تحدث فيه عن النجوم ومواقعها (٤) .

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق: ص : ٤٢٦ نقلا عن الصوفى فى كتاب صور الكواكب : ص ٢ .
(٢) المرجع السابق: ص ٤٢٧ .
(٣) معجم الأدباء: ١٨٠/٥ وبغية الوعاة: ص ٢٠ وابن ابى أصيبعة ، مرجع سابق: ٢٠/٢ .
(٤) معجم الأدباء : ٢٢٨/٣ والزركلى مرجع سابق: ٢٥٥/٢ ومعجم المؤلفين : ٥٩/٤ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٦٠٩/٢ .

أبو الحسن أحمد بن على الأسواني المصري ت : ٥٦٣ هـ كان أوحد عصره فى علم النجوم تحدث عن أبعادها فقال :

ولا تظن خفاء النجم من صغر — فالذنب فى ذلك محمول على البصر
النجم تستصغر الأبصار رؤيته — والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر (١)

استدراك :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت قد أغفل ذكر بعض علماء القرن السابع فى الفلك ، ممن كان لهم أثر كبير فى تقدم هذا العلم ومن هؤلاء العلماء :

أبو جعفر محمد بن الحسين نصير الدين الطوسى ت : ٦٧٢ هـ الملقب بالمحقق والذى قضى شبابه فى المغامرة مع النجوم . وبفضل مهارته العلمية فى النجوم أولاه المغول الثقة ، فخدم هولاكو حتى أصبح وزيرا له ، وقد بنى له مرصد المراغة الذى تولى إدارته حتى وفاته ببغداد . وبه أستطاع إنجاز تقاويم فكلية ضمنها كتابه الزيج الأيلخانى وله كتاب التذكرة فى علم الهيئة (٢) .

تعقيب :

مما سبق عرضه لاحظ الباحث أن تعلم علم الفلك وحركة النجوم كان سببه الاعتناء من الملوك والأمراء بأصحاب هذا العلم ، وتقريبهم من هؤلاء الأمراء ، وقد سار هؤلاء العلماء فى اكتشافاتهم ورصدهم لحركة النجوم كل حسب قدراته وأدواته . وكان الواحد منهم يسجل هذه الظواهر التى يشاهدها فى كتاب يطلق عليه اسم الزيج ، ولم يكن هذا العلم وليد اهتمام الغرب بل سبقهم إلى ذلك علماء العرب وعامتهم ، فقد عرف العرب فى جاهليتهم النجوم ، فقد اهتدوا إلى هذا العلم عن طريق الملاحظة الدقيقة ، والخبرة الطويلة لتنقلهم الدائم وضربهم فى الصحارى ومعرفة النجوم كى يهتدوا بها .

---

(١) معجم الأدباء: ٥١٨/١ ومعجم المؤلفين: ٣١٥/١ والأدفوى،مرجع سابق:ص ٤٧وابن العماد،مرجع سابق: ١٩٧/٤

(٢) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق: ص ٤٢٧ .

بالإضافة إلى ذلك فإن العرب فى جاهليتهم ، عبدوا فيما عبدوا بعض مظاهر الطبيعة ومن بينها الشمس والقمر ، وعدد من النجوم ، على أنها مستودع للأرواح وللقوى الفاعلة والمحركة ، ولم يذكر ذلك المحدثين بكثرة تخوفا من أثرها الاشراكى ، ومظهرها الوثنى المنافى للإسلام ولدعوته التوحيدية ، فلم يبق ثمة ما تعتمد عليه سوى بعض الآيات القرآنية والإشارات التاريخية (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعبودات ، واستخدام الإنسان النجم كعلامات وطرق يسير على هداه

فقال تعالى : " وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ " (٢) .

وشعوب الشرق الأدنى القديم عبدوا الأجرام السماوية ، ولا سيما الشمس والقمر بل أن قدماء المصريين كانت عندهم الشمس هى ينبوع الحياة ، وكان ممثل آله الشمس (رع) هو الإله الخالق ، وكان عندهم شروق الشمس هو الحياة وغروبها هو الموت (٣) .

وقد شهد العصر العباسي تجديدا لفكرة النجوم ، تأثرا بمعطيات الفكر والعلم ونتيجة لتمازج الثقافات واختلاط الشعوب ، فقد أخذت الصورة النجمية بعدا جديدا كما اكتسبت ألوانا جذابة ، وظلالا مترفة ، أكسبتها قيمة وزادتها نموا وظهرت مصطلحات العلم ، وألفاظ الفلك والتنجيم ، وبرزت أسماء الكواكب ونجوم كانت شبه مجهولة كلفظة الفلك ، والقطب ، والمشترى ، والحمل ، والحوت والجدي والميزان (٤) .

ومما سبق نستطيع القول أن هذه النماذج من علم الفلك ورجاله عند العرب تظهر لنا فضل العرب على هذا العلم ، وتقدم صورة عامة عن المدى الذى بلغوه فى تطويره وإعلاء

---

(١) بلاشير ، تاريخ الأدب العربى (العصر الجاهلى) ، (بيروت : دار الفكر العربى ، د.ت) ص ١٠٧ .
(٢) سورة النحل : الآية ١٦ .
(٣) إبراهيم ذكى خورشيد و آخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ج ٩ ، النسخة العربية (الشعب ، د.ت) ص ٤ وعبد الحميد زيدان ،من أساطير الشرق الأدنى ، (مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث ، الكويت نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٥ م) ص ١٧٣ .
(٤) يحيى عبد الأمير شامى ،مرجع سابق : ص ٢٤٥ .

شأنه . والجهود التي بذلوها في إقامته كعلم مستقل عن التنجيم ويستند إلى الملاحظة الحسية باستخدام الأرصاد لتعليل حركة النجوم السماوية وتفسير الظواهر الفلكية كل ذلك رغم إمكانياتهم المتواضعة وظروف العمل الصعبة . والمعوقات التي كانت تتعثر بها خطواته . بل أن العرب عندما لم تتوفر لهم الإمكانيات المطلوبة استعملوا عقولهم في تذليلها .

خامسا - علم الفلسفة والحكمة :

اهتم العلماء بالفلسفة عن طريق الترجمة لكتب الفلاسفة ، وأضافوا إليها إضافة لا تكاد تحصى في كل فرع من فروع الفلسفة . والعلم على هدى ما قرءوه وجربوه بأنفسهم ونفذوا إليه بفطنتهم . وقد كان العصر العباسي بشقيه زاخر بعلماء الفلسفة الذين أكثروا من مصنفاتهم في هذا العلم .

علماء الفلسفة والحكمة في القرنين الأول والثاني من الهجرة : -

لم يفرد ياقوت لهؤلاء العلماء بين صفحات علماء الفلسفة والحكمة . وذلك لاهتمام هؤلاء العلماء بعلوم الدين من الفقه والحديث والتفسير والقراءات . وعلوم اللغة من النحو والصرف والأدب والبلاغة. والشعر . ونظرهم إلى العلوم العقلية نظرة ثانوية. فقد ترك بعضهم هذا العلم مثل الكندي وغيره.

علماء الفلسفة والحكمة في القرن الثالث الهجري :

ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء الذين نشطوا في تحصيل هذا العلم : -

أحمد بن الطيب المعروف بأبي الفرائقي ت : ٢٨٦ هـ كان من المهتمين بالفلسفة فقد تعلمها قراءة عن الكندي ، وعلمها للمعتضد ، ومن آثاره العلمية : كتاب علوم الحكماء وكتاب الذهن الثاقب الوقاد وكتاب بسطة الزراع وكتاب الشاكين وطريق اعتقادهم وكتاب أدب النفس وقد ذكرهم الزركلي من المصنفات المطبوعة [(١)] .

(١) معجم الأدباء : ٣٩٢/١ ومعجم المؤلفين : ١٥٧/٢ وسير أعلام النبلاء : ١٠٥/٩ وتاريخ أخبار الحكماء : ص ص ٧٧ ، ٧٨ وابن أبي أصيبعة : مرجع سابق : ١٤/١ والوافي بالوفيات : ١٦/٦ والزركلي : مرجع سابق : ٢٠٥/١

علماء الفلسفة والحكمة فى القرن الرابع الهجرى :

لقد كثر هؤلاء العلماء فى ذلك القرن فذكر ياقوت من بينهم :

أبو زيد أحمد بن سهل البلخى ت : ٣٢٢ هـ كان من المهتمين بتعليم الفلسفة للصبيان ، وقد رفعه ذلك إلى مرتبة علية ، من آثاره العلمية كتاب صور الأقاليم ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وله كتاب البدء والتاريخ وهو كتاب مفيد مهذب عن الخرافات [(١)]

وللبلخى كتاب : جمل مصالح الأنفس والأبدان وكتاب المصدر وكتاب أقسام علوم الفلسفة وكتاب البحث عن التأويلات وقد كتبه لأبى بكر بن المظفر شرح له فيه ما قيل فى حدود الفلسفة وكتاب العلم والتعليم وكتاب شرائع الأديان وكتاب أخلاق الأمم وكان سبب نبوغ البلخى كما ذكره التوحيدى : أنه سافر إلى بغداد يجثو ، بين يدى العلماء ، فتتلمذ لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق وحصل من عنده علم الفلسفة [(٢)] . ومن علماء هذا القرن أيضا : -

أبو زكريا يحيى بن عدى اليعقوبى ت : ٣٦٤ هـ كان ملازما لنسخ الكتب بيده تتلمذ على الفارابى ومتى بن يونس ، وقد ترجم عن السريانية إلى العربية ، وقد نسخ كثيرا من كتب المتكلمين ، من آثاره العلمية : كتاب شرح مقالة ارسطو فى علم ما وراء الطبيعة ذكر الزركلى أنه مخطوط ، ومن المخطوطات التى ذكرها له الزركلى كتاب الرد على ما تعتقده الفرق الثلاث اليعقوبية والنسطورية ،والملكية مخطوط فى مكتبة الفاتيكان ، وله كتاب المسائل مخطوط فى سبع عشرة مسألة ، وله رسالة فى الرد على القائلين بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزء ،ورسالة فيما تحقق من اعتقاد الحكماء . ومن الكتب التى ترجمها عن السريانية إلى العربية،كتاب النواميس لأفلاطون،وكتاب ما بعد الطبيعة[(٣)]

---

(١) معجم الأدباء : ٣٧٧/١ ولسان الميزان : ١٨٣/١ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/١ أبو حيان التوحيدى : مرجع سابق : ١٥/٢ وحاجى خليفة : مرجع سابق : ٢٢٧ - ٦٠٢ .

(٢) حاجى خليفة : رجع سابق : ٢٢٧ - ٦٠٢ - ١٠٨٤ - ١٤٤٠ والزركلى : مرجع سابق : ١٣٤/١ .

(٣) ابن كثير : مرجع سابق : ٢٣٠/١١ وأخبار الحكماء : ص ص ٢٣٦ - ٢٣٨ وأبو حيان التوحيدى ، مرجع سابق: ٣٧/١ وابن ابى أصيبعة : مرجع سابق: ٢٣٥/١ والزركلى : مرجع سابق: ١٥٦/٨ ، ١٠٦/٥ .

وقد تخرج على اليعقوبى الكثير من العلماء المترجمين والفلاسفة مثل : عيسى بن على بن عيسى ت : ٣٩١ هـ الذى كان حاذقا فى الترجمة ، قيما بعلم الأوائل ، وقد تعلم على يحيى بن عدى وقال عنه التوحيدى : " أنه حجة فى النقل والترجمة والتصرف فى فنون اللغات ، وضروب المعانى والعبارات . وقال عنه ابن كثير أنه كان صحيح السماع اتهم بشئ من مذهب الفلاسفة ، من مؤلفاته : كتاب الأمالى (١) . ومن هؤلاء العلماء :

أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ كان أحد الفلاسفة الفضلاء الفصحاء فى الفلسفة ، وقد عاش أيام المكتفى بالله العباسى ، وقد كان والده لا يفكر فى هذا العلم ولا يعرفه ، ومن مؤلفاته : كتاب صناعة الجدل وكتاب صرف الهمم وكتاب ترياق الفكر (٢) .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابىء ت : ٣٦٥ هـ كان إليه المنتهى فى علوم الأوائل، لا يوجد من يماثله فى زمانه ، فى جميع أنواع الفلسفة ، وله فى ذلك تصانيف موصوفة بالجودة ، نال بها رتبة عالية عند المعتضد ،فكان يجلس عنده والوزير قائم (٣) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الفلسفة فى ذلك القرن اهتموا بأنواع وأفرع الفلسفة مثل الجدل والمناظرة ، وقد أكثروا من مصنفاتهم الفلسفية فى ذلك القرن ، بهدف التقرب إلى الوزراء والأمراء ، وقد ساهم علماء الفلسفة فى ذلك القرن بالكثير من الكتب التى ترجمت إلى الكثير من اللغات غير العربية ، بل أن العصر العباسى قد شهد نشاطا ملحوظا فى الترجمة ، فقد نبغ العلماء المسلمين فى ترجمة الكثير من كتب الفلسفة

---

(١) أبو حيان التوحيدى : مرجع سابق: ٣٦/١ وابن كثير : مرجع سابق: ٣٣٠/١١ ومعجم المؤلفين: ٢٤٠/١ وابن العماد : مرجع سابق : ١٦٩/٢ وسير أعلام النبلاء : ٦٨/٩ .

(٢) معجم الأدباء : ٨/٥ ومعجم المؤلفين: ١٤٢/٣ وتذكرة الحفاظ: ٢٨٩/٢ والزركلى : مرجع سابق: ١٩١/٥ وتاريخ بغداد : ٢٠٥/٧ .

(٣) معجم الأدباء : ١٨٣/٢ ومعجم المؤلفين: ١٠٠/٣ وأخبار الحكماء : ص ص ٧٧ - ٩٨ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق: ١١١/٤ وابن العماد ، مرجع سابق : ٤٤/٣ .

ونقلها إلى اللغة العربية وبانتهاء هذا العصر ينتهى عصر المترجمين ، ويدخل عصر الفلسفة الإسلامية الخاصة ، والمشاركة العلمية الخصبة .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الفلسفة في القرن الخامس الهجرى :

أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه ت : ٤٢١ هـ كان قد اشتغل بالفلسفة والحكمة وتعمق فى ذلك أثناء قيامه على خزانة كتب ابن العميد ، حتى عرف بصاحب التجارب وقد كان فيه نزوع للإطلاع على علوم الأوائل ، ويعنى بمجالس الفلاسفة ومصاحبتهم مثل ابن الخمار ، والمنطقى والسجستانى ،ويستمع إلى ما فى هذه المجالس من محاورات بين متفلسفة عصره . وقد تأثر بإقامته مع ابن العميد حتى أنه لم يستطع أحد أن يدعى علم الفلسفة والإلهيات فى عصره . وقد شغل نفسه بالأخلاق حتى عد من أئمة نظرياتها وخصها بكتاب تهذيب الأخلاق الذى مزج فيه بين الروح الإسلامية كما يمثلها القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبين آراء فلاسفة اليونان ، وآراء الكندى والفارابى وقد تأثر ابن مسكويه بكتاب الهوامل والشوامل وقد ضم هذا الكتاب مائة مسألة أجاب عنها ابن مسكويه (١) .

ابن سينا ، ت : ٤٢٨ هـ كان من أكبر فلاسفة الإسلام ، ولقب بالشيخ الرئيس ويقول عنه ابن قيم الجوزية : أنه تكلم فى أشياء من الإلهيات ،والنبوات ،والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت إلى عقولهم ،ولا بلغتها علومهم ،فأنه استفادها من المسلمين " ويقول عنه ابن أبى أصيبعة : " أن والد ابن سينا عنى بتربيته فأحضر له معلما للقرآن فحفظ القرآن فى العاشرة من عمره ،وأقبل على دراسة الفقه وله معلما يعلمه الأدب ،ثم أقبل على دراسة المنطق ، والهندسة ، والفلك على متفلسف يسمى الناتلى " وقد اطلع ابن سينا على كتب العلماء فى علوم الأوائل بمكتبة القصر عند الأمير نوح بن منصور ،وقد مزج

---

(١) معجم الأدباء : ٣/٢ وتاريخ أخبار الحكماء : ص ٣٣١ وهدية العارفين : ٧٣/١ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق ٢٤٥/١ وأبو حيان التوحيدى ، مرجع سابق : ٣٢/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١١/١ .

الفلسفة اليونانية بالحكمة الشرقية والروح الإسلامية ، وأكثر مؤلفاته بالعربية ، وله مؤلفات بالفارسية ومن آثاره العلمية كتاب الشفاء ذكر الزركلى أنه مطبوع يقع فى أربعة أجزاء وقد حاول ابن سينا جاهدا أن يوفق بين أراء فلاسفة اليونان والقدماء وبين آراء الإسلام . وقد نحا فى كثير من أفكاره نحو الفارابى . وكان يذهب إلى أن العقل أعلى قوى النفس ، ويمزج ابن سينا فلسفته بالتصوف الذى تفيض على المتصوف فيه اللذات الروحية ، فلا يرى فى الكون سوى مبدعه وجماله ، ويسمى الصوفى بالعارف [(١)] .

أبو الريحان البيرونى ت : ٤٤٨ هـ كان من علماء الفلسفة المتقدمين ، فقد أقام بالهند سنوات تعلم فيها اللغة السنسكريتية . وقرأ ما كتبه فيها علماؤها ودرس فى عمق فلسفتها وعقائدها وتقاليدها ، وقد اعتبره ياقوت أنه أول عالم مسلم درس الفلسفة الهندية ووضع بذلك حلقة تربط علوم العند بعلوم الإسلام وذلك بترجمة مؤلفات هندية فى الفلسفة ونقلها إلى اللغة العربية فكان أقدر عالم استطاع أن يودع هذه النفائس كتبه القيمة فأخرج للمكتبة العربية نتائج بحوث ونظريات تعد بدأ لتاريخ عصر جديد فى الثقافة الإسلامية . وبذلك شهد القرن الخامس تطور للفلسفة ودمج آراء فلاسفة اليونان والفلسفة الأفلاطونية مع آراء الفلسفة الإسلامية [(٢)] .

أبو على الحسين بن عبد الله المعروف بشبل البغدادى ،ت : ٤٧٤ هـ كان متميزا بعلم الفلسفة والحكمة ، فكان يختلف إلى مجالس المتفلسفين فى زمنه من أمثال يحيى بن عدى وأخذ عنه ما كان يعرف من علم الفلسفة وقد كتب ابن شبل القصيدة الرائية التى دلت على تفوقه فى الحكمة والإطلاع على مكنوناتها [(٣)] . وذهب فى قصيدته إلى اعتقاد

---

(١) معجم المؤلفين : ٢٠/٤ وسير النبلاء : ١١٨/١١ وخزانة الأدب : ٤٦٦/٤ وأخبار الحكماء : ص ص ٥٢ - ٧٢ وابن قيم الجوزية إغاثة اللهفان ، (طبعة مصر ١٣٥٧ هـ) ، ج ٢٦٦/٢ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٢/٢

(٢) معجم الأدباء : ١٨٠/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٤١/٨ وابن أبى أصيبعة ،مرجع سابق : ٤٥٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ .

(٣) معجم الأدباء : ١٣٧/٣ - ١٥٤ ، وابن أبى أصيبعة ،مرجع سابق : ٢٤٧/١ وسير النبلاء : ٢٤٦/١١ والوافى بالوفيات : ١١/٣ والزركلى : مرجع سابق : ١٠٠/١ ومعجم المؤلفين : ١٩٦/٩ وابن شاكر الكتبى : مرجع سابق : ١٩٦/٢ والوافى بالوفيات : ٣٩٣/٣ .

بعض الفلاسفة أن العالم يديره الفلك دورة مقصودة له ، ومنهم من يذهب إلى أن الكواكب ذات تأثير بعيد فى حياة الناس ، وكل أحوال العالم ، ويصور حيرة لا قرار لها حول الفلك وحركته ، فهل هى اضطرارية من قبل الذات العلية أم هى اختيارية ، ويتساءل فى أى شئ مداره وحركته ، وهل ترفع الأرواح إلى عالمه العلوى أم تفنى مع الأجساد فى العالم السفلى ويمضى البغدادى مبينا عمق فلسفته فى مخاطبة الدهر ، الذى تصوره يسقط الأعمار كما تسقط الورود فى الروض وتذبل وتفارقها النضرة والحياة وهذه الدنيا كلما وضعت جنينا لم ترضعه بل تركته لمرضعة غيرها ترضعه النوائب والخطوب ، ثم يتساءل عن الدنيا فيقول إنها عشواء لا تبصر ، وكل ما تأتى عليه من الأنفس يصبح هشيما إنها لعجماء خرساء كل ما تخرجه يهدر ولا يصلح أبدا وما الحياة فى نظره إلا يوم بدون أمس يسبقه ، ويوم بدون غد يلحقه ، إنها مأساة كبرى سببها ذنب آدم وعصيانه ربه ، وأكله من الشجرة .

ويلاحظ الباحث بعد أن فسر بعض أبيات هذه القصيدة أن البغدادى يتفق فى بعض مواقفه مع آيات الذكر الحكيم ، ثم يشطح أخرى شطحات الفلاسفة :

محمد بن أحمد المعمورى البيهقى ت : ٤٨٥ هـ كان من علية الحكماء المشتغلين بالفلسفة ، وقد خدم الملك تاج الملوك الذى كان وزيرا بعد نظام الملك وقد قصده العامة لمعرفة أحوالهم لمعرفته بالنجوم(١) . وهو ما يطلق عليه فى عصرنا الحاضر الفلكيون أو قراء الكف ولم يترك المعمورى فى هذا العلم مؤلفات له .

تعقيب :

لاحظ الباحث من خلال استعراضه لتراجم علماء الفلسفة الذين أوردهم ياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، أن القرن الخامس الهجرى شهد انتقال علماء الفلسفة نقلة واضحة فى هذا العلم ، فقد أظهروا نبوغا وتقدما فى الفلسفة الإسلامية ، وما يتعلق منها

---

(١) معجم الأدباء : ١٥٤/٥ والبيهقى : تاريخ حكماء الإسلام : ص ص : ١٦٣ - ١٦٥ .

بالإلهيات . وكذلك النفس والروح وحقيقة كل منهما . والمستقرئ لهذا القرن يرى أن كتاب معجم الأدباء قد جمع فيه ياقوت للكثير من هؤلاء العلماء .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الفلسفة في القرن السادس الهجرى :

أبو الفتوح محمد بن أبى القاسم الشهرستانى ت : ٥٤٨ هـ الذى اشتهر فى كتابه علم الفلسفة فله كتاب الملل والنحل الذى ألفه سنه ٥٢١ هـ وهو فى علم مقارنة الأديان والملل . والذى بين أن تسامح المسلمين مع أهل الكتاب . كان سببا فى نشأة هذا العلم نشأة مبكرة لدى العرب . فقد كتب فيه البيرونى كتاب تحقيق ما للهند من مقولة وهو يبحث مباحث دقيقة فى الديانات (١) .

أبو الحسن على بن زيد البيهقى ت : ٥٦٥ هـ الذى اهتم بعلم الفلسفة . فقد رحل فى الاستزادة من هذا العلم . وأنفق من الأموال الكثير حتى يحصل الكثير من هذا العلم . فقد تعلم على يد " قطب الدين محمد المرزوى الملقب بالطبسى فى عام ٥٣٠ هـ فقد أقام عنده حتى أنفق ما معه من الدنانير والدراهم . وعاد إلى نيسابور فى عام ٥٣٢ هـ وقد تعلم الكثير من هذا العلم فاشتغل بعلوم الحكمة . وصنف فيها ٧٤ كتابا منها كتاب ذخائر الحكم وقيل اسمه أسرار الحكم فى الحكمة والفلسفة وكتاب شرح الموجز المعجز وكتاب تتمة صوان الحكمة (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموى ،يعد من الكتب التى اهتمت بتاريخ التربية بصفة عامة . وعلم الفلسفة والحكمة بصفة خاصة . بدأ من القرن الثالث الهجرى حتى القرن السادس

---

(١) معجم الأدباء : ١٢٨/٥ وسير أعلام النبلاء : ٢١٠/١٢ والوافى بالوفيات : ٣٧٨/٣ وابن العماد : مرجع سابق ١٤٩/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١٥/٦ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٧٠٣/٢ .

(٢) معجم الأدباء : ١١٧/٤ ومعجم المؤلفين : ٦٨/٧ وهدية العارفين : ٦٩٩/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق ٣١٧/١ - ٤١٥ - ٤٣٧ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .

سادسا : علم التاريخ :

من خلال عرض ياقوت الحموى لبعض العلوم الدراسية تناول العلماء الذين كتبوا فى علم التاريخ ، حيث أن كتابات العلماء فى علم التاريخ قد نشطت فى معجم البلدان العربية الإسلامية ، فى شتى فروع هذا العلم ، وقد وضح ذلك فى التراجم التى أوردها ياقوت لهؤلاء العلماء فى كتاب معجم الأدباء .

فقد ذكر شيخنا ياقوت من بين علماء التاريخ فى القرن الثانى الهجرى :

أبو اليقظان الملقب بالنسابة ت ١٩٠ هـ الذى اهتم برواية أخبار القبائل وتاريخهم ،وصنف فى ذلك العديد من الكتب منها كتاب أخبار تميم قال عنه الزركلى أنه مطبوع ،وله كتاب النسب الكبير ذكر الزركلى أنه مطبوع ،وقد تناول فيه نسب خندق وأخبارها ،وله كتاب النوادر قال عنه الزركلى أنه مطبوع (١) .

تعقيب :

لاحظ الباحث أن علماء التاريخ فى القرن الثانى اهتموا بالكتابة فى علم الإنسان كفرع من فروع التاريخ ، وكانت بداية لأن يسير العلماء من بعدهم على منهاجهم فى كتابة علم الأنساب .

وذكر ياقوت من بين علماء التاريخ فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو حذيفة البخارى ت : ٢٠٦ هـ الذى اهتم بالكتابة فى علم الأنساب ، وأرخ للسير والمغازى والفتوحات ، وقد صنف فى ذلك الكثير من الكتب حتى أن الخطيب البغدادى عدة أكثر من ألف فى تاريخ المغازى والسير ، ولذلك استقدمه هارون الرشيد من بخارى إلى بغداد ، ومن بين مؤلفاته كتاب الفتوحات وكتاب الردة قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب الجمل وصفين وكتابه المشهور المبتدأ قال عنه الزركلى أن الجزء الرابع منه مخطوط فى المجموع بالظاهرية تحت رقم ٧١ ، وقد صنفه فى بدأ الخلق (٢) .

---

(١) معجم الأدباء : ٢١٩/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٩/٣ .

(٢) معجم الأدباء : ١٦٢/٢ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٣٢٦/٦ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٤/١ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٢٣٧/٢ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ .

الواقدى ت : ٢٠٧ هـ الذى أتاحت له قدرته العلمية وإطلاعه على كتب التاريخ القيام بهذه المهمة . فقد كان حافظا للأخبار وأيام الناس ، وصنف فى ذلك كتاب التاريخ الكبير . وكتاب التاريخ والمغازى وكتاب أخبار مكة وقد عدهم الزركلى من الكتب المطبوعة وقد ذكر له ياقوت أكثر من عشرين مصنفا فى علم التاريخ ، وبخاصة السير وأيام الناس (١) .

أبو محمد الفارسى ت : ٢٢٥ هـ الذى نبغ فى علم التاريخ ،وأفرد لنفسه من بين فروع علم التاريخ ،التاريخ السياسى ،المتعلق بأخبار القادة والملوك والأمراء ،فقد كتب فى ذلك كتاب تدبير الملك والسياسة (٢) .

أبو محمد الملقب بابن النديم الموصلى ت : ٢٣٦ هـ الذى اهتم بحضور مجالس الأمراء واشتهر بأنه من ندماء الخلفاء ، ولذلك تفرد بصناعة التاريخ فى عصره ،فكان حافظا للأخبار والأحداث التى يسمعها من هذه المجالس ،ولذا اهتم اهتماما واضحا بتصنيف الكتب فى تاريخ القبائل ،ومن ينتسب إليها ،ومن هذه الكتب كتاب أخبار عجرد وكتاب أخبار محمد بن عائشة قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب أخبار ذى الرمة وكتاب أخبار الأحوص وكتاب جواهر الكلام (٣) .

أبو جعفر الخزاز ، ت : ٢٥٧ هـ الذى اهتم بعلم التاريخ ، جامعاً بين التاريخ السياسى وتاريخ الأنساب ، ومن آثاره العلمية كتاب القبائل وكتاب أسماء الخلفاء وكتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب ،وأخبارهم فى الجاهلية وكتاب المسالك والممالك وكتاب مغازى النبى (ﷺ) وسراياه وأزواجه وكتاب الصحابة (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٩٤/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٦٤٠/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٨/٢ وحاجى خليفة مرجع سابق : ٤٦٠/١ ، ١٢٣٧/٢ - ١٢٣٩ .
(٢) معجم الأدباء : ١٥٥/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٨٦/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٠٩/١ .
(٣) معجم الأدباء ١٥٥/٢ وانباه الرواة: ٢١٥/١ والأصفهانى،مرجع سابق : ٢٦٨/٥ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٢/١
(٤) معجم الأدباء : ١٧٤/٣ وتذكرة الحفاظ : ١٥٦/٢ والصفدى ، مرجع سابق : ١٤٠/٥ .

أبو بكر النسائى ت : ٢٧٩ هـ الذى اهتم بعلم الأنساب ، فقد كان بصيرا بأيام الناس ، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ الكبير يقول عنه الزركلى أن الجزء الخامس منه مخطوط بالمحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٦ أصول حديث ، ويقول : رأيت كراساً منه مكتوباً على الرق (هو جلد رقيق يكتب عليه ، فى صورة الصحيفة البيضاء) هو الكراس الثانى من الجزء الثامن ، الذى تضمن تراجم لبعض الكوفيين وهو يوجد فى خزانة الرباط برقم ٢٦٧١ كتابى ، ويوجد جزء منه مجلدا فى خزانة القرويين بفاس ، وقد استفاد منه الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد وقال عنه : لا أعرف كتاب : أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذى ألفه النسائى ،فقد أحسن فيه وأكثر من الفوائد (١) .

أبو الحسن الملقب بالبلازدى ت : ٢٧٩ هـ الذى اهتم بعلم التاريخ فهو ، مؤرخ جغرافى من أهل بغداد ، فقد ترجم كتاب عهد أردشير ، وكتاب القرابة وتاريخ الأشراف قال عنه الزركلى أنه طبع منه أجزاء ويسمى أنساب الأشراف ،ومنه مخطوطة نفيسة فى مجلد واحد ،كتبت فى دمشق سنه ٦٥٩ هـ فى خزانة الرباط تحت رقم ٧١ ، وله كتاب الأخبار والأنساب ذكر الزركلى أنه يقع فى عشرين مجلدا وقد كان ضائعا فعثر عليه المستشرق الألمانى (أهلوارد) فى مكتبة شيفر ، فطبع وفيه أخبار بنى أمية وتفاصيل وقائع مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ، وأخبار الخوارج (٢) .

ابن واضح اليعقوبى ت : ٢٨٤ هـ الذى أفرد كتاباته فى علم التاريخ ، فمن كتبه كتاب أخبار الأمم السالفة وله كتاب مشاكلة الناس لزمانهم (٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٥٧/١ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٨٣/٣ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٧٤/٢ والزركلى مرجع سابق : ١٢٨/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٨/٢ وبروكلمان ،مرجع سابق : ١٩١/٢ ولسان الميزان : ٣٢٢/١ وجورجى زيدان ، مرجع سابق : ١٩٢/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٦٧/١ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٤٤/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤٣١/٣ والزركلى ، مرجع سابق ١٤٨/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٤٦٠/١ ، ١٢٣٧/٢ .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء القرن الثانى الهجرى فى علم التاريخ قد جعلوا كل اهتماماتهم تجاه علم الأنساب ومعرفة القبائل ،والكتابة عن تاريخ السير والمغازى وذلك من خلال تأثرهم بالأحداث التى سبقتهم ، وكان لها عظيم الأثر فى حياة الأمة الإسلامية . الأمر الذى دفع بهم للكتابة فى هذين الفرعين من علم التاريخ حتى يسدوا للقارئ ملحمة الغزوات التى عهدها المسلمون الأوائل فى نشر الدعوة الإسلامية ، وبجانب هؤلاء العلماء فقد اهتم البعض الآخر منهم بالكتابة والتصنيف فى تاريخ الأدباء ، ورجال القبائل ، وتاريخ الفن ، وبذلك تنوعت الكتابة التاريخية فى كل بلد عربى كثقافة عربية إسلامية .

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء التاريخ فى القرن الرابع الهجرى :

أبو جعفر الطبرى ت : ٣١٠ هـ كان مؤرخا إيرانيا ، فقد كانت البلاد تعرف عن طريق مؤرخيها ،ويعرف المؤرخون ببلادهم ، وقد كتب الطبرى الكثير من المؤلفات فى علم التاريخ منها على سبيل المثال كتاب أخبار الرسل والملوك ذكر الزركلى أنه مطبوع ويقع فى أجزاء وله كتاب تاريخ الرجال المسمى بذيل المذيل ، وقد حصل منه تلاميذه الكثير فقد قسموا عليهم أوراق مصنفاته فصار منها لكل منهم أربع عشرة ورقة[(١)] .

أبو العباس أحمد بن عبيد الثقفى ت : ٣١٤ هـ الذى اهتم بالكتابة فى علم التاريخ فقد كان الأمراء يكلفون العلماء والمؤرخون والكتاب بتأليف الكتب مقابل أجرة ، فقد كتب الثقفى لابن الفرات كتاب أخبار المبيضة الكناية عن أعلام الطلاب التى كانت بيضاء ، والمسودة (كناية عن أعلام العباسيين) ، وله كتاب صفين وكتاب الجمل (أى موقعة الجمل التى دارت بين الإمام على (كرم الله وجهه) وأم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) وقد كتب الثقفى هذه الكتب لابن الفرات مقابل عشرين ألف درهم[(٢)] .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٤٤/٥ وسير النبلاء : ٢٠٦/٩ - ٢١١ والزركلى ، مرجع سابق : ٦٩/٦ .
(٢) معجم الأدباء : ١٥١/١ وهدية العارفين : ٥/١ والصفدى ، مرجع سابق : ١٠٨/٤ .

أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن أبى النجم ت : ٣٢٢ هـ الذى اهتم بعلم الآثار وصنف فى الكثير من المؤلفات فله كتاب النواحى فى أخبار البلدان وكتاب الجوابات المسكتة قال عنه الزركلى أنه مخطوط باسم الأجوبة المسكتة ويوجد بجامعة الرياض تحت رقم ٢٤٩ وله كتاب الدواوين (١) .

وذكر بروكلمان فى كتابه : تاريخ الشعوب الإسلامية : من المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة فى علم الآثار (المطهر بن طاهر المقدسى ت : ٣٥٥ هـ الذى كتب كتاب بدأ الخلق والتاريخ جمع فيه الكثير من المعارف عن الأديان ، وبه كثير من الأخبار التاريخية وذكر من معاصريه (أبو بكر محمد بن إبراهيم الجوزى ت : ٣٥٤ هـ الذى كان علامة فى معرفة الأنساب (٢) .

أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ت : ٣٤٦ هـ الذى اهتم بالبحث فى تاريخ الدول وصنف العديد من الكتب منها كتاب مروج الذهب ذكر الزركلى أنه مطبوع ،وله كتاب أخبار الزمان وهو من الكتب ذات القيمة العلمية ،يقع فى ثلاثين مجلدا ،قال عنه الزركلى بقى منه الجزء الأول مخطوطا ،وله كتاب الإشراف والتنبيه قال عنه الزركلى أنه مطبوع ، وله كتاب أخبار الأمم من العرب والعجم ،وكتاب خزائن الملوك وسر العالمين وهذا الكتاب يتحدث فيه عن أصول الديانات ،وكتاب البيان فى أسماء الأئمة (٣) .

أبو بكر أحمد بن كامل القاضى ت : ٣٥٠ هـ كان من المهتمين بعلم التاريخ وبالكتابة فيه فله كتاب التاريخ وكتاب الزمان وكتاب أمهات المؤمنين وقد ذكر الزركلى أن هذه الكتب من الكتب المطبوعة ، ومن كتبه المخطوطة كتاب أخبار القضاة (٤) .

---

(١) الزركلى ، مرجع سابق: ٦٠/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق: ١٦/١١ .

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكى ، الطبعة الأولى ، الجزء الثالث (بيروت - دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ م) ص ١١٤ .

(٣) معجم الأدباء: ٥٠/٤ وتذكرة الحفاظ: ٧٠/٣ والزركلى ، مرجع سابق: ٢٧٧/٤ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٣١٥/٣ وابن شاكر الكتبى ،مرجع سابق : ٤٥/٢ .

(٤) معجم الأدباء: ٥٤٨/١ والزركلى ،مرجع سابق: ١٩٩/١ .

أبو محمد إسماعيل بن على الخطبى ت : ٣٥٠ هـ كان مؤرخا ثقة ، عارفا بأيام الناس ، وأخبار الخلفاء ، واشتهر فى أيام الراضى بالله العباسى ،ولم يذكر له ياقوت مؤلفات فى علم التاريخ ،وقال الزركلى : له تاريخ كبير يسمى بتاريخ إسماعيل بن على الخطبى (١) .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابئ ت : ٣٦٥ هـ كان مؤرخا ، خدم الخليفة الراضى بالله العباسى ، ثم المقتضى لله ، والمستكفى ، والمطيع ، ومن آثاره العلمية كتاب التاريخ ذكر فيه ما كان فى أيامه من أحداث ، وختم بوفاته ، وله كتاب أخبار مصر والشام ، وقد تعلم أبناء الصابئ علم التاريخ عن والدهم (٢) .

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيروانى ت : ٣٦٩ هـ كان مؤرخا من أهل القيروان ومن مؤلفاته كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر ، وكتاب صحيح التاريخ وله كتاب أخبار دولة المهدى وظهوره بالمغرب ذكر الزركلى أنه من الكتب ذات القيمة العلمية (٣) .

أبو إسحاق الصابئ ت : ٣٨٤ هـ الذى اهتم بالتاريخ السياسى ،الذى يمثل فرع من علم التاريخ ،وقد كتب الصابئ فى التاريخ السياسى كتاب الجامع المختصر (٤) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء التاريخ فى القرن الرابع الهجرى ،قد اهتموا بالكتابة حول التاريخ السياسى لبعض الدول والأسر ،التى سمعوا عنها وشاهدوا آثارها وقد عرف علماء التاريخ من خلال أماكن إقامتهم ببلادهم وأحيانا عرفت بلادهم عن طريقهم ، وقد حصل هؤلاء العلماء على مكانة رفيعة عند الأمراء والوزراء ،وكان اهتمام

---

(١) معجم الأدباء : ٢٩٩/٢ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٣٠٤/٦ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٩/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٣٦٥/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ وابن العماد : مرجع سابق : ٤٤/٣ وأخبار الحكماء : ص ٧٧ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٨/٢ .

(٣) معجم الأدباء: ٢٥٢/١ ومعجم المؤلفين: ١٣٧/١ وابن أبى أصيبعة، مرجع سابق: ٣٧/٢ والزركلى، مرجع سابق : ٨٥/١

(٤) معجم الأدباء : ٢٩٤/٥ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٣٩/٧ والعبر : ١٣٢/٥ .

الأمراء بعلم التاريخ قد جعلهم ينفقون الأموال الطائلة للحصول على كتابات علماء التاريخ .

علماء التاريخ فى القرن الخامس الهجرى :

أرخ ياقوت للكثير من علماء هذا القرن ، ونذكر من بين هؤلاء العلماء :

الرقيق القيروانى ت : ٤٢٥ هـ كان من العلماء الذين غلب عليهم علم التاريخ وتأليف الأخبار ، ومن آثاره العلمية : كتاب تاريخ أفريقيا والمغرب ذكر الزركلى أنه مطبوع فى تونس وكتاب نظم السلوك فى مسامرة الملوك (١) .

هلال بن المحسن الصابئ ت : ٤٤٨ هـ الذى كتب فى التاريخ السياسى كتاب الوزراء ويذكر ياقوت أنه طبعت منه قطعة فى مجلد كبير خاصة بوزارة المقتدر ، وهى حافلة بالأخبار السياسية والاقتصادية (٢) .

بهاء الدين بن شداد ، صاحب كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية وقد تعلم بالمدرسة النظامية ببغداد وعين بها معيدا ، ثم تركها إلى نظامية الموصل والتحق بخدمة صلاح الدين(٣) . ومنه نلاحظ أن وظيفة المعيد كانت قائمة فى القرن الخامس الهجرى ، وذلك ليساعد المدرس فى أعماله التعليمية التى يقوم بها .

أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى .ت : ٤٨٨ هـ كان من المؤرخين الذين رووا عن الخطيب البغدادى .ومن آثاره العلمية : كتاب الذهب المسبوك فى وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسيل ذكر الزركلى أنهما مخطوطان (٤) . وذكر له ياقوت الكثير من المؤلفات .

---

(١) معجم الأدباء : ١٣٧/١ وابن خلكان : مرجع سابق : ١١٣/١ ومعجم المؤلفين : ٧٦/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٩٤/٥ وابن خلكان : مرجع سابق : ١٠١/٦ .
(٣) ابن خلكان : مرجع سابق : ٨٤/٧ .
(٤) معجم الأدباء:٣٩٦/٥ومعجم المؤلفين : ١٢١/١١ والزركلى : مرجع سابق : ٣٢٧/٦ واللباب : ٣٢١/١ والكامل فى التاريخ : ٨٨/١٠ .

أحمد بن على الخطيب البغدادى : ٤٦٣ هـ كان من المؤرخين المهتمين بالكتابة فى تاريخ المدن ، فهو صاحب كتاب تاريخ بغداد الذى يعتبر تحفة نفيسة لا نظير له بين كتب التاريخ الخاصة بالمدن ، ولابن النجار ، ت : ٦٤٣ هـ ذيل عليه فى ثلاثين مجلدا ، اختصره ابن الدمياطى فى كتاب اسماه المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية بخط مؤلفه (١) .

أبو الوفاء ، مبشر بن فاتك الأمير ، ت : ٥٠٠ هـ من أهل دمشق ، ومن آثاره العلمية كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ذكر الزركلى أنه طبع فى مدريد ، وكتاب سيرة المستنصر (٢) .

علماء التاريخ فى القرن السادس الهجرى :

أرخ ياقوت للكثير من علماء التاريخ فى هذا القرن نذكر من بينهم الذين صنفوا فى هذا العلم من التصانيف الكثيرة :

أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطى ت : ٥٥٢ هـ كان من مؤرخى واسط ، ومن آثاره العلمية : كتاب القضاة ذكر الزركلى أنه مطبوع ، وكتاب تاريخ البطائح (٣) .

أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح ت : ٥٥٦ هـ ترك من المؤلفات كتاب المهذب وكتاب الأنساب قال الزركلى أه يقع فى عشرين مجلدا ، كل مجلد يقع فى عشرين كراسا (٤) .

أبو محمد الحسن بن على الأسوانى المصرى ت : ٥٦١ هـ كان من جلساء الصالح بن رزيك (٥) .

---

(١) معجم المؤلفين: ٣/٢ وشوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى: ص ٣٢٠ وتذكرة الحفاظ: ٢١٢/٤ ومعجم المؤلفين: ٤٠١/١٠

(٢) أخبار الحكماء : ص ١٧٦ ومعجم المؤلفين : ١٧٤/٩ ومعجم الأدباء : ٢٨٨/٥ والزركلى : مرجع سابق : ٢٧٣/٥ والوافى بالوفيات : ٣٢٥/٢ وتاريخ بغداد : ٢٧٧/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٣١/١ ومعجم المؤلفين : ١٧٢/١ وابن كثير : مرجع سابق : ٢٣٦/١٢ والمنتظم : ١٧٨/١٠ .

(٤) ابن شاكر الكتبى : مرجع سابق : ١٢٤/١ والزركلى : مرجع سابق : ٢٠٢/٢ .

(٥) معجم الأدباء : ٢٦/٣ والأدفوى : مرجع سابق : ص ١٠٠ .

أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني ت : ٥٩٧ هـ كان من كبار الكتاب فى تاريخ المدن ، قدم بغداد حدثا ، فتأدب وتفقه ، واتصل بالوزير عون الدين بن هبيرة ومن آثاره العلمية : كتاب خريدة القصر وكتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ذكر الزركلى أنهما مطبوعان . وكتاب البرق الشامى قال الزركلى أنه مخطوط يقع فى سبع مجلدات (١) . وذكر ياقوت له الكثير من المؤلفات فى علم التاريخ .

أبو العباس أحمد بن محمد الآبى ت : ٥٩٨ هـ كان من كتاب التاريخ ، فله كتاب نثر الدرر ذكر الزركلى أنه مطبوع (٢) .

علماء التاريخ فى القرن السابع الهجرى :

أرخ ياقوت فى هذا القرن لبعض علماء التاريخ ومن هؤلاء العلماء :

أبو القاسم قثم بن طلحة الملقب القاضى ت : ٦٠٧ هـ كان من المهتمين بعلم الأنساب وقد جمع فى ذلك الكثير (٣) .

محمد بن محمود المؤرخ البغدادى ت : ٦٤٣ هـ كان من العلماء الذين رحلوا بين البلدان للسماع من العلماء ، ومن مؤلفاته تاب ذيل تاريخ بغداد وله الكمال فى معرفة الرجال (٤) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموى يعتبر من المهتمين بتاريخ التربية والتعليم ، فقد تحدث عن بعض علماء التاريخ الذين نشطوا فى الكتابة لمختلف فروع علم التاريخ ، وقد وضح ذلك من خلال استعراض تراجم هؤلاء العلماء ، فقد كان القرن الأول والثانى من الهجرة من الفترات التى ظهر بها الكثير من علماء الأنساب . وتاريخ القبائل

---

(١) معجم الأدباء : ٤٢٥/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٠٤/١١ وابن العماد : مرجع سابق : ٣٣٢/٤ .
(٢) معجم الأدباء : ٣/٢ ومعجم البلدان : ٣٥/١ ومعجم المؤلفين : ٦٣/٢ .
(٣) معجم الأدباء : ٧/٥ والزركلى : مرجع سابق : ٦٣/٢ .
(٤) معجم الأدباء : ٤٤٤/٥ ومعجم المؤلفين : ٣١٧/١١ وابن شاكر التبى : مرجع سابق : ٢٦٤/٢ والزركلى : مرجع سابق : ٨٦/٧ وهدية العارفين : ١٢٢/٢ .

وأنساب الرجال ، وظهر ذلك جليا فى القرن الثالث والرابع من الهجرة ، إذ اهتم علماء التاريخ بكتابة مؤلفاتهم فى تاريخ الرجال ، إذ تطالعنا كتب مختلفة ، ذكرها ياقوت فى كتابه (معجم الأدباء) وكان من بين هذه الكتب كتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة الذى كتبه ابن الأثير ، وكتاب اللباب مختصر كتاب الأنساب للسمعانى .وألف الدارقطنى وابن النجار كتاب المؤتلف والمختلف ، والمتفق والمفترق فى نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان ، وكتاب جنة الناظرين فى معرفة التابعين وكتاب الكمال فى معرفة الرجال .

بالإضافة إلى ذلك فقد صنف علماء التاريخ الكثير من أمهات الكتب فى مجال التاريخ السياسى .وكان هدفهم فى ذلك أحيانا من أجل التقرب إلى الأمراء والوزراء حتى ينالوا بعض المناصب السياسية وأحيانا أخرى من أجل الحصول على الأموال .

سابعا : علم الجغرافيا :

ذكر ياقوت الحموى فى معجمه عدداً من العلماء الذين اهتموا بعلم الجغرافيا فألفوا فيه الكتب وصنفوا التصانيف واجتهدوا فى تعليمه لغيرهم خاصة وأن البيئة الطبيعية التى يعيشها الإنسان تؤثر فى تشكيل فكره ، واتجاهاته العلمية ، تعنى الجغرافيا بها وبدراستها ، فهذه هى البيئة الصحراوية التى أنجبت الكثير من العلماء ، وإن كان ياقوت لم يظهر اهتمام علاء الجغرافيا بالكتابة فى هذا العلم ، فى القرنين الأول والثانى من الهجرة .

وقد ذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الجغرافيا فى القرن الثالث الهجرى :

أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت : ٢١١ هـ كان من المهتمين بالكتابة فى الجغرافيا المناخية وقد صنف فى الجغرافيا الاقتصادية كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسبابها (١) .

(١) معجم الأدباء: ٣٨٥/٣ ومعجم المؤلفين: ٢٣١/٤ وسير أعلام النبلاء: ١٨٨/٧ والزركلى ، مرجع سابق : ١٠١/٣

أبو جعفر محمد بن حبيب . : ٢٤٥ هـ كان مؤدبا للكثير من أهل بغداد ، ومن آثاره العلمية كتاب النبات والشجرة ذكر الزركلى أنن مطبوع ، وله كتاب الخيل (١) .

أبو زيد سعيد بن أوس الملقب بالإمام ت : ٢٥١ هـ كان من كتاب الجغرافيا فقد ترك لنا الكثير من المؤلفات الجغرافية والتى تنوعت بين الجغرافية الاقتصادية والمناخية وجغرافية المدن والعمران ، ومن أهم هذه الكتب كتاب الإبل والشاه ، وكتاب المطر وكتاب بيوتات العرب (٢) .

وقد ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه " تاريخ بغداد أن الحركة العلمية قد نشطت بالعراق وبوجه خاص علم الجغرافيا . فقد كتب العراقيون فيها الكثير من أمهات الكتب فى هذا العلم فيلقانا منهم الإصطخرى صاحب كتاب المسالك والممالك تحدث فيه عن مملكة الإسلام . وصورة أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها وسهولها وجبالها (٣)

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الجغرافيا فى القرن الرابع الهجرى :

أبو زيد أحمد بن سهل البلخى ت : ٣٢٢ هـ كان له السبق على علماء البلدان فى الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض فى كتابه صور الأقاليم الإسلامية (٤)

وذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الجغرافيا فى القرن الخامس الهجرى :

أبو الريحان البيرونى ت : ٤٤٨ هـ كان من المهتمين بالعلوم العقلية والتى منها علم الجغرافيا . وله الكثير من المؤلفات كتاب الآثار الباقية عن القرون الحالية طبع وترجم إلى الإنجليزية . وله كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ذكر الزركلى أنه مطبوع . وله كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة وله كتاب الكسوفين عند الهند . ولمعرفة المزيد من هذه المؤلفات يمكن الرجوع إلى الجزء الثانى من كتاب " معجم الأدباء " لياقوت الحموى (٥) .

---

(١) معجم الأدباء:٢٨٩/٥ وابن النديم ، مرجع سابق : ٦/١ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/١ والزركلى، مرجع سابق: ٧٨/٦
(٢) معجم الأدباء : ٣٥٦/١ وسير أعلام النبلاء : ٩٩/٩ ومعجم المؤلفين : ٢١٨/١ .
(٣) الخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢٧٧/٢ .
(٤) معجم الأدباء : ١١٧/١ والوافى بالوفيات : ٦/٦ - ٨ والزركلى ، مرجع سابق : ١٣٤/١ .
(٥) معجم الأدباء : ٣٢١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ .

أبو الوليد إسماعيل بن محمد الكاتب ت : ٤٤٠ هـ كان من علماء الجغرافيا الذين كتبوا فى الجغرافية الطبيعية فقد فرضت عليه البيئة أن يتبحر فى علم الجغرافيا وكتب فى ذلك كتاب البديع فى فصل الربيع . وقد تحدث فيه عن فصل الربيع . وما يعتريه من متغيرات فى المناخ (١) .

ومن بين علماء الجغرافيا فى القرن السابع الهجرى : -

كان أهم جغرافى ظهر فى العراق . فى ذلك القرن هو ياقوت الحموى البغدادى ت : ٦٢٦ هـ صاحب كتاب " معجم الأدباء " موضوع الدراسة . وقد ظهر ياقوت فى ذلك العلم من خلال كتاباته الجغرافية متعددة الجوانب . ويعتبر كتابه " معجم البلدان " من أنفس كتب الجغرافيا العربية . ويقع فى ست مجلدات ضخام . وذكر فيه ياقوت أنه لم يترك كتابا فى المكتبة العربية إلا ذكر أنه اطلع عليه ونقل عنه . ولم يكتف ياقوت بتلك الكتب التى كون منها مادته العلمية لهذا الكتاب بل رجع إلى دواوين الشعراء ينقل عنها وألم فى بلدة بأهم من عاش فيها من العلماء والأدباء مما يضيف قيمة واسعة للكتاب . إذ يصبح مصدرا من مصادر العلم والأدب ورجالها . وله فى الجغرافيا أيضا كتاب المشترك وضعا والمختلف صقعاً وهو مطبوع فى سنة ١٨٤٦ م . وقام بنشره (فرديناند وستنفيلد) الذى نشر كتاب " معجم البلدان " وغيرها من أمهات كتب التراث (٢) .

أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف الموصلى المعروف بابن اللباد . ت : ٦٢٩ هـ كان من المهتمين بالكتابة فى علم الجغرافيا . ومن آثاره العلمية كتاب الإفادة والاعتبار بما فى مصر من الآثار . وقد وصف فيه مصر وآثارها وصفا بديعا . وصور كثير من شئونها الاجتماعية (٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ٣١٢/٢ ومعجم البلدان : ٢٥٤/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٢٣/١ .
(٢) معجم الأدباء : ١٨/١ - ٤٤ ومعجم المؤلفين : ١٧٩/١٣ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ١٨٧/٨ والزركلى ، مرجع سابق : ١٣١/٨ .
(٣) معجم المؤلفين : ١٣١/٤ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق : ١٠٧/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢١/٤ .

تعقيب :

لاحظ الباحث من خلال استعراضه لتراجم العلماء الذين أوردهم ياقوت فى معجمه أن علم الجغرافيا كان من العلوم العقلية التى عنى بها العلماء ، على وجه الخصوص الجغرافيا البيئة والاقتصادية ، والمناخية ،والجغرافيا الإقليمية . ولذلك فمن المقرر أن أوربا وعلماء الغرب قد استفادوا من معارف علماء المسلمين ففى كتاباتهم الجغرافية ،وأنهم مدينون لهم فى معارفهم الجغرافية والملاحية ،حتى أن علماء الغرب ما زالوا يستخدموا بعض الكلمات العربية المستخدمة فى الملاحة . وفى تاريخ الجغرافيا وكان الجغرافيون العرب قد بدأوا بتحديد تقويم البلدان داخل دولة الإسلام ، ورسموا صورة الأرض ولم يعارضوا فكرة كرويتها . وأضافوا إلى الجغرافيا الفلكية الكثير ، واهتموا بغير بلاد الإسلام ، مثل الشرق الأقصى وبلاد الهند . وبذلك فإن تقدم الجغرافيا يرجع إلى أعمال أجيال من العلماء المسلمين الذين لم يكتفوا بالنقل بل جالوا فى البلدان وسافروا فى البحار.

ثامنا : علم الرياضيات (الحساب - الجبر والمقابلة - الهندسة) : -

أرخ ياقوت الحموى من خلال كتابه " معجم الأدباء " للكثير من علماء الرياضيات الذين نبغوا فى هذا العلم ، وفى فروعه ، وصنفوا فيه الكثير من التصانيف .

وقد ذكر ياقوت من بين علماء الرياضيات فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو العنبس محمد بن إسحاق الملقب بالصيمرى ت : ٢٧٥ هـ الذى اهتم بعلم الرياضيات وبوجه خاص علم الهندسة ، وقد صنف فى ذلك كتاب هندسة العقل (١) .

أبو حنيفة الدينورى ت : ٢٨٢ هـ الذى اهتم بعلم الحساب والهندسة والجبر ، فكان مهندسا حاسبا ، وترك من مؤلفاته العلمية كتاب نوادر الجبر وكتاب الجبر وكتاب الجبر والمقابلة وكتاب البحث فى حساب الهند وكتاب حساب الدور (٢) .

---

(١) معجم الدباء : ٢٢٢/٥ - ٢٢٣ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢٣٨/١ ومعجم المؤلفين : ٣٨/٩ والوافى بالوفيات : ١٩١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٨/٦ .

(٢) معجم الأدباء : ٣٥٢/١ والكامل فى التاريخ : ١٥٧/٧ والزركلى ، مرجع سابق : ١٢٣/١ .

وقد ترك ياقوت من بين علماء الرياضيات فى القرن الأول الهجرى : -

يعقوب بن طارق ، ومحمد بن إبراهيم الفزارى ،فقد ذكر الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتاب الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب قوله : فى سنة ١٥٤ هـ وفد على بلاط الخليفة العباسى المنصور ببغداد حكيم هندى خبير بمعرفة النجوم ، ومعه كتاب أثار اهتمام أثنان من منجمى المنصور فنقلوه إلى العربية ، فكان ذلك بدءا احتكاك العرب بالفكر الهندى ،وكان العرب قبل ذلك منذ العصر الأموى أى فى نهاية القرن الأول للهجرة قد تعرفوا على الفكر اليونانى بعلومه الرياضية (١) .

وتبين للباحث أيضا أن ياقوت الحموى قد ترك من علماء الرياضيات فى القرن الثالث الهجرى : -

الخوارزمى مؤسس علم الجبر ، فقد كان : " محمد بن موسى الخوارزمى ت : ٢٣٢ هـ أول من وضع أسس هذا العلم وجعله علما مستقلا منتظما ، بعد أن كانت مبادئه مشتقة ومختلطة فى موضوعات الرياضية وبخاصة الحساب والهندسة ، وكان الخوارزمى أول من أطلق على الجبر هذا الاسم ووضع مصطلحاته ، وكان ذلك فى أيام الخليفة المأمون الذى كلفه بذلك ، فوضع كتاب الجبر والمقابلة. وهذا العلم ، يعنى به عند الخوارزمى نقل الحدود (٢) .

وذكر ياقوت من بين علماء الرياضيات فى القرن الرابع الهجرى : -

أبو النصر محمد بن إسحاق الكندى المصرى ت : ٣١١ هـ كان مشاركا فى علم الهندسة وغيرها من علوم الأوائل ، وقد أخذ هذا العلم عن علماء أنطاكية ،ثم سار عنها إلى مصر ، حتى يدرس بها هذا العلم لغيره من طلاب العلم (٣) .

أبو سعيد سنان بن ثابت الحرانى الصابئ ت : ٣٣١ هـ كان مهتما بعلم الهندسة ساعده على ذلك ما حصل عليه من تشجيع عضد الدولة له ، وقد صنف الصابئ فى نلك

---

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق : ص ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٢) المرجع السابق: ص ٣٩٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٢٢٧/٥ وحسن المحاضرة : ٣٠٧/١ والوافى بالوفيات : ١٩٥/٢ ومعجم المؤلفين : ٣٩/٩ .

الكثير من الكتب والتى من بينها كتاب إقليدس فى الأصول الهندسية وله رسالة فى الخطوط المستقيمة التى تقع فى الدائرة [(١)] .

ابن الداية ت : ٣٤٠ هـ كان مهتما بالبحث والاستقراء ، ومن جلة الكتاب بمصر وقد انفرد بعلم الحساب . فكان يعلمه لطلابه من خلال مجالسه التى كان يعقدها [(٢)] .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابئ ت : ٣٦٥ هـ كان مهتما بعلم الحساب والهندسة فقد كان عالما مهندسا تركن النفس إلى ما يوجهه [(٣)] .

ليس ذلك فقط فقد نبغ علماء العرب فى أصول البناء وفن العمارة حتى أن علماء الغرب لا يزالوا يدرسون أصول هذا البناء والنقوش وبعض أشكال الزينة التى تركها هؤلاء المهندسون ، وحتى لا نسأل عن من هم هؤلاء المهندسون ؟ نذكر بعض هؤلاء من خلال كتاب الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب للدكتور / مرحبا : -

أبو عثمان سعد ت : ٢٩ هـ الذى بنى قنطرة من قناطر خليج مصر فى عهد عبد العزيز بن مروان .

صالح بن كيعان ت : ٨٧ هـ الذى أشرف على تعمير مسجد النبى (ﷺ) أيام حكم الوليد .

يحيى بن حنظلة ت : ٩٢ هـ الذى بنى مسجد عمرو بن العاص فى أيام قرة بن شريك .

فتح الله ت : ١٥٠ هـ الذى بنى مسجد الزيتونه [(٤)] .وللمزيد يمكن الرجوع إلى هذا الكتاب

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن القرن الرابع الهجرى ظهر فيه تقدم وتطور لعلم الهندسة ، فقد اعتمد علمائه على الأصول الهندسية التى وضعها اقليدس فتدارسوها وشرحوا بعض نواتجها وابتكروا بعض التمارين لتطورها ، وقد أظهر هؤلاء العلماء اهتماما شديداً بالنواحى العلمية والتطبيقية للهندسة وخاصة فى المساحة والبناء .

---

(١) معجم الأدباء : ٤٠٢/٣ وتاريخ الحكماء : ص ١٩١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٤١/٣
(٢) معجم الأدباء : ٨٥/٢ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ١٩٠/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٢/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٦٤/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ .
(٤) محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق : ص ٤١٣ .

وذكر ياقوت من بين علماء الرياضيات فى القرن الخامس الهجرى : -

أبو الريحان البيرونى ت : ٤٤٨ هـ كان من علماء الرياضيات المتفوقين ، وإليه يرجع صناعة الإسطرلاب ، ومن آثاره العلمية كتاب الإسطرلاب وكتاب الاستيعاب فى صنعة الإسطرلاب ذكر الزركلى أن هذه الكتب من الكتب المخطوطة بمكتبة برلين رقم ٣٣٨٢/ عربى . وقد نشر معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية قائمة بمؤلفات السرونى منها فى الحساب كتاب استخراج الحساب وإصلاح ما وراءه من مراتب الحساب وكتاب تذكرة الحساب والعد بأرقام الهنود وكيفية رسوم الهند فيها وكتاب استخراج الأوتار فى الدائرة وكتاب جمع الطرق السائرة فى معرفة أوتار الدائرة . وكان البيرونى يعتمد على العقل فى استنباط المعرفة (١) .

الحسين بن محمد الملقب حى التجيبى القرطبى ت : ٤٥٦ هـ كان عالما بصناعة وكلفا بصناعة التعديل ، متقدما فى الهندسة . وقد أخذ علم الهندسة والعدد عن أبى عبد الله المعروف بابن برغوث الرياضى (٢) .

ومن بين العلماء الذين ذكرهم ياقوت فى القرن السادس الهجرى : -

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز . ت : ٥٢٩ هـ كان من علماء الهندسة وقد رحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاما ، واتصل بالمهدية فى المغرب وخدم أميرها " يحيى بن تميم الصنهاجى .وابنه على بن يحيى ، والحسن بن يحيى ، ومن خلال تقدمه فى علم الهندسة أعد أبو الصلت تجربة لرفع الأثقال من المياه ، ولكنها فشلت مؤخرا (يمكن الرجوع إلى الجزء الثانى من كتاب معجم الأدباء لمعرفتها) ومن آثاره العلمية التى تركها رسالة فى عمل الإسطرلاب ذكر الزركلى أنها مخطوطة بالمتحف العراقى برقم ١٢٤٨ ، وفى شستربتى برقم ٣١٨٣ (٣) .

---

(١) معجم الأدباء : ١٢٦/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٤١/٨ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ ومحمد التونسى ، مرجع سابق : ص ٤٥ .

(٢) معجم الأدباء : ١٩٨/٣ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٥٤/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٣١٧/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٨٠/١ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلى مرجع سابق : ٢٣/٢ .

أبو الحسن على بن زيد البيهقى ت : ٥٦٥ هـ كان من المهتمين بعلم الحساب ، ولذا رحل إلى أساتذته بمختلف البلدان فقد نزل الرى سنه ٥٢٦ هـ وأقام بها ينظر فى الحساب والجبر والمقابلة ، فلما رجع منها أكمل تلمذته على يد أستاذ خراسان " عثمان بن جاذوكار" ومن آثاره العلمية : كتاب فى الحساب ذكر الزركلى أنه يقع فى مجلد واحد وكتاب معرفة ذات الحلق والكرة والإسطرلاب (١) .

ومن بين علماء الرياضيات الذين ذكرهم ياقوت فى القرن السابع الهجرى : -

أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير ، ت : ٦٠٦ هـ كان مهتما بتأليف الكتب فى العلوم العقلية والتى تعتمد فى تعلمها على العقل ، فقد صنف فى الحساب كتبا أملاها على طلبته ، وهم يعنون بالنسخ والمراجعة ، ومن بين هذه الكتب رسائل فى الحساب فى صورة جداول يسهل تناولها وفهمها (٢) .

أبو النصر محمد بن سليمان البغدادى ت : ٦٢٠ هـ كان من المهتمين بالعلوم العقلية ، فقد كانت له يد باسطة ومقدرة تامة فى حل إقليدس ، وعلم الهندسة (٣) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموى يعد مصدرا من المصادر التى اهتمت بتاريخ التربية والتعليم ، وعلى وجه الخصوص التأريخ للعلوم العقلية إذ يزخر بالكثير من العلماء والمصنفات التى تركها هؤلاء العلماء للمكتبة الإسلامية ، وقد كان الدافع لهؤلاء العلماء هو تشجيع الحكام لهم ، لأنهم كانوا فى حاجة شديدة إلى الاستعانة بهؤلاء العلماء على تطبيق البرامج الحربية التى وضعوها تنفيذا لسياستهم القائمة على حب الفتح والتوسع ، والبرامج العمرانية التى تخلد ذكر أمجادهم .

---

(١) معجم الأدباء : ١١٥/٤ وهدية العارفين : ٦٩٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٣/٥ وابن كثير ، مرجع سابق : ٥٤/١٣ والكامل فى التاريخ : ١٢/ ١١٣ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧٢/٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٤٦/٥ والوافى بالوفيات : ١٢٥/٣ وابن العماد ، مرجع سابق : ٩٣/٥ .

وقد كان البيرونى صاحب الفضل فى ابتداع أسلوب التأمل وابتكار طرق ووسائل تقريب قضايا علم الفلك ، فكان من أوائل المبتكرين لطريقة شرح النصوص الدينية وتقوية قضايا الحكمة بآيات القرآن الكريم ، وقد أشاع البيرونى فى الأوساط العلمية الإسلامية فلسفة رياضية جديدة ، وهى نظرة الإسلام الديناميكية للعالم ، وبعلماء الإسلام قفزت الرياضيات قفزة مذهلة بعد أن كانت مجرد خليط مشوش ضخم لا يكاد يربط بينها رابط ولم يكن ذلك التطور والتقدم فى جانب واحد من جوانب علم الرياضيات بل كان فى الجبر والحساب والهندسة ، ولذلك فالتفكير الرياضى بعامة لا يفى بأغراض تلك النهضة العظيمة لعلماء المسلمين وما زالت الحضارة الغربية تدين لهؤلاء العلماء بجهودهم فى تقدم هذا العلم .الذى كان سببا فى إخراج أوربا من العصور المظلمة .

تاسعا : المنطق وعلم النفس :

تحدث ياقوت عن علم المنطق وعلم النفس من بين العلوم العقلية التى زخر بها كتاب معجم الأدباء ، فذكر من علماء المنطق فى القرن الثالث الهجرى : -

أبو زيد سعيد بن أوس الملقب بالإمام الأديب ، ت : ٢٥١ هـ كان من ثقات البصريين المهتمين بالعلوم العقلية ، ومن مؤلفات فى علم النفس كتاب الغرائز ، وله أيضاً كتاب المنطق (١) .

ومن بين علماء القرن الرابع الهجرى فى المنطق ذكر ياقوت : -

أبو النصر محمد بن إسحاق الكندى المصرى ت : ٣١١ هـ كان شيخا فى علم المنطق يجتمع مع العلماء فى مجالس سيف الدولة وقد تعلم على يد الزجاج (٢) .

أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ وقد كان من أصحاء المتقدمين فى علم المنطق عاش أيام المكتفى بالله العباسى ،وكان يشار إليه فى علم المنطق وقد تعلم من خلال حضوره مجلس الوزير : الفضل بن الفرات وقت مناظرة ابى سعيد

(١) معجم الأدباء : ٣٧٨/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢٠٧/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٩٢/٣ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٦٦/٥ ومعجم المؤلفين : ٣٩/٩ وحسن المحاضرة : ٣٠٧/١ .

السيرافى ومتى المنطقى صاحب علم المنطق ، وكان المنطق فى هذا العصر لم يتحرر ولم يقوم ولم يحسن مثل ما هو عليه الآن (١) .

أبو منصور محمد بن أحمد الملقب بالأزهرى ت : ٣٧٠ هـ كان مهتما بدراسة علم المنطق ،وكتب فى ذلك كتاب إصلاح المنطق (٢) .

وذكر ياقوت من بين علماء المنطق فى القرن السادس الهجرى : -

أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب ت : ٥٦٨ هـ كان من المهتمين بعلم المنطق وقد صنف فى ذلك كتاب الرد على التبريزى فى تهذب الإصلاح ، وهو يقصد به إصلاح المنطق ، ساعده فى ذلك أنه كان عارفا بعلوم الدين ، مطلعاً على شيئ من الفلسفة(٣) .

ومن بين علماء المنطق فى القرن السابع الهجرى ذكر ياقوت : -

رمضان بن رستم الملقب فخر الدين بن الساعاتى ت : ٦٠٤ هـ كانت له معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكمية ،وكانت تعقد له مجالس ينشر من خلالها علمه ،ففى رواية أخوه بهاء الدين قال : حضرت مجلسه بدمشق غير مرة (٤) .

عاشراً : علم الحيوان :

قد يظن البعض أن هذا العلم وليد العصر الحاضر غير أنه ياقوت الحموى قد أرخ لهذا العلم منذ القرن الرابع الهجرى ،فقد ذكر من علمائه فى القرن الرابع : -

أبو الفضل جعفر بن الفضل الملقب بسيدوك ت : ٣٩١ هـ كان من المهتمين بعلم الحيوان ففى رواية : محمد بن اسعد الجوانى المعروف بابن النحوى قال : كان الوزير

---

(١) معجم الأدباء : ٨/٥ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق : ٢٩٧/٣ والزركلى ، مرجع سابق : ١٩١/٥ .
(٢) معجم الأدباء : ١١٣/٥ وجورجى زيدان ، مرجع سابق : ٣٠٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٣١١/٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٤٤٥/٣ وإنباه الرواة : ٩٩/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٦٧/٤ .
(٤) معجم الأدباء : ٢٢٦/٥ وحسن المحاضرة ٣٠٧/١ وهدية العارفين : ١٥٩/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٣٣٠/٤

جعفر بن الفضل يهوى النظر والتأمل والملاحظة للحشرات والأفاعى والحيات والعقارب وقد خصص لذلك دارا مستقلا [1] .

وبذلك نستطيع القول أن علم الحيوان الذى يدرس بالكليات العلمية فى العصر الحاضر ، ظهر منذ القرن الرابع الهجرى ،وقد اهتم بذلك الوزراء أنفسهم ولم يكن الهدف من ذلك الزينة أو الترفيه لذلك كانت هناك منازل خاصة بهذه الحيوانات تعد بمثابة معامل يلاحظ من خلالها نمو هذه الحيوانات وتطورها .

والخلاصة : مما سبق لاحظ الباحث من خلال عرضه للعلوم الدراسية التى تحدث عنها أن ياقوت الحموى قد اهتم ببعض القضايا التربوية التى ما زالت تخدم أغراض التربية والتعليم ، ومن أهم هذه القضايا المعلم ودوره فى العملية التعليمية ، فقد ذكر ياقوت بعض الصفات التى يجب توافرها فى المعلم التربوى من حسن الخلق والقدرة على التعليم وحسن المظهر والتعليم ابتغاء وجه الله تعالى وغيرها من الصفات الكثير والتى ذكرت سابقا .

ثم قضية الكتاب المدرسى الذى يكتبه العلماء ليستفيد منه المتعلمون وقد لاحظ الباحث أن الكتاب فى التراث العربى الإسلامى سار على نمط موحد فى الكتابة عبر القرون الثلاثة الأولى من الهجرة فقد : حاول العلماء بقدر الإمكان التوصل إلى ضوابط تتميز بها كتاباتهم ، فى كل علم من العلوم الدراسية ، التى أجراها المعلمون والعلماء ، ثم تحولت كتابات العلماء بعد ذلك إلى تصنيف كتب العلماء السابقين عليهم محاولين بذلك اختصار هذه الكتب ، فلم يذكر الباحث ترجمة من التراجم إلا ويجد صاحبها يكتب مختصرا عن بعض كتابات العلماء فى العلم الذى نبغ فيه ، وقد كان الهدف من ذلك أن يسهل حفظ هذه الكتب لطلاب العلم .

---

(١) معجم الأدباء : ٣٨٠/٢ وحسن المحاضرة : ١٩٩/١ والخطيب البغدادى ، مرجع سابق : ٢٣٤/٧ وابن خلكان مرجع سابق : ١١٠/١ .

وقد ذكر الدكتور / سليمان عطية فى كتابه " بحوث فى التربية " قوله " إن الهدف من هذه الاختصارات أن يحفظها طلاب العلم حفظا آليا تمهيدا لدراستها بعد ذلك دراسة واعية [١] .

وقد ذهب حاجى خليفة إلى مخالفة ذلك مظنة أن هذه الاختصارات تحدث إخلالا فى التحصيل فقال : " وأما كثرة الاختصارات فإنها مخلة بالتعليم ، وإن قد ذهب بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين إلى اختصار الطرق فى العلوم ، يدونون منها مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله ، وأدلتها باختصار فى الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعانى الكثيرة ، فصار ذلك مخلا بالبلاغة ، وعسيرا على الفهم [٢] .

ويميل الباحث إلى أن اختصار الكتب من أجل الحفظ يخل بطريقة التحصيل للطلاب ، لأنه يهمل ملكة الفهم عندهم ، ويساعد على عدم الابتكار لأنه يهمل العمل لأن العقل الذى يبنى على الاختصار فى المعلومات يكون قاصراً عليها فقط .

وبهذا العرض تتضح أهمية كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموى كمصدر أساسى للتعرف بعلوم العرب والتأريخ لها ، وذلك منذ البدايات الأولى لهذه العلوم ، فهذا التراث العربى الذى تناوله كتاب معجم الأدباء والذى تكون فى ظروف قاسية لا بد وان يعاد إحياؤه ، ويكون إحياؤه هو حافزنا الروحى من أجل الإسهام فى حركتى التجديد والتقدم والنهضة العلمية والثقافية ، وإن كتب تقسيمات العلوم العربية وعلى رأسها كتاب معجم الأدباء كانت النموذج الذى اقتدى به كثير من الباحثين الأوربيين فى دراسة علوم العرب كما مثلت هذه الكتب المادة الأولية التى عليها بنوا دراساتهم فى العلوم المقارنة وتاريخها

---

(١) سليمان أسحق محمد عطية ، بحوث فى التربية (مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ م) ص ٦ .
(٢) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ١/٣٥ - ٤٤ .

الفصل الثالث
الوسائل التعليمية

تحدث الباحث في هذا الفصل من الدراسة عن أهم الطرق والوسائل التي - تعلم من خلالها الطلاب - ساهم بها العلماء في تقدم التربية في تلك العصور التي تحدث عنها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء)، وقد رأى الباحث أن يتحدث عن أهم هذه الطرق التعليمية، بعد أن تحدث في الفصل الثاني عن العلوم الدراسية، وفي الفصل الثالث عن أهم المؤسسات التعليمية التي شاركت في النهضة العلمية، والتربوية في عصور الدراسة كما ذكرها ياقوت الحموي.

ولما للوسائل التعليمية من أثر إيجابي على تقدم الطلاب في علومهم التي يطلبونها رأى الباحث أن يركز الحديث على أهم هذه الوسائل، متحدثا في كل عصر عن أهم هذه الوسائل التي ساهمت في تعليم الطلاب واستخدمها المعلمون، ومن بين هذه الوسائل:

- السماع: سواء أكان من العلماء إلى الطلاب أم العكس.
- القراءة: على العلماء أو منهم.
- الإملاء.
- حفظ كتب العلماء واستظهارها.
- الرحلة لطلب العلم.
- الملازمة.
- المصاحبة.
- المناظرة.
- الخطابة والإلقاء.
- التعلم من أفواه العامة.
- النقل من كتب العلماء.

- القياس والمطابقة والاقتباس.

- الإجازة من العلماء لطلابهم.

هذا هو المحور الأول من الفصل الرابع.

والمحور الثاني: يشمل الكتابة وأدواتها ودورها في التعليم والنهضة العلمية وحركة الترجمة من العربية وإليها.

وقد اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني للعلماء الذين تعلموا في كل من القرون الستة الهجرية، حتى يسهل على التصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بطريقة معينة وفي أقصر وقت ممكن، ومن خلال هذا العرض الذي نقدمه لهذا المصدر (معجم الأدباء) يمكن التعرف على أهم الأعلام الذين نبغوا في طريقة معينة من الطرق التربوية دون الأخرى.

لقد رصد ياقوت الحموي في كتابه أهم طرائق التدريس التي سادت في القرنين الأول والثاني الهجريين ومن أهمهما:

أولاً: السماع: ويعني سماع المعلم وهو يروي من الذاكرة، أو يقرأ من كتاب وهو في طليعة الطرق التعليمية من حيث الأهمية والمرتبة، لأنه يتيح للطالب أن يطلع على العلم الذي يرغب في تعلمه نصًا ولفظًا، ويعترض عليه البعض لأن الطلاب لا يستطيعون استيعاب المعلومات كاملة بمجرد سماعها لذلك يلجئون إلى ساعات تعليمية إضافية، يتأكدون من سلامة المعلومات التي أمكنهم سماعها، وقد عرض ياقوت لبعض العلماء والطلاب الذين اهتموا بالسماع في القرن الثاني الهجري ومنهم:

أبو الحجاج، مجاهد بن جبر الملقب بالقارئ، ت: ١٠٤هـ كان مفسرًا من أهل مكة ومن كبار التابعين، سمع علم التفسير من ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي ريحانة، وعبد الله بن عمرو(١).

---

(١) معجم الأدباء،٥/ ٥٥، وميزان الاعتدال، ٣ / ٩ وطبقات المفسرين، ص ١٤١ والزركلي، مرجع سابق، ٥ / ٢٧٨.

- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار، ت: ١٥٠هـ كان من الذين اهتموا بالرحلة إلى البلدان لإسماع أهلها، فقد سمع منه بالري أهلها، فأكثروا عنه الرواية، وأتى بغداد فسمع منه أهلها، وسمع منه أهل الكوفة في المغازي، وسمع منه أهل الجزيرة حينما كان مع العباس بن محمد(١).
- أبو محرز، خلف بن حيان البصري الملقب بالأحمر، ت: ١٨٠هـ كان أول من أحدث السماع بالبصرة فقد سمع منه حماد، وكان ضنينًا بأدبه، ومعلمًا للأصمعي، وأهل البصرة(٢).

ومنه لاحظ الباحث أن السماع كان من الطرق التعليمية التي تعلم منها الطلاب في القرن الثاني الهجري، ولم يقتصر السماع على العلوم الدينية فقط، وإنما كان أيضًا في العلوم اللغوية، وتعلم الشعر. والسماع أصبح في الوقت الحاضر يشمل جانبًا هامًا في طرق التعليم الخاص مثل تعليم المكفوفين فالمكتبة المسموعة تمثل عاملاً هامًا في الوقت الحالي لذوي الظروف الخاصة.

وانتشرت طريقة السماع في القرن الثالث الهجري، وتعلّم الكثير من العلماء والطلاب عن هذه الطريقة، فقد ذكر ياقوت الكثير من العلماء الذين تعلموا عن هذه الطريقة في القرن الثالث ومن بين هؤلاء:

- الواقدي ت: ٢٠٧هـ سمع من مالك بن أنس، والثوري، ومعمر بن راشد بن أبي ذئيب(٣).
- أبو زيد سعيد بن أوس الإمام ت: ٢١٥هـ كان قد اعتمد على السماع من العلماء في تعليمه، وفي نقل علمه ومعرفته فكان كثير السماع من العرب، ومن أبي القاسم بن

---

(١) معجم الأدباء، ٥ / ٢١٩، ٢٢٠ وابن خلكان، مرجع سابق، ٤ / ٢٧٦ وتهذيب التهذيب، ٩ / ٣٨ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١ / ٢١٤.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٢٩٨ وإنباه الرواة: ١ / ٣٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٣١٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩١ ومعجم المؤلفين ١١ / ٩٥ والوافي بالوفيات: ٤ / ٢٣٩.

سلام، وعمرو بن عبيد، وأبو العيناء، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شيبه، ورؤبة بن العجاج[(١)].

وكان المتعلم يمكنه السماع من أكثر من عالم في علم واحد فقد كان أبو عبدالله ابن الأعرابي ت: ٢٣٢هـ يسمع من المفضل الضبي، ومن الكسائي، ومن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن المسعودي،ومن إبراهيم الحربي، ومن أبي عكرمة الضبي، وأبي العباس ثعلب، وابن السكيت[(٢)]. وكان المتعلم يلتحق بمجالس العلماء للسماع من العلماء فقد كان أبو عبدالله الملقب بالكاتب ت: ٢٧٧هـ يستمع إلى مجالس يونس بن حبيب، قبل أن يؤدب ولد أمير المؤمنين[(٣)].

والسماع في الحديث كان يتم عن طريق أن يسمع الطالب الحديث ومعه نص مكتوب وبذلك يستطيع أن يصحح الأخطاء التي قد تحدث في أثناء النسخ، وقد ذكر ياقوت من هؤلاء العلماء النسائي ت: ٢٧٩هـ، وأبو بكر أحمد بن يحيى البلاذري ت: ٢٧٩هـ[(٤)] وإسماعيل بن إسحاق الأزدي ت: ٢٨٢هـ[(٥)].

وقد كان علماء القرن الثالث الهجري يعتمدون في كتاباتهم على السماع دون الاقتباس أو الرجوع إلى كتب من قبلهم من العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن إسماعيل بن الخصيب ت : ٢٩٠هـ أنه سمع من المتقدمين عليه في السن. فصنف كتاب أسماع الجموع وهو يشتمل على سماعاته من العلماء،وكتاب طبقات الكتاب الذي اعتمد في تصنيفه أيضًا على السماع[(٦)].

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٧ وخزانة الأدب: ١ / ٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣٤.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٧ ومعجم المؤلفين: ٥ / ٢٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١٣١.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨٤ وإنباه الرواة: ٣ / ٨٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٥٨، ٢ / ٤٩ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ١٥٦ ولسان الميزان: ١ / ٣٣٢ والزركلي: مرجع سابق ١ / ١٢٨، ١ / ٢٦٧.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ١٩٥ ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦١ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٧٩.
(٦) معجم الأدباء: ١ / ٣٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٩٦.

العلماء والطلاب الذين اعتمدوا على السماع في القرن الرابع الهجري:

أرخ ياقوت لبعض الطلاب الذين تعلّموا عن طريق السماع من العلماء، وقد ذكر ياقوت أن السماع من العلماء قد يكون لكتب غيرهم من العلماء فقد سمع محمد بن عاصم ت: ٣١٠هـ من ثعلب كتاب المعاني للفراء(١). وقد سمع أبو العيناء ت: ٢٨٣هـ من الأصمعي الفقه على المذاهب الأربعة(٢). وقد سمع الطبري ت: ٣١٠هـ من علماء البصرة وتتلمذ على شيوخها مثل: محمد بن موسى الحرشي وعمار بن موسى القزان، ومحمد بن عبدالأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بندار، ومحمد بن المَعَنّى ومن غيرهم(٣). ومن علماء القرن الرابع الذين تعلموا بالسماع:

- أبو الفضل المنذري الهروي ت: ٣٢٩هـ الذي اختلف إلى ثعلب سنة كاملة في سماع كتاب النوادر لابن الأعرابي، وكان ثعلب يُعلّمه في مجلس حتى سمع الكتاب كُلّه منه(٤).

وعن طريق السماع قد يتقدم الطلاب في علوم أساتذتهم بل قد يتفوق البعض على معلمه، فقد ذكر ياقوت في ترجمة: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الملقب بالحكيم ت: ٣٣١هـ أنه سمع من محمد بن وضاح، وأخذ عنه ثم عاد إلى الأندلس فحدث بها وانتشر بها عنه علم جم، وسمع من محمد الخشنيت: ٢٨٦هـ، وهو من حفاظ الحديث وسمع من مطرف بن قيس ت: ٢٨٢هـ، وعبدالله بن مَسَرَّة، ومحمد بن عبدالله الغان، وبذلك صار الحكيم عالمًا في النحو لا يتقدمه أحدٌ في ذلك(٥). ومن هؤلاء العلماء:

- ابو سهل محمد بن أحمد القطان المعروف بالمثوني ت: ٣٤٩هـ الذي سمع الكثير من الأدب عن بشر بن موسى الأسدي، ومحمد بن يونس الكديمي، و أبي العيناء، وثعلب والمبرد، وسمع من علي بن سعيد العسكري ت: ٣٠٠هـ بعض أشعار اللصوص(٦).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩١ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٤٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٧ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٣٩.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٤٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٦٢.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٧٨ والكامل في التاريخ: ٨ / ٨٩ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥.
(٥) معجم الأدباء / ٥ / ٢٣٥ ولسان الميزان: ٥ / ٤٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ١٣٣، ٦ / ٢٠٥، ٧ / ٢٥٠.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ١٢١ ومعجم البلدان: ٤ / ٤١٢.

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق السماع في القرن الرابع.

- أبو محمد إسماعيل بن علي الخطبي ت: ٣٥٠هـ الذي سمع من الحارث بن أبي أسامة ومن الكديمي وعبدالله بن أحمد. وكان الطالب يصل إلى مرحلة من التعليم يوصف به أعلم معاصريه عن طريق السماع، فقد سئل يونس عن الخطبي وعمله فقال: لو كان فيهم من جمع إلى ذكائه وذهنه ونفاذه، لكان أعلم الناس(١).

وكان الطالب في القرن الرابع يحفظ الكثير مما يسمعه من العلماء، دون الكتابة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ت: ٣٥٦هـ أنه سمع من أبي القاسم البغوي، وأبي سعيد العدوي، وأبي عبد الله السجستاني، فصار بسماعه منهم أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب(٢). وقد تعلم عن طريق السماع في هذا القرن:

- أبو الصقر أحمد بن الفضل الملقب بساسي دوير، ت: ٣٥٠هـ الذي سمع من إبراهيم بن ذيل، ومن محمد بن بن يزيد المبرد، ومن ثعلب، وابن دريد، والعسكري، ومن علي بن الفضل الرشيدي. وكان المتعلم يجلس في صدر مجلس التعليم بعد سماعه عن شيوخه حتى يُسمِع غيره فقد سمع عن ساسي دوير أبو بكر بن بلال، وخلف بن محمد الخياط وابن رزقة، وأبوعبدالله الكاتب(٣).

وقد ذكر ياقوت الكثير من هؤلاء العلماء في القرن الرابع فذكرهم حصرًا دون الإيضاح: أبوبكر محمد بن موسى المعروف بابن الجبي ت: ٣٥٨هـ(٤)، وأبو العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالي ت: ٣٦٢هـ(٥)، وأبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ت: ٣٦٧هـ بقرطبة(٦). وأبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني ت: ٣٧٨هـ(٧)

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٩ ومعجم الأدباء: ٢ / ٢٨٠ وسير أعلام النبلاء: ١٠ / ١٢٩ واللباب: ١ / ٣٧٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٩.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٢١.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٥٤٥ والسيرافي: مرجع سابق: ص ٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥٠ وابن حزم: الجمهرة: ص ٤١٦.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٣ وهدية العارفين ١ / ٦٤٨.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ١١١.
(٧) معجم الأدباء: ٥ / ٣٨٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ١٦٨.

وأبو عمر محمد بن أحمد النوقاني ت: ٣٨٢هـ[١]، وأبو الحسن محم بن أحمد الفقيه الأديب ت: ٣٧٢هـ[٢]، وأبو القاسم الصاحب ت: ٣٨٥هـ[٣] - ولم يقتصر السماع في هذا القرن على العلوم الدينية فقط، وإنما تعداه إلى العلوم العربية فقد كان (أبا القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠هـ يسمع العربية عن ابن القوطية، وسمع من أبي طاهر الدُّهلي[٤].

وقد تعلم من طلاب القرن الرابع عن طريق السماع وبه صار معلمًا:

- أبو طالب علي بن عبدا الملك القزويني ت: ٣٩٨هـ الذي سمع من مهرويه، والقطان فكان إمامًا في شأنه، وأخذ عنه خلق كثير[٥].

وقد نشط طلاب العلم في تلقي العلوم عن أساتذتهم عن طريق السماع، وذلك في القرن الخامس الهجري أيضًا، وقد أ رخ ياقوت الحموي للكثير من هؤلاء الطلاب والعلماء مثل:

- أبو الحسن أحمد بن علي البتي ت: ٤٠٣هـ الذي سمع الحديث من علمائه، وكان يميل إلى سماع فقه أبي حنيفة، وكان يكتب للقادر بالله العباسي في ديوان الخلافة[٦].
- أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العُتبي ت : ٤٠٤هـ كان قد دخل بغداد فسمع بها من أبي منصور الخوافي، وسمع من جَدّه أبي النصر العتبي[٧]. ومن الذين تعلموا عن طريق السماع:

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٤١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٥.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٦١.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٢١٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٢٢٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٢١٠ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦١.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ١٧٨.
(٦) معجم الأدباء: ١ / ٤٨١ ومعجم المؤلفين: ١ / ٣١٩ واللباب: ١ / ٩٧.
(٧) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٧ ومعجم المؤلفين: ٢: ٢٤٨ وإنباه الرواة: ٢ / ١٢٠ وبغية الوعاة: ص ٢٨٢.

- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي ت: ٤٤٣هـ كان ممن سمع الحديث من أبي نصر المحمودي ولذلك روى عنه القاضي أبو منصور السمعاني، فقد صار من أصحاب الحديث(١).
- أبو محمد الحسن بن علي الملقب بالمصحح ت: ٤٤٤هـ والذي سمع من أبي بكر الجناني وأبي بكر بن أبي الحديد، والرُّماني. وبعد سماعه من العلماء صار عالمًا ومن المشتغلين بالحديث روى عنه عبدالعزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، ت: ٤٦٩هـ. وكان المصحح يروي عن القطيعي مسند الإمام أحمد بأسره(٢).
- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣هـ كان قد سمع ببغداد شيوخ وقته، وسمع من علماء البصرة، والدينور، والكوفة، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى صور وتوجه إلى طرابلس وحلب لكي يتمكن من اكتساب العلم وزيادة المعرفة(٣).
- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨هـ كان أول من سمع من القاسم بن أصبغ وتفقه على أبي زيد القيرواني، وسمع بمكة، وسمع بمصر من أبي محمد الحسن بن إسماعيل المصري المعروف بالضراب، وسمع بالأندلس من ابن عبدالبر، وابن حزم الظاهري، وسمع بإفريقية ودمشق من العلماء(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخاصبة ت: ٤٨٩هـ الذي سمع من علماء مكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر الخطيب، وأصحاب أبي طاهر المُخَلِص والكَتّاني وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم، ويقول ياقوت: سمع ابن الخاصبة جماعة من مشايخنا وسمع بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجتمعين على الثناء عليه والمدح له(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥١ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٤ / ١٣٥ وتاريخ بغداد: ٧ / ٨٠ - ٨٢.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ١٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٧١ ولسان الميزان: ٦ / ١٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٠١.
(٣) معجم المؤلفين ٢ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ١١ / ٢٠٨.
(٤) معجم المؤلفين: ١١ / ١٢١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ٩١ و الكامل في التاريخ: ١٠ / ٨٨ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣١٧.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٧٣ وهدية العارفين: ٢ / ٧٧.

- أبو القاسم أسعد بن علي الزوزني الملقب البارع ت: ٤٩٢هـ كان يسمع الحديث ويكتبه إلى أواخر عمره، وسمع بالعراق من أبي عبدالرحمن الداودي، ومن أبي جعفر البجائي وبذلك علت شهرته، فروى عنه أبو البركات الفراوي، وأبو منصور الشحامي [(١)].

ومنه لاحظ الباحث أن البارع اهتم بجمع الحديث عن طريق السماع من علماء ورجال الحديث وكتابة ما يسمعه بعد أن يعرضه على رجال الحديث فهو كما قال القائل

العلم طير والكتابة صيده فقيد طيورك بالحبال الواثقة

- ابو الفرج محمد بن عبيدالله بن ابي البقاء القصباني، وعبيدالله الرّقي، والحسن بن رجاء وابن الدهان ، وسمع الحديث بالكوفة[(٢)].

- أبو محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت: ٥٠٠هـ كان قد حَصّل الكثير من الشعر والنحو عن طريق السماع من أبي علي بن شاذان، وابن شاهين، والفتح بن شيطا وأبي الحسين التوزي، وقال أبو العباس: ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي[(٣)].

وإذا تحدثنا عن القرن السادس نجد أن ياقوت الحموي ترجم للكثير من طلاب العلم الذين درسوا عن طريق السماع من علمائهم وشيوخهم ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر، ت: ٥١٠هـ وقد سمع من التنوخي، ومن ابن غيلان ويقول السيوطي: وجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة ٤٣٢هـ[(٤)].

- الحسين بن محمد بن محمود الملقب بالدباس ت: ٥٢٤هـ الذي سمع من أبي علي الموصلي وروى عنه ابن عساكر، ومع نبوغه وتقدمه سمع منه ابن الجوزي، وأبو عبدالله الباقداني[(٥)].

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٠٠ واللباب: ١ / ٨٦.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٥ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٧٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٩.
(٣)معجم الأدباء:٢ / ٣٧١وابن خلكان:مرجع سابق:١ / ١١٢وإنباه الرواة:٢ / ١٢٦والزركلي:مرجع سابق:٢/١٢١.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ١٨٠ وبغية الوعاة: ص ١١.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ١٩٤ وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٨ والوافي بالوفيات: ١١ / ١٠٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٦٩ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٧٧٨، ١١١٠.

ومن الطلاب الذين أخذوا عن علمائهم بطريق السماع في القرن السادس الهجري:

- أبو رشاد أحمد بن محمد الأخسيكثي الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨هـ الذي تتلمذ له تلمذة مباشرة أكثر فضلاء خراسان فسمعوا منه، ويقول أبو المظفر السمعاني: سمعت منه كتاب الآداب والمواعظ للشجري، بروايته عن الصّيرافي[(١)].
- أبو محمد دعوان بن علي الجبائي الملقب بالضرير، ت: ٥٤٢هـ الذي سمع من الحسين بن النعالي، ومن الحسين البُسْرِيّ، ومن أبي المعالي ثابت بن بندار[(٢)].
- محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني ت: ٥٤٨هـ الذي سمع بدمشق من هاشم بن أحمد الحلبي ت: ٥٧٧هـ، ومن أبي طاهر الخطيب، وبعد نبوغه وتعلمه سمع منه أبو سعيد السمعاني، وابن عساكر، والحظيري، وقد شبهه ابن العماد في الخريدة بابن منير الطرابلسي شاعر الشام[(٣)].
- أبو الحسن علي بن عبدالله المعروف بابن أبي جرادة العُقَيْلِيُّ الأنطاكي ت: ٥٥١هـ كان قد سمع بحلب من أبي الفتح بن أبي عيسى الحلبي، وأبي الفتيان بن حبُّوس الغنوي[(٤)].
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشرف الدولة ت: ٥٥٤هـ وقد سمع بقراءتي مكة والمدينة (مدارس في القراءات)، وسمع ببغداد من مشايخها، وسمع من أبي القاسم الربعي[(٥)].
- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي سمع من الإمام محمد الفزاري كتاب غريب الحديث للخطابي[(٦)].

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٨ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٤٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢١٥.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٢١.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥٣ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٧٧ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٠٤ والعماد الأصبهاني: مرجع سابق: ١ / ٩٦.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ٢٦.
(٦) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ والوافي بالوفيات: ١٢ م ٦٩ وسير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٨٤.

- أبو محمد سعيد بن المبارك الملقب بالدهان، ت: ٥٦٩هـ بالموصل، وقد سمع الحديث ببغداد، ورحل إلى أصبهان وسمع بها واستفاد من خزائن كتبها، وسمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد الحصين وغيرهما(١).
- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١هـ الذي تنوع في سماعه من العلماء، فقد ورث العلم عن طريق السماع من والده، وسمع من ابن الأكفاني، وذكر خلقًا من شيوخ دمشق، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره(٢). وسمع ابن عساكر بمكة والمدينة، والكوفة، وأصبهان القديمة واليهودية، ومرو ونيسابور وهراة وسرخس، ولم يقتصر ابن عساكر في الأخذ عن المشايخ الرجال فقط بل أخذ عن النساء أيضًا فقد كان عدَّة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانون امرأة، و مع تقدمه في العلم ونبوغه عاد إلى بغداد فحدّث بها وبمكة وبنيسابور وأصبهان، وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هم أسن منه(٣). ومن الطلاب الذين أخذوا العلم عن طريق السماع:
- أبو علي الحسين بن عبدالله الملقب بالحموي ت: ٥٨٥هـ الذي رحل إلى دمشق فأقام بها مدة، واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من ابن عساكر، ومن عمه، ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية من العلماء، ثم عاد إلى دمشق فظل يُعلّم بها(٤).
- أبو عبدالله محمد بن حامد والملقب بالعماد الكاتب الأصبهاني ت: ٥٦٧هـ الذي تفقه على أبي منصور ابن الرزاز وسمع منه، ومن أبي بكر الأشقر، وأب يالحسن علي بن عبدالسلام، وابن الصباغ، وأبي منصور بن خيرون، وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي، وبالسماع أصبح الأصبهاني عالمًا بالأدب بل من أكابر الكُتّاب. فقد قدم بغداد حدثًا فتأدب وتفقه، ومن مصنفاته الشاهدة على إبداعه خريدة القصر(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٩ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٢٩ والوافي بالوفيات: ١٣ / ٨٥.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤١ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١١٨ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩٤.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٨٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٣ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٦ / ٧٧.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ١٤٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٤٢ والعماد الأصبهاني: مرجع سابق: ١ / ٤٨١ - ٤٩٦.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٤٢٠ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٢٠٤ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣ / ٦١ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٣٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ٢٦ واليافعي: مرجع سابق: ٣ / ٤٩٣.

- ابن حيدرة شيث بن إبراهيم المعروف بابن الحاج القناوي ت: ٥٩٨هـ كان أحد أكابر المعاصرين الذين أفادوا من التدريس عن طريق السماع فقد سمع من الحافظ أبي طاهر السلفي، وقد حدّث ودرّس لطلابه بعد سماعه من العلماء(١).
- أبو الحسن علي بن الحسن العبدري المعروف بابن مقلة ت: ٥٩٩هـ الذي سمع بالبصرة من أبي محمد بن جابر الأنصاري، وأبي العز المالكي، ومن أبي الحسن بن عبدالملك الواعظ، ومن أبي إسحاق بن عطية الشافعي إمام جامع البصرة، وسمع ببغداد من الشهرزوري، ومن أبي بكر الزغواني وغيرهم(٢).

ومن طلاب العلم في القرن السابع الهجري، والذين أخذوا العلم عن طريق السماع :

- أبو عبدالله محد بن عبدالله المرسي السلمي الملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي أخذ علم الحديث سماعًا عن علماء الحديث فقد سمع الحديث بواسط من ابن عبدالسميع وابن المانداني ومشيخته، وسمع بهمذان من جماعة، وبنيسابور سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، وسمع جزءاً من ابن نجيد، وسمع ن منصور بن عبدالمنعم الفرّاوي، وسمع بهراة من ابن روح الهروي، وبمكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، ومع تقدمه في علم الحديث عن طريق السماع أخذ عنه بعض طلابه فقد: حدّث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن الفراوي، وحدّث بكتاب غريب الحديث للخطابي، وكان يترك كتبه في البلاد التي ينتقل إليها بحيث لا يستصحب كتبًا في سفره اكتفاء بما لديه من الكتب في البلد الذي يسافر إليه(٣).

ولم يقتصر شرف الدين في سماعه من العلماء على الذكور فقط بل تعداه إلى السماع من العلماء فقد " سمع من أم المؤيد زينب بنت عبدالرحمن الجرجاني الشعري ت

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٢ وحسن المحاضرة: ١ / ٢٥٨ والإدفوي: مرجع سابق: ص ص ١٢٧ - ١٢٩ وإنباه الرواة: ٢ / ٧٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤٧ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٤٩ وبغية الوعاة: ص ٦٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٩٧ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.

٦١٥هـ فقد كان لها اشتغال بالحديث، وأخذت عن جماعة من العلماء رواية وإجازة وانقطع بموتها إسناد عال في الحديث(١).

الخلاصة: مما سبق يتضح أن ياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية التي تعلّم من خلالها طلاب العلم والتي كانت شائعة على مر القرون الست الهجرية الأولى طريقة السماع، وهي من الطرق التقليدية التي يجلس فيها المتعلم أمام شيخه، ويحمل معه الكتاب الذي يريد تصحيحه ويستمع إلى شيخه ويصحح ما به من أخطاء، ولاحظ الباحث أن السماع من العلماء لم يقتصر على تعلّم العلوم الدينية فقط وإنما تعداه إلى العلوم اللغوية، وعلى وجه الخصوص الأدب والشعر، كما تبين للباحث أن الطلاب لم يعتمدوا في سماعهم من العلماء على الذكور فقط وإنما شاركتهم النساء في هذا الدور، وبذلك يكون ياقوت الحموي قد أرخ لطريقة السماع كواحدة من الطرق التعليمية التقليدية وبهذا فإن معجم الأدباء يُعد مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ التربية لا يمكن الاستغناء عنه.

ثانيا: الإملاء.

أرخ ياقوت لطريقة الإملاء كواحدة من الطرق التعليمية التي كانت سائدة في المدة التي تناولها بالحديث في معجم الأدباء، وهذه الطريقة تعلّم من خلالها الكثير من طلاب العلم في مختلف القرون الهجرية التي بدأت من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري وقد ذكر ياقوت من بين طلاب القرن الثاني الذين أخذوا عن علمائهم عن طريق الإملاء

- أبو سلمة بن دينار الملقب بالإمام ت: ١٦٧هـ الذي اتخذ من الإملاء طريقًا يتعلم من خلاله النحو ويسجله فيقول: كان سيبويه يَسْتَمْلي على حماد، وأنا أدوّن(٢).

---

(١) ابن العماد: مرجع سابق: ٥ / ٦٣ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٩٢، ٦ / ١٨١ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٦ ومعجم الأدباء: ٥ / ٣٥٠.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٢٤٥.

- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر، ت: ١٩٤هـ كان شيخ النحاة في عصره، فقد أملى على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء أن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر(١).

وهنا لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمون يفضلون بعض العلماء على بعض في نفس مادة التعليم.

وذكر ياقوت من بين الطلاب والعلماء الذي اتخذوا من الإملاء وسيلة تعليمية في القرن الثالث الهجري:

- أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٣٢هـ روى عنه تعلب قال: قال لي ابن الأعرابي أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حمْلُ جمل(٢).
- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الملقب بالضرير البغدادي ت: ٢٨٢هـ الذي حضر إلى نيسابور وأقام بها وأملى بها المعاني والنوادر(٣).
- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ كانت له مجالسات وأمالٍ أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر رواها عنه جماعة(٤).

ومن طلاب وعلماء القرن الثالث الهجري الذين تعلموا عن طريق الإملاء:

- أبو الهيذام العقيلي اللغوي ت: ٢٩٠هـ، أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان، ت: ٢٩٩هـ الذي روى عنه العسال قال في آخر العروض: إلى ها هنا أملى عليّ ابن كيسان وأنا أكتب وأستمليه وفرغنا من العروض سنة ٢٩٨هـ(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٥ وبغية الوعاة: ص ٣٣٤ وميزان الاعتدال: ٤ / ٢١٨ وإنباه الرواة: ٢ / ٣١٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧١.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ١١ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٧٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٨٠ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٢.

(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣٤٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤ ولسان الميزان: ١ / ١٦٦.

(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٧٧ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٢٦،٥ / ٩٤ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ وبغية الوعاة: ص ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

وفي القرن الرابع الهجري جمع الطلاب بين الإملاء والسماع ومن هؤلاء الذين تتلمذ لهم الكثير من طلاب العلم:

- أبو جعفر الطبري ت: ٣١٠هـ الذي روى عنه ابن كامل قال: أملى علينا الطبري من كتابه جامع التفسير في تأويل القرآن الكريم مائة وخمسين آية، ثم خرج إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك سنة ٢٧٠هـ وقرأ عليه كبار الناس، فقد ذكر ابن خزيمة أنه سس ابن خالويه قال: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قال: نعم كتبنا التفسير عنه إملاءً، قال كله؟ قلت: نعم، قال: في أي سنة؟ قلت: من سنة ٢٨٣هـ إلى ٢٩٠هـ. وقد ترك الإملاء في نهاية حياته، وكان يظن أن فيه لجاجة(١).
- أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت: ٣١١هـ قال دخل الزجاج إلى ثعلب في أيام المبرد وقد أملى عليه شيئًا من المقتضب(٢).
- أبو العباس أحمد بن عبيدالله الثقفي، ت: ٣١٤هـ الذي كتب كتابًا في أستاذه ابن الرومي وجلس بين طلابه يُمليه على الناس(٣).
- أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير، ت: ٣١٥هـ كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة ما يُملي(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ الذي كان يؤخذ عنه ما يُمليه دون ما كان يُقرأ عليه، كما ذكره الفارسي(٥).
- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد، ت: ٣٢١هـ الذي أملى الجمهرة على طلابه في فارس، ثم أملاها بالبصرة، وبغداد معتمدًا على حفظه، ولذلك لم تتفق(٦).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥٥ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٢١٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٦٠ وتذكرة الحفاظ: ٢ ٣٥١ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٦٩.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٨٦ وإنباه الرواة: ١ / ١٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٤٠.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤٧٢.
(٤) المرجع السابق: ٤ / ١٣٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩١.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٨ ولسان الميزان: ٥ / ١٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٠.

ومن علماء القرن الرابع الذين تعلموا عن طريق الإملاء:

- أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت: ٣٢٢هـ كان يعلم الصبيان عن طريق الإملاء عليه وتصله على ذلك جوار(أجرة ومكافأة) يدرها عليه ابن الجيهاني وزيد بن أحمد السامانيٍ (١).
- أبو عبدالله إبراهيم بن محمد الملقب نفطويه ت: ٣٢٣هـ كان يُعلّم طلابه عن طريق الإملاء عليهم ففي رواية أبي هلال في كتابه الأوائل قال: كنا في مجلس نفطويه وهو يملي على طلابه النحو والحديث (٢).
- أبو القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت: ٣٢٣هـ كان يجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره، وشعر غيره، وكان يملي أيضًا من الحكايات المستطابة وشيئًا من النوادر المؤلفة، وطرفًا من الفقه وما يتعلق به (٣).
- أبو الحسن أحمد بن جعفر الملقب بجحظة البرمكي ت: ٣٢٤هـ كان له مجلس يُعلّم منه ففي رواية الحسين بن العباس قال: جئت يومًا في مجلس الأدب لجحظة البرمكي والناس عنده وهو يملي عليهم من علمه، لكي أتعلم منه مما يُعلّم الناس (٤).
- أبو الفضل محمد بن أحمد الهروي ت: ٣٢٩هـ وقد كان شيخًا لأبي منصور الأزهري أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه (٥).
- أبو الحسن المسعودي، ت: ٣٤٦هـ بمصر، وقد أملى الكثير في مجالسه، وعجز لضعفه عن الإملاء في باقي المجالس، فقُرِئَ عليه وهو يسمع (٦).

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٧٤ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٤٠ والوافي بالوفيات: ٦ / ٧، والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٣٤.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ١٦٧ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ١٨٣ وسير النبلاء: ١٠ / ١٨ وإنباه الرواة: ١ / ١٧٦.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٩٢.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٢٣ وسير النبلاء: ١٠ / ٥٤ والمنتظم: ٦ / ٢٨٣.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٢٧٨ وابن شاكر: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥.
(٦) معجم الأدباء: ٤ / ٤٩ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٧.

- أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمي ت: ٣٥٠هـ الذي تعلم عن طريق الإملاء فقد كان مُستملي أبي جعفر الجَلُودي، وسمع كتبه كلها ورواها(١).
- ومن هؤلاء العلماء أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت: ٣٥٠هـ الذي أملى كتاب السير وأخذ عنه عدد من العلماء: مثل الوراق، والمزني، وابن رزقويه، والحمامي(٢).
- أبو علي القالي البغدادي: ٣٥٦هـ الذي دخل قرطبة في أيام عبدالرحمن الناصر، وأملى كتبه بها عن ظهر قلبه فقد أملى كتاب الأمثال(٣). وعاصره أبو جعفر الميكالي ت: ٣٨٨هـ(٤).

الإملاء كطريقة من طرق التعليم في القرن الخامس الهجري:

أرخ ياقوت الحموي في معجمه لكثير من الطلاب والمتعلمين الذين درسوا وتعلّموا عن طريق الإملاء ومن هؤلاء الطلاب والمتعلمين والعلماء:

- أبو علي المحسن بن إبراهيم الملقب بالصابئ ت: ٤٠١هـ، وأبو القاسم بن كوجك ت: ٤١٦هـ الذي أملى بصيدا على طلابه حكايات مقطعة عن ابن خالويه وأخبر ابن طِلاب قال: أملى علينا الأستاذ أبو القاسم، وقرأنا عليه(٥). وقد كان الإملاء في العلوم الدينية وغيرها، ففي ترجمة: أبي بكر محمد بن أحمد المَعْمَرِيُّ ت: ٤٢٨هـ قال سمعت أبا حفص محمد بن علي واستمليت له الفقه(٦).
- أبو الفتوح الجرجاني ت: ٤٣١هـ الذي رحل إلى الأندلس فأملى بها كتاب شرح الجمل للزجاجي، وروى ببغداد عن ابن جني، والربعي، وابن الحسين البصري(٧).

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٠٥.
(٢) المرجع السابق: ١ / ٥٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٩٩.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٣٥ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٨.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٦٠ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٥.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٦١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ١٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٦.
(٧) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٧ وإنباه الرواة ١ / ٢٦٣ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٦٠٤.

وكان الطلاب بعد أن يكملوا تعليمهم عن طريق الإملاء يجلسوا ليعلموا غيرهم من طلاب العلم فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث، كان حيًا: ٤٣٢هـ أنه كان كتب ما أملاه عليه العلماء في علم النحو، ثم جلس يُمْلِي من حفظه وما يشك فيه يجعل بعض طلابه يعاوده فإذا صح أمرهم بإثباته إلى أن يتم الكتاب(١).

وبعض العلماء كان يُملي من الكتاب دون الاعتماد على الحفظ، ففي ترجمة أبي القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦هـ أنه كانت له مجالس أملاها من كتابه المسمى بالغرر والدرر المشتمل على فنون من معاني الأدب، وتكلم فيه عن النحو واللغة(٢).

وطريقة الإملاء كانت تساعد أصحاب العاهات مثل المكفوفين في تأليف الكتب فقد كان أبو العلاء المعري ت: ٤٤٩هـ مكفوفًا، فإذا أراد التأليف أملى على كاتبه التنوخي حتى كان له من الكتب الكثير(٣).

وقد يكون لطريقة الإملاء بعض السلبيات التي من بينها قلة المؤلفات التي يتركها العالم بعد وفاته فقد ذكر ياقوت في ترجمة (علي بن عبدالله المعروف بابن أبي الطيب ت: ٤٥٨هـ أنه كان يُملي من حفظه، ولما مات لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربعة مجلدات في الفقه والأدب والتاريخ(٤).

وقد كان العلماء يتخذون من طريقة الإملاء وسيلة للتدريس بالمساجد ففي ترجمة ياقوت للخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، قال: كان البغدادي يُملي على تلاميذه بجامع المنصور، ففي رواية أبي سعد السمعاني قال: سمعت جميع كتاب مدينة السلام

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٨ وابن عساكر: مرجع سابق: ٢ / ١٨٢ - ١٨٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٧٤ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤١٧ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٨١.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ١٤١ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٤.

من مصنفه أبي بكر إملاءً، غير جزءين (السادس، والثلاثين) وكان قد شرط في الابتداء ألاّ يعاد أكفوات لأحد، فبقيا غير مسموعين[1].

وهنا يلاحظ الباحث سلبية أخرى من سلبيات طريقة الإملاء وهي ترك المتعلم لما لم يدركه مع غيره من المتعلمين من أساتذته.

وقد استخدم العلماء طريقة الإملاء في تعليم النحو لتلاميذهم في القرن الخامس الهجري ومن هؤلاء: أبو القاسم زيد بن علي الفارسي الفسوي ت: ٤٦٧هـ الذي كان يقوم بتعليم أهل البلاد التي ينزل بها عن طريق الإملاء، متخذًا من ذلك وسيلة لشرح العلوم والكتب التي كتبها العلماء، فقد استوطن الفسوي حلب لإقراء النحو بها، فقرءوا عليه واستفاد أهلها منه، وسكن دمشق مدة أملى بها كتاب شرح الإيضاح وكتاب شرح الحماسة[2].

- أبو نصر محمد بن محمد الرامشي النيسابوري ت: ٤٨٩هـ كان قد تخرج به جماعة أملى عليهم بنيسابور[3].

ومن علماء القرن السادس الذين اتخذوا من الإملاء طريقة تعليمية:

- أبو طاهر إسماعيل بن محمد الملقب بالوثابي ت: ٥٣٢هـ قال عنه السمعاني: أُضِرّ الوثابي في آخر عمره، فدخلت عليه داره بأصبهان واقترحت عليه رسالة فقال لي: خُذ القلم واكتب وأملى عليّ في الحال بلا بروي ولا تفكر، كأحسن ما يكون[4].

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٤٩٨ - ٥٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ١١ / ٢١١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢ / ٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٧٢ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٣١٩.

(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٦ وبغية الوعاة: ص ٢٥٠ ومعجم المؤلفين: ٤ / ١٩٠ والوافي بالوفيات: ١٣ / ١٩ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٠.

(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٠.

(٤) المرجع السابق: ٢ / ٣٠٨.

- أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الملقب بجامع العلوم ت: ٥٣٥هـ قال عنه البيهقي: قرأت في خاتمة كتاب كشف المشكلات للجامع قوله: وقد أمْلَلْتُهُ بعد كتاب الجوهر، وكتاب المجمل وكتاب الاستدراك(١).

ومما سبق نلاحظ أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي يُعد مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ التربية، الذي أرخ من خلاله ياقوت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة آنذاك، في القرون الست الأولى من الهجرة بدءاً من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري

ثالثا: القراءة :

ذكر ياقوت من بين الطرق التربوية والتعليمية التي تعلم من خلالها طلاب العلم القراءة والتي يقصد بها العرض أي أن الطالب يقرأ أمام المعلم النصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها وهي تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعلم السابقة، وتستخدم هذه الطريقة بصورة مستقلة أو مساعدة لطريقة السماع.

وقد ذكر ياقوت من بين طلاب العلم الذين درسوا عن طريق القراءة في القرن الثاني الهجري :

- أبو الحجاج مجاهد بن جبر القارئ ت: ١٠٤هـ الذي قرأ على عليّ بن أبي طالب، وأخذ القراءات عن عبدالله بن عباس: ت ٦٨هـ وعن عبدالله بن أبي ليلى، وأبي بن كعب(٢)
- أبو الخطاب السدوسي ت: ١٧٧هـ الذي قرأ على أبي الحسن البصري، وابن سيرين وبالقراءة أصبح قتادة أجمع الناس ويقول الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة.وما كنا تفتقد في كل يوم راكبًا من ناحية بني أمية يُنيخ على باب قتادة، يسأله عن خبر أو نسب أو شعر(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٨٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٥ ونكت الهميان: ص ٢١١ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٤٧ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٩.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٥٤ وطبقات المفسرين: ص ٤٢ وميزان الاعتدال: ٣/ ٩ والزركلي: مرجع سابق: ٥/ ٢٧٨ - ٤ / ٩٥.

(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٦ وتذكرة الحفاظ: ١ / ١١٥ والعسقلاني: مرجع سابق: ٣ / ١٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ١٨٩ ونكت الهميان: ص ٢٣٠.

- أبو عمر زبان بن العلاء الملقب بالإمام ت: ١٥٤هـ بالكوفة، الذي قرأ بمكة والمدينة والكوفة عن شيوخ كثرة منهم: أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد بن جبير وعكرمة، ومجاهد(١).
- أبو بكر بن عياش المعروف بابن الخياط، ت: ١٩٣هـ الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة ففي رواية المرزباني قال: بعث أبو بكر بن عياش إلى يوسف الأعشى فمضيت معه، ومعنا عبدالوهاب بن عمر، والعباس بن عمير فدخلنا عليه، فقال لأبي يوسف قد قرأت عليّ من رأس المائة من براءة(٢).

ويلاحظ الباحث أن العلماء لم يقصروا استخدامهم على الطرق التقليدية للتربية بل اهتموا بالطرق التربوية من المراجعة والمناقشة لمعلومات الطالب على يد أستاذه خشية النسيان، وأفضلية التعلم في الصبى جعل من ابن الخياط هذا العالم الذي يضرب بعلمه المثل.

وقد يكون العرض من الشيخ على تلاميذه، غير أن ذلك يتوقف على سعة عقل الطلاب وذاكراتهم، وقدرتهم على حفظ واستيعاب هذه المعلومات فقد ذكر ابن الخياط أن أبا عاصم كان يأتيه زر بن حبيش الأسدي، فيُقرؤه خمس آيات لا يزيد عليها شيئًا، وكان زر بن حبيش قد قرأ على عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) القرآن كله في كل يوم آية واحدة لا يزيده شيئًا(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٤٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٨٦ والوافي بالوفيات: ١ / ١٦٤ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٤١.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٤٩.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٤٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٤٣.

ومن علماء القرن الثالث الهجري الذين اهتموا بالقراءة:

- أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب الكوفي ت: ٢١٤هـ الذي تحدث عن طرق التعليم والتي منها التعليم التلقائي وهو ما ينقله الطلاب عن أساتذتهم عن طريق القراءة(١).

وقد كان الصبيان يأخذون العلم عن العلماء عن طريق القراءة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي حاتم السجستاني ت: ٢٥٥هـ قال: كان المبرد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه وهو غلام(٢).

ويقول أبو العباس سمعت السجستاني يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين وكان حسن العلم بالعروض(٣).

ومن العلماء من يجمع بين القراءة والرواية في التعليم، ومن هؤلاء:

- أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت: ٢٥٩هـ الذي جمع بين القراءة والرواية فقد كان حسن الرواية جيد الدراية، وقد روى عنه أبو عبدالله اليزيدي، وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم سنة ٢٥٠هـ، وقد روى هو عن محمد بن زياد ابن الأعرابي، وعن نفطويه النحوي(٤).

ومن هؤلاء العلماء المهتمين بطريقة القراءة:

- أبو عمر بن حمدويه الهروي ت: ٢٥٥هـ الذي رحل إلى خراسان، وأخذ عن أصحاب النضر بن شُميل والليث، وفي العراق قرأ على ابن الأعرابي، والأصمعي، وسلمة بن عاصم والفراء، وأبي حاتم السجستاني، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة والرياشي(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٩٧ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢١٦ وابن كثير: مرجع سابق: ١٠ / ٢٦٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٤٠٣ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٨٥ وسير النبلاء: ٨ / ٢٠٦ والوافي بالوفيات: ١٤ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢ / ٤٣٢.
(٣) الزركلي: مرجع سابق: ١ / ٧٩.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٩١ وابن النديم: مرجع سابق: ١ / ٧٩.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٠ وبغية الوعاة: ص ٢٦٦ وإنباه الرواة: ٢ / ٧٧.

وقد تأثر الهروي بالبيئة الطبيعية التي تنقل بينها الهروي، وقد وضح ذلك في كتابه غير أنه كان يضن بهذه المصنفات من الكتب، ولم يعلم أن الضن من الصفات غير المحمودة بين العلماء.

وقد ظهر في القرن الرابع الهجري الكثير من الطلاب والعلماء الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من الطرق التعليمية ومنهم:

- أبو موسى سليمان بن محمد الملقب بالحامض البغدادي ت: ٣٠٥هـ الذي قرأ على أبي علي النقار، كتاب الإدغام للفراء ، فقال له أبو علي، يا أبا موسى أراك تُلَخص البيان تلخيصًا لا أجده في الكتب، فقال له: هذه ثمرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة(١).

ويلاحظ الباحث أن مصاحبة وملازمة العلماء تُكسب الطلاب المزيد من طرق نقل العلوم عنهم، والنبوغ والتفوق فيها، وإظهار الإعجاز من خلالها. ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ الذي كان قديمًا يقرأ لحمزة قبل أن يختار قراءته، وفي رواية أبي عبدالله الفرغاني قال: قال لنا أبو جعفر قرأت القرآن على سليمان بن عبدالرحمن بن حماد الطلحي، وقد كان الطلحي يقرأ على خلّاد، وخلّاد قرأ على سليم بن عيسى، وقرأ سليم على حمزة، ثم أخذ القراءة أبو جعفر عن يونس بن عبدالأعلى، عن ابن كيسة عن سليم عن حمزة.

وذكر ياقوت في معجمه: أن أبا جعفر الطبري، لم يكن منتصبًا للإقراء ولا قرأ عليه إلاّ آحاد من الناس كالصفار، ثم يقول: أما القراءة عليه باختيار فإني ما رأيت أحدًا أقرأ به غير أبي الحسين الجبي، وكان ضنينًا به(٢).

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٨ والفراء: معاني القرآن: تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠وابن العماد: مرجع سابق: ص ٣٩.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥٨ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ واللباب: ٢ / ٨١.

وقد لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت قصر الطرف عن بعض شيوخ الطبري الذين أخذ عنهم، وتلاميذه الذين أخذوا عنه، ففي كتاب ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه للدكتور / محمد عثمان يقول: تتلمذ أبو جعفر الطبري على: يحيى بن عثمان المصري ت: ٢٨٢هـ وقد أثبت الطبري مرويات عن يحيى عن طريق ابن بكير عن الليث بن سعد عن ابن لهيعة، عن عبداله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وهؤلاء العلماء ممن تتلمذ عليهم الطبري تلمذة مباشرة، وتفسير ابن كثير ذاخر بروايات المصريين الثقات، وهؤلاء الشيوخ هم أعمدة المدرسة المصرية في التفسير والتي جمعت بين المدرسة المكية والمدنية(١).

ومن شيوخ الطبري الذين تتلمذ عليهم بطريق غير مباشر: عبدالله بن لهيعة ت: ١٧٤هـ وشيخ الديار المصرية: الليث بن سعد، ث: ١٧٥هـ، ويزيد بن سويد الأزدي المصري النوبي ت: ١٢٨هـ، وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي ت: ١٣٠هـ والحارث بن يعقوب مولى قيس بن عبادة ت: ١٣٠هـ والكناني المعروف بالولاء المصري ت: ١٣٦هـ وابن الجمحي الإسكندراني ت: ١٣٦هـ، وخير بن نعيم بن مرة قاضي مصر ت: ١٣٧هـ، وسعيد بن يزيد الحميري الإسكندراني ت: ١٥٢هـ(٢).

ليس ذلك فقط وإنما تتلمذ على الطبري الكثير من طلاب العلم الذين رووا عنه فقد روى عن ابن المبارك، و هيثم، والوليد بن مسلم، وابن وهب، وأبو صالح كاتب الليث، ويحيى بن بكير، وقد تعلم الطبري من شيوخ كان لهم اليد الطولى في العلم فكان من أساتذته المباشرين: " زكريا بن يحيى الوقار المصري ت: ٢٥٤هـ، وعبدالرحمن بن عبدالحكم ت: ٢٥٧هـ وابن وهب ت: ٢٦٤هـ، ويونس بن عبدالأعلى ت: ٢٦٤هـ، وبحر بن نصر

---

(١) محمد محمد عثمان: ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه: ص ١١٠.
(٢) ابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥ والرازي: مرجع سابق: ٣ / ١٧٩.

الحولاني ت: ٢٦٧هـ ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم ت: ٢٦٨هـ وأحمد بن عبدالرحيم البرقي ت: ٢٧٠هـ والربيع بن سليمان ت: ٢٧٠هـ وعلي بن داود ت: ٢٧٠هـ[(١)].

ومن طلاب هذا القرن الذي تعلموا بالقراءة على العلماء:

- أبو الحسن علي بن سليمان الملقب بالأخفش الصغير ت: ٣١٥هـ الذي قرأ على ثعلب والمبرد، وأبي العيناء، واليزيدي[(٢)].
- ابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ الذي قرأ عليه أبو علي الفارسي النحو، وأخذ عنه بالقراءة الزجاج وغيره[(٣)].
- أبو عبدالله أحمد بن سليمان الطوسي ت: ٣٢٢هـ الذي قرأ كتاب لنسب للزبير فحصل على الإجازة[(٤)]. ويرى الباحث أن الإجازة تعني سماع المتعلم من المعلم، وتقتصر الإجازة على الحديث وأحيانًا على كتب النحو، وقد تكون محدودة بأحاديث معينة أوعامة تشمل جميع المادة التي حدّث بها أو صنفها، وقد تكون الإجازة شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية.

وقد عاصر الطوسي من طلاب العلم الذين درسوا عن طريق القراءة على العلماء:

- أبو عبدالله إسماعيل بن القاسم الملقب بالقالي البغدادي ت: ٣٥٦هـ ببغداد، الذي اهتم بتلقي العلم من العلماء عن طريق القراءة فقد " قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه، وسأله عنه حرفًا حرفًا[(٥)].

ويلاحظ الباحث أن ياقوت يصمت عن إقرار طريقة تربوية تتم بين الطالب وأستاذه في إجابته عن الأسئلة التي يوجهها الطلاب إلى أساتذتهم، وقد رحل القالي إلى

---

(١) عبدالله خورشيد: مرجع سابق: ص ٢٣٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥/ ٩٦ وبغية الوعاة: ص ١٩.
(٣) الزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٨ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١ / ٢٨٠.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦ وسير النبلاء: ١ / ٧٤ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٢١.

المغرب بعد أن تأدب ببغداد بهدف الحصول على علم آخر من العلوم. ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب. ت: ٣٨٥هـ كان من العلماء المهتمين بالقراءة من الطلاب ففي رواية أبي سعيد السيرافي: شيخ البلد بأصبهان. وفرد الأدب بها. قال رفعني الصاحب إلى جنبه وابتدأ فقرأ عليّ من كتاب المقتضب باب ما يجري وما لا يجري(١).

ومن خلال هذا العرض لطلاب وعلماء القرن الرابع الهجري. الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من طرق التعليم. حتى يحصل عن طريقها المتعلم على الإجازة فلم يكن في ذلك العصر درجات علمية يحصل عليها من أتم دراسته. بعد امتحان وإنما الامتحان كان امتحانًا للرأي المحيط به من علماء ومتعلمين. فمن أنس من نفسه القدرة على أن يجلس مجلس المعلم جلس. وتعرض لجدل العلماء ومناقشاتهم وتجبيههم.

ومن هؤلاء المتعلمين والعلماء في القرن الخامس الهجري:

- أبو الحسن. محمد بن جعفر المعروف بابن النجار. ت: ٤٠٣هـ كان من مُجَوِّدي القراء من أهل الكوفة. كان يُقرئ لحمزة والكسائي. ولقي أحمد بن يونس. وروى قراءة عاصم عنه عن الأعمش عن أبي بكر بن عياش بن عاصم. وعنه أخذ الحسن النقار بالكوفة ت: ٣٤٣هـ(٢). ومن الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي ت: ٤٢١هـ الذي قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي. وتتلمذ له. ثم قُرش عليه بعد ذلك(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٧١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١١٥ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٦٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٩، وإنباه الرواة: ١ / ١٠٦ والزركلي. مرجع سابق: ١ / ٢١٢.

ومن طلاب القرن الخامس الهجري الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو عبدالعزيز بن الحارث الملقب بالحنبلي المقرئ ت: ٤٨٨هـ الذي قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي، وأبي عمر مهدي وأبي الحسين بن بشران وجماعة، وقال ابن سكرة قرأت القرآن ختمة وروى عنه ببغداد أبو الحسن بن البطي، وآخر من روى عنه إجازة أبو طاهر السلفي[١]. وفي القرن السادس الهجري ظهر كل من:
- أبو بكر محمد بن أحمد الشيرازي الملقب بالقطان ت: ٥١١هـ الذي قرأ على ابن فضال المجاشعيُّ القيرواني وعلى غيره، ومن نبوغه وتقدمه قرأ عليه أبي محمد بن الخشاب وعنه أخذ النحو، فكان أبو بكر مؤدبه ومخرّجه[٢].

ومنه لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمين كانوا يتخذون من أساتذتهم ومعلميهم القدوة لهم، فكان ابن القطان مولعًا بأستاذه المحولي، وبغيره من العلماء.

- أبو الحسن علي بن عبدالجبار الهذلي التونسي ت: ٥١٩هـ بالإسكندرية، الذي قرأ عليه الكثير من الطلاب، وفي رواية المرتد البغدادي قال: رأيت ابن عبدالبر بصقلية وعزمت على أن أقرأ عليه، لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، غير أني لم أقرأ عليه فقد أحوجتني الضرورة إلى الخروج من صقلية[٣].

أما ابن رشيق الأزدي فيقول: قرأت على أبي القاسم الكثير من العلوم[٤].

- الحسين بن محمد الملقب بالدباس البارع ت: ٥٢٤هـ الذي قرأ القرآن على أبي علي بن البناء، وأقرأ خلقًا كثيرًا فقد قرأ عليه بالروايات أبو جعفر الواسطي الضرير[٥].

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٣٤ وطبقات المفسرين: ص ٨٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٦.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٨٢ وإنباه الرواة: ٢ / ٥٨٩ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٨.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١١٧.
(٤) بغية الوعاة: ص ٣٤٠.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٩٤ والوافي بالوفيات: ١١ / ١٠٦ وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٨ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٥٨.

- أبو الحسن علي بن عرّاق الصناري الخوارزمي ت: ٥٣٩هـ الذي قرأ الأدب على أبي علي الضرير النيسابوري، و قرأ الفقه بخوارزم على الإمام أبي عبدالله الوبريّ، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه على مشايخها(١).

وكانت القراءة التي تأخذ عن العلماء غير المتصفين بحسن الاعتقاد وصحة المذهب لا تجاز ففي ترجمة ياقوت لأبي الحسن علي بن عبدالله العقيلي الأنطاكي ت: نيف ٥٤٠هـ قال السمعاني: قرأت عليه بحلب شيئًا من الحديث وخرجت من عنده فرآني بعض الصالحين، فأنكر عليّ ذلك، وقال أنه يقول بالنجوم، ويرى رأي الأوائل، فلا تُجاز قرأته(٢)

- أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعري ت: ٤٤٩هـ الذي قصد أبا الحسن علي بن الربعي ليقرأ عليه الكتب، فدعاه أبو الحسن بلقب يكرهه فخرج مغضبًا ولم يعد إليه(٣).

ومنه لاحظ الباحث أن على المعلم أن يكون ثاقب البصر، وأن يترك الألقاب التي تمس كرامة المتعلم، كالأعمى والأعرج، والأبرص وغيرهم من الألقاب التي تشميز منها النفس، ومن المناداة بها، وقد رأينا أبا العلاء المعري يترك أستاذه ومجالسه والتعليم من أجل مناداته إياه بلقب يكرهه.

- أبو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن شرف القيرواني ت: ٤٦٠هـ الذي قرأ النحو على أبي عبدالله القزاز، و قرأ الأدب على أبي إسحاق الحُصري، و قد جعله ذلك يكتب كتاب أبكار الأفكار وهو مختارات جمعها من شعره ونثره، وله مقامات عارض بها البديع الهمذاني ، وقد ذكر الزركلي أنها مطبوعة نشرها السيد حسن حسني عبدالوهاب في مجلة المقتبس باسم رسائل الانتقاد ثم نشرت في رسالة منفردة باسم أعلام الكلام وهذا من كتبه المفقودة، وقد ذكرها ياقوت باسم رسالة الانتقاد وهو الأصح(٤). ومن هؤلاء المهتمين بطريقة القراءة:

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٨٥ وبغية الوعاة: ص ٣٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣١٢.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤٠٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٩٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٧٢ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٦.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤٣٥ وبغية الوعاة: ص ٤٦ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ٢٠٤، ٣ / ٧٩ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١٣٨.

- أبو جعفر محمد بن إسحاق الملقب بالقضي البحاثي ت: ٤٦٣هـ الذي كتب نسخة من غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، وقرأها على جدي الشيخ عبدالغافر بن محمد الفارسي، قراءة سماع، وعلى الإمام الحاكم بن دوست قراءة تصحيح وإتقان ولم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أصح منها، وهي الآن بخزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم(١).
- أبو القاسم الفسوي ت: ٥٦٧هـ بطرابلس، كان قد قرأ على الشريف أبي البركات الكوفي وأقرأ النحو بحلب، وأفاد أهلها، عمّر إلى أن قرأ عليه الشريف أبو البركات(٢).
- أبو نصر محمد بن أحمد الملقب بالإمام الوالد، ت: ٣٨٤هـ الذي قرأ القرآن على جماعة كثيرة منهم بمرو أستاذه أبي الحسين الدهان المقرئ، وقرأ بنيسابور على أبي محمد الخبازي، وأبي عثمان المعَدّل، وببغداد على أبي الحسن بن الحمامي، ثم اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة، ولكن مقابل أجرة(٣).

وذكر ياقوت من بين علماء القرن السادس الهجري الذين درسوا على طريقة القراءة:

- أبو محمد دعوان بن علي الملقب بالضرير المقرئ ت: ٥٤٢هـ الذي كان من أعيان القراءة ببغداد متميزًا بالقراءة، حسن الطريقة، قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهر بن سوار وابن الجراح، وابن السَّيْبي، وقرأ عليه القرآن خلق كثير(٤).
- ابن القيسراني الحلبي ت: ٥٤٨هـ الذي قرأ الأدب على توفيق الدمشقي، وابن الخياط(٥). وقد قرأ السمعاني على ابن أبي جرادة بحلب شيئًا من الحديث(٦).

---

(١) معجم الأدباء: ٥/ ٤٣٥، ٥ / ٢٢٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٤١ واللباب: ١ / ٩٩ والوافي بالوفيات: ٢ / ١٩٧ - ١٩٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٦ ومعجم المؤلفين: ٤ / ١٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٦ واللباب: ٣ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٩٥.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٢١.
(٥) المرجع السابق: ٥ / ٤٥٣ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٧٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٩٣.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.

- أبو منصور محمد بن علي العتابيّ البغدادي ت: ٥٥٦هـ الذي قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري، وقرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي، ثم تصدّر للإقراء، ليقرأ الناس عليه(١).
- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي قرأ نحو ابن فضال على أبي جعفر المقرئ، وقرأ عليه فصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيد، والأمثال للميكالي وانتقل إلى مرو فقرأ على تاج القضاة أبي سعيد يحيى بن صاعد ت: ٣١٨هـ(٢).
- أبو محمد عبدالله بن أحمد الملقب بالخشاب، ت ٥٦٨هـ الذي قرأ اللغة العربية على أبي علي الحسن بن علي المحولي، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، وكان مداومًا القراءة على المشايخ في علو سنه، ومع نبوغه وتقدمه في العلم أقرأ الناس مدة وتخرج به جماعة في علم النحو فكان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى قيل أنه في درجة أبي علي الفارسي، وكان الخشاب يكتب المصنفات بأجرة فقد: وصله ألف دينار مقابل كتاب شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة(٣). ومن هؤلاء العلماء:
- أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطائحي ت: ٥٧٢هـ الذي قرأ القرآن على أبي العز الواسطي والبارع ابن الدباس، والمرزوقي، وأبي محمد بن بنت الشيخ، وقرأ النحو على البارع، وقد قرأ عليه الناس مدة، وحدّث الكثير(٤). وعاصره سعد بن محمد الملقب حيص بيص ت: ٥٧٤هـ(٥).
- أبو العباس الخضر بن ثروان، الملقب بالضرير التُّوماني ت: ٥٨٠هـ الذي قرأ اللغة على ابن الجواليقي، والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي(٦).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٨ وإنباه الرواة: ٣ / ١٨٨.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠ - ٨ / ١٥٠.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٣.
(٤) المرجع السابق: ٤ / ١٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٣٣.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦٨.
(٦) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٤ ونكت الهميان: ص ١٤٩.

وقد عاصره أبي محمد عبدالله بن بَرِّيّ ت: ٥٨٢هـ الذي قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر، وقصده الطلبة من الآفاق وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص[(١)].

ومن الطلاب الذين درسوا وتعلموا عن طريق القراءة في القرن السابع الهجري كما أوردهم ياقوت في كتابه معجم الأدباء:

- أبو السعادات المبارك بن محمد الملقب مجدالدين والمعروف بابن الأثير ت: ٦٠٦هـ الذي قرأ الأدب على ابن الدهان البغدادي، وعلى أبي بكر بن سعدون المغربي القرطبي، وأبي الحزم مكي بن الريان ت: ٦٠٣هـ[(٢)]. وكانت القراءة تستخدم لمراجعة الأعمال التي يكتبها الطلاب، فقد كتب " أبو الفضل أحمد بن أبي بكر الملقب بحمدويه ت: ٦٢٠هـ الكثير من الكتب بخطه، ثم قرأها على مشايخه لمراجعتها[(٣)]. ومن هؤلاء الطلاب:
- أبو علي الحسن بن أبي المعالي الملقب بالباقلاني النحوي ت: ٦٣٧هـ الذي قرأ العربية على أبي البقاء العُكبريّ، وقرأ اللغة على محمد بن المأمون وغيره، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصر الدين الطوسي، وأخذ فقه الحنفية عن ابن الدمغاني الحنفي ت: ٦٣٥هـ ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي[(٤)].
- الحسن بن محمد الصنعاني النحوي ت: ٦٥٠هـ الذي كان يقرأ عليه أهل اليمن فكان يُقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي، وكان معجبًا بهذا الكتاب وبكلام مصنفه[(٥)].
- أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي قرأ القرآن على ابن غلبون والنحو على أبي الحسن بن الداني، وابن الطيب النحوي، والشَّلوْبينيّ، والكندي وقرأ الأصول على ابن دقماق والعميدي، وقرأ الخلاف على مُعين الدين الحاجَرْمِي[(٦)].

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٨ وخزانة الأدب: ٢ / ٥٢٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٤٩ ومعجم المؤلفين: ٨ / ١٧٤ وسير النبلاء ١٣ / ١١٢، ١١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣١٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٧٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٩٨ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٥ والزركلي: مرجع سابق: ٨ / ٢١٧.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٩٤ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٧٩.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٤٣٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.

والخلاصة: بعد هذا العرض تبين للباحث أن القراءة كانت من الطرق التربوية التي اعتمد عليها الطلاب المتعلمين في الحصول على العلم من العلماء، والقراءة أو العرض: هي قراءة الطالب أمام المعلم، أو مراجعة المعلم للنصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها، و هي تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعليم.

ولاحظ الباحث أيضًا أن القراءة لم يقتصر استخدامها في العلوم الدينية فقط وإنما اعتمد عليها كطريقة يتعلم بها الطلاب العلوم اللغوية، وكان الطلاب ينتقلون من بلد إلى آخر للقراءة على علماء هذا البلد، وأحيانًا كان يحصل العلماء على أجرة مقابل القراءة لكتبهم أو كتب غيرهم. وبذلك فإن ياقوت أرخ لطريقة القراءة كواحدة من طرق التعليم على مر القرون الهجرية الست هذا لأولى، وبه أصبح معجم الأدباء أحد مصادر تاريخ التربية المهمة.

رابعًا: الحفظ والاستظهار:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الحفظ يعد واحد من الطرق التعليمية التي اعتمد عليها الطلاب في تحصيل العلم، ورغم ما يشوب هذه الطريقة من سلبيات إلاّ أنها كانت تتناسب والقرون هذا لتي أرخ لها ياقوت. وبالرجوع إلى تراجم العلماء التي ذكرها ياقوت تبين للباحث أن طريقة الحفظ والاستظهار ظهرت بوضوح مع طلاب القرن الثالث الهجري ومن بين هؤلاء الطلاب:

- الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي كان يحظى بقدرة فائقة على الحفظ وسرعته، ففي رواية ابن جبرية النيسابوري عن الربيع قال: قال الشافعي: كنت أسمع المعلم يُلّقن الصبي الآية فأحفظها وكنت وهم يعلمون طلابهم القرآن، ما أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم أكون قد حفظت ما أملى[1]. ولم تقتصر هذه الطريقة على حفظ القرآن الكريم والحديث فقط، إنما تتعداه إلى حفظ كتب العلماء، ومن الطلاب الذين اهتموا بحفظ كتب العلماء:

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩١ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٦.

- الواقدي ت: ٢٠٧هـ الذي قال: ما من أحد إلاّ وكتبه أكثر من حفظه، وكان حفظي أكثر من كتبي، وفي رواية يعقوب بن شيبة قال: كان للواقدي حِمْلُ كتبه على عشرين ومائة وقْر (الحمل الثقيل)، وقيل: كان من كبار النحاة وأهل اللغة، وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد، وعنه أخذ أبي العباس محمد بن زيد، وابن دريد، وكان الرياشي يحفظ شعر مالك بن أسماء ت: ١٠٠ هـ(١).

- أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادي ت: ٢١٧هـ الذي قال: سمعت شعر الكميت (شاعر يتعصب لآل البيت) في مجالس ابن الأعرابي، فحفظت بعرضه، وحفظت النكت التي أفاد منها(٢).

- أبو عثمان الرشاشي ت: ٢٧٢هـ الذي كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب ويضرب المثل بفصاحته، فكان من أهل الرواية والحفظ والشعر والحديث(٣).

- أبو العباس ثعلب ت: ٢٩١هـ كان مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة، فقد فضل أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور، وكان لا يمس بيده كتابًا، عند تلقي الرجال التعليم منه اعتمادًا على حفظه، بينما كان السكري غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال(٤).

وقد استخدم الطلاب طريقة الحفظ لكي يتفوق كل منهم على أساتذته، بحفظ هذه العلوم:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب كيسان ت: ٢٩٩هـ الذي أولى اهتمامه لحفظ علم النحو فكان يحفظ المذهبين (الكوفي والبصري) في النحو، وقد أخذ عن المبرد وثعلب، وربما كان التلميذ يتفوق على أستاذه فقد كان كيسان أنْحَى (كثير النحو) من الشخين يعني

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٢ وتهذيب التهذيب: ٥ / ١٢٤، ١٢٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٢٤٦.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٥٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٢٧٩.
(٤) المرجع السابق: ٢ / ٥٨ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

المبرد وثعلب[1]. واستخدم الطلاب طريقة الحفظ لدواوين العرب في القرن الرابع الهجري ومن هؤلاء:

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٣٢١هـ الذي قال عنه الخطيب البغدادي: ما رأيت أحفظ من ابن دريد، فقد كان واسع الحفظ، كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها من حفظه، وما رأيته قط قُرئ عليه ديوان شاعر إلاّ وهو يسابق إلى روايته لحفظه. وفي رواية الميكالي قال: أملى عليّ الدُّريدي كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظًا في سنة ٢٩٧هـ فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب[2].
- أبو جعفر أحمد بن عبدالله الكاتب ت: ٣٢٢هـ الذي حدّث بكتب أبيه كلها بمصر حفظًا ولم يكن معه كتاب، وقد عُرف فضله بمصر فأقبل عليه طلاب العلوم والآداب[3].

ويلاحظ الباحث هنا أن ملكة الحفظ كانت من الطرق التربوية القويمة في ذلك العصر، فابن قتيبة لم يصل إلى ما وصل إليه من فضل وغزارة علم إلاّ بحفظه لكتب أبيه التي عددناها بإحدى وعشرين كتابًا في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار.

- أبو بكر محمد بن القاسم الملقب بالأنباري ت: ٣٢٧هـ الذي كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا بأسانيدها، وقد سئل الأنباري عما يحفظه فقال: ثلاثة عشر صندوقًا أي لو وضعت هذه الكتب التي يحفظها في صناديق لملأت هذا القدر، أخذ ذلك عن والده، فكان أبو بكر آية من آيات الله في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر[4].

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٩٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٢ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ وبغية الوعاة: ص ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٨ والمنتظم: ٦ / ٢٦١ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣٢٢ وسير النبلاء: ١٠: ٢٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣٩٥ وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٢٩ وإنباه الرواة: ١ / ٤٥ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤١٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٣٣٤.

- التنوخي ت: ٣٤٢هـ الذي رحل إلى بغداد في حداثته، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة وكان يحفظ سبعمائة قصيدة ومقطوعة، وله كتاب يحتوي على رؤوس ما يحفظه من القصائد يقع في مائتين وثلاثين ورقة أثمان، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئًا عظيمًا(١).

وكان التنوخي يحفظ ما اشتهر من الكلام والمنطق و الهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوة، وفي حفظ علم العروض، وكان يحفظ ويجيب فيما يفوق على عشرين ألف حديث(٢). ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق الحفظ:

- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥هـ الذي لم يُر قط أحفظ منه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة، وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة، وكان المحدثون يوثقونه(٣).
- أبو عثمان سعيد بن هاشم ت: ٣٧١هـ الذي حفظ ألف سفر كل سفر مائة ورقة، وكان هو وأخوه إذا استحسنا شيئًا غصباه صاحبه حيًا كان أو ميتًا لا عجزًا منهما ولكن كذا كان طبعهما(٤).

ومنه لاحظ الباحث أن هذا الصنيع يتنافى والأمانة العلمية التي توجب على العالم عدم نسبة عمل غيره إليه، مثل ما قد يحدث في الكتابات العلمية بأن يُحذف اسم المؤلف ويوضع اسم هذا المُدعي عمل غيره. وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بغلام ابن درستويه ت: ٣٨٧هـ الذي كان يحفظ خمسين ألف بيتًا من الشعر شواهد للقرآن الكريم، وصنف كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٢٤٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٣.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦١ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٥٠٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٢٤.
(٣) جورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٤ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ١ / ١٧٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٠٣ واللباب: ١ / ٣٣٩ والثعالبي: مرجع سابق: ١ / ٤٧١.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ١١٨ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٢٦.

وقد تعلم عن طريق الحفظ من الطلاب في القرنين السادس والسابع الهجريين:

- أبو الحسن الهذلي التونسي ت: ٥١٩هـ بالإسكندرية، كان يجيد الحفظ وينشأ القصائد التي تبلغ إحدى عشر ألف بيت على قافية واحدة من حفظه، ولذلك قال القيرواني: لم أر قط أحفظ للعربية واللغة من الهذلي[(١)].
- البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي قال حفظت في عهد الصبا كتاب الشادي للهادي وكتاب السامي في الأسامي وكتاب المصادر للزوزني وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وكتاب غريب القرآن للعزيزي وكتاب المنتحل للميكالي، وأشعار المتنبي، وكتاب الحماسة لأبي تمام وكتاب المجمل في اللغة وكتاب تاج المصادر لأبي جعفر المقرئ[(٢)].

ومن طلاب العلم الذين اعتمدوا على الحفظ في أخذهم عن العلماء في القرن السابع الهجري:

- أبو سليمان داود بن أحمد الملقب بالضرير المهلبي ت: ٦١٥هـ ببغداد كان بارعًا في الأدب مولعًا بشعر المعري، يحفظ منه جملة صالحة[(٣)].

تعقيب: لاحظ الباحث من خلال هذا العرض لبعض طرق التعليم التي ذكرها ياقوت في كتابه معجم الأدباء أن هذه الطرق كانت متعددة وأخذت صورًا كثيرة مثل التلقين: وهو من الأساليب الشائعة، وقد عبر عنه بالسماع من جانب التلاميذ بحيث كثر إيراد هذه الكلمة في ترجمات أكثر من أن تعد، فعلى وجه التقريب ما من عالم أو متعلم ألاّ وتقرا أنه سمع كذا من فلان وقد عرضنا الكثير من هذه النماذج في صلب هذه الدراسة، ومن هذه الطرق الإملاء: وهي تفيد في تقييد العلم بحيث يستطيع التلميذ أن يرجع إلى الموضوع عندما يريد فيتعلمه، وكانت هذه الطريقة لها أهميتهغا بطبيعة الحال في مجتمع لم يعرف الطباعة بعد، ولذلك نجد عددً غير قيل من الكتب العربية تسمى الأمالي، وقد عاصرت هذه

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ والوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٨ - ٧٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣١٢ ونكت الهميان: ص ١٤٩ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٦.

الطريقة بعض الطرق الأخرى مثل القراءة حيث كان بعض المعلمين يطلبون من الطالب أن يقرأ أمامه فيصحح له ما يقرأ ويشرحه،وقد أوضح ياقوت أن هذه الطريقة كانت من الطرق الشائعة بين المتعلمين وأكثر من تراجم الطلاب والمعلمين الذي اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم.

ومن هذه الطرق أيضًا الحفظ: فقد كان الحفظ بطبيعة الحال هو أهم الطرق والأشهرها وأكثر شيوعًا واستخدامًا ولا عجب في ذلك فالمجتمع الذي عاش فيه هؤلاء تسوده الأمية، ولا مطابع هناك، ووسيلة النشر الوحيدة هي النسخ وهي عملية صعبة ومكلفة فكان الاعتماد على الذاكرة ففيها يودع الكتاب، فكأنها توفر لصاحبها نسخة منه وتتبين شيوع الحفظ من كثرة الإشارة إليه لدى الشخصيات التي ترجم لها ياقوت الحموي في معجمه، وكانت المجالس تعتمد في بعض الأحوال لاختبار الحافظ أمام جمع غير قليل من الناس.

خامسًا: الرحلة.

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الكثير من العلماءَ وطلاب العلم أفادوا من الرحلة إلى العلماء في مختلف الأمصار، وكذلك الرحلة إلى المكتبات الإسلامية حتى يطلعوا على أمهات الكتب التي تزخر بها هذه المكتبات، ولم تكن الرحلة قاصرة على تعلم العلوم الدينية وفقط، وإنما كانت لتعلم الكثير من أنواع العلوم المختلفة ففي القرن الثالث الهجري تعلم عن طريق الرحلة:

- أبو عمر حفص بن عمر ت: ٢٤٦هـ الذي رحل في طلب القراءات فقرأ بالحروف السبعة وبالشواذ، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي، وقرأ العربية على أبي محمد اليزيدي فقد حصّل أبو عمر عن طريق الرحلة الكثير من علم العلماء[(١)]. وقد عاصره من العلماء:

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٢٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٤.

- أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالمحدث الحافظ ت: ٢٥٧هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وقدم بغداد وذاكر الحفاظ بها، وأخذ بها عن الأصمعي والنضر بن شُمَيل وبهذه الرحلة حصل على معرفة تامة بالعربية واللغة[(١)]. ومنهم السهمي ت:٢٩٦هـ[(٢)].

وكان اهتمام طلاب الحديث بالرحلة أكثر من غيرهم من طلاب العلم فقد ظهر من بين طلاب العلم في القرن الرابع الهجري:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ الذي رحل إلى مصر، ولم تكن رحلته هذه من فراغ فهو يعلم فضل الرحلة في طلب العلم فقد رحل إلى مصر فوصلها عام ٢٥٣هـ وأقام مدة بالفسطاط يسمع العلماء، ثم عاد إلى الشام، فلما قضى منها أربًا علميًا رجع إلى مصر في عام ٢٥٦هـ[(٣)]. وفي فضل الرحلة لطلب الحديث ذكر ابن عبدالبر في جامعه في باب ذكر الرحلة لطلب العلم قوله: أخبرنا هدية ويزيد بن هارون قالا: حدثنا همام قال سمعت عبدالله بن محمد يحدث عن جابر قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت الشام فإذا عبدالله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابرًا على الباب. فخرج إليّ فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا منه، فذكره له[(٤)].

ومن هنا كانت رحلة الطبري إلى الأمصار الإسلامية لأنها متحدة ومتماسكة رغم تباعد أقاليمها، ووعورة الطرق فيما بينها، وهكذا كانت المملكة الإسلامية في سهولة انتقال العلماء من مكان إلى مكان، فترى العالم من المشرق فإذا هو في الأندلس، ومن المغرب فإذا هو بالعراق. ومن طلاب القرن الرابع الهجري الذين تعلموا عن طريق الرحلة

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٩ ومعجم المؤلفين: ٤/ ٢٧٦ وتهذيب التهذيب: ٤ / ٢٢١ - ٢٢٢.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٦٣.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٤٤ وأحمد محمد الحوفي: مرجع سابق: ص ٣٧.
(٤) ابن عبدالبر: مرجع سابق: ص ١٥١.

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٣٢١هـ الذي رحل إلى البصرة فتعلم بها اللغة، وأسعار العرب، ثم صار إلى علماء عمان فأقام بها مدة تبلغ اثني عشر عامًا، ثم عاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس في جزيرة ابن عمر فسكنها مدة، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات[(١)]. ولم يقتصر ابن دريد في رحلته على تعلم العلم وإنما هدف إلى تقلد بعض المناصب التي يحصل من خلالها على أجرة فقد " قلده آل ميكال ديوان فارس واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارًا[(٢)].
- أبو الفضل الهروي ت: ٣٢٩هـ الذي رحل إلى أبي العباس ثعلب بالعراق فدخل عليه مدينة السلام، وعرّفه بقصده إياه، فاتخذ له مجلسًا في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي، حتى سمع الكتاب كله منه[(٣)]. ومن الطلاب الذين اتخذوا من الرحلة طريقًا للتعليم:
- أبو عمر الصَّيفي الأندلسي المنتجلي ت: ٣٥٠هـ الذي رحل إلى ما المشرق فسمع بمكة من أبي جعفر الُمقبليّ، وأبي بكر المنذر صاحب الإشراق، وابن الأعرابي، وسمع بمصر على جماعة منهم أبو عبدالله محمد بن الربيع، ورحل إلى القيروان للأخذ عن أحمد بن نصر ومحمد بن اللباد، ثم رحل إلى الأندلس وبها صنف تاريخًا في المحدِّثين[(٤)].
- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت: ٣٥٦هـ الذي رحل إليه طلاب العلم من الأندلس ففي رواية أبو علي المحسن قال: كان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج، وكان أبو الفرج يُكرمه ويذكر ثقته[(٥)].

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٦ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ١٤٥.
(٢) جورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨٨ ولسان الميزان: ٥ / ١٣٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٧٨ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٨ / ٨٩ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ١٩٦.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ٦٧ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٨ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.

ومنه لاحظ الباحث أن طلاب العلم كانوا إذا استقر بهم المقام في بلد من البلدان التي بها العلماء، كان الطلاب يلازمون هؤلاء العلماء من أجل اكتساب المعرفة والتزود من العلم.

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق الرحلة في القرن الرابع الهجري:

- أبو عبدالله بن خالويه: ٣٧٠هـ الذي رحل إلى بغداد طالبًا للعلم سنة ٣١٤هـ فلقي بها أكابر العلماء، وأخذ بها عنهم، ثم رحل إلى الشام واستوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر وأدرك بها جُلّة من العلماء، ومع تقدمه ونبوغه في مجالات علمه قصده المتعلمون فكانت الرحلة إليه من الآفاق، وآل حمدان يدرسون عليه ويقتبسون منه، وفي رواية أبي عمر الداني قال: جاء رجل إلى ابن خالويه فقال به: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني، فقال له: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني(١). وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:
- الخليل بن أحمد السجزي ت: ٣٧٨هـ الذي كان شيخًا لأهل الري في عصره، وصاحب فنون من العلوم طاف بلادًا كثيرة فقد رحل إلى نيسابور ودمشق لطلب الحديث، وقد رحل إلى الري والعراق والحجاز، ثم عاد إلى نيسابور محدثًا ومفيدًا عام ٣٥٩هـ، وله قصائد تحدث فيها عن فضل الرحلة والتنقل في الرزق والعلم فقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدة	فثم بلادٌ رزقها غير ضيِّق
وإياك والسُّكنى بدار مزلة	فتسقى بكأس الذّلةِ المتدفق
فما ضاقت الدنيا عليك برُحْبِها	ولا بات رزق الله عنك بمُغلقِ(٢)

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٩٩ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ٢١٢، ٢١٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٣١٠ وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٥ والوافي بالوفيات: ١١ / ٥٧، ٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٣١.

(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٠٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٩١ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ١٥٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣١٤.

- أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني ت: ٣٩٢هـ كان كثير الرحلات فقد طوّف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس من العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره(١). ومن طلاب العلم الذين اهتموا بالرحلة في ذلك القرن:
- أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان الهمذاني ت: ٣٩٨هـ كان محبًا للرحلة فقد رحل في طلب العلم وفارق وطنه إلى حضرة الصاحب بن عباد، ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمره، ثم رحل عن حضرة الصاحب موليًا وجهه شطر جرجان، فنزل بأسرة معروفة بالثراء وتشجيع العلماء والأدباء(٢).

ومن الطلاب المهتمين بالتعلم عن طريق الرحلة في القرن الخامس الهجري:

- أبو الحسين محمد بن الحسين، ت: ٤٢١هـ الذي أخذ عن خاله علم العربية، وطوّف في الآفاق، فقد أوفده خاله على الصاحب بن عباد بالري، ثم رحل إلى خراسان، ونزل بنيسابور، ثم رحل إلى مكة وجاورها، ثم عاد منها إلى غزنة، ورجع إلى نيسابور ثم رحل إلى اسفراين وأخذ بكل منها عن علمائها، واستقر في جرجان مدة فقرأ عليه أهلها ومنهم عبدالقاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه، وقد توفي بها(٣).
- أبو علي الحسين بن سعد الملقب بالآمدي اللغوي ت: ٤٤٤هـ الذي رحل إلى بغداد فأخذ بها عن أبي علي الفراء، وأبي طالب بن غيلان، ورحل إلى الشام فأخذ عن جماعة من العلماء، ثم استوطن أصبهان ليعلم بها، وبها توفي(٤).

وقد تكون الرحلة إلى البلدان بهدف نشر العلم، وليس للأخذ عن العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة الحسين بن محمد المعروف بابن جني ت: ٤٥٦هـ أنه رحل من الأندلس

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٤ / ١٥٩ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٨ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ٢٣٨ وطبقات المفسرين: ص ١٧٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٠.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٧ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٠٩ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ٣٤٠ وشوقي ضيف: المقامة. ط دار المعارف د.ت ص ١٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٣٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٩٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٩ وبغية الوعاة: ص ٣٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ١٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٨

إلى مصر، ثم نزل بالقاهرة، ثم رحل إلى اليمن، واتصل بأميرها سنة ٤٤٢هـ فبعثه إلى المنتصر بالله (معد بن الظاهر علي)، فحظي عنده بدنيا عريضة وإقبال من المتعلمين وصنف بها كتاب زيج مختصر أهداه لأمير اليمن الصليحي[(١)].

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق الرحلة في ذلك القرن:

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشران ت: ٤٦٢هـ الذي رحل إلى العلماء للأخذ عنهم، وقد اتخذ لنفسه منهجًا جمع فيه بين الرواية والفهم، وشدة العناية، وقد أخذ العلم عنه خلق كثير مثل أبو الحسين الكاتب صاحب أبي علي الفارسي، فقد كانت إليه الرحلة لطلب العلم والتزود من المعرفة في زمانه فهو عين وقته وأوانه، ويقول ياقوت أن ابن بشران له مؤلفات غير أنها ذهبت على طول المدى ذكر منها كتاب فضائل بيت المقدس قال الزركلي: أنه مخطوط في دار الكتب مصورًا عن نسخة كتبت سنة ٥٤٣هـ[(٢)].

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الخامس الهجري الذين تعلموا عن طريق الرحلة:

- أبو نصر محمد بن أحمد الكركانجي ت: ٤٨٤هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طلب علم القرآن، وتعلم القراءة على المشايخ إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره في هذا العلم[(٣)].
- أبو الوليد سليمان بن خلف الملقب بالباجي ت: ٤٩٤هـ بالمرية، الذي رحل إلى المشرق فأقام بالحجاز ملازمًا للحافظ أبي ذر المحدث، وسمع من ابن سحنويه، وابن محرز والمُطوّعي، ورحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام سمع فيها من ابن الدامغاني الكبير ت: ٤٧٨هـ، وابن عمروس، وأخذ عن الخطيب البغدادي، و رحل إلى الموصل فأقام بها عامًا أخذ فيه عن السمعاني علم الكلام، ورحل إلى الشام فأخذ بدمشق وحلب عن

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ١٩٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٥٤.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٤٧ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٧ ولسان الميزان: ٥ / ٤٣.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٧٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٩٥ واللباب: ٣ / ٣٦.

السمسار، وقد تقدم الباجي في العلوم عن طريق الرحلة إلى العلماء، ولذلك فقد سمع منه خلق كثير منهم: الصَّدَفِيُّ المعروف بابن سكرة الصدفي ت: ٥١٤هـ، والجَيَّاني: الحسين بن محمد الغساني الأندلسي ت: ٤٩٨هـ(١).

ومما سبق لاحظ الباحث أن الطلاب اهتموا بالرحلة إلى العلماء، كواحدة من الطرق التعليمية التي يتعلّم من خلالها هؤلاء الطلاب، واكتسبوا المزيد من علم العلماء في مختلف أنواع العلوم، دون الاقتصار على تعلم العلوم الدينية فقط، وبالرحلة كان الأمراء ينزلون العلماء منزلة خاصة لنشر علومهم بين أهل البلدة التي يسكنها هؤلاء العلماء.

وفي القرن السادس والسابع الهجريين استخدم الطلاب طريقة الرحلة في الحصول على المعرفة ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١هـ الذي رحل في طلب العلم إلى العراق فل سنة ٥٢١هـ وأقام بها خمس سنين، رافق خلالها السمعاني ولقي الكثير من المشايخ بها(٢).
- أبو محمد سعد بن الحسن النُّوراني الحرّاني ت: ٥٨٠هـ الذي رحل إلى الشام والعراق ومصر، وخراسان، وسكن بغداد مدة أخذ فيها عن الجواليقي وغيره(٣).
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي إلى بغداد وبها تأدب ثم رحل إلى الموصل والشام، ويقول ياقوت: وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة، الذي ساعده على جمع كتاب الحماسة(٤).
- محمد بن محمود الملقب بالحافظ المؤرخ البغدادي ت: ٦٤٣هـ الذي رحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر، وهراة ونيسابور، فسمع الكثير من العلماء، وحصَّل الأصول

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٤ والتهذيب: ٦ / ٢٤٨ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٤٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٤٣ ومعجم المؤلفين: ٤/ ٤٤ وتذكرة الحفاظ: ٤/ ٣٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٦٥ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٢٥.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤١ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٩ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٣.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦٤.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ٢٧ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.

والمسانيد. وقد استمرت رحلته سبعًا وعشرين سنة. وعن طريق الرحلة صنف الكثير من الكتب وقفها على المدرسة النظامية[(1)].

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله المرسي السلمي والملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي رحل من بلاد المغرب سنة ٦٠٧هـ. ودخل مصر. ثم رحل إلى الحجاز. ودخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد وأقام بها يقرأ ويسمع. بالمدرسة النظامية. ورحل إلى خراسان ونيسابور وهراة ومرو. ولقي بهم العديد من المشايخ. ثم عاد إلى بغداد ثم رحل عنها إلى حلب ودمشق. ويقول ياقوت: رأيته بالموصل ثم حج ورجع إلى دمشق. ثم عاد إلى المدينة فأقام بها على الإقراء. ثم رحل غلى مصر وأقام بها وقد لزم التنسك والعبادة والانقطاع[(2)].

وتختلف أهمية الرحلة عند أصحاب المذاهب. فعند الإمامية: اتخذت طابعًا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهي عند الشيعة تحقق غرضًا دينيًا إماميًا في طابعه. بالإضافة إلى الغرض العلمي فالطالب الإمامي يرحل للقاء الإمام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لاشك في قوله. في حين أن الطالب غير الإمامي. يرحل لتلقي الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة[(3)].

سادسًا: ملازمة العلماء:

ذكر ياقوت من بين الطرق التعليمية التي أرخ لهاا والتي تعلم الطلاب من خلالها طريقة الملازمة للعلماء. فقد كان طلاب العلم يلازموا مشايخهم في حلهم وترحالهم لأخذ العلوم عنهم. وقد انتشرت هذه الطريقة مع بداية القرن الثالث الهجري. لأن القرنين الأول

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣ / ٦٩ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٣١٧ وابن العماد: مرجع سابق: ٥ / ٢٢٦. والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ٨٦ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ٢١٢ وابن كثير: مرجع سابق: ١٣/ ١٦٩.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٤٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.

(٣) علاء الدين القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية. دكتوراه في أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٤وابن العماد: مرجع سابق: ص ص ١٧ - ١٩.

والثاني الهجريين ساد فيهما السماع والإملاء والقراءة أكثر من ملازمة العلماء ومن هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري:

١- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي يقول: خرجت من إلى مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها، وآخذ عنها طباعها، فقد كانت أفصح العرب، وبقيت سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما عدت جعلت أنشد الأشعار والآداب والأخبار وأيام العرب[١]. ويتضح لنا هنا أن ياقوت بروايته هذه يثبت أن مهنة التعليم لم تكن قاصرة على العلماء المتخصصين وفقط في هذا القرن، بل إن الإسرة قامت بدور حيوي لا يقل أهمية عن دور العلماء.

٢- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت: ٢٠٥هـ الذي لازمه أبناء بني شيبان فأدب بعض أبنائهم، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه أحمد بن حنبل، الذي كتب عنه الحديث[٢].

٣- أبو عمر صالح بن إسحاق ت: ٢٢٥هـ الذي لازم الجوهري فأخذ عنه كتاب اللغة المسمى بالصحاح، ولازم يونس بن حبيب فأخذ عنه العربية ببغداد، وكان يلازم أبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة والأصمعي، وبالملازمة للعلماء حصّل من العلم ما جعله يكتب كتاب مختصر في النحو، وكتاب التنبيه وكتاب الأبنية[٣].

٤- أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٣٠هـ الذي لزمه الأصمعي بضع عشرة سنة ليأخذ عنه علم اللغة فقد كان علامة بها، ويقول الأصمعي: ما رأيت بيده كتابًا قط وما أشك في أنه أملى عنه الناس ما يحمل على أجمال[٤].

٥- سليمان بن مسلم الملقب بصريع الغواني ت: ٢٧٩هـ الذي لازم بشار بن برد يأخذ عنه الشعر حتى أصبح من شعراء الكوفة، ويقول في شأن بشار:

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ١٦٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١وابن العماد: مرجع سابق: ٦٥ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٩٦.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٨ والأنباري: مرجع سابق: ص ٢٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٨٩.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٣٧ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٢.

إن في ذي الجسم معتبرًا لمزيد العلم ملتمسه[1].

ومن طلاب العلم في القرن الرابع الهجري الذين تعلموا عن طريق ملازمة العلماء:

١- أبوبكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨هـ الذي كان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي وعنه تعلم النحو، وكان صادقًا في علمه وبيان من يُسئل عنه، وصنف كتاب الضاد والظاء ذكر الزركلي أنه مطبوع[2]. ومنه نلاحظ أن طريقة الملازمة للعلماء كانت ذات أهمية في ذلك القرن قد أنجبت الكثير من العلماء الأفذاذ.

٢- أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن الملقب بالخلادي ت: ٣٦٠هـ الذي كان محدث العجم في زمانه وكان ملازمًا لمنزله قليل البروز لحاجته (لزيادة تعلمه من كتب العلماء) وكان يقول نعم صومعة الرجل بيته، ونتيجة لهذه الملازمة لمنزله كتب العديد من الكتب في علوم متعددة فله كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ذكر الزركلي أنه مخطوط في علوم الحديث، وقال من أحسنه من كتاب يقع في سبعة أجزاء في مجلدة وحدة بسوهاج تحت رقم ٩٣/حديث ومنه نسخة في الأسكوريال تحت رقم ١٦٠٨، وله كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق وكتاب الأمثال وكتاب المراثي والتعازي وكتاب النوادر[3].

وفي القرن الخامس الهجري:

١- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨هـ الذي كان ملازمًا لأبي محمد بن حزم الظاهري، فقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر الأخذ عنه، واشتهر بصحبته وكان على مذهبه غير أنه لم يتظاهر بذلك[4].

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٨ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٢٣٣ وسير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٤٢ وابن رشيق: مرجع سابق: ١/ ٦٤ والوافي بالوفيات: ١٤ / ١٦٠.
(٢) ر ١ / ٣٠١ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٣٩ وإنباه الرواة: ١ / ٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٨٥.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣ والثعالبي: ٣ / ٣٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٥ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٢١وتذكرة الحفاظ: ١٧/٤- ٢٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٣٢٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣١٧.

وفي القرن السادس الهجري:

١- أبو عبيدالله محمد بن علي المعروف بابن حميدة ت: ٥٥٠هـ الذي كان ملازمًا لأبي محمد بن الخشاب البغدادي يقرأ عليه حتى برع في علم العربية، وصنف كتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب شرح أبيات الجُمل لأبي بكر بن السراج وكتاب شرح المقامات الحريرية وكتاب التصريف وكتاب الروضة في النحو وكتاب الأدوات في النحو وكتاب الفرق بين الضاد والظاء(١).

٢- أبو العلاء المعروف بابن العصار اللغوي ت: ٥٧٦هـ الذي كان يلازم الجواليقي ليقرأ عليه، حتى برع في فنه، وقد تخرج به جماعة منهم أبو البقاء العُكْبَري الضرير(٢).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر بن الدهان الملقب بالوجيه ت: ٦١٢هـ الذي أدرك ببغداد ابن الخشاب، فلازمه وأخذ عنه ولازم ابن الأنباري فقرأ عليه وتتلمذ له، فهو أشهر شيوخه، وسمع منه تصانيفه(٣).

سابعًا: المصاحبة:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء الكثير من الطرق التعليمية التي انتشرب على مر القرون الهجرية الست الأولى، ومن بين هذه الطرق طريقة المصاحبة التي يصحب فيها التلميذ شيخه وأستاذه، و هي تختلف عن الملازمة فقد يصحب التلميذ شيخه دون أن يلازمه. ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق المصاحبة في القرن الثاني الهجري:

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٧.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٢١.
(٣) معجم الأدباء: ٥/١٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ٤٤ ونكت الهميان: ص٢٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢.

١- أبو جعفر محمد بن مناذر ت: ١٩٨هـ الذي صحب الخليل بن أحمد، وأبا عبيدة، وأخذ عنهما الأدب واللغة، وعن طريق المصاحبة للعلماء صار محمد بن مناذر من علماء الأدب واللغة، و تفقه وروى الحديث بالبصرة[١].

وفي القرن الرابع الهجري:

١- أبو علي إسماعيل بن محمد الملقب بالصفار ت: ٣٤١هـ الذي صحب المبرد صحبة اشتهر بها وأخذ عنه، وروى عنه وسمع الكثير من أبي العباس المبرد، وصنف الصفار من الكتب كتاب حديث الصفار ذكر الزركلي أنه مخطوط جزء منه، في مخطوطات شهيد علي برقم ٥٤٦/ ٥[٢].

٢- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المُطرّز ت: ٣٤٥هـ الذي صحب ثعلب زمنًا طويلاً فنسب غليه وعُرِف بغلام ثعلب، ومع تقدمه في العلم أخذ عنه أبو علي الحاتمي وأبو القاسم بن برهان[٣].

٣- الصاحب بن عباد (كافي الكفاة إسماعيل بن عباد) ت: ٣٨٥هـ الذي كان يعمل مع ابن العميد وقد عُني به فوصله منذ نعومة أظافره بأحمد بن فارس اللغوي، حتى إذا أتضحت فيه مخايل الأدب ألحقه بابن العميد، فكان يصحبه دائمًا مما جعل الناس يطلقون عليه لقب صاحب ابن العميد، وظل هذا اللقب علمًا عليه[٤].

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المعروف بثُورُون الطبري النحوي ت: ٣٩٣هـ الذي صحب أبا عمر الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة[٥].

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٧ والأصفهاني: مرجع سابق: ١٧ / ١١ ولسان الميزان: ٥ / ٣٩٠.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٣٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٢٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٢١٢ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٦ والمنتظم ٧ / ١٧٩ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ١٦٩.
(٥) معجم الأدباء: ١ / ٦٨ ومعجم المؤلفين: ١ / ٥.

وفي القرن الخامس الهجري:

١- أبو عبدالله محمد بن عثمان بلبل ت: ٤١٠هـ الذي صحب السيرافي ليأخذ عنه علم النحو، وصحب كذلك الفارسي وروى عنه كتاب الحجة في القراءات، وسمع منه ابن بشران النحوي[١].

٢- أبو الحسن أحمد بن يحيى السدي المنبجي الملقب بالطائي ت: ٤١٥هـ الذي صحب الإمام الشافعي وتفقه على يديه، وتعلم منه[٢].

٣- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣هـ الذي صار من أصحاب الحديث بصحبته الإمام أبي بكر القطان، وبصحبته للإمام القطان صنف كتاب شرح مختصر المزني في الفقه[٣].

وظهر من بين هؤلاء الطلاب في القرن السادس الهجري:

١- أبو الحسين سراج بن عبدالملك ت: ٥٠٨هـ الذي صحب أباه نحو أربعين سنة، واقتصر في الرواية عليه، وكان يجتمع إليه مهرة النحاة كابن الأبرش، وابن الباذش، ومن في طبقتهما يتلقون عنه، لوقوعه على دقائق النحو، ولغات العرب، وأشعارها وأخبارها[٤].

٢- أبو البدر الحسن بن علي الإسكاف ت: ٥٩٦هـ الذي صحب أبا محمد الخشاب النحوي، أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة جيدة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة ت: ٥٨٧هـ فقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق واختيارات[٥].

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٤.
(٢) معجم البلدان: ٥ / ٤٨ معجم الأدباء: ٢ / ٨٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥١ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٤٨ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ١٣ / ١٣٥.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٨٠.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٦٣ وبغية الوعاة: ص ٢٢٥.

ثامنا: المناظرة والجدال:

أرخ ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ذكرها في كتابه معجم الأدباء طريقة المناظرة. ولاشك أن هذا الأسلوب كان أرقى وأرفع الأساليب التي يجدها المؤرخ للتربية. وعلى وجه الخصوص في هذه القرون التي تناولها ياقوت وهي القرون الست الأولى من الهجرة. ولم تكن في أغلب الأحوال تمارس داخل قاعات الدرس والتعليم في المؤسسات التربوية، وإنما كانت تمارس في المحافل والمجالس العلمية، كذلك لم تكن في غالب الأحوال بين التلاميذ والمعلم. و إنما كانت بين العلماء والمفكرين والفقهاء كأنداد. وممن اشتهروا بالمناظرة والجدال في القرن الثاني والثالث الهجريين:

١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩هـ حيث اجتمع إبراهيم النظّام وضرار بين يدي الرشيد فتناظرا في القدر، حتى دقت مناظرتهما، فقال الرشيد لبعض خدمه اذهب بهذين إلى الكسائي، حتى يتناظرا بين يديه، ثم يخبرك لمن الفَلَجُ منهما(١).

ويلاحظ الباحث أن المناظرة التي تمارس بين العلماء في مجالس الأمراء، كانت تتم تحت إشراف الأمراء، وعند عدم الفصل بينهما كان يتم إرسالها إلى أحد العلماء حتى يحكم ويثبت لمن الغلبة والتفوق في علمه، بشرط تخصص الحكم في موضوع المناظرة.

٢- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤هـ ففي رواية الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي صاحب أبي حنيفة، فكنا لا نقدر على مناظرته، فقدم علينا الشافعي فمشينا إليه وسألناه شيئا من كتبه ثم جئنا إلى بشر المريسي فناظرناه فقطعناه (غلبناه وأبطلنا حجته) فقال المريسي: ليس هذا من كيْسِكُمْ (فطنتكم وحذقكم)، هذا من كلام رجل رأيته بمكة (وهو يقصد الإمام الشافعي وقد صدق) معه نصف عقل أهل الدنيا(٢).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٠٠ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٥٦ والخطيب البغدادي: ١١ / ٤٠٣.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٠٤ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وسير النبلاء: ٧ / ١٤٧ - ١٦٦ والسبكي: مرجع سابق: ٤ / ٥١ وابن تغري بردي: ٢ / ١٧٦.

٣- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٩هـ الذي كان لا يناظر أحدًا إلاّ قطعه، لقدرته على الكلام، وقد أخذ الأدب عن الأخفش، وناظره في أشياء كثيرة منه فقطعه[١].

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب ثعلب الشيباني ت: ٢٩١هـ ففي رواية الخطيب قال: حضر ثعلب والمبرد مجلس محمد بن عبدالله ابن طاهر، فتناظرا في شيء من علم النحو، فما أعْرِفُه كنت أشركهما فيه[٢].

وظهر من بين هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

١- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخياط ت: ٣٢٠هـ الذي قدم من البصرة إلى بغداد فجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة، على المذهبين لبصرى والكوفى في النحو[٣].

٢- أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بولّاد ت: ٣٣٢هـ الذي رحل إلى بغداد، وأخذ علم النحو عن الزجاج، وقد جمع ملوك مصر بين ابن ولاد وابن النحاس في المناظرة وهما من تلاميذ الزجاج. وابن ولاد هو صاحب كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد[٤].

ولاحظ الباحث أن مجالس المناظرة التي كانت تعقد بين العلماء هدفها معرفة مدى علم كل منهما، وأن يتعلم العامة من خلال هذه المناظرات.

٣- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالرازي اللغوي ت: ٣٦٩هـ الذي كان يناظر صاحبه في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه. فإذا وجده بارعًا جدلاً، جره في المجادلة إلى اللغة فيغلبه بها. وقد اختص ابن فارس من نفسه القيام بعلم اللغة فكتب فيه الكثير فله كتاب مقاييس اللغة قال الزركلي أنه مطبوع في ستة أجزاء وكتاب المجمل ذكر الزركلي

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦ - ٣٥٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٧١ وإنباه الرواة: ١ / ٢٤٦ - ٢٥٦ واليافعي: مرجع سابق: ٢ / ١١٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١١٤.

(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٦٣ والزركلي: مرجع سابق: ١/٢٦٧ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وابن كثير: مرجع سابق ١١ / ٩٨.

(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

(٤) معجم الأدباء: ١ / ٦٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٦٧ وإنباه الرواة ١ / ٩٩ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٣٣٢ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ١ / ١٧٣.

أنه مخطوط، وقد وصف هذا المخطوط عام ٤١٩هـ وأهدى هذا الوصف إلى مكتبة جامعة طهران، وقد طبعت منه أجزاء صغيرة الآن. وكتاب الصاحبي مطبوع في علم اللغة ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد[١].

٤- من مجالس المناظرات في هذا القرن: مجلس الوزير بن سعدان ت: ٣٧٥هـ وقد قص منها أطرافًا كثيرة أبو حيان في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، وكان هذا المجلس يضم الشعراء وبعض المتفلسفة وبعض المترجمين، وبعض المهندسين، وبعض الأخلاقيين، وبعض إخوان الصفا، وبعض الكُتّاب والأدباء، وكان مجلسًا حافلاً تعرض فيه جوانب الثقافة من لغة وشعر والهيات وأفكار فلسفية وخلقية، ويتحاور هؤلاء المفكرون في كل ذلك محاورات بديعة، وكانت تثار مناظرات كثيرة في المساجد بين الفقهاء بعضهم البعض وكذلك بين المتكلمين و اللغويين، وبلغ من اتساع المناظرات أنهم نقلوها أحيانًا إلى الأسواق ويعرض أبو حيان مناظرة طويلة جرت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى المقدسي وكان موضوعها عن الصلة بين الفلسفة والدين[٢].

٥- أبو الحسين إسحاق بن يحيى الملقب بالكاتب النصراني ت: ٣٧٧هـ كان جيد المعرفة بمناظرة العُمّال، و له معرفة تامة بالنجوم، ومن كتبه: كتاب الخراج الكبير، ذكر الزركلي أنه يقع في ألف ورقة، وله كتاب الخرج مختصر في أيدي الناس يقع في مائتي ورقة وكتاب عمل المؤامرات بالحضرة، وكتاب جمل التاريخ[٣].

وقد كانت المناظرة تعقد في بعض الأحيان في ذلك القرن بهدف إعلاء اسم العالم وشهرته، وأخرى لاختلاف المذاهب الفقهية فقد عقدت مناظرة بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي، انتصر فيها بديع الزمان، فعلا صيته، وتألق نجمه، إذ كان الخوارزمي يُعَدُّ في

---

(١) معجم الأدباء: ١/ ٥٣٤ وإنباه الرواة: ١/ ٩٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ١١٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٩٣.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٥٣٥ وأبو حيان التوحيدي: مرجع سابق: ٢ / ٣ - ٥.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٢.

الذروة من الكُتّاب والشعراء في عصره، وتصادف أن توفي سريعًا فخلا الجو للبديع الهمذاني، وطارت شهرته، وحينئذ دعاه بنو ميكال أعيان نيسابور وأدباؤهاه النابهون لتعليم أبنائهم، كانت المكافآت تُغْدَقُ عليه منهم، ولكن سرعان ما فارقها سنة ٣٨٢هـ راحلاً من بلد إلى بلد في خراسان[١].

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين اشتهر بالمناظرة من هؤلاء العلماء:

١- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣هـ الذي ناظر بين العقل والمال من خلال بعض أبيات من الشعر ذكرها في هذا الصدد فقال:

تنافى المال والعقلُ ... فما بينهما شكلُ
فعقلٌ حيث لا مال ... ومال حيث لا عقل،[٢]

فهو بذلك يقول لا يجتمع المال والعقل في إنسان إلاّ بقلة، فإذا جمع المال فلا عقل له، وهو لا يقصد به ذهاب عقله، ولكنه يريد أن عقله خاليًا مما يصقله من العلم ويزينه فكأنه غير موجود، وإذا كان عالمًا يزين عقله العلم تجد المال يحدو عنه ويبتعد، وقد يقصد به حالته.

٢- أبو رشاد أحمد بن محمد الأخشيكثي[٣] الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨هـ الذي قام بمناظرة قول العلماء الكبراء، لقياس مدى تمكنهم في مجالاتهم العلمية، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الزوائد في شرح سقط الزند للمعري، وكتاب عرف بتاريخ أبي رشاد[٤].

---

(١) والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٥٩ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٠٩ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ وابن تغري بردي: ٤ / ٢١٨.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥٢ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٤٨.
(٣) اخشيكث: مدينة في دول ما وراء النهر، وهي قصبة ناحية فرغانة على شاطئ الشاش - معجم البلدان: ١ / ١٥٠.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٢٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢١٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٤٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٢.

٣- أبو منصور محمد بن علي الملقب بالعتابي البغدادي ت: ٥٥٦هـ الذي جرت بينه وبين ابن الخشاب النحوي البغدادي مناظرات، تعلم من خلالها الحاضرون من علومهما[١].

٤- أبو الحسن علي بن زيد المعروف بالبيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي يقول: خضت في المناظرات والمجادلة سنة جرداء (خالية من النبات)، فكانه يقول لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة حتى رضيت عن نفسي فيه، ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد مجلس الوعظ والمناظرة بالمدرسة النظامية، وفي الجامع القديم، ثم انصرفت واشتغلت بمرو، بتزويج (زواج) صدّني عن التحصيل صدًا[٢].

تعقيب:

لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي أرخ لبعض الطرق التعليمية وذكر من بينها المناظرة والجدل، التي سادت في القرون الهجرية التي ذكرها ياقوت الحموي والتي كانت تتم بين العلماء، حتى يكتسب المتعلمين المزيد من العلم، يُمنكهم من عقد مجالس التعليم والتدريس بحلقات الجامع والمدرسة، وكان سبب ظهور المناظرات هو النهضة العلمية وآثارها التي تحدث عنها ياقوت الحموي، فقد كثر عدد في كل علم و فن، كثرة مفرطة ويخيل للإنسان أنه لم يكن هناك شخص في بغداد مثلاً إلاّ وهو يُلّم بعلم أو بطائفة من العلوم، وكان هناك الكثير من بين هؤلاء يشبهون الصحفيين في العصر الحالي، فهم يستطيعون أن يتحدثوا في كل موضوع ويناقشوا كل فكرة، وهيأ ذلك لندوات كثيرة كانت تعقد أحيانًا في قصور السلاطين والوزراء، وعِلْيَة القوم، وكثيرًا ما دارت في هذه الندوات

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٦ و ابن خلكان: مرجع سابق: ٤ / ٣٨٩ وإنباه الرواة: ٣ / ١٨٨ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٨.

(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤، ١١٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠ وسير النبلاء: ٢ / ٢٨٥ والوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٨ - ٧٠.

مناظرات خصبة على نحو ما في: " مجلس عز الدولة بختيار، وما أثير فيه من المناظرات التي دارت حول مسائل كلامية، أو تتصل ببعض قراءات الذكر الحكيم "(١).

وبذلك يكون معجم الأدباء من المصادر التاريخية الهامة التي أرخت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة في تلك القرون الهجرية.

تاسعًا: الإلقاء والخطابة (الوعظ)

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي أرخ لهاا طريقة الوعظ، وهي ما نتناوله اليوم في باب الدعوة والتوجيه، والنصح والإرشاد وهذه الطريقة كانت تتناول الموضوعات الدينية البحتة، ولاشك أن الجمهرة الكبرى من الفقهاء لابد وأن تكون قد مارستها، لأن طرق التعليم تختلف تبعًا لظروف المسلمين ولمناسبة عقول هؤلاء المسلمين ومن العلماء الذين استخدموا هذه الطريقة في التعليم في القرن الثاني الهجري:

١- أبو صفوان خالد بن صفوان الملقب بالمِنْقَرِيُّ ت: ١٣٥هـ الذي كان أحد الفصحاء العرب، وخطبائهم، فكان خطيبًا مفوهًا بليغًا، اهتم بمجالسة هشام بن عبدالملك وخالد القسري للتعليم(٢).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر من هؤلاء العلماء:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد المعروف بابن الصخري ت: ٤٠٦هـ الذي أخذ طرفي الإتقان والإحسان ثم هو في الارتجال فرد الرجال، بسرعة خاطره، وسلامة طبعه، وحصوله على أعنة القوافي في يده(٣).

ومنه نلاحظ أن العلماء في هذه الطريقة اعتمدوا على الارتجال في الإلقاء دون الاعتماد على النقل من الكتب، أو مكتوب يحمله بيده، فقط كان اعتمادهم على البلاغة وسرعة الخاطر.

(١) أبو حيان التوحيدي: مرجع سابق: ١ / ١٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣/٢٧٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ٢٤٣ ونكت الهميان: ص ١٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٩٧.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١١ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، الذي كان يرتاد الخطابة لكي يتعلم منه العامة، ففي رواية السمعاني قال: كان أبو بكر الخطيب البغدادي يخطب في بعض قرى بغداد، فقد كان حافظًا فهما (قوي الفهم)[(١)].

٣- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بالصفار الأديب، ت: ٤٧٠هـ الذي اهتم بتعليم أهل بلدته التي كان يقطنها عن طريق الوعظ، ففي رواية يحيى بن عبدالوهاب بن مندة قال كان أبو بكر يعظ الناس مدة، ثم اشتغل بالعلم، تحصيلاً وتعليمًا إلى أن مات، وقد اتصف بصفات العلماء الأجلاء والأساتذة المعلمين، فقد كان حسن الخلق، مائلاً إلى الخيرات[(٢)].

عاشرا: التعلم من أفواه العامة كمصدر من مصادر التعليم:

ذكر ياقوت الحموي من بين طرق التعليم التي أرخ لها في معجم الأدباء طريقة الاكتساب والتعليم من أفواه العامة، وقد كثرت في العصر الحالي الكثير من الأبحاث التربوية التي تتناول البيئة كمؤثر في التعليم، وكذلك تحليل الأمثال الشعبية، وقد ذكر ياقوت الحموي في القرن الثاني الهجري من هؤلاء الطلاب:

١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩هـ الذي أخذ اللغة عن أعراب الحُطَيمة (قرية بالقرب من بغداد)، ولما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتجّ بهم وبلغتهم على سيبويه، وفي رواية المرزباني والرياشي قالا: قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل، وأخذ عنهما نحوًا كثيرًا ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحطيمة فأخذ عنهم[(٣)].

وقد تصدر الكسائي مجالس التعليم ببغداد بعد إتمامه التعليم عن العامة، فقد لقي الكسائي، الخليل وجلس في حلقته ثم خرج الكسائي إلى بوادي الحجان، ونجد وقد أنفذ

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٥٠٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٧٢.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٣، ١٥٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٣٠.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ٩٤، ٩٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وإنباه الرواة ٢ / ٢٥٦.

خمس عشرة قنينة حِبرًا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ثم عاد إلى البصرة فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرّت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها وصدّره موضعه[1].

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري:

١- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت: ٢٨٢هـ الذي أخذ عن الأعراب الفصحاء الذين جلبهم ابن طاهر نيسابور، وأكثر الأخذ عنهم، وكان أبو الهيثم وشمر يوثقانه (يحكمان بأنه ثقة ثبت)[2].

وقد لاحظ الباحث أن الأمراء والعامة معًا كانوا يؤدبون (يعلمون) أبناءهم بما يأخذونه عن أولئك الأعراب، وبهم تخرج (تعلم) أبو سعيد.

٢- أبو سليمان كيسان بن المعرّف الملقب بالْهُجَيْمِيُّ ت: ٢٩٩هـ كان يخرج إلى الأعراب وهم ينشدون من أشعارهم، فيكتب في ألواحه مما ينشدونه، ثم ينقل من ألواحه إلى الدفاتر ثم يحفظ من هذه الدفاتر ثم يُحدّث[3].

ويلاحظ الباحث أن أبا سليمان الهجيمي، وضع بعض خطوات البحث التربوي منذ ذلك القرن في أوضح صوره، فكما يقوم الباحث بجمع معلوماته في بطاقات من خلال المراجع التي يرجع إليها، ثم يقوم بتفريغ هذه البطاقات في أوراق تجمع بعضها إلى بعض حتى يكتمل البحث، فقد قام أبو سليمان بذلك غير أن مراجعه كانت من أفواه العامة من الأعراب.

وفي القرن الرابع ظهر من بين هؤلاء الطلاب:

١- أبو عمر أحمد بن سعيد الصدفي الأندلسي ت: ٣٥٠هـ الذي جمع الكثير من علومه من أقوال الناس، فقد سمع بالأندلس جماعة، وارتحل في سنة ٣١١هـ

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٨٨ والخطيب البغدادي: ١١ / ٤٠٣.
(٢) معجم الأدباء: ١/ ٣٤٧ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤ ولسان الميزان: ١ / ١٦٦ وبغية الوعاة: ص ص ١٣١، ١٣٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ - ٢١١ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٢.

إلى مصر فسمع بها وبمكة، وبالقيروان، ثم رجع إلى الأندلس، ولم يزل يحدث إلى أن مات(١).

وقد أشار الصاغاني في كتاب الأضداد إلى ذلك بقوله: أنه منذ القرن الأول الهجري حرص العلماء على جمع اللغة من مصادرها الأصلية، وأخذها من أفواه الأعراب الخُلّص، و تدوينها فيما صدر عنهم من كتب ورسائل(٢).

حادي عشر: الأخذ عن العلماء والاقتباس من كتبهم:

ذكر ياقوت من بين الطرق التي تعلم الطلاب عن طريقها وأمكنهم تحصيل الكثير من علوم العلماء طريقة الاقتباس والأخذ من كتب العلماء، ومن بين العلماء الذين تعلموا بهذه الطريقة في القرن الثالث الهجري:

١- ثابت بن أبي ثابت الكوفي، كان حيًا: ٢٢٤هـ الذي اهتم بالأخذ عن العلماء، ففي رواية الزبيدي قال: كان ثابت أمثل (أفضل) أصحاب أبي عبيد القاسم، فقد لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم فهو بذلك من كبار الكوفيين(٣).

ويلاحظ الباحث هنا أثر البيئة الطبيعية على طلاب العلم، فقد تأثر الكوفي بهذه البيئة التي عاش بين أفرادها، واتخذ منها محكًا له، هذه الكتابات التي كتبها عن العلماء

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الواسطي ت: ٢٣٦هـ الذي قال بقيت زمانًا طويلاً من دهري أغلس (أسير وقت الغلس) إلى هشيم فأسمع منه الحديث ثم أصير إلى الكسائي فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، وآتي الفراء فأقرأ عليه جزءاً، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طريقتين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شُهدة فآخذ عنها صوتا

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٣٢ وسير النبلاء: ١٠ / ١٦٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٧١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٣٠.
(٢) الصاغاني: مرجع سابق: ص ٥٢.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ١٠٠ وإنباه الرواة: ١ / ٢٦١.

أو صوتين، ثم آتي الأصمعي فأناشده، ثم آتي أبا عبيدة فأذاكره، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت، فإذا كان العشاء رُحت إلى مجلس الرشيد(١).

ومما سبق يلاحظ أن ذلك القرن ظهر به علم الأصوات (الصوتيات)، والألحان التي قد يظن البعض أنها وليدة العصر الحديث. كما يُلاحظ أن هناك أوقات يمكن للمتعلم أن يذهب فيها إلى شيخه أو أستاذه، بعيدًا عن أوقات الراحة وقضاء الحاجة، ويمكن للمتعلم أن يذهب إلى أستاذه ليلاً إذا سمح له في ذلك.

كما يلاحظ أيضًا مشاركة النساء في العملية التعليمية، بل احتلالهن مكانًا بارزًا في التعليم والتدريس، مع ظهور دور الأرسة في متابعة حركة تقدم أبنائها في التحصيل لدروسهم، حيث يقوم الأب بدور المرجع الذي يصب إليه ابنه ما يحصله من علوم العلماء وفقه الفقهاء، وأحكام الحكماء.

٣- أبو العباس جعفر بن أحمد الملقب بالمروزي ت: ٢٧٤هـ الذي كان أحد جمّاعي كتب العلماء في شتى أنواع العلم وهو من مؤلفي اللكتب فله كتاب الناجم وكتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان في البلاغة والخطابة، وله كتاب المسالك والممالك لم يتمه وقد نقلت هذه الكتب إلى بغداد، وبيعت هناك(٢)

٤- أبو الفضل جعفر بن موسى المعروف بابن الحداد. ت: ٢٨٩هـ الذي اقتبس من كتب أبي عبيدة والثعلبي، ولذلك كُتب عنه شيئًا من اللغة وغريب الحديث(٣).

وفي القرن الرابع الهجري اهتم بعض العلماء بترجمة الكتب ونقلها إلى العربية، ثم الاقتباس منها، ومن هؤلاء:

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١٣١، ١٣٢ وإنباه الرواة: ١ / ٢١٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٩٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٦ / ٣٣٨.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٧٠، ٣٧١ ومعجم المؤلفين: ٣ / ١٣٣ ومعجم البلدان ٦ / ٦.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٩٩.

١- أبو العباس محمد بن المرزباني الملقب بالدميري ت: ٣٠٩هـ كان أحد المترجمين الذي ينقلون الكتب الفارسية إلى العربية، وكان عالمًا بمجازي اللغة، تصدر عنه الكتب الكبار، وله أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس، ومن مصنفاته كتاب الحاوي في علوم القرآن وكتاب ذم الثقلاء قال الزركلي أنه مخطوط، وكتاب المنتخب من كتاب الهدايا قال الزركلي أنه مخطوط أيضًا(١).

٢- أحمد بن أحمد بن أُحَيّ الشافعي ت: ٣٣٥هـ الذي اهتم بالنقل من كتب العلماء في تصنيف كتبه، فله كتاب تكملة العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد، وكتاب التفصلة الذي سماه البخاري كتاب التحصيل، وقد ذكر في صدر هذا الكتاب أنه أخذ معلوماته واستقاها من كتاب الأجناس للأصمعي، وكتاب النوادر لابن عيينة، وكتاب الصفات وكتاب غريب الحديث، وكتاب الصفات لابن شميل، وكتاب المصنف، وكتاب الأمثال،و كتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب الألفاظ وكتاب الممدود والمقصور وكتاب المعاني، وكتاب النوادر، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب النوادر بزيادات ابن مالك لأبي زيد، وكتاب الصفات لأبي خيرة، وكتاب الفروق والأزمنة وكتاب اشتقاق الأسماء لقطرب(٢).

٤- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ت: ٣٨٥هـ الذي أخذ عن الخليل علم العروض، وعن أبي عمرو بن العلاء علم اللغة، وعن أبي يوسف القضاء، وعن الإسكافي الموازنة وعن ابن مجاهد في القراءات، وعن ابن نُوبخت في الآراء والديانات، وعن ابن جرير في التفسير، وعن أرسطاطاليس في المنطق، وعن الكندي في الجدل، وأخذ عن ابن سيرين في تفسير الروّي، وعن أبي العيناء في البديهة، وعن ابن أبي خالد في الخط، وعن الجاحظ في الحيوان، وعن سهل بن هارون في الفقه، وعن يوحنا في الطب، وعن ابن

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٤ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٣ والوافي بالوفيات: ٣ / ٤٤ واللباب: ٣ / ١٠٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١١٥.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٦٠٤ ومعجم البلدان: ٣ / ٣٧٦ وإنباه الرواة: ١ / ١٠٧ - ١١٩ وحاجي خليفة: ١ / ٤٨، ٤٤٣.

يزيد في الكيمياء، صاحب كتاب الفردوس. وعن عيسى بن كعب في الرواية ن وعن الواقدي في الحفظ وعن النجار في البدل، وعن أبي الحسن في العروض(١).

ومما سبق يُلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن، اهتموا بتلقي العلم عن مشايخهم بالإضافة إلى التنوع في مصادر العلم، دون الاقتصار على علم واحد.

٥- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان. ت: ٣٩٨هـ الذي كان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع(٢).

ومنه يلاحظ أن بديع الزمان الهمذاني كان يجيد اللغتين جميعًا، فقد قوي ساعد الترجمة في ذلك القرن، وبرع علماؤها، فكان بديع الزمان ينقل القصيدة من الفارسية فيلبس معانيها الثوب العربي فإذا بها أبلغ ما كانت في إبداع وسرعة.

وكان بعض العلماء في القرن الثالث الهجري يعمدون إلى الاقتباس من القرآن الكريم.

فقد كان أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالمحدّث ت: ٢٥٧هـ الذي كان ينظم الشعر معتمدًا على اقتباسه من القرآن الكريم ونذكر به من ذلك قوله:

يا آمر الناس بالمعروف مجتهدًا	وإن رأى عاملاً بالمنكر انتهره
ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم	فأوصها واتل ما في سورة البقرة
أتأمرون ببر تاركين له	ناسين ذلك دأب الخيب الخسره
وإن أمرت ببر تم كنت على	خلافه لم تكن إلاّ من الفجره(٣)

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٢٠ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ١٦٩ والكامل في التاريخ: ٩ / ٣٧ وسير النبلاء: ١٠ / ٢٧٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١١٣ - ١١٦.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٦٨ والسمعاني: مرجع سابق: ٥ / ٥٩٢ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ والوافي بالوفيات: ١ / ١٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥.

(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٩ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٧٦ وتهذيب التهذيب: ٤ / ٢٢١، ٢٢٢

ومن الطلاب الذي تعلموا عن طريق الاقتباس من كتب العلماء في القرن الخامس الهجري:

١- أبو نصر إسماعيل بن حماد الملقب بالجوهري، ويُعرف بالفارابي نسبة إلى فاراب من بلاد الترك ت: ٤٠١هـ كان يؤثر السفر على الوطن، فقد دخل ديار ربيعة ومضر في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب، وحين قضى وطره من قطع الآفاق والاقتباس من علماء الشام وبغداد عاود خراسان، وأصبح إمامًا في علم اللغة(١).

ومما سبق يُلاحظ أن الفارابي كان يطوف البلاد والأوطان، للاقتباس من علم العلماء فقد استوطن الغربة على ساق من أجل اقتباس العلم والنبوغ فيه، وأجهد نفسه في الطلب من العلماء والأخذ من علومهم.

٢- أبو الحسن محمد بن جعفر المعروف بابن النجار ت: ٤٠٢هـ الذي نقل من تاريخ ابن الجوزي، وكان ابن الجوزي قد نقله من تاريخ الخطيب البغدادي حرفًا حرفًا(٢).

ومنه نلاحظ أن أبا الحسن استخدم طريقة ومنهجًا جديدًا في التعليم وتحصيل المعرفة واكتسابها وهي النقل من كتب العلماء، والاقتباس منها.

٣- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي، ت: ٤٠٦هـ الذي استخدم منهجًا علميًا في التعلم وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أوضح منهج استخدمه الرياضيين في التعليم، فكان لهذا المنهج اثر واضح وحقيقي في تقدم العلوم الرياضية، وقد كتب الكرخي كثيرًا من الكتب في العلوم الطبيعية المتنوعة، ويعكس هذا التنوع في عناوين الكتب سمتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، وطريقته في التعليم والتعلم، وعقليته الإبداعية، وقد اعتمد الكرخي في منهجه على الاقتباس من علوم الأوائل، حتى يُطور علم الرياضيات(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٢٠٦/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٣/١ وإنباه الرواة: ١ / ١٩٤ والثعالبي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٦٤.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم البلدان: ١ / ٢٦٢ وأحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، (القاهرة، دار الهداية، ١٩٩٧) ص ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٣.

٤- أبو القاسم علي بن عبيدالله الملقب بالدقيقي ت: ٤١٥هـ الذي قرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الرُّماني، قراءة تفهم. وانتفع الناس به[١].

٥- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ت: بعد عام: ٤٢٣هـ الذي درس تفاضل الرياضيات، والفلك والطب على يد أستاذه (عبدالصمد)، وأستاذه (أبي الطيب المنجم)، وأبي سهل المسيحي، ومن أساتذته الذين كانوا يعطون عليه ويرشدونه على أجوبة المسائل العلمية، إجابات شافية الأستاذ (أبو نصر منصور بن علي بن عراق) وكان يتردد على كتب نوح الساماني صاحب خزانة الكتب المشهورة التي تحوي من نفائس الكتب الكثير[٢].

٦- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦هـ كان ينقل العلم من بين دفتي كتب العلماء ففي رواية أبي بكر المقدسي قال: ذكر شيخنا أبا الفضل محمد بن طاهر فقال : نقلت من خطه وسمعت منه الكثير، وقد كان الشعراء يدخلون إليه يمدحونه فأسمع منهم[٣].

٧- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦١هـ الذي أخذ العديد من العلوم التي ألف فيها أستاذه الصوري، فقد كان للصُّوريّ بصور أخت، مات وخلّف عندها اثني عشر عِدلاً (الرزمة والغرارة) محزومًا من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام حصل من كتب الصوري ما صنف منها كُتبه[٤].

٨- أبو جعفر محمد بن فرج الغساني الكوفي ت: ٤٩٧هـ الذي أخذ العلم عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ففي رواية الداني قال: أخذ الغساني القراءة عن أبي عمرو، وله عنه نسخة وروى عنه الحروف[٥].

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣١٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٥ وعلي الشحات: مرجع سابق: ص ٧٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٤.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ٨١ وإنباه الرواة ٢ / ٢٩٤ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٥١ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٣١٢ والوافي بالوفيات ٦: ٨٢ - ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٧٢ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٨٧.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٧ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٣٢٨.

٩- أبو الحسن علي بن طاهر بن جعفر السلمي النحوي ت: ٥٠٠هـ الذي يقول نقل ابن اللبان من خط السمعاني، ما أفاده في تصنيف مؤلفاته[١].

والخلاصة: يتضح لنا من خلال هذا العرض أن ياقوت الحموي ذكر أن القرن الخامس الهجري زخر ببعض الطلاب الذين تعلموا الكثير من العلوم عن طريق الأخذ عن العلماء، والاقتباس من آيات القرآن الكريم، والاقتباس من كتب العلماء، الأمر الذي ساعدهم على التقدم في هذه العلوم، وكذلك تصنيف الكثير من الكتب في شتى أنواع العلوم

وفي القرن السادس الهجري كان تعلم النحو والأدب عن طريق الأخذ من العلماء ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو عبدالله محمد بن بركات الملقب بالسعيدي الصوفي ت: ٥٢٠هـ الذي أخذ علم النحو والأدب عن ابن بابشاذ، فأتقنه، وصنف من الكتب كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ ذكر الزركلي أنه مخطوط ألفه للأفضل بن أمير الجيوش وكتاب خطط مصر قال الزركلي إنه مطبوع، وقال عن السعيدي أنه شيخ عصره في مصر في علم اللغة[٢].

بعد هذا العرض لبعض الطرق التعليمة التي ذكرها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) نلاحظ أنه لم يقتصر في تناوله لهذه الطرق بالحديث عن الطرق التقليدية القديمة فقط مثل: الإملاء والحفظ والتلقين، والقراءة، والوعظ، والمحاضرة، والتلقين، والمناظرة والجدل، والاقتباس من كتب العلماء والأخذ عنهم، وإنما تناول بالحديث بعض الطرق الحديثة في التعليم مثل: المناقشة بين المعلم والمتعلم والتجربة، والابتكار، وتشويق الطلاب إلى موضوع الدرس، والامتحان الذي يتم في صورة تقويم لما سبق أن تعلمه الطلاب، وسوف يتناول الباحث كل طريقة من هذه الطرق بشيء من الإيضاح تبعًا لظهورها في القرون الهجرية.

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٣٢ وبغية الوعاة: ص ٣٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٣٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٠١ وبغية الوعاة: ص ٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٥١.

أولاً: المناقشة:

ظهرت هذه الطريقة في القرن الثاني الهجري وكانت تتم في مجالس العلماء وأحيانًا بين الشعراء، حينما يريدون معرفة معلومة جديدة على أفهامهم، ومن هؤلاء:

١- رؤبة بن العجاج ت: ١٤٥هـ كان من أعيان أهل اللغة في الدولتين الأموية والعباسية وكان العلماء يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، فقد اتخذ من المناقشة طريقًا للتعليم من خلال مجالسه ففي رواية يونس بن حبيب النحوي قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه رؤبة، وعند شبل بن عروة الضبعي، فسأله أبو عمرو عن معنى الرؤبة ؟فلم يجبه من بالمجلس، فأجابه رؤبة بأنها القطعة التي يشعب (ينظف) بها الإناء، فتعلم من بالمجلس معلومة جديدة على أفهامهم، وذكر ابن خلكان قوله: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة(١).

وكانت الأسئلة التي تلقى من الطلاب في مجالس التعليم تعد إحدى طرق التعليم ففي القرن الثالث الهجري كانت الأسئلة تساهم بهذا الدور التعليمي ومن الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو العباس الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي روى عنه جحظة في أماليه قوله: كنت يومًا في مجلس ثعلب، فقال له رجل: ياسيدي ما البعجدة ؟ فقال: لا أعرفها في كلام العرب(٢).

ومما سبق نلاحظ أن أبا العباس أعطى صورة تربوية أخرى وهي أن المتعلم لا يجيب إجابة خاطئة خروجًا من الموقف، ولكنه عندما يكون غير متمكن من إجابته يقول الله أعلم فيكون بذلك قد أجاب.

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٤١ وابن كثير: مرجع سابق: ١٠ / ٩٦ ولسان الميزان: ٢ / ٢٦٤ وخزانة الأدب: ١ / ٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٨٧.

(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٧٢ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨١ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ٩٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

ثانيا: التجربة:

ذكر ياقوت أن علماء وطلاب القرنين الرابع والخامس الهجريين، لم يقتصروا في تعلمهم على نقل وسرد المعلومات، وإنما اتخذوا من التجربة العلمية نموذجًا يحكمون به على صدق معلوماتهم.

ومن علماء القرن الرابع الهجري الذي استخدموا التجربة كواحدة من طرق التدريس:

١- أبو علي محمد بن الحسن الملقب بالحاتمي ت: ٣٨٨هـ كان لا يقصر معلوماته على النظر، ولكنه أمعن النظر في شيء من علوم العرب فكان يلقي الحجر في البئر ليعرف به غزارة مائها من قلته، وقد حكى ذلك ابن الأعرابي، ومن مؤلفاته كتاب حلية المحاضرة قال الزركلي إنه مخطوط في الأدب والأخبار، يقع في مجلدين منها نسخة في القرويين بفاس تحت رقم ٥٩٠[(١)].

وكان علماء ذلك العصر يعتمدون على التفكير والعقل وعدم الاقتباس في تعلمهم ومن هؤلاء:

٢- أبو علي المُحَسِّن بن علي التنوخي ت: ٣٨٤هـ ببغداد، الذي اعتمد على الابتكار والتفكير في تأليف الكتب فقد صنف كتاب الفرج بعد الشدة ذكر الزركلي أنه مطبوع في ثلاثة مجلدات، وكتاب نشوار المحاضرة ةاشترط فيه أن لا يضمنه شيئًا نقله من كتاب، وقد بلغ الكتاب أحد عشر مجلدًا، كل مجلد له فاتحة بخطه. وفي رواية غرس النعمة قال صنفه التنوخي (كتاب نشوار المحاضرة) في عشرين سنة[(٢)].

ومن علماء القرن الخامس الذين اعتمدوا على التجربة:

١- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي ت: ٤٠٦هـ الذي اعتمد على المنهج العلمي والتجربة في التعليم فقد وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أعظم الرياضيين الذين

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٢٨ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢٢٢ والوافي بالوفيات: ٢ / ٣٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٦ ٨٢ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٢١ وهدية العارفين: ٢ / ٥٦.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٦٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٢٤ والثعالبي: مرجع سابق: ٢ / ١٠٥ - ١١٥ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١٢ / ٧٧.

كان لهم أثر حقيقي في تقدم العلوم الرياضية، فهو من علماء الرياضيات والهندسة في عصر النهضة الإسلامية، عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد ترك مؤلفات نفيسة تخبرنا عن مآثره العلمية، وتعكس سمتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، وطريقته في التعلم والتعليم، وعقليته الإبداعية(١).

ويذكر الكرخي في مقدمة كتابه: الفخري في الجبر والمقابلة (نسبة إلى الوزير البغدادي فخر الملك) قوله: إني وجدت موضوعًا لإخراج المجهولات في جميع أنواعها وألفت أوضح الأبواب إليه وأول الأسباب عليه، صناعة الجبر والمقابلة لقوتها واطرادها في جميع المسائل الحسابية على اختلافها، ورأيت الكتب المصنفة فيها غير ضامنة لما يحتاج إليه من معرفة أصولها، ولا وافية بما يستعان به على معرفة فروعها، وأن مصنفيها أهملوا شرح مقدماتها التي هي السبيل إلى الغاية والموصلة إلى النهاية ثم إني استخرجت في هذه الصناعة بدائع لم أر لأحد فيها كلامًا، واستنبطت غوامض لم أجد في كتبهم لها ذكرًا ولا بيانًا(٢).

ويعترف المستشرق الشهير (وبكه) بأن الكرخي في حلوله كان مبتكرًا، وذا شخصية متميزة في معالجة المباحث الرياضية، ويمثل طابع التفكير العلمي المستقل عند العرب(٣).

ومن ذلك نلاحظ أن طريقة التجربة والابتكار والإبداع كانت سائدة ومتميزة في ذلك القرن بين علماء المسلمين، وأضافت إلى كتب العلماء إضافات وشروح متعددة يتجلى ذلك في شرح الكرخي لمقدمات كتب العلماء، حتى يستفيد الدارسين من هذه الشروحات، ويكفي هنا أن نشير إلى أن الكرخي كان أول من برهن النظريات التي تتعلق بإيجاد

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم البلدان: ١ / ٢٦٢ وأحمد فؤاد باشا: مرجع سابق: ص ٩٦ وقدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٣) ، ص ١١٣.

(٢) ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢١١ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٣ وقدري حافظ طوقان: مرجع سابق: ص ١١٧.

(٣) عبدالمجيد نصر، الرياضيات في الحضارة الإسلامية، أعمال ندوة التراث العلمي العربي في العلوم الإسلامية (جامعة الفاتح: ليبيا - طرابلس، ١٩٩٠)، ص ٨٩.

مجموع مربعات ومكعبات الأعداد الطبيعية، وهو صاحب أقدم نص يوضح نظرية ذات الحدين، بل إنه وضع لها جدولاً على شكل مثلث صار يعرف الآن بمثلث باسكال، ومن الحق أن ينسب هذا المثلث إلى الكرخي لو كان التاريخ ينصف صانعيه الحقيقيين.

واهتم الكرخي بغرس طريقته العلمية أيضًا في وضع تقنية جديدة للأبحاث العلمية فقد قدم لنفسه في كتابه إنباط المياه الخفية باعتباره عالمًا وخبيرًا ذا قدرة على تعويض قصور المتقدمين في صناعة الحفر لاستخراج المياه الجوفية على أسس علمية وتقنية تتطلب معرفة الدورة المائية (الهيدرولوجية)، وأنواع المياه الجوفية، وطرق الاستدلال عليها وقد ضمن كتابه براهين رياضية وتحليلات هندسية، وشرح عددًا من الحركات التي تحدث في الأرض وربط بين المياه وبين الاختلافات التضاريسية على سطح الأرض(1). كما ربط بين الأحواض المائية الجوفية والتكوينات الجيرية الجيولوجية، وقدم الكرخي وصفًا تفصيليًا لأجهزة القياس ولتنفيذ أعمال إنشائية، وصنف أنواع التربات تبعًا لخصائصها، ومدى صلاحيتها لأعمال الحفر، وأفاض في بيان الأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية التي تحكم مصادر المياه الجوفية(2).

٢- أبو الريحان البيروني ت: ٤٢٣هـ كان من أوائل المسلمين الذين اتخذوا من البحث والتجربة والابتكار وسيلة إلى تحصيل المعارف فهو لا يؤمن بقاعدة اعتناق الآراء المسلم بها دون ما تمحيص ولا تحقيق، وكان يصر على المباشرة والمراقبة للأمور، فكان يمتحن الأشياء بعقله ويبحث عنها، فهو يدعو إلى الاستقصاء في البحث، ويحذر مما يسمى كلام التقليد، ويقول أن جملة (الله أعلم) ليس فيها مسامحة بالجهل (أي من يقولها في رأي البيروني لا يعفي نفسه من الجهل بالأمور) ويصرح البيروني بأن

---

(١) المرجع السابق: ص ٩٠ وأبو بكر حسن الكرخي، إنباط المياه الخفية، تحقيق بغداد عبدالمنعم، (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٧)، ص ص ١٨، ١٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

النجاح موهبة من الله - تعالى - غير مكتسبة، بل يخص بها قومًا دون قوم، لا يصلون إلى الممكن إلاّ بالمواظبة والدأب على الممارسة[1].

ونلاحظ أن البيروني قد وضع هذا المنهج العلمي الذي يعد من الوسائل التي عن طريقها يمكن الكشف عن الحقائق.

وقد استمرت هذه الطرق العلمية الحديثة حتى القرنين السادس والسابع الهجريين ومن علماء القرن السابع الهجري:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي اعتمد على الطرق التربوية الحديثة في الكتابة والتعليم فقد كان يعتمد على العقل والابتكار والتجديد وإعمال الفكر في حصوله على العلوم حيث يقول: إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبَوّبوها وأما أنا فكل ما عندي فمن نتاج أفكاري، وكنت كلما رأيت الناس مُجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض (أبطل) به المتقدم. ويقول: إن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري، ثم أجمع الناس على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر، فعملت كتاب الخمريات من شعري لو عاش أبو نواس وسمعه لاستحى أن يذكر شعر نفسه، وصنفت في الخط كتاب لاشتغال الناس بسواه[2].

ومن الطرق التربوية الحديثة في القرن الثالث الهجري، تشويق الطلاب إلى موضوع الدرس قبل تعليمهم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي عبدالرحمن بقي بن مخلد الأندلسي ت: ٢٧٦هـ أنه كان منصبًا على تعليم الطلاب من خلال مجالسه، ففي رواية سفيان الثوري قال ك حُدِّثت عن بقي أنه قال يومًا لطلابه أنتم تطلبون العلم ؟ ثم يجيب عن سؤاله فيقول لهم هكذا يُطلب العلم: إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضي

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٤١ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٢٩ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.

أسمع العلم، كأنه يقول لهم هذا خطأ أن تذهب إلى المعلم وقت فراغك، وتهتم بشغلك لكي تجمع المال، ثم يضرب لهم مثال على أهل العلم فيقول: إني لأعرف رجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم لا يكون عنده قوت يومه، إلاّ من بقايا طعام غيره، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شراء كاغد (ما يُكتب عليه) حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها[1].

ومنه نلاحظ أن هذه دعوة صريحة لطلب العلم، وترك العلم الذي يحول بين الإنسان وبين التعليم، وإن أدى ذلك إلى ترك الإنسان لمتاع المال، فإنه يحق للإنسان أن يبيع ملابسه لكي يشتري بها أدوات التعليم وأدوات الكتابة، فإن ذلك سيخلفه الله تعالى - فالعلم خير من المال، كل ذلك عن طريق التشويق للطلاب كي يقدموا على التعليم.

وضع علامة صح للإجابة الصحيحة وعلامة خطأ للخاطئة:

ظهرت هذه الطريقة مع علماء القرن الخامس الهجري، ومن بين العلماء الذين اعتمدوا على هذه الطريقة:

١- أبو القاسم إبراهيم بن زكريا الملقب بالإفليلي النحوي ت: ٤٤١هـ الذي اتخذ هذه الطريقة في تدريسه لأبنائه فيقول: كان إذا كتب على إجابة الطلاب صح (صاد حاء) كان لا دليلاً وعلامة على صحتها، لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً، أو نقصًا فوضع حرفًا على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان ذلك علامة على أن الحرف سقيم، فوضع عليه حرف غير تام، ليدل على نقص الإجابة وعدم صحتها[2].

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٢ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٥٣ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٦٨ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٧٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١٦٩.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٥١٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ٩٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٨٣ والوافي بالوفيات: ٥ / ٧٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٦٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٦١ وبغية الوعاة: ص ١٨٦.

المراجعة والتكرار:

ذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء بعض الطرق الحديثة في التربية وذكر من بينها طريقة المراجعة والتكرار، ومن علماء القرن الخامس الهجري الذين اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم والكتابة:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت ٤٠٦هـ الذي ذكره بديع الزمان الهمذاني بخصائص منها سرعة الإتيان بالارتجالات وإثباتها بالاقتراحات، فكان يكتب الكتاب المقترح عليه، يبتدئ بآخر سطر، ثم هلم جر إلى آخر السطر الأول حتى يخرجه مستوفي الألفاظ والمعاني، ثم يراجع ما كتبه على أساتذته حتى يمكنه معرفة موطن الخطأ(١).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر المبارك بن المبارك الملقب بالوجيه ت: ٦١٢هـ كان يكرر إجابته على طلابه بهدف التحصيل فقد جاءه رجل في حلقته، فسلم عليه ثم سأله عن مسألة نحوية فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ودلّه على محجة الصواب (طريقته)، فقال له الرجل أخطأت فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب، وسهل له طريقته وبين له حقيقته فقال: أخطأت أيها الشيخ، فقال له يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت: فقال له لقد فهمت ما قلت، وقد عرفت مرادك ووقفت على مقصودك(٢).

ومن هذا العرض نلاحظ أن ياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية الحديثة التي كانت سائدة في القرن الخامس الهجري، والقرن السابع الهجري طريقة المراجعة والتكرار، التي كان المعلمون يهتمون بها، أثناء تدريسهم، فقد كان الدرس يعاد مرة تلو

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٤٤٤ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٦ / ٢١٤ ونكت الهميان: ص ٢٣٣.

الأخرى حتى يتمكن هؤلاء الطلاب من استيعاب وفهم دروسهم، دون أن يغضب المعلم أو يسفه أحلام هؤلاء الطلاب.

ثالثًا الامتحان والتقويم :

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء من بين الطرق التربوية الحديثة طريقة التقويم والامتحان للمعلمين والطلاب على حد سواء، للوقوف على مستوى العلماء ومعرفة ما حصله الطلاب، فكان العالم يمتحن قبل أن يسند إليه تعليم الطلاب. ومن علماء القرن الثالث الهجري الذين تم امتحانهم:

١- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٨هـ الذي روى عنه الأصفهاني قال: ذكر الواثق لأمير المؤمنين قومًا من العلماء بقوله: إن هاهنا قومًا يختلفون إلى أولادنا، فأمره أن يمتحنهم، فمن كان عالمًا ينتفع به، ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه، قال فمتحنهم فما وجدت فيهم طائلاً (القدرة)، وحذروا ناحيتي (قاموا واحترزوا وخافوا) فقلت لا بأس على أحد منكم[1].

ومما سبق نلاحظ أن هؤلاء المعلمون قاموا بهذه الطريقة التربوية الحديثة للتأكد من أنهم أهلاً للتعليم، حتى يؤدوا رسالتهم تجاه الطلاب، ولا يقوم بالتدريس إلاّ من كان أهلاً له، بعلمه وقدرته على إيصال العلوم إلى هؤلاء الأبناء، والامتحان للعلماء يمكن القائمين من الوقوف على مدى معرفة العلماء، ومدى تمكنهم من القيام بالتدريس لهذه العلوم، وهو ما تفعله الآن كليات التربية، من التربية العملية والامتحانات الشخصية للطلاب عند القبول بهذ الكليات.

---

(١) ومعجم المؤلفين: ٣ / ٧١ والأنباري: مرجع سابق: ص ص ٢٤٢ - ٢٥١ وإنباه الرواة: ١ / ٢٤٦ - ٢٥٦ والكامل في التاريخ: ٧ / ٣٤ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٩٣، ٩٤ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١١٣.

ومن هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ كان الامتحان من الوسائل التي يقاس بها علمه، ليتصدر مجالس الإقراء والتعليم، ففي رواية هارون بن عبدالعزيز قال: قال أبو جعفر لما دخلت مصر لم يبق أحدٌ من أهل العلم إلاّ لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاء رجل فسألني في شيء من العروض فقلت له، فإذا كان في غدٍ فصر إليّ وطلبت من صديق لي كتاب العروض للخليل بن أحمد فجاء به فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عَرُضِيّ وأصبحت عروضيًا[(١)]

٢- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥هـ الذي قال عنه الخطيب البغدادي: رأيت جميع شيوخنا يوثقونه، ويصدقونه، وكان يُسئل عن الشيء فيجيب عنه ثم يُسئل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب[(٢)].

٣- أبو منصور محمد بن أحمد الملقب بالأزهري ت: ٣٧٠هـ الذي أُستخدم معه الامتحان لمعرفة ما وصل إليه من التعليم وأنواع المعرفة فيقول: كنت أمتحنت بالأسار (الأسر) سنة عارضت القرامطة (فرقة من غلاة الشيعة) الحاجُ بالهبير (زود في طريقة مكة كانت عنده موقعة ابن أبي القرمطي سنة ٣١٢هـ)[(٣)].

ومنه نلاحظ أن الامتحان الذي تعرض له الأزهري كان الأساتذة المتحنين له قومًا من البادية لمعرفة ما وصل إليه الأزهري، من تقدم في العربية واللغة والمذاهب السائدة ورأيه فيها خاصة الشيعة، وذلك كمقياس لمستوى التعليم عنده.

٤- أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠هـ كان يمتحن العلماء قبل أن يُسند إليهم تعليم أبناء الأمراء، لمعرفة المادة التي نبغوا فيها حتى ينال المتعلم قسطًا

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥١، ٢٥٢ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥ وميزان الاعتدال: ٣ / ٣٥ واللباب: ٢ / ٨١، وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦١ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.

(٣) معجم الأدباء: ١١٣/٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٣٠ وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٢٢٦ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١١.

من المعرفة والعلم حيث يقول المنصور لعلماء مجلسه: هذا الرجل (صاعد) القادم علينا يزعم أنه متقدم في العلم وأحب أن يُمتحن. فلما مَثُلَ بين يديه والمجلس قد غصَّ بالعلماء والأشراف أقبل عليه ابن العريف وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزغم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن كتاب سيبويه، فلم يحضره جواب السؤال، واعتذر بأن النحو ليس جُلَّ بضاعته، قال له ابن العريف: فما تحسن أيها الشيخ ؟ فقال: حفظ الغريب، فقال له: فاوزن أولق ؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا إنما يسأل عنه صبيان المكتب، وناظر صاعد ابن العريف فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرًا شاهدًا ،وحكاية تناسبها فأعجب المنصور به، فقرّبه وقدمه، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له كل شهر ثلاثين دينارًا، واختاره مؤدبًا لأولاده[1].

ومنه نلاحظ أن بعض القضايا التربوية التي عالجها ياقوت الحموي في ذلك القرن عن طريق ذكره إياها هي تقويم العلماء وامتحانهم لمعرفة نوع العلم الذي يقوم العالم بتدريسه للمتعلمين، ولابد أن تكون أسئلة التقويم على درجة استعداد العالم فلا يكون السؤال صعبًا يؤدي إلى التعقيد، ولا يكون بسيطًا فلا يقيس علمًا ويدلل على جهل السائل.

كما نلاحظ أن العلماء كانوا إذا أثبتوا تفوقهم في علومهم كافأهم الأمراء بالمال على تفوقهم، مثل ما يقدم الآن في العصر الحاضر من جوائز الدولة والأفراد التشجيعية للعلماء، مقابل نبوغهم وتفوقهم في أعمالهم العلمية، بل كان الأمراء يقدمون أبنائهم للأخذ عن هؤلاء العلماء الذين أثبتوا تفوقهم العلمي.

رابعًا: الإجازة :

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التي تعلم من خلالها الطلاب طريقة الإجازة وهي تعني: سماع المتعلم من المعلم، وهي دون طريقتي العرض و السماع في المرتبة وتقتصر

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٢١٠، ٢١١ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٦٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦١.

الإجازة في معظم الأحيان على الحديث، فقد تكون الإجازة محدودة بأحاديث معينة أو عامة تشمل جميع المادة التي حدَّث بها أو صنفها، وتأخذ الإجازة عدة أشكال: فقد تكون شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية ومن أشكالها أيضًا:

- أن يأتي المتعلم إلى المحدث ويطلعه على بعض المعلومات التي اقتبسها من مصنفاته ويطلب منه أن يتأكد مما تحتويه، ويسمح له بروايته.
- أن يسمح المعلم (الشيخ) لأحد تلاميذه برواية جزء من أو كل ما سمعه في حياته وتعلمه عن شيوخه.
- أن يسمح شخص لآخر برواية هذا حصل عليه عن طريق الإجازة.

وقد تكون المناولة شكل من أشكال الإجازة تتم بأن:

يقدم الشيخ (العالم) بعض ما كتبه من كتب أو كلها لعالم آخر وهي منسوخة بخط يده ويذكر له العلماء الذين أخذ عنهم المادة والأسلوب الذي حصل بواسطته على هذه المعلومات، ثم يسمح له برواية ما في هذه الكتب.

ونذكر هنا بعض النماذج التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء لندلل بها على ما سبق أن ذكرناها في أشكال الإجازة، وقد عدّ ياقوت الحموي أن موافقة الأمراء على ما يلقيه الشعراء من قصائد في مجالسهم بمثابة إجازة.

ففي القرن الثاني الهجري كان الإجازة من الأمراء للشعراء ومن بين هؤلاء:

١- أبو ثابت ربيعة بن ثابت الملقب بالرُّقِّيِّ الشاعر، ت: ١٩٨هـ الذي منحه أمير المؤمنين الإجازة فقد استقدمه أمير المومنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة، فأجازه وأجزل صلته[1].

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٣٣.

وفي القرن الثالث كانت الإجازة (التي تعد بمثابة الشهادة) تمنح عن طريق القراءة، ومن بين هؤلاء العلماء:

١- أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤ الذي اهتم بالقراءة على أساتذته ومنهم (مالك بن أنس)، لنيل الإجازة التي يتصدر بها مجالس التعليم فقد كان لمالك بن أنس فراسة (من التفرس)، فقال للإمام الشافعي، إذا كان غدًا تجيئ ويجيئ من يقرأ لك، قال أنا أقوم بالقراءة، يقول الشافعي: فغدوت عليه وابتدأت أنا أقرأه ظاهرًا والكتاب في يدي، فكلما أردت أن أقطع أعجبه قراءتي وإعرابي (إفصاحي وعدم اللحن في الإعراب) فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، فلما توفي مالك بن أنس رحلت إلى اليمن، فكان لي بها شأن(١).

ومنه نلاحظ أن القراءة التي قام بها الشافعي أمام أستاذه مالك بن أنس تعد أحد أشكال الإجازة التي تصدر بها مجالس التعليم بعد وفاة أستاذه.

٢- أبو جعفر أحمد بن الحارث الملقب بالخران، ت: ٢٥٧هـ كان يعرض أعماله على العلماء ليصحح ما بها من أخطاء فقد أسمع المدائني كتبه كلها، وهو ببغداد، لينال بها الإجازة(٢).

وفي القرن الرابع الهجري كانت الإجازة يحصل عليها العلماء عن طريق السماع، والمناولة للكتب، ومن هؤلاء العلماء:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ الذي أعطى الإجازة لغيره عن طريق السماع. ففي رواية عبدالله بن أحمد الفرغاني قال: وجدت على جزء من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني قوله: أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٣ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وطبقات المفسرين: ص ٢٢٧ وتهذيب التهذيب: ٩ / ٢٥ - ٣١ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦ وتاريخ بغداد: ٢ / ٥٦.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٤١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٠٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٤٠.

محمد (من تلاميذه) ما سمعته من الطبري من كتابه المسمى بجامع البيان، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك، وقد أخذته عنه إجازة(١).

وكانت الإجازة تتم عن طريق المناولة بين كتب العلماء ومقابلتها فيقول الطبري حدثتني نفسي وأنا صبي بكتاب التفسير فكان أبو عمر الزاهد يعيش زمانًا طويلاً بمقابلة الكتب مع الناس. فيقول: سألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفًا واحدًا أخطأ في نحو ولا لغة(٢).

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت: ٣١١هـ الذي مُنح الإجازة عن طريق الحفظ والاستظهار ففي رواية الفراء قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه. فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية، وبها منح الإجازة(٣).

ومنه نلاحظ أن المتعلم كان يمنح الإجازة (الشهادة) إذا تمكن من حفظ ما تعلمه.

٣- أبو القاسم إبراهيم بن عثمان القيرواني النحوي ت: ٣٤٦هـ كان يحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد وغريب المصنف لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم من الكتب، وحفظ قبل ذلك كله كتاب سيبويه(٤).

ومنه نلاحظ أن الانتقال من علم الفقه إلى الحديث إلى علم اللغة إلى النحو إلى المنطق كان بمثابة الدرجات العلمية والشهادات التي يحصل عليها المتعلم في ذلك القرن.

٤- أبو العباس إسماعيل بن عبدالله الملقب بالميكالي ت: ٣٦٢هـ الذي حصل على الإجازة بسماعه من العلماء وقراءته عليهم ففي رواية الحاكم قال: سمعت أبا العباس وقد

---

(١) معجم الأدباء: ٥/ ٢٤٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وسير النبلاء: ٩ / ٢٠٦ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ ١٦٢ - ١٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ٨ / ٤٢ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠.

(٣) معجم الأدباء: ١ / ٨٧.

(٤) معجم الأدباء: ١ / ١٣٠ ومعجم المؤلفين: ١ / ٥٨ والوافي بالوفيات: ٥ / ٥١ وبغية الوعاة: ص ٢٨٣.

سُئل عن مقصورة الدريدي فقال: أنشدني فيها مؤدبي أبو بكر الدريدي، ثم قرأتها عليه مرارًا فأقر بها لي[(1)].

وفي القرن الخامس الهجري حصل على الإجازة من العلماء:

١- أبو علي الحسن بن علي الملقب بالأهوازي المقرئ ت: ٤٤٦هـ الذي قرأ على العلماء كي يحصل منهم على الإجازة لتصدر مجالس التعليم، ففي رواية أحمد بن منصور قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات، ووصل إلى بغداد وقرأ على بعض الشيوخ الذين روى عنهم، جاءوا له بالإجازات وبخطوطهم، ثم قدم الأهوازي دمشق سنة ٣٩١هـ وسكنها وقرأ القرآن بروايات كثيرة، وأقرأه غيره[(2)].

ونلاحظ أن الإجازة هنا كانت إجازة تحريرية بخط العلماء.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، الذي يقول: اجتمعت بالقاضي الأكرم في عدة مجالس بحضرته، وأجازني برواية، وقد اجتمعت بالدقيقي بأجزته، والدقيقي عالم من أهل مصر توفي بالقاهرة، وهو صاحب كتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني، قال الزركلي إنه مخطوط في اللغة، وكتاب لباب الألباب ذكر الزركلي أنه مخطوط في شرح كتاب سيبويه الجزء الأول منه في خزانة حسن حسني عبدالوهاب بتونس[(3)].

خامسًا: الكتابة وأدواتها:

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ساهمت في تعليم العامة والخاصة من طلاب العلم طريقة الكتابة، وقد تناول ياقوت بعض أدوات الكتابة التي كانت سائدة في تلك العصور التي أرخ لها ياقوت.

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٨.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ١٩ ولسان الميزان: ٢ / ٢٣٧ - ٢٤٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٥٦ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٢ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٤٧.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٥٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٢٢.

ففي القرن الثاني الهجري كان من بين العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت: ١٩٤هـ الذي كان يأمر صبيانه أن يدفعوا بعض أدوات الكتابة إلى تلاميذه كي يستخدمونها في التعليم، ففي رواية محمد بن الجهم السِّمَّريّ قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل، ويدفع إلينا الكاغد والجلود، وقد صُقِلَتْ (أعدت للكتابة) والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا الأحمر وعليه ثياب الملوك، فقد كان مؤدبًا للمأمون العباسي، وأوصله الكسائي إلى الرشيد فعهد إليه بتأديب أبنائه واستمر في نعمه إلى أن توفي[١].

ومنه نلاحظ أن أدوات الكتابة التي كانت سائدة في القرن الثاني الهجري هي الكاغد وهو القرطاس المعد للكتابة، والجلد وهو معروف والأقلام التي كانت تصنع من البوص أو الغاب، ويجانبه المحبرة التي كانت تملء بحبر أحمر أو أسود والسكاكين التي تستخدم لتنظيف الأقلام وإمالة أسنانها، كما نلاحظ أن العلماء والشيوخ كانوا يخرجون في أحسن زينتهم كي يعملوا طلابهم لأن ذلك أوقع إلى نفس المتعلم يستشعره بالوقار والاحترام.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت الرقاع: وهي القطعة من الثوب أو ما يرقع به الثوب أو القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها، وقد استخدم الشافعي ت: ٢٠٤هـ الرقاع يجيب عن الأسئلة التي بداخلها، ففي رواية: أبي سليمان الخطاب قال: كان الشافعي يومًا من أيام الجُمع جالسًا للنظر فجاءت امرأة برقعة وألقت إليه بها فأجاب عنها[٢].

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٥ وبغية الوعاة: ص ٣٣٤ وإنباه الرواة: ٢ / ٣١٣ وميزان الاعتدال: ٤ / ٢١٨ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧١.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٠٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ والسبكي: مرجع سابق: ٤ / ١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ٥٦ - ٧٣.

ونلاحظ هنا اهتمام النساء بطلب العلم.

ولم يقتصر الشافعي على استخدام الرقاع وإنما استخدم العديد من أدوات التعليم التي كانت متاحة في عصره فقد استخدم الخزف (وهو ما صنع من الطين وشوي حتى صار فخارًا) والدفوف (الجلود التي يعمل منها الطبل والضمامات) وكرب النخيل (أصول السعف الغلاظ العِراض التي تقطع معه) وعسيب النخيل(جريدة النخلة المستقيمة يكشط خوصها) وأكتاف الجمال (عظم عريض خلف المنكب) يكتب عليهم الحديث ويقول: كنت أجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور (الأوراق) فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب (جرار جمع جرة) ملأتها أكتافًا وخزفًا وكربًا مملوءة حديثًا(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يستخدمون الأدوات الكتابية التي يمكنهم الحصول عليها من البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها، رغم صعوبة استخدام هذه الأدوات، ومع ذلك نبغ هؤلاء العلماء وتفوقوا في شتى أنواع العلوم، وكانت الدولة أحيانًا تساهم في توفير أدوات الكتابة للعلماء، فقد أخذ الشافعي الأوراق من الدواوين كهبة له.

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي المعروف بابن النديم ت: ٢٣٦هـ الذي كان يكتب شعره على الرقاع، ويعرضها على الواثق بالله، فيأمر له بالعطايا(٢).

٣- أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الملقب بالأزدي ت: ٢٨٢هـ كانت تعرض عليه الأسئلة من طلابه مكتوبة على الرقاع، فيجيب عن هذه الرقاع(٣).

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي استخدم الرقاع في نقل العلم بين العلماء حيث يقول: بعث إليّ عبدالله بن أخت أبي الوزير رُقعة فيها خط المبرد يسأل عن مسألة في القتل فأجبته(٤).

---

(١) ابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦ وتهذيب التهذيب: ٩ / ٣٠، ٣١.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ١٤٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٢٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٨١ وإنباه الرواة: ١ / ٢١٥ والأصفهاني: مرجع سابق: ٥ / ٢٦٨ - ٤٣٥.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٩٨ ومعجم المؤلفين: ٢/ ٢٦١ وسير النبلاء: ٧٩/٩ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٦ / ٢٨٤.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٦١ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨١ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤.

ومن العلماء الذين استخدموا الرقاع كواحدة من أدوات التعليم في القرن الرابع الهجري:

١- أبو بكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨هـ كان يجلس إلى أسطوانة (السارية والعمود) من أساطين الجامع، يستلم الرقعة من الرقاع التي كتبت فيها الأسئلة فيجيب عنها(١).

٢- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ كان يجيب على الرقاع التي تصل إليه من العلماء والأمراء، ويكتب إجابته على رقعة أخرى، في قد أجاب على رقعة كتبها إلى سيف الدولة، جوابًا عن رقعة وردت منه(٢).

٣- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥هـ الذي استخدم الرقاع كوسيلة للتخاطب بينه وبين العلماء والأمراء، فقد أنفذ إليه إبراهيم بن أيوب بن ماسي رقعة يسأله فيها عن مسألة فكتب له الإجابة على ظهرها وردها إليه(٣).

٤- أبو بكر محمد بن الحسن الملقب بالنقاش ت: ٣٥١هـ الذي استخدم الرقاع في التعلم ففي رواية المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن زياد النقاش قال: لقيت رقعة قد رفع فيها سؤال إلى القاضي أبي بكر الأنطاكي، فأخذتها وكتبت الإجابة على ظهرها، ورددتها إليه(٤).

ومنه نلاحظ أن الرقاع التي كان يجيب عنها العلماء، إذا نالت القبول عند طلاب العلم والعلماء كان يأتي الرد عليها من هؤلاء الطلاب متضمنًا حسن الأسلوب، والمعرفة التي حصل عليها هؤلاء الطلاب من تلك الرقاع.

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٠١ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٠٧.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٣ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٠٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢١٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٦١٩ وسير النبلاء: ١٠ ١٤٢ والوافي بالوفيات: ٢ / ٣٤٥.

٦- أبو الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن حنزابة ت: ٣٩١هـ الذي استخدم العديد من أدوات التعليم ووسائله، فقد أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب، وقد كان من أعيان كتاب آبائه ودولته، فأجاب عنها ابن المدبر وردّها إليه[١].

ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء استخدموا الرقاع في التعليم، فقد أرسلوها إلى العلماء وأجاب عنها العلماء بما يفيد هؤلاء الأمراء في مجال العلم الذي يطلبونه.

٧- أبو الفضل الحسين بن يحيى الملقب ببديع الزمان الهمذاني ت: ٣٩٨هـ الذي استخدم الرقاع في التعليم عن طريق إرسالها إلى العلماء فقد كتب رقعة إلى الخوارزمي يسأله عن مسائل في الرياضيات واعتذر له عن ذلك بقوله: يعز عليّ أن ينوب في خدمتك قلمي عن قدمي، ويسعد برؤيتك رسولي دون وصولي[٢].

ولم يقتصر استخدام الرقاع في التعليم على الرجال فقط، وإنما شاركتهن النساء في ذلك وقد ظهر استخدام النساء للرقاع في التعلم في القرن السادس الهجري ومن بين هؤلاء النساء في ذلك القرن:

حفصة بنت الحاج الرّكواني ت: ٥٨٦هـ بمراكش، التي انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب وسرعة الخاطر بالشعر، وقد نعتت بأستاذة وقتها فكانت تعلم النساء في دار المنصور، واستخدمت الرقاع في نشر ما تكتبه من شعر، وعلم الحديث، فقد أرسلت إلى أبي جعفر بن سعيد وهو بين جلسائه، رقعة مكتوب عليها أبيات من الشعر، تسأله عن معناها فلما قرأها، قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلاّ حفصة[٣].

وقد استخدمت الرقاع في التعليم أيضًا في القرن السابع الهجري، ومن بين هؤلاء الذين تعلموا عن طريق الرقاع:

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٨١ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٢٦ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ٢٠٣ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٢٣٤.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٧٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ١٥٩ والكامل في التاريخ: ٩ / ٧٢ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٢٣٠، ٢٣١ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ١٢٥ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٢٤٠.

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي استخدم الرقاع في تعليم غيره عن طريق الإجابة عنها. ففي رواية محمد بن حامد الموصلي قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس منه ومن علومه، فدخلت عليه، وجرت مذاكرات بيني وبينه، ثم أجوجت رقعة له مكتوب بها، ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفرًا ياديك ؟ فقال: شطر أعاديك، ديك، وقلبه: كيد، أردت أن تقول الكيد حظ من كفر أياديك، فقلت له: أحسنت(١).

ومن أدوات التعليم الأقلام والدفاتر والمحابر:

فقد استخدم الطلاب والعلماء معًا هذه الأدوات في نقل العلوم، ففي القرن الثالث الهجري استخدم (إبراهيم بن العباس الصولي ت: ٢٤٣هـ) هذه الأدوات في التعلم فقد تأدب ببغداد وكان كاتبًا للمعتصم والواثق والمتوكل، وفي رواية أبي الغيث قال: كنت عند إبراهيم الصولي وهو يكتب فنقط القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب المال فرع، والقلم أصل ومن السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ومع نبوغه وتقدمه في العلم يقول ياقوت: كان الصولي إذا قال شعرًا اختاره وأسقط رذله وأثبت نخبته(٢).

وقد استخدم الصولي الدفاتر والأوراق في مؤلفاته وتصنيف الكتب، ففي رواية الجهشياري قال: رأيت دفترًا بخط إبراهيم الصولي وقد كتب فيه شعرًا، وقد صنف كتاب الدولة(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٣٥ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ١١٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ٤١، ٤٢ والأصفهاني: مرجع سابق: ٩ / ٢٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ٣١٥ والمسعودي: مرجع سابق: ٢ / ٢٩٩ والخطيب بغدادي: مرجع سابق: ٦ / ١١٧
(٣) ابن النديم: مرجع سابق: ١ / ١٢٢ - ١٦٦ والزركلي مرجع سابق: ١ / ٤٥

ومن العلماء الذين استخدموا الأقلام في القرن الثالث الهجري:

- أبو عبدالله محمد بن القاسم المعروف بابن أبي العيناء، ت: ٢٨٣هـ الذي استخدم القلم كوسيلة من الوسائل التي تساعد على تقدم العملية التعليمية، ففي رواية ابن الخصيب قال: وصف أحد العلماء قلم ابن أبي العيناء قال: كنت أرى قلم ابن أبي العيناء يكتب بما يصيب، ولو نطق لنطق بنوك (حق)(١).

وكان طلاب العلم في ذلك القرن تلازمهم محابرهم ودفاترهم كوسائل تساعدهم على التعليم.

- فقد كان الدينوري ت: ٢٨٩هـ يتخطى أصحاب ثعلب على باب داره، ومعه محبرته ليحضر مجلسه، ويكتب عنه ما يُلقى من العلم(٢).

وقد استمر ظهور هذه الأدوات في القرن الرابع الهجري، ومن بين هؤلاء العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو عبدالله الحسن بن علي الملقب ابن مقلة ت: ٣٠٩هـ كان ينزل في دار قوراء (واسعة) حسنة، وفيها فرش تشاكلها، ومجلس دست (صدر المجلس)، وله شيء للنسخ، وحوض فيه محابر وأقلام، وإذا ضاق صدره من الكتابة والتعلم، كان يقوم ويتمشى في الدار، ثم يعود فيجلس في تلك المجالس، وينسخ ما يخف عليه. ثم يقوم حول البستان ثم يعود يجلس في مجلسه وينسخ أوراقًا أخرى، ولذلك اجتمع من خطه في خزائن بغداد ما لا يحصى(٣).

ومنه نلاحظ أن ابن مقلة يعطي بذلك درسًا تربويًا، وهو أن الطالب الذي يجلس للتعلم لابد وأن يكون حاضر الذهن غير فاتر وإذا أصابه ضيق أو ملل فعليه أن يجدد نشاطه عن طريق الحركة ولو كان ذلك بداخل المنزل، حتى يعود إلى التعلم وهو نشيط صافي الذهن، لديه القدرة على التركيز والتحصيل.

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٠٦ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٣٩ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣٤١.
(٢) معجم الأدباء: ٣١٣/١وإنباه الرواة: ١/ ٣٣وجورجي زيدان: مرجع سابق: ١٨١/٢والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٠٧.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ١٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٠ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٤٢ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٤.

٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ الذي استخدم الأقلام والورق لكي يرصد ويسجل كل ما يأخذه عن العلماء، ففي رواية السمسي قال: إن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، وفي رواية الاسفراييني قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحصِّل كتاب الطبري في التفسير لم يك ذلك كثير، وقال الطبري لتلاميذه أتنشطون لتفسير القرآن ؟ فقالوا: كم يكون مقداره ؟ قال: ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة[١].

وقد استخدم علماء القرن الرابع الهجري الحبر كأداة من أدوات التعليم، وكانوا يفتخرون بالتصاق الحبر بثيابهم، و من هؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الملقب بالتنوخي ت: ٣١٨هـ كان يفتخر بأن الحبر إذا لطخ ثياب العلماء وأصابعهم فإن ذلك لا ينقص من عظمتهم ومكانتهم ويقول في ذلك:

رأيت العيب يلصق بالمعالي ... لصوق الحبر في لفق الثياب
ويخفي في الدَّنئ فلا تراه ... كما يخفى السواد على الإهاب[٢]

وقد جمع علماء ذلك القرن بين الكاغد، والحبر، والورق في التعليم، ونقل العلوم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب بطباطبا، ت: ٣٢٢هـ الذي طلب من أصحابه محبرة وكاغدًا وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطوعات من الشعر، فسأله بعضهم لمن هي ؟ فلم يجبه حتى فرغ من نسخها، وملء منها خمس ورقات. وأحصيت الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتًا، كان قد حفظها[٣].

(١) معجم الأدباء: ٥/٢٥٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣/٢٠٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦/٦٩ وجامع البيان: ١ / ٤٧.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٦٤ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٦٠ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٢٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٩٨ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

- أبو الحسن علي بن عبدالله الملقب بالناشئ الحلاء، ت: ٣٦٥هـ قال: كان المغلس يستعمل المحبرة في كتاباته، ففي رواية بديع الزمان قال: فيما قرأت على ابن فارس سمعت أبا الحسن الناشئ قال: حضرت مجلس أبي الحسين المغلس الفقيه، فانقلبت محبرة كان يستعملها في الكتابة للحصول على المعرفة واكتساب العلم، فترفع عن رفع ثيابه عنها[(١)].

واستعمل علماء القرن الرابع الهجري الكاغد كأداة من أدوات التعليم ففي ترجمة (ابن خنزابة ت: ٣٩١هـ قال: كان إبراهيم بن سعيد الحبّال قد خرّج للحافظ السجزي أكثر من مائة شيخ، في عشرين جزء كان قد كتبها في كاغد عتيق، فسُئل الحبال عن الكاغد فقال: هذا من الكاغد، الذي يحمل للوزير[(٢)].

ومنه نلاحظ أن هناك كانت أدوات خاصة يستعملها العلماء في الكتابة للأمراء والوزراء.

- أبو العباس، أحمد بن إبراهيم الملقب بالكافي الأوحد، ت: ٣٩٩هـ الذي كان يكتب للأمراء كتبًا بأسمائهم مقابل أن تقدم لهم أدوات الكتابة فقد قدّم له فخر الدولة الدواة والكاغد، وطالبهم بكتب بخطوطهم بما يصححونه، فألزموا له عشرة آلاف درهم[(٣)].

ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء كانوا يقدمون أدوات الكتابة من كاغد وورق وحبر إلى العلماء، من أجل أن يكتبون له مؤلفات وكتب بأسمائهم، بالإضافة إلى الأجرة التي كانت تصل هؤلاء العلماء.

وقد كان الأمراء والوزراء إذا اتهم أحد العلماء جعلوا عليه فدية لنفسه، فقد قبض فخر الدولة على (أبي الحسن عبدالجبار بن أحمد) والعلماء الذين معه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف درهم، فأدوا ذلك من ثمن الورق الذي كتبوا عليه علومهم[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٥١ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٤٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٨١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٢٣٤.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٢٤٢.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٢٤٠.

ومنه نلاحظ أن القاضي وأبي العباس قدموا فدية لأنفسهم من خلال بيعهم للأوراق التي كانوا قد كتبوا عليها كتبهم.

وفي القرن الخامس الهجري استخدم العلماء الأقلام والقراطيس في الكتابة والتعليم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت: ٤٠٦هـ الذي استخدم القلم والقرطاس في كتاباته فقد كان يكتب الكتاب يبدأ بآخر سطر فيه ثم يمضي قدمًا في الكتاب حتى أوله[(١)].
- أبو إسحاق سعيد بن إبراهيم بن عقيل ت: ٤٧٤هـ الذي قرأ تعليقه أبي الأسود الدؤلي التي ألقاها إليه عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وكانت مكتوبة على الورق ومكونة تقريبًا من عشرة أوراق.

وفي ذلك القرن أطلق العلماء على الورق اسم الكراريس ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء المعري ت: ٤٤٩هـ الذي أرشده تلاميذه إلى استخدام الكراسات في التعليم فقد أملى على تلاميذه كتاب الفصول والغايات في البلاغة وكتاب القوافي ذكر الزركلي أنه مطبوع يقع في سبعة أجزاء مقداره مائة كراسة، وكتاب اللامع العزيزي ذكر الزركلي أنه مخطوط من مخطوطات جامعة الرياض، وهو شرح لديوان المتنبي ألفه لعزيز الدولة (فاتك بن عبدالله) يقع في ٢٤٠ ورقة، وكتاب رسالة الغفران مطبوع من أشهر كتبه وهي تقع في عشر كراريس[(٢)].

والخلاصة:

مما سبق عرضه بالنسبة لأدوات الكتابة يتضح أن معجم الأدباء لياقوت الحموي يعد مصدرًا هامًا من مصادر التأريخ لأدوات الكتابة ووسائل التعليم على مدار عدة قرون حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم أدوات الكتابة.

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١١ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٤٢٠ - ٤٢٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٨٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٦١٠ وابن الجوزي: مرجع سابق: ٨ / ١٨٤ - ١٨٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٥٧.

مثل: الرقاع وهي القطعة من الثياب أو ما يرقع به الثوب، أو القطعة من الورق أو الجلد والتي يكتب عليها الكثير من أنواع العلم مثل علم الحديث والفقه والتفسير وكذا بعض العلوم اللغوية والعقلية، وكذا الرق: أداة من أدوات الكتابة التي ذكرها ياقوت وهي الجلد الرقيق الذي يكتب عليه، وكذلك الكاغد، والخزف، وهو ما عمل من الطين وشوي حتى صار فخارًا، وأكتاف الجمال، وعسيب النخيل، وغيره من أدوات التعليم التي ساعدت على انتشار التعليم بين الطلاب والعلماء على حد سواء، ولم يمنع أمر صعوبة هذه الوسائل المستخدمة في الكتابة العلماء من عدم التسجيل للعلوم، فرغم صعوبة الكتابة على هذه الأدوات فقد استخدموها في الكتابة، وورثها اللاحقون من السابقين، وقدم خدمة هذه الكتابات أغراض التربية فقد وصلتنا علوم هؤلاء العلماء عن طريقة بها وتوريثها لتكون محققة لما هو مطلوب منها، وقد ذكرنا هذه الخباب التي ملأها الإمام الشافعي بأكتاف الجمال وعسيب النخيل والخزف والتي كتب عليها الكثير من الأحاديث ومن علم الفقه وإن كان ياقوت لم يذكر بالتحديد بداية استخدام هذه الأدوات غير أنه ذكرها بدأ من القرن الثاني الهجري، لكن هذه الأدوات كانت مستخدمة في الكتابة منذ الجاهلية وفي صدر الإسلام فقد ذكر الدكتور / حسين محمد سليمان في كتابه التراث العربي الإسلامي قال " لم تكن القراءة والكتابة وليدة الفترة التي قبيل الإسلام ومما ينص على ذلك كتابة مكة لعمر بن شبة، الذي كتبه بخطه، وكان عرب الحجاز يستخدمون الكتابة على الحجر، فقد كانت القراءة والكتابة منتشرة في البيئة التي نزل فيها القرآن سواء في مكة أو يثرب وفي كل الأماكن المحيطة بها مثل الطائف وغيرها"(١).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأدوات الكتابية التي كانت مألوفة في هذا المجتمع والتي يعرفها جيدًا هذا المجتمع، وبذلك فقد أضاء القرآن الكريم الطريق أمام هؤلاء العلماء لمسايرة استخدام هذه الأدوات في الكتابة والتعليم، فيقسم المولى سبحانه بقوله:

---

(١) حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٧)، ص ٢١٤.

{ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ }(١)

فقد أشارت الآية إلى القلم كأداة من أدوات الكتابة والتعلم، فالسطر هنا بمعنى الكتابة.

ومن ذلك جاء قوله تعالى:

{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ.... }(٢)

فقد ورد في الآية الكريمة أداة من أدوات التعليم وهو القرطاس المقصود به الورق الذي يكتب عليه، ويقول سبحانه :

{وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ... }(٣)

وفي هذه الآية وردت أداة القلم كواحدة من أدوات التعليم، ويقول سبحانه

{ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝}(٤)

والرق هنا، بمعنى الجلد الرقيق الذي يكتب عليه أو الصحيفة البيضاء، وهذه الآيات جميعًا تؤكد معرفة العلماء العرب بوسائل الكتابة، بل لا تقتصر هذه على الآيات على ما سبق أن ذكرناه، بل تمتد إلى أكثر من ذلك حيث تعرف الجلود، والقرطاس (الورق من بردي وغيره) والوسيلة المستخدمة في الكتابة وهو القلم، والسائل المستخدم وهو الحبر

كما أن الكتابة واستخدام أدواتها في التعليم لم تقتصر على الرجال بل كان هناك من النساء من يستطيعون الكتابة والتدوين واستخدام هذه الأدوات مثل حفصة بنت الحاج، كما تضمن هذا الفصل الإجابة على سؤال البحث الذي يقول: ما أهم الطرق التعليمية والوسائل التي عرض لها كتاب معجم الأدباء لياقوت ؟ وكانت الإجابة عليه تتضمن ذكر بعض الطرق التي كانت سائدة في القرون الهجرية التي أرخ ياقوت، ومن هذه الطرق طريقة.

---

(١) سورة القلم : الآية١ .
(٢) سورة الأنعام : من الآية ٧ .
(٣) سورة لقمان : من الآية ٢٧ .
(٤) سورة الطور : الآيات ٢ :٣ .

الفصل الرابع

أمـــاكـــن التعليـــم

مقدمة

يتحدث الباحث في هذا الفصل عن أماكن التعليم التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " والتي كان الطلاب يتلقون من خلالها مع أساتذتهم للأخذ من علومهم، والتزود من معارفهم، وقد أرخ ياقوت الحموي لهذه الأماكن التعليمية، من خلال حديثه عن الطلاب والعلماء الذين حصلوا الكثير من العلوم بداخل هذه الأماكن والمؤسسات التعليمية، يقصد بها الأماكن التي تقوم بمهمة تعليم الناس مثل:

أولا: المساجد وتشمل (حلقات العلماء).

ثانيا: الكتاتيب (الكتاب).

ثالثا: المدارس.

رابعا: منازل العلماء وتشمل (مجالس العلماء).

خامسا: مجالس الأمراء الوزراء.

سادسا: أماكن الحرب وتشمل (الأربطة والخوانق).

سابعا: الأسواق.

تاسعا: أماكن التجارة، وتشمل معها:

أ- المكتبات **ب- البيمارستانات.**

وفي تصنيف الباحث لأماكن التعليم، وتصنيف الطلاب الذين تعلموا من خلالها والعلماء الذين درسوا بها، اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني، حتى يسهل على المتصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بمؤسسة معينة من المؤسسات التعليمية في أقصر وقت ممكن.

أولا: المساجد

تعد المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في عصور الإسلام، والتي تزود منها الطلاب متعددة وكثيرة، وقد أجمعت آراء كثير من رجال التربية والمفكرين في الوقت الحاضر على أهمية التربية غير المدرسية، في إعداد وتنشئة الأحوال وذلك لما يواجهه التعليم النظامي من مشكلات، والمسجد كمؤسسة تربوية داخل المجتمع (قديما وحديثا) يعمل في مجال التنمية البشرية، ويمكنه القيام بدور كبير في بناء وتربية العقل الإنساني وصقله بالعلوم الدينية والدنيوية، من خلال الخطب المنبرية التي تلقى فيه، والندوات التي تعقد بداخله. ومن خلال ذلك نلاحظ أن للمساجد دورا تربويا كبيرا في داخل المجتمع. ساعد ذلك أن التربية ليست عملية قائمة بذاتها، بل أنها في جوهرها عملية ثقافية فهي تشتق مادتها من واقع حياة المجتمع و ثقافته، كما أن الثقافة والتعليم لا يستمران إلا باكتساب الأفراد لأنماطها ومعانيها، ولذا كان على الباحث التربوي أن يحفر تحت أرض الواقع الذي يعيش فيه بحثا عن الجذور التي أنبتته وليست مهمته أن يغلق على نفسه باب مكتبه ليصول ويجول بعقله في تأملات فلسفية. فظهور الإسلام كان ثورة تربوية عامة، والمساجد كانت من أبرز الوسائط التربوية، التي لعبت دورا تربويا هاما في بدء الدعوة الإسلامية وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من اتخذ المسجد مكانا للدعوة والتعليم. فبعد الهجرة انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم بنشاطه الديني والتعليمي إلى المسجد، وكان مسجد قباء أول المساجد التي قامت في الإسلام على نشاط التعليم لأمور الدين. فالمسجد هو المكان الطبيعي والأصلي للكلمة الطيبة الأمينة المتعلمة التي تزود المسلمين بالمعرفة. وبذا لا تستطيع أي مؤسسة تربوية أن تنافس ث١٣٤٤المسجد في النفاذ إلى نفوس الناس

ومشاعرهم، وأن الفرق بين توجيه أي مؤسسة تربوية وتوجيه المسجد، أن رواد المسجد يذهبون إليه متعبدين بكل خطوة يخطونها إليه متقربين إلى الله، راجين مغفرته(١).

وبذلك كان المسلمون في أول عهدهم بالتعليم يتخذون مدارسهم في الجوامع والمساجد، وكانوا يسمون التلاميذ المجتمعين حول أستاذهم لتلقي العلم (حلقة) وينسبون كل حلقة في الغالب إلى أستاذها(٢)، ومن المساجد التي اشتهرت بالتدريس في القرن الثاني الهجري كما تحدث عنها ياقوت، وعما يدور فيها من حلقات علم:

١ - مسجد المدينة:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي، فقد عقد بداخله حلقات الفقهاء التي عقدت لتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وهذا يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي ولقي ذلك تأييد كثير من العلماء والمفكرين وبشكل خاص أنصار المذهب الديني المحافظ الذي يسيطر على التوجيه الديني، وقد أورد ياقوت ترجمة لبعض المحدثين كانوا يقومون بالدرس في مسجد المدينة، ومن هؤلاء العلماء:

أ- أبو سعيد أبان بن رياح الجريري، ت ١٤١ هـ:

الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق المساجد فقد كان من غلاة الشيعة، من أهل الكوفة، لقي أبان كلا من محمد بن علي بن الحسين، وأبا جعفر فقال له أبو جعفر: يا أبان اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك(٣).

---

(١) سعيد إسماعيل علي، دراسات في التربية الإسلامية، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م)، ص ٢٦، وخليفة محمد ابراهيم، الدور التربوي لمراكز الثقافة الجماهيرية في مصر، ماجستير (أصول التربية) كلية التربية بسوهاج - جامعة أسيوط ١٩٨٧م ص ٢٨.
ومحمد منير مرسي، التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلارد العربية، الطبعة الثانية (القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٣م)، ص ٢٠٥.
وسعيد إسماعيل علي، ديمقراطية التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢م)، ص ١٠٣.

(٢) مصطفى أمين، تاريخ التربية، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٢٦م)، ص ١٧١.

(٣) معجم الأدباء ٦٧/١، والزركلي، مرجع سابق، ٢٦/١، واللباب ٢٢٤/١.

ومنه نلاحظ أن مسجد المدينة كان يستقبل العلماء لعقد حلقات فقهية لنشر بعض المذاهب، فهذا أبان كان يعتم بنشر المذهب الشيعي في داخل الكوفة.

ب- أبو سلمة، حماد بن سلمة الملقب بالإمام ت ١٦٧ هـ:

كان أحد رجال الحديث، اهتم بتعليم العربية لغيره بعد تفوقه، وبعد أن حصل منها ما يستطيع أنه يجلس به أمام طلابه، فكان حماد يمر بالحسن البصري في الجامع يعلم الفقه والحديث فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم، وكان يحفز طلابه على تعلم النحو فيقول: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها(١).

ومنه نلاحظ دعوة حماد لغيره من طلاب العلم، والعلماء حتى يتعلموا أصول العربية لكي يتمكنوا من طلب العلوم الأخرى، فالعربية بمثابة الأرض الصلبة التي تخطوا عليها العلوم الأخرى، وقد لعبت حلقات العلماء دورا بارزا في تعلم العربية.

ومع تفوق حماد في العربية، أخذ عنه يونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ النحو، وكانت حلقته بالبصرة يرتادها طلاب العلم، وأهل الأدب وفصحاء العرب والأعراب، ووفود البادية، حتى قال أبو عبيد: اختلفت إلى يونس أربعين سنة، أملأ كل يوم ألواحي من حفظه، وفي رواية يونس بن حبيب قال: كان حماد رأس حلقتنا ومنه تعلمت العربية وتعلم منه سيبويه(٢).

٢ - مسجد السبيع:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي في القرن الثاني الهجري، فقد عقدت بداخله حلقات للعلماء، ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) معجم الأدباء ٣/٢٤٥، الزركلي، مرجع سابق ٢/٢٧٢، وتهذيب التهذيب ٣/١١، وانباه الرواة ١ / ٣٠٩.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ٢٤٤، الزركلي، مرجع سابق ٨ / ٢٦١، إنباه الرواة ١ / ٣٠٩، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٢، وتهذيب التهذيب ٣ / ١١.

- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت ١٩٢ هـ الذي دخل الكوفة، فجاء إلى مسجد السبيع إلى حلقة حمزة بن حبيب الزيات ت ١٥٦ هـ أحد القراء السبعة، وقدم أقام حلقة بمسجد السبيع يقرئ فيها غيره من طلاب العلم(١).

وفي القرن الثالث الهجري قامت بعض المساجد بدور تعليمي تربوي ومن هذه المساجد:

١- **مساجد الكوفة:** قامت مساجد الكوفة بنشاطها التعليمي عن طريق حلقات العلماء التي كانت تعقد بداخلها ومن العلماء الذين نبغوا في التعليم من خلال هذه المساجد:

- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت ٢٠٥ هـ الذي أدب بعض أولاد بني شيبان من رمادة الكوفة، وجلس يعلم غيره من خلال مساجدها. ففي رواية الخطيب البغدادي قال: جعل الأحوص الشيباني في مسجد الكوفة نيفا وثمانين مصحفا بخط يده للتعليم منها(٢).

وعن طريق الحلقات العلمية في ذلك القرن كان الشافعي ت ٢٠٤ هـ يعلم طلابه الكثير من أنواع العلوم ففي رواية الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي (رحمه الله) يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار(٣).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يهتمون بنشر علومهم بين المتعلمين دون أن يستأثروا بهذه العلوم لأنفسهم، فقد كانت الحلقات العلمية، التي تعقد بالمساجد بمثابة أماكن للتدريس، ساهمت وتعليم الكثير من العامة والخاصة.

---

(١) انباه الرواة ٢ / ٢٥٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٣٠، الزركلي ٢ / ٢٧٧، طبقات المفسرين ص ١٦٩.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ١٦٨، الأنباري، مرجع سابق ص ١٢٠، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٩٦.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٦٨، معجم المؤلفين ٩ / ٣٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ١٧٧، والسبكي مرجع سابق ٤ / ١، ٥ / ٢.

٢- مسجد ابن رُغيان:

كانت المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، وأحيانا يغلب عليها أن تسمى بحلقة عالم دون آخر، ففي ترجمة ياقوت (لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري ت ٢٠٦ الذي استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد ليعلم أهلها، فجلس في مسجد ابن رعيان، يعلمهم الحديث، وقد جمع البخاري بين تعليم غيره والتأليف، فله كتاب: المبتدأ مخطوط الجزء الرابع منه، في المجموع ٧١ بالظاهرية، صنفه في بدء الخلق(١).

٣- مسجد الكسائي:

عرف هذا المسجد باسم مسجد الكسائي نسبة إلى حلقته التي كان يعقدها به فيذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن، سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط ت٢١١هـ الذي قال: وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من الصلاة قعد بين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، فسلمت عليه وسألته عن مائة مسألة، فأجابني عنها(٢).

٤- المسجد الجامع:

الذي عقدت فيه حلقات تعليمية لتعليم الشعر واللغة، فلم يتوقف دور المساجد على نشر العلوم الدينية فقط، ففي ترجمة ياقوت (لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ الذي كان علامة بالأنساب والشعر والأخبار، وكان مؤدبا لأهل سامراء اتخذ من المساجد مؤسسات تعليمية وحلقات يعلم من خلالها طلابه ورواد مجلسه، فقد تتلمذ عليه تلمذة مباشرة الكثير من طلاب العلم، وتتلمذ هو على أيدي العلماء، ففي رواية ثعلب قال: أتيت

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٦٤، معجم المؤلفين ٢ / ٢٣١، ولسان الميزان ١ / ٣٥٤، وتاريخ دمشق ٢ / ٣٣٧، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٦ / ٣٢٦، الزركلي ١ / ٢٩٤.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٨٥، انباه الرواة ٢ / ٣٦، معجم المؤلفين ٤ / ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٨٨، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٣ / ٢٥٤، ابن العماد مرجع سابق ٢ / ٣٦.

ابن حبيب وقد بلغني أنه يملي شعر حسان بن ثابت، في المسجد الجامع، إليه الناس فسأله سائل عن أبيات ففسر ما فيها من اللغة(١).

وفي القرن الرابع الهجري، قامت المساجد بدورها التعليمي على مستوى أرفع من القرنين السابقين، وكانت هذه المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، فقد كان لكل عالم مسجد، وذكر ذلك ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) ومن هذه المساجد التي عرفت بأسماء علمائها:

- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.
- مسجد بني علان.
- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضرير.
- مسجد الطبري.

وقد ذكرها النعيمي في كتابه " الدارس في تاريخ المدارس " وقد أوردها(٢) ياقوت في ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ قال: عرفت المساجد بدولها التعليمي في هذا العصر، وكان تعرف بعلمائها أصحاب الحلقات، ففي رواية عبد العزيز بن محمد قال: قرأت قنطرة البردان، وهي مخطوطة، فكان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام ومسجده وراء سويقة جعفر، ومسجده معروف به،وكان فيها علان الأزدي (وقد ذكره النعيمي بمسجد بني علان) ومسجده معروف به، وكان فيها أبو بكر هشام بن معاوية الضرير، وكان مسجده عند مسجد الكسائي وقد نزل الطبري دمشق وقرأ عليه كبار الناس في مسجده(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٨٨، معجم المؤلفين ٩ / ١٧٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٩٣، الخطيب البغدادي مرجع سابق ٢ / ٢٧٧، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٧٨.

(٢) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، الطبعة الأولى، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م، ص ٣١٤).

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٥٨، معجم المؤلفين ٩ / ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١، ابن العماد ٢ / ٢٦٠، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ١٩١، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥، الكامل في التاريخ ٨ / ٤٢.

- مسجد الأنباريين:

عرف هذا المسجد بدوره التربوي التعليمي في القرن الرابع ومن العلماء أصحاب الحلقات به:

١- أبي عبد الله إبراهيم بن محمد الملقب بنفطويه ت ٣٢٣ هـ كان فقيها، ومسندا في الحديث. أتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، وجلس إلى أسطوانة (عمود) بجامع المدينة يدرس لتلاميذه فيقول: جلست إلى هذه الأسطوانة منذ خمسين سنة للتدريس وكان أول ما يبتدئ به في مجلسه بمسجد الأنباريين القرآن الكريم، ثم كتب العلوم الأخرى من بعده[(١)].

٢- أبو بكر، محمد بن القاسم المعروف بالأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي كان يجلس ليملي على طلابه في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى، فقد كان الأنباري، يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن[(٢)].

ولم يقتصر الأنباري على التعليم العام لطلاب المسلمين، بل كان يهتم بالتعليم الخاص أيضا فقد كان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله يعلمهم[(٣)].

- جامع البصرة:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، ولم يقتصر التدريس في ذلك المسجد على العلوم الدينية بل كانت العلوم اللغوية لها نصيب من التدريس بذلك المساجد، ومن أصحاب الحلقات بذلك المسجد:

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالمفجع ت ٣٣٥ هـ الذي اتخذ من جامع البصرة مكانا يلتقي فيه مع طلابه، ففي رواية: أبي محمد بن عبدالله بن بشران قال: كان المفجع يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه طلابه، ويقرؤوا عليه الشعر واللغة والمصنفات.

---

(١) معجم الأدباء ١/ ١٦٢، وانباه الرواة ١/ ١٧٦، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٦/ ١٥٩، الكامل في التاريخ ٨ / ١٠٠.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١٠، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٢، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.
(٣) جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٢، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.

وكان العلماء يمتنعون عن الحضور إلى حلقات التعليم إذا لحقهم أذى من طلابهم، فقد امتنع المفجع من الجلوس مدة إلى طلابه، بسبب سب لحقه من بعض من حضره فخوطب في ذلك، فقال: لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت[1].

ومنه نلاحظ أن تطبيق مبدأ الثواب والعقاب كان محققا في ذلك القرن، فكان العلماء يعاقبون الطلاب المخطئين بحرمانهم من إلقاء العلم عليهم، بسبب سوء أخلاقهم وهو ما يحدث الآن في الوقت الحاضر عند إساءة الطلاب لأساتذتهم، فإنهم يعاقبون بمثل ذلك الحرمان.

وفي بغداد كانت حلقة أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي الملقب بالمقرئ، ت ٣٢٤ هـ التي كان يعلم تلاميذه القراءة والكتابة من خلالها، وقد قرأ في حلقته، نحو ثلاثمائة مصدر، وكان له في حلقته أربعة وثمانون خليفة، يأخذون على الناس، وبذلك كان أبو بكر مؤدبا في أهل بغداد[2].

ومنه نلاحظ أن المعلم كان يتخذ لنفسه مساعدون (خلفاء) من بين تلاميذه وكانت مهمتهم مساعدة الطلاب والمتعلمون في توصيل أسئلتهم إلى المعلم، وكذلك ترتيب الجلوس.

- مسجد الجامع بالأندلس:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي في ذلك القرن، ففي ترجمة ياقوت (لأبي الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ قال: كان أبو زكر يعلم في حلقة بالمسجد الجامع ببلدة من بلاد الأندلس[3].

---

(١) بغية الوعاة ص ١٣، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣٠٨.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٧، معجم المؤلفين ٢ / ١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦، الزركلي ١ / ٢٦١.
(٣) نباه الرواة ٢ / ٢٥١، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٨.

- المسجد الجامع بالكوفة:

كان من المساجد التي درس بها العلماء العلوم اللغوية لتلاميذهم في القرن الرابع.ومن أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسين علي بن عبد الله بن واصيف الملقب بالناشئ الحلاء، ت ٣٦٥ هـ الذي اتخذ من هذا المسجد مؤسسة تربوية يعلم بها تلاميذه، ففي رواية الخالع قال: حدثني أبو الحسين الناشئ قال: كنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ هـ أملي شعري في المسجد الجامع بها، والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي وكان للناشئ قصائد كثيرة في أهل البيت يحفظها فأملاها للمتعلمين(١).

- جامع المقياس بمصر:

كان من المساجد التي تعلم من خلالها الطلاب علم النحو، ومن العلماء أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو أسامة، جنادة بن محمد الهروي الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق المساجد التي كانت بمثابة أماكن للتعليم يلتقي بها العلماء مع طلابهم، فقد كان للهروي حلقة بمصر في جامع المقياس، يأخذ عنه أهلها علم النحو، وقد أخذ عنه أبو سهل الهروي(٢).

- الجامع القديم بنيسابور:

كان من المساجد التي تعلم الطلاب من خلالها، فقد أورد ياقوت في ترجمة (أبي نصر، إسماعيل بن حماد، الملقب بالجوهر أو الفارابي ت ٤٠٠ هـ قال: اتخذ أبو نصر من الجامع القديم بنيسابور مكانا للتعليم، يقصده الناس، وكان الجوهري يصعد مكانا عاليا (مرتفعا) للتمييز بين طلابه، فرؤية المعلم أوقع في نفوس المتعلمين(٣).

---

(١) معجد الأدباء ٤ / ١٤٦، معجم المؤلفين ٤ / ١٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجد الأدباء ٢ / ٤٠١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٧، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٤٠.
(٣) معجد الأدباء ٢ / ٢٠٨، الثعلبي، مرجع سابق ٤ / ٢٨٩، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣١٣.

- الجامع المنيعي بنيسابور:

الذي اتخذه العلماء مكانا للتعليم عن طريق حلقاتهم، ومن أصحاب الحلقات به

- أبو إبراهيم، أسعد بن مسعود العتبي ت ٤٠٠ هـ كان يعقد حلقة بالجامع المنيعي يملي فيها على المتعلمين، وكان يحضر عنده المحدثون والأئمة، للأخذ عنه والتعلم(١).

ومن المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في القرن الخامس الهجري:

- المسجد الجامع بواسط:

كان من المساجد التي ساهمت في تعليم الصبيان، فقد اتضح للباحث من استقراء التراجم، التي أوردها ياقوت في كتابه، أن الحلقات التي عقدت بالمساجد في القرن الخامس الهجري، كانت تتسع لحضور الصبيان لا سيما إذا كانت لديهم دافعية للعلم وأظهروا نبوغا، فقد أورد ياقوت على لسان أبي إسحاق، إبراهيم بن سعيد الرفاعي ت ٤٢٢ هـ أنه قدم من بغداد إلى واسط وكان صبيا ذا فاقة (فقيرا)، فدخل إلى الجامع بها إلى حلقة (عبد الغفار الحصيني) فتلقن القرآن، ومع كتب اللغة والدواوين بها، وكان معاشه من أهل الحلقة(٢).

- جامع عمرو بن العاص:

الذي تعلم من خلاله طلاب العلم فقد تعلم به أبي سهل الهروي ت ٤٣٣ هـ الذي سمع به في حلقة أبي عبيد الهروي، وأبي يعقوب البخيرمي، وأبي أسامة جنادة النحوي ومع تقدمه في العلم عن طريق حضوره حلقات العلماء، صنف كتاب شرح فصيح ثعلب سماه أسفار الفصيح، قال الزركلي: رأيته بخطه في خزانة مجلة المنهل بمكة(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٧٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٤٨.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٩٨، تذكرة الحفاظ ٢ / ٨٩، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٦ / ٩٣.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ١٠٩، الوافي بالوفيات ٤ / ١٢٠، وانباه الرواة ٣ / ١٩٥، الزركلي ٦ / ٢٧٥.

- جامع المعرة:

الذي اتخذه المعري لتعليم تلاميذه ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ قال: رحل المعري إلى بغداد وأقام بها سنة وسبعة أشهر وكان يقوم بتعليم تلاميذه في مسجده، ففي رواية السمعاني قال: ذكر التبريزي وهو من تلاميذ المعري قال: كان المعري في مسجده بمعرة النعمان فدخلت عليه وجلست بين يديه أقرأ عليه شيئا من تصانيفه(١).

- الجامع الكبير بأصبهان:

الذي تعلم من خلاله الطلاب علم الحديث ومن هؤلاء الطلاب أحمد بن الفضل الباطرقاني ت ٤٦٠ هـ الذي سمع الحديث بالجامع الكبير من أبي عبد الله إسحاق بن خرشيدة التاجر(٢).

- جامع دمشق من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي، وقد ذكر قتادة قوله: إن الله (تبارك وتعالى) أقسم بمساجد أربعة فقال: والتين (وهو مسجد دمشق بما به من شجر التين)، والزيتون (وهو مسجد بيت المقدس) وطور سنين (وهو حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام)، والبلد الأمين (وهو مكة المشرفة)(٣).

ومن العلماء أصحاب الحلقات في هذين المسجدين في ذلك القرن:

- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت ٤٦٧ هـ الذي انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، واهتم بإسماع الحديث لغيره، فقد دخل بعض أكابر العلماء جامع دمشق، فرأى حلقة عظيمة للخطيب البغدادي، والمجلس غاص بطلاب العلم يسمعون منه الحديث(٤).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٤١٠، سير النبلاء ١١ / ١٥٤، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٢٨، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٤ / ٢٤٠، الكامل في التاريخ ٩ / ٢٢٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٥٧.

(٢) معجم الأدباء ١/٥٤٧، معجم المؤلفين٢/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١١ / ١٨٨، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٣٠٨.

(٣) النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٧١.

(٤) معجم الأدباء ١ / ٤٩٨، معجم المؤلفين ٢ / ٣، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧٢.

وقد اتخذ الخطيب البغدادي حلقة أخرى له في جامع المنصور، يعلم من خلالها تلاميذه الحديث والفقه، غير أن الحنابلة آذوه لاختلاف مذهبه، مما جعله يعدل عن الفقه إلى الحديث، وقد كان جامع المنصور ببغداد يشبه جامعة كبيرة، فكان كل أستاذ نابغ يتمنى أن تكون له فيه حلقة. ويصور ذلك ما يروى عن الخطيب البغدادي، أنه شرب من ماء زمزم وسأل الله تعالى أن يملي على الطلاب بجامع المنصور، وقد تحققت له الأمنية فكانت له حلقة زاخرة بالطلاب في هذا الجامع(١).

وكان الخطيب البغدادي يطلب من طلابه أن يحرصوا على الفهم والتفوق العلمي من خلال الدروس التي تلقى عليهم في حلقته. ففي رواية أبو زكريا يحيى بن علي اللغوي قال: كانت للخطيب البغدادي حلقة كبيرة في جامع المنصور بكرة (صباح) كل يوم، يقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، وإذا مر شيء في كتابه يحتاج لإصلاح يصلحه، ويقول أنت تريد الرواية (السماع) وأنا أريد منك الدراية (الفهم والإحاطة)(٢).

وكان العلماء يغضبون عندما يقاطعهم أحد أثناء الدرس في حلقات العلم، ولو كان ذلك بسبب المال الذي يستخدم في الإنفاق والتمويل، ففي رواية عمر النسوي قال كنت بجامع صور عند الخطيب البغدادي، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كمه دنانير، وقال له فلان يقول هذا تصرف في بعض مهماتك، فغضب الخطيب ونفض الدنانير على الأرض وخرج من المسجد(٣).

ومما سبق نلاحظ أن بعض العلماء كان يعلم غيره من طلاب العلم بدون مقابل أي لا يأخذ أجرة على التعليم، بل يعلم حسبة لوجه الله تعالى، ويبتغي الأمر من الله.

---

(١) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٢، ٣٣، وتذكر الحفاظ ٣ / ٣١٢.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٠٦، الوافي بالوفيات ٦ / ٨٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٨٧.
(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق ٨ / ٢٦٩.

- المسجد المعلق:

من مساجد دمشق قام بدور تربوي تعليمي، في تنشئة الطلاب علميا، ففي ترجمة ياقوت (لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت ٥٠٠ هـ قال: رحل أبو محمد إلى مكة والشام ومصر، وفي رواية الحسن بن المتوكل قال: دخل الشيخ أبو سعد الوعاظ إلى المسجد المعلق وكان فيه الشيخ أبو محمد السراج، فالتقاه الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة وتعانقا، وجلسا يتذاكران في كل علم من العلوم(١).

كما أن طالب العلم الذي يتأخر على حضور حلقات العلماء كانت تناله الندامة ففي رواية أبو الكرم الشهرزوري قال: كنت أقرأ على أبي محمد السراج فانقطعت عنه مدة، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي فوائد كثيرة، فقصدته في مسجده المعلق، حتى أحصل منه علومه(٢).

ومن المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في القرن السادس الهجري:

- المسجد الجامع ببخارى:

كان ذلك المسجد من المساجد التي قامت بدور تعليمي في قرية مزانة ببخارى ومن العلماء الذين درسوا به عن طريق الوعاظ:

أبو الحسن علي بن عراق الصناري ت ٥٣٩ هـ الذي كان يعلم غيره بداخل المسجد الجامع بمزانة، ،عليه تفقه الكثير من طلاب العلم، عن طريق الوعاظ فحفظوا عنه الشعر والعربية والقراءات(٣).

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل:

كان من المساجد التي تعلم بها الكثير من طلاب العلم، عن طريق حلقات العلماء ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٤، بغية الوعاة ص ٢١١. الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٢١.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٢، بغية الوعاة ص ٣٤٣٤
(٣) معجم الأدباء ٤ / ١٨٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣١٢.

أبو الحسن علي بن خليفة المعروف بابن المتقي ت ٥٦٢ هـ الذي كان يجلس في ذلك المسجد، فتأدب عليه أكثر أهل عصره، من أهل الموصل، وقد ذكره النعيمي بعدة مسميات، وذكر موقعه، وكيف تم بناؤه[(١)].

- جامع القصر ببغداد:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، وقد عقدت بداخله حلقات لبعض العلماء، ومن أصحاب الحلقات به: أبي محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجواليقي ت ٥٧٥ هـ الذي قربه المقتفي لأمر الله العباسي، يقرأ عليه شيئا من الكتب وانتفع به، وقد اهتم الجواليقي أيضا بتعليم أهل بغداد عن طريق حلقة له بجامع القصر، كان يقرأ فيها الأدب على أهل بغداد كل جمعة[(٢)].

ومنه نلاحظ أن الجواليقي اهتم بالتعليم الخاص الذي يتمثل في تعليم الأمراء والوزراء، وأبناءهم، والتعليم العام الذي يتمثل في تعليم أهل بغداد بصفة عامة، وكان يخصص لكل منهما وقت.

ومن حلقات العلماء التي ظهرت من خلال المساجد في ذلك القرن حلقة أحمد بن محمد الميداني ت ٥١٦ هـ. ففي ترجمة ياقوت (لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت ٥٦٥ قال البيهقي: حضرت الدرس عن الميداني بحلقته وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه، وكتاب المصادر وكتاب المنتحل، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد وكتاب صحاح اللغة للجوهري. ويقول البيهقي: اختلفت أيضا إلى حلقة الإمام إبراهيم الخزاز المتكلم أقتبس تمنه نوادر علوم الكلام[(٣)].

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١١، بغية الوعاة ص ٣٣٧، النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٤٥.

(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣١٣، معجم المؤلفين ١٣ / ٥٣، ابن خلكان، مرجع سابق ٢ / ١٨٧، تذكرة الحفاظ ٤ / ٧٨، الكامل في التاريخ ١١ / ٤٠، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٢٧.

(٣) معجم الأدباء ٤ / ١١٤، معجم المؤلفين ٧ / ٩٦، وسير النبلاء ٢ / ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٢ / ٧٠، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٠.

وقد استمرت حلقات العلماء بجامع عمرو بن العاص من القرن الخامس الهجري إلى القرن السادس الهجري ومن هذه الحلقات التي أوردها ياقوت في كتابه معجم الأدباء حلقة:

١- أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المعروف بابن بري ت ٥٨٢ هـ الذي اتخذ من جامع عمرو بن العاص مؤسسة تربوية يعلم من خلالها فقد تصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكان طلابه متميزين بين غيرهم ممن استفادوا من غيره، ومع ذلك لم يترك ابن بري التصيف، فله من الكتب كتاب الرد على ابن الخشاب، ذكر الزركلي أنه مطبوع انتصر فيه للحريري، وكتاب غلط الضعفاء من الفقهاء، قال الزركلي أنه مطبوع، وكتاب شرح شواهد الإيضاح في النحو، وله حواش على صحاح الجوهري، ذكر الزركلي أن كلاهما مخطوط[١].

ومن العلماء أصحاب الحلقات بجامع عمرو بن العاص في القرن السادس الهجري:

١- أبو الخير سلامة بن عبد الباقي الملقب بالضرير ت ٥٩٠ هـ بمصر، الذي رحل إلى مصر وسكن بها و تصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو على أهلها[٢].

ومن مساجد مصر التي قامت بدور تربوي تعليمي في ذلك القرن:

- **مسجد الآبي بقرية بهنسا:**

الذي عقدت به حلقات العلماء، ومن هؤلاء العلماء (أبو العباس أحمد بن محمد الآبي ت ٥٩٨ هـ الذي أقام حلقة بمسجده يعلم فيها طلاب العلم، من أجل رزقه[٣] (أي أن التعليم كان مقابل أجرة يحصل عليها من هؤلاء المتعلمين).

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٤٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٢٦٨، بغية الوعاة ص ٢٧٨، خزانة الأدب ٢ / ٥٢٩، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٧٣.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٨٦، نكت الهميان
(٣) أبه قرية من قرى البهنسا بمصر، معجم البلدان ١ / ٥٣، معجم الأدباء ٢ / ٣١

- مسجد ابن الحاج بقنا:

يعتبر هذا المسجد من المساجد التي لعبت دورا حيويا في إحياء العلوم الدينية والعقلية عن طريق حلقات العلماء، التي كانت تعقد بداخله، ففي ترجمة ياقوت الحموي (لابن حيدرة شيث بن إبراهيم الملقب بضياء الدين والمعروف بابن الحاج القناوي ت ٥٩٨ هـ الذي مفيدا للناس في مسجد له بمحلة مفردة له ولأهله، تعرف بحارة ابن الحاج يجلس في مسجده يحدث ويدرس، ولذلك كان الملوك يعظمونه ويجلون قدره، لغزارة علمه(١).

- مسجد بني أمية بدمشق:

قام هذا المسجد بدور تعليمي تربوي، في القرن السادس الهجري، عن طريق حلقات العلماء، التي عقدت بداخله، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بذي رعين ت ٥٩٧ هـ الذي سافر إلى حلب سنة ٥٦٣ هـ وسكن دمشق، وتقدم بها، وتصدر التعليم وازدحم عليه الطلاب في حلقته بمسجد بني أمية، وكان يدرسهم الفقه على مذهب الحنابلة ثم انتقل إلى مذهب الحنفية، فتوغل فيه وأفتى به، وكانت له خزانة (مكتبة) كتب جليلة في جامع بني أمية، يعلم منها(٢).

وقد كانت تعقد لذي رعين حلقات التعليم الخاص بمصر، فقد تتلمذ له من طلاب العلم فرح شاه ابن أخي صلاح الدين، وابنه الملك الأمجد صاحب بعلبك، وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائما كتاب سيبويه متنا وشرحا، وكتاب الإيضاح وكتاب الحماسة(٣)

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤١١، معجم المؤلفين ٤ / ٣١١، انباه الرواة ٢ / ٧٣، الأدفوي، مرجع سابق ص ١٣٧، حسن المحاضرة ١ / ٢٥٨.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٥٥، انباه الرواة ٢ / ١٠، خزانة الأدب ١ / ٥١٦.
(٣) الزركلي، مرجع سابق ٣ / ٥٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١٥٦.

وقد ذكر النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) عدد من حلقات التعليم التي أقيمت بهذا المسجد، وقد زادها عن ياقوت لأن تواريخ الوفاة لعلماء هذه الحلقات متأخرة عن تاريخ وفاة ياقوت الحموي(١).

- جامع البصرة:

من المساجد التي قامت بدور تربوي في تعليم فقد تعلم بداخله من طلاب العلم :

- أبو الحسن علي بن الحسن العبدري المعروف بابن مقلة ت ٥٩٩ هـ بالبصرة، الذي تعلم في حلقات (أبي إسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي، بجامع البصرة، عن طريق السماع منه، ومع نبوغ العبدري خرج لنفسه فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه، ثم جلس بجامع البصرة، فحدث بها، وأقرأ الناس الأدب(٢).

ومنه نلاحظ أن طالب العلم كان إذا تمكن من العلم الذي تعلمه عن شيخه يجلس في مجلس آخر ليحدث الناس بما تعلمه.

ومن المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي في القرن السابع الهجري :

- مسجد الخضر بمصر:

الذي أقيمت به حلقات لبعض العلماء، لتعليم الطلاب، فقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء:

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت ٦٠١ هـ الذي كان يجلس في حجرة من المسجد وبين يديه جامدان مملوءان كتبا يعلم منها(٣) (كل طالب حسب ما يرغب في تعلمه).

---

(١) النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٣٧١ - ٤١١.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٤٧، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، انباه الرواة ٢ / ٢٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ٢٨، معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٩٤.

- مسجد القرافة بمصر:

الذي اتخذه العلماء كمؤسسة تربوية لتعليم الطلاب، وقد زاره الباحث أثناء دراسته بجامعة الأزهر، وقد رأيت الكثير من كتب العلماء المخطوطة به، والتي يرجع بعضها إلى القرن الرابع والخامس الهجريين، وقد ذكر ياقوت من بين أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ الذي اشتغل بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وقد سكن مسجد القرافة، ملازما للشيخ أبا القاسم الشاطبي، وقد قرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان السخاوي مهتما بتعليم أولاد الأمير بن موسك[(١)].

وقد انتقل إلى دمشق وصار له حلقة بجامع دمشق، يتردد إليه طلاب العلم للتأدب عليه، ومع ذلك لم يترك التصنيف، فقد صنف الكثير من الكتب والتي منها كتاب " جمال القراء وكمال الإقراء " ذكر الزركلي أنه مخطوط في التجويد، وكتاب " هدية المرتاب " مطبوع يقع في منظومة شعرية في متشابه كلمات القرآن الكريم مرتبة على حروف المعجم وكتاب " المفضل " شرح فيه كتاب الزمخشري، وهو مخطوط يقع في أربعة أجزاء منه نسخة كتبت سنة ٦٣٢ هـ عليها إجازات بخط المؤلف مؤرخة سنة ٦٣٨ هـ في دار الكتب تصويرا عن أحمد الثالث برقم ٢١٥٨ كما في المخطوطات المصورة (١: ٣٩٧) وكتاب " شرح الشاطبية " وهو أول من شرحها، وكان سبب شهرتها وهو مخطوط، وكتاب " الكوكب الوقاد " قال الزركلي إنه مخطوط في أصول الدين، وكتاب " القصائد السبع " مخطوط، وكتاب منير الدياجي في شرح الأحاجي للزمخشري، يقول الزركلي: رأيته في خزانة محمد سرور الصبان بجدة، وعلى النسخة خط صاحب الترجمة[(٢)].

---

(١) سخا: قرية من قرى مصر، معجم الأدباء ٤ / ٣٢١، معجم المؤلفين ٧ / ٢٠٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ ٣٤٥، خزانة الأدب ٢ / ٥٢٩.

(٢) السبكي، مرجع سابق ٥ / ١٢٦، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٣٢.

ومنه نلاحظ أن العلماء الذين عقدت لهم حلقات التعليم بالمساجد، لم يتركوا التصنيف والتأليف للكتب، وإنما جمعوا بين التعليم لطلاب العلم، وبين تأليف الكتب.

وكان علماء القرن السادس والسابع الهجريين، يترددون بين المساجد لعقد حلقات التعليم، فقد ذكر ياقوت الحموي في ترجمة (أبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت ٥٦٥ هـ أنه كان يتردد بين المساجد لحضور حلقات تعليم الطلاب ونقل العلوم إلى المتعلمين حيث يقول: خرجت إلى نيسابور فأكرمني أكابرها، فكنت أعقد المجلس بجامع نيسابور القديم يوم الجمعة، ويوم الأربعاء تعقد حلقتي في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج وكانت تفد علي وفود المتعلمين في كل حلقة منهم[(١)].

والخلاصة:

التي نخرج بها من خلال عرض ياقوت الحموي لحلقات العلماء والمساجد التي عقدت بداخلها هذه الحلقات، أن المساجد عرفت بالأماكن العامة للتعليم لأنها كانت مفتوحة للجميع على اعتبار أنها أماكن للعبادة، وأن التعليم فيها كان مباحا لمن أراد، وفي أي وقت شاء، دون قيود أو شروط مفروضة، وكان التعليم في المساجد مرتبط بالفكر الإسلامي ولذلك كان التركيز أولا على العلوم الدينية، ثم العلوم اللغوية، المساعدة، وقد عقدت حلقات التدريس في المساجد وجعلها الفقهاء والعلماء لتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وهذا يتفق مع تعاليم الإسلام، الذي يعمل على تنظيم الحياتين (الدنيا والآخرة) وهذا ما يوضحه القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وهنا يبدو أن التعليم الإسلامي مرتبطا بالدين والدنيا معا، وبهذا المعنى نلاحظ أن الحركة العلمية ظلت ناشطة في الدول الإسلامية فكان الصبية والناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد، حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١٦، معجم المؤلفين ٧ / ٩٦، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٤، الوافي بالوفيات ١٢ / ٦٨، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٠.

والمؤرخين، ومن يشدين بعض علوم الأوائل، فكانت المساجد في بغداد تحل محل التعليم الثانوي بل والجامعات في عصرنا الحاضر، وكذا مساجد البصرة والموصل ودمشق ومصر وغيرهم من البلدان الإسلامية، وكان الأستاذ (الشيخ) عادة يجلس إلى أحد أعمدة المسجد مستندا إليه، ومتجها إلى القبلة، وقد يجلس على مقعد عال ويجلس الطلاب من حوله على شكل دائرة، وكان الشيخ يملي على الطلاب محاضراته، وهم يكتبون وإذا تكاثروا اتخذ الشيخ مستمليا يردد كلامه، حتى تسمعه الصفوف الخلفية، وكان الشيخ أو المحاضر يعيد أحيانا ما ألفه على طلابه، مضيفا إليه بعض التصحيحات والزيادات وبها نشرة تلاميذه(١).

وكان بعض الشيوخ لا يملون مؤلفاتهم بل يشرحون بعض كتب مشهورة لطلاب العلم، وقد يعمدون إلى إملاء شروح لهم على بعض المختصرات، وقد تشرح الشروح بما يسمى حاشية، وقد توضع على الحواشي ملاحظات تسمى تقارير(٢).

كما نلاحظ أن ما شاع من أن الحركة العلمية في بغداد خمدت خمودا تاما بعد الغزو التتاري غير صحيح، فقد استعادت بغداد نشاطها العلمي منذ دخول التتار في الإسلام، وذلك عن طريق مساجدها التي من أهمها: جامع الخليفة، وجامع القصر وغيرهما من المساجد.

وربما كانت المساجد في المدن الإسلامية، أهم من المدارس في نشر العلم، فقد كانت أبوابها مفتوحة دائما لكل قاصد، وكان الناس من مختلف المهن والصناعات والحرف يختلفون إلى حلقات الشيوخ فيها ينهلون ما شاء لهم أن ينهلوا مما جعل العلم بحق شعبيا الجميع أفراد الشعب، يصيبون منه ما يوافق أمزجتهم وميولهم، فكثيرا ما كان يحدث أن يشعر صاحب مهنة أو تجارة بقصوره في علم من العلوم. فإذا هو يترك مهنته أو تجارته

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ص ٢٧٦، ٢٧٧.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٢، ٣٣، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٨٧، تذكرة الحفاظ ٣ / ٣١٢.

ويتفرغ للعلم الذي يريده حتى يصبح من أقطابه، وقد تحدث ابن خلكان، وياقوت كثيرا عن ذلك.

وقد اقتصر الباحث على إيراد المساجد التي تحدث عنها ياقوت ألحموي في كتابه (معجم الأدباء)، ولم يستدرك الباحث على المساجد التي كان لها دورا تربويا وقد أغفلها ياقوت مثل الجامع الأزهر في مصر ودوره في نشر العلم، وكذلك مسجد أحمد بن طولون وغيرهما من مساجد المدن الإسلامية ذات الدور الحيوي في التعليم.

ومن المساجد التي تحدث عنها الباحث من خلال هذه الدراسة :

- **مساجد المدينة وتشمل:**
  ١- مسجد المدينة.
  ٢- مسجد السبيع.
- **مساجد الكوفة ومنها: المسجد الجامع بالكوفة.**
- **مساجد بغداد وتشمل:**
  ١- مسجد ابن رعيان.
  ٢- مسجد الكسائي.
  ٣- المسجد الجامع.
  ٤- جامع المعرة.
  ٥- جامع القصر.
  ٦- جامع الخليفة.
- **مساجد دمشق ومنها:**
  ١- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.
  ٢- مسجد بني علان.
  ٣- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضرير.

٤- مسجد الطبري.

٥- جامع بني أمية.

٦- جامع المنصور.

٧- المسجد المعلق.

٨- مسجد بني أمية.

- مساجد البصرة ومنها: جامع البصرة.

- مساجد نيسابور ومنها:

١- الجامع القديم.

٢- الجامع المنيعي.

- مساجد مصر ومنها:

١- جامع المقياس.

٢- جامع عمرو بن العاص.

٣- مسجد الآبي بقرية البهنسا.

٤- مسجد ابن الحاج بقنا.

٥- مسجد الخضر.

٦- مسجد القرافة.

- مسجد الجامع بالأندلس.

- المسجد الجامع بواسط.

الجامع الكبير بأصبهان.

- المسجد الجامع ببخارى.

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل.

ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم إزدحاما وطلابا كانت حلقات الفقهاء والمحدثين، ونلاحظ أن بعض العلماء كانوا يحصلون على أجرة مقابل تعليم الطلاب، وكان البعض من العلماء يأبى أن يأخذ أجرة على التعليم فكانوا يعملون حسبة.

ثانيا: الكتاب (الكتاتيب)

كان التعليم السائد في الكتاتيب تعليما دينيا للصغار، بدور كله حول القرآن الكريم وما يتصل به مضافا إليه قليل من الحساب، وقد ساعد ذلك أن الحركة العلمية ظلت ناشطة خلال القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت، وذلك قبل الغز التتاري، وبعد دخولهم في الإسلام فقد " كان الكتاب للصبية يتعلمون فيها القراءة وشيئا من الحساب وكان الصبي لا يبلغ التاسعة إلا وقد حفظ القرآن،واستظهر حفظه، وكان الصبي يحفظ بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني،والتي حلت محلها منذ أوائل القرن الخامس الهجري مقامات الحريري، وكان يستظهر أيضا بعض قصائد الشعراء المشهورين، وخاصة أبي تمام والبحتري والمتنبي، وكان الناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين والمؤرخين ومن يشدون بعض علوم الأوائل(١)، وإن كان منهج الكتاب يختلف من قطر إلى آخر من الأقطار الإسلامية، ومما لا شك فيه فإن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تلك القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت.

ففي القرن الأول الهجري والقرن الثاني قامت الكتاتيب بدور تربوي في تعليم الأطفال، ومن العلماء الذين عملوا في تلك الكتاتيب:

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ص ٢٧٦.

- أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ت ١٠٥ هـ الذي كان يعلم الصبيان من خلال الكتاتيب. فقد كان أبو القاسم البلخي يعلم (يؤدب) الصبيان فقد كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي. وكان يطوف عليهم وهو على حمار(١).

ومنه نلاحظ أنا لطلاب كانوا يتزاحمون على الكتاتيب للاقتباس من العلماء وترك الجهل والأمية. ومن الطلاب الذين أصبحوا علماء في الكثير من أنواع العلوم عن طريق الكتاتيب:

- أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ الذي تعلم في الكتاتيب عن طريق الحفظ. ففي رواية يحيى بن زكريا النيسابوري عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: كنت وأنا في الكتاتيب، أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها(٢).

وفي القرن الثالث الهجري كان لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ كتاب تعلم فيه ولد العباس بن محمد(٣).

وفي القرن الرابع الهجري لم يكن التعليم في الكتاب قاصرا على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة حيث أورد ياقوت فكتابه " معجم الأدباء " في ترجمة أبي الطيب محمد بن أحمد الملقب بالوشاء ت ٣٢٥ هـ أنه كان من أهل الأدب والعلم ويعلم غيره من العامة ففي رواية ابن النديم قال: كان أبو الطيب نحويا معلما لمكتب العامة وكان يعرف بينهم بابن الأعراب(٤).

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٢٦، معجم المؤلفين ٥ / ٢٧، العبر ١ / ١٢٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٤٥٣، الزركلي ٣ / ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٦٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ١٧٧.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٩١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٦٥، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٦٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ /١٧٧.

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٨٦، معجم المؤلفين ٩ / ١٧٤.

(٤) معجم الأدباء ٥ / ٨٩، معجم المؤلفين ٩ / ٤٤، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١ / ٢٥٣.

ومن علماء القرن السادس الذين تعلموا في الكتاب:

- أبو الحسن علي بن زيد الملقب بالبيهقي ت ٥٦٥ هـ الذي تعلم من خلال تردده على الكتاتيب حيث يقول: أسلمني أبي ببلدة السابزوار إلى الكتاب ثم خرجت معه إلى ناحية ضياع له فحفظت في الصبا الكثير. ثم حضرت في عام ٥١٤ هـ إلى كتاب أبي جعفر المقرئ إمام الجامع القديم، وحفظت فكتابه كتاب تاج المصادر ن تصنيفه (١)

ومنه نلاحظ أن الكتاتيب كان لها دور تربوي بارز في تعليم في الصبيان. وكان العلماء يهتمون بالطرق التربوية السائدة آنذاك. وهي طرق تقليدية، فكان شيخ الكتاب يهتم بتحفيظ الصبيان واستظهارهم لما حفظوه من كتب الشيخ أو غيره من العلماء.

والخلاصة:

من خلال العرض السابق الذي أورده ياقوت فكتابه " معجم الأدباء ". لاحظنا أن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تعليم الصبيان سواء أكان هؤلاء الصبية من عامة أبناء المجتمع، أم أبناء طبقة خاصة من أبناء الأمراء والوزراء، وهو ما نطلق عليه التعليم الخاص، وفي كل كانت الكتاتيب تهتم بالعلوم الدينية من حفظ القرآن الكريم، أو كتب التفسير أو القراءات،وأحيانا كتب الحديث والأدب والشعر، وشيئا من الحساب.

وفي بعض الأحيان كان الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية فقط، بل كان يضم إليهم بعض العامة، وبالرغم من هذا الدور التربوي الذي تقدمه الكتاتيب إلا أن الباحث يرى أن هذا التعليم كان ينتج طبقة محدودة الأفق من جهة الثقافة العامة ولكنها مهذبة ومتحلية بالأخلاق الإسلامية، فترى الذي تعلم في الكتاب يعامل الناس بصدق وأمانة ويحفظ الكلمة التي يرتبط بها.

(١) معجم الأدباء ٤ / ١١٤، الوافي بالوفيات ١٢ / ٦٩، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٨٥.

ثالثا: المدارس

من المؤسسات النظامية التربوية، التي قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم ولم تؤسس المدارس المستقلة الخاصة بالتدريس على النحو الذي نعهده اليوم إلا في زمن متأخر جدا، فقد كانت المساجد تقوم بهذا الدور التربوي في التعليم، ويكاد، مؤرخوا المسلمين يجمعون على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري (والمدارس التي سبقت ذلك التاريخ إنما هي مدارس نشأها بعض العلماء وعرفت بهم) وقد اقتدى السلاطين والأمراء بنظام الملك في تأسيس المدارس المجانية في أنحاء البلدان الإسلامية، فامتلأت بها دمشق وحلب وحمص وبعلبك وغيرها من بلاد الشام،وبلاد الأندلس، ثم مصر والإسكندرية فقد ضمت القاهرة عددا من المدارس التاريخية التي اهتم ولاة مصر وأمراؤها على مرجع سابق التاريخ بإنشائها وإعدادها بالمعلمين وفقهاء الدين والعلم وأوقفوا عليها الهبات والأوقاف ورتبوا لتلاميذها وأساتذتها الرواتب الشهرية والكسوة الشهرية(١).

وقد تحدث ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " عن الكثير من هذه الأماكن التعليمية (المدارس) فذكر من بين أهم هذه المدارس في القرن الخامس الهجري:

- مدرس ابن أب يالطيب (الطيبة):

أنشئت هذه المدرسة داخل دمشق، وقد درس بها الكثير من العلماء، ذكر ياقوت من بينهم (علي بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب ت ٤٥٨ هـ الذي كانت تعرف باسمه،وقد أنشأها سنة ٤١٠ هـ وأثرها باق إلى الآن، وكان له تلاميذ كثيرين يملي عليهم من حفظه، وذكر النعيمي من بين العلماء الذين دروا بها (الخطيب أبو العباس الفزاري) ودرس بها (أبي يحيى زكريا بن يوسف البجلي الشافعي) ودرس بها (تاج

---

(١) حسن الرزاز، عواصم مصر الإسلامية، (مطبوعات دار الشعب، د. ت) ص ص ٢٧٩ - ٢٨١.



الدين أحمد بن القاضي بن الشهيد) ومن طلابها (أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين)[(١)].

- المدرسة البيهقية:

كانت من بين المدارس التي أنشئت في ذلك القرن، ومن العلماء الذين درسوا بها أبي صالح أحمد بن عبد الله الملقب بالمؤذن النيسابوري ت ٤٧٠ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة سنين احتسابا (بدون أجر)[(٢)].

- المدرسة النظامية ببغداد:

أسسها الوزير نظام الملك مدبر الحكم في زمن ألب أرسلان السلجوقي، ويعتبر هذا الوزير هو المصلح الكبير الذي عني بإنشاء هذه المدرسة ببغداد وطائفة أخرى من المدارس في مختلف البلدان الإسلامية، بهدف محاربة الطائفة الإسماعيلية،ونشر المذهب الشافعي في الفقه، ومذهب الأشعري في علم الكلام، وقد بنى هذه المدرسة في العراق على شاطئ دجلة سنة ٤٥٧ هـ ورتب فيها العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية، ووقف عليها أوقافا كثيرة وبنى فيها مساكن للأساتذة، وجعل لهم رواتب ثابتة، كما جعل لطلابها نفقات معيشية وألحق بها مكتبات نفيسة، وكان فيها أساتذة مختلفون يحاضرون في علوم الحديث والتفسير واللغة والرياضيات والأدب، وقد تخرج منها جماعة من فحول العلماء[(٣)].

وقد ذكر ياقوت من علماء هذه المدرسة الذين درسوا بها الكثير من أنواع العلم:

- أبو عبدالله سليمان بن عبد الله الملقب بالحلواني ت ٤٧٥ هـ الذي درس بالنظامية علم الحديث وقرأ عليه تلاميذه النحو واللغة[(٤)]. ومن أساتذة هذه المدرسة:

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٤٦٣، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤، النعيمي، مرجع سابق ١ / ٣٣٧، سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٤٣، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٥٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ١٠٦ معجم الأدباء ١ / ٤٦٣،

(٢) معجم الأدباء ١ / ٤٦٣، سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٤٣، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٥٥، ابن تغري بردي مرجع سابق ٥ / ١٠٦

(٣) مصطفى أمين، مرجع سابق ص ١٧٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣١٣.

(٤) معجد الأدباء ٣ / ٣٩٦، معجم المؤلفين ٤ / ٢٣٩، انباه الرواة ٣ / ٢٦، الوافي بالوفيات ١٣ / ١٠٦، ابن العماد مرجع سابق ٣ / ٣٩٩.

أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ت ٥٠٥ هـ الذي كان شيخا يشار إليه بالبنان، وأكب الطلاب على دروسه، وأخذت شهرته تطبق الآفاق، فعينه نظام الملك أستاذا للفقه الشافعي في النظامية، وقد جمع بين التدريس والتصنيف فله كتاب إحياء علوم الدين مطبوع في أربعة أجزاء ، وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مطبوع، وقد ترجم من الفارسية إلى العربية[١].

ومن هؤلاء الأساتذة نذكرهم على سبيل الحصر دون الإيضاح :

- محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصباغ ت ٤٧٧ هـ، وعبد الرحمن بن محمد النيسابوري المعروف بالمتولي ت ٤٧٨ هـ، وعلي بن زيد الدبوسي ت ٤٨٢ هـ وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ت ٤٩٦ هـ، ويحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ت ٥٠٢ هـ، وعلي بن محمد الطبري ت ٥٠٤ هـ، ومحمد بن أحمد القفال الشاشي ت ٥٠٨ هـ، وعلي بن محمد الأسترابادي ت ٥١٦ هـ، وأحمد بن علي المعروف بابن البرهان ت ٥٢٠ هـ، وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ت ٥٣٠ هـ، وأبو سعيد المروزي ت ٥٢٧هـ[٢]، ويوسف بن أيوب الهمذاني ت ٥٣٥ هـ، وموهوب بن أحمد الجواليقي ت ٥٣٩ هـ، وسعيد بن محمد البغدادي المعروف بالرزاز ت ٥٣٩ هـ، ومحمد بن عبد اللطيف الواعظ ت ٥٥٢ هـ، وعبد القاهر بن عبد الله السهروردي ت ٥٦٣ هـ، والمبارك بن المبارك الكرخي ت ٥٨٥ هـ، وأسعد بن نصر النحوي ت ٥٨٩ هـ، ومحمود بن المبارك الواسطي ت ٥٩٢ هـ، ويحيى بن الربيع العمري الواسطي ت ٦٠٦ هـ، وأبو العباس أحمد بن هبة الله المخزومي ت ٦١١ [٣]هـ كان من فقهاء المدرسة النظامية، وله يد في العربية والنحو، وذو خاطر وقاد[٤].

---

(١) معجم المؤلفين ١١ / ٢٩٦، السبكي، مرجع سابق ٤ / ١٠١، اللباب ٢ / ١٧٠، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٢ جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٩٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١ - ٤٦.
(٣) جولة في ربوع التربية والتعليم، ص ١٢٨، معجم الأدباء ٥ / ٤٢٠.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٤٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٤٤.

ومنه نلاحظ أن ياقوت حرص على ذكر صفات العلماء عامة وأساتذة المدرسة النظامية خاصة، ومن هذه الصفات خلو الذهن من الأفكار والمشاغل التي تعوق دور العقل في القيام بمهامه العلمية،وقد ذاع صيت العلماء في كافة أنحاء الأمة الإسلامية بمثل هذه الصفات، مما جعل الطلاب يقصدونهم منكل فج عميق، ويقطعون إليهم المسافات ويطوون البيد أشهر من أجل الالتحاق بمثل هذه المدرسة للاستفادة من علم علمائها والتخلق بأخلاقهم.

ومن أساتذة هذه المدرسة أيضا:

- أبو بكر المبارك بن المبارك الدهان الملقب بالوجيه ت ٦١٢ هـ الذي تولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية سنين، فقد كان يخصص لكل مادة أستاذ، وكان الوجيه يحسن التركية والفارسية والحبشية والزنجية بما يتشابه مع ترجمان العصر الحديث.
- يحيى بن القاسم التكريتي ت ٦١٦ هـ ومحمد بن يحيى بن فضلان ت ٦٣١ هـ[(١)].

- تلاميذ المدرسة النظامية ببغداد:

لعبت المدرسة النظامية ببغداد دورا حيويا منذ تم إنشاؤها، ومنذ فتحت أبوابها لتلقي طلاب العلم، وقد تخرج فيها الكثير من مشاهير العلماء والأدباء الذين جاء في سيرهم أنهم تعلموا في النظامية، وقد أثروا الفكر العربي بالكثير من أمهات الكتب التي تعد مراجع لكل طالب وباحث يغترف من معينها ويتزود من أفكارها، بما يساعد على إبراز جيل جديد من العلماء والمفكرين، يحذون حذو شيوخهم وعلمائهم في سلسلة متشابكة الدوائر والحلقات.

ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بالمدرسة النظامية ببغداد:

- إبراهيم بن يحيى الغزي الشاعر ت ٥٢٣ هـ، وأبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ الذي دخل بغداد وسمع الدرس بالنظامية، مدة مقامه ببغداد وقد

(١) معجم الأدباء ٥ / ٤١، بغية الوعاة ص ٣٥٨، نكت الهميان ص ٢٣٣، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٤٤.

علق (استوضح وشرح) مسائل الخلاف على الشيخ (أبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح الكرماني) وانتفع بصحبة جده الفضل في النحو واللغة، وقد ذكر ياقوت أن ابن عساكر لم يقتصر في تعلمه على الرجال فقط بل شاركهم النساء في ذلك حيث يقول أنه أخذ عن بضع وثمانين امرأة، ولم يترك ابن عساكر التأليف فقد صنف كتاب تاريخ مدينة دمشق مطبوع في ثمانين جزءا واختصره الشيخ (عبد القادر زيدان) بحذف الأسانيد المكررة وسماه تهذيب تاريخ ابن عساكر، ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة وله كتاب الإشراف على معرفة الأطراف ذكر الزركلي أنه مخطوط في الحديث يقع في ثلاثة مجلدات[(١)].

ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو البركات،كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٦ هـ[(٢)].
- عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني المعروف بابن العماد الكاتب ت ٥٩٧ الذي وفد إلى بغداد حدثا، فتأدب وتفقه بالمدرسة النظامية، على أسعد المهيني وأبي منصور الرزاز وأبي منصور بن خيرون، وأبي القاسم بن الصباغ، وقد رجع إلى أصبهان وبرع في العلوم، فسمع بها وقرأ الخلاف على أبي المعالي الوركاني[(٣)].

- المدرسة العمادية:

التي فوض التدريس بها إلى العماد الأصفهاني، ببغداد، وقال ابن خلكان:

لم ينزل العماد على مكانته إلى أن توفي الملك صلاح الدين، فاختلت أحواله، فلزم بيته وأقبل على التدريس والتصنيف، ومن مؤلفاته كتاب خريدة القصر مطبوع في

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٤١، معجم المؤلفين ٧ / ٦٩، تذكرة الحفاظ ٤ / ١١٨، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٢٧١ الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٣.

(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ٣ / ٣٠٩.

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٢٠، معجم المؤلفين ١١ / ٢٠٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦١.

مجلدات، وكتاب البرق الشامي مخطوط يقع في سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه، وكتاب السيل على الذيل في ثلاثة مجلدات في تاريخ بغداد، جعله ذيلا على ذيل ابن السمعاني، وكتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه كتاب زبدة النصرة ونخبة العصرة مطبوع يعرف بتواريخ آل سلجوق وله كتاب البستان مخطوط في التاريخ(١).

- المدرسة التاجية ببغداد:

وهي المعروفة قديما بمدرسة ابن سنان، والآن تعرف بالسلارية، وقد بناها أبو الغنائم الملقب بتاج الملك سنة ٤٨٠ هـ لكي يضاهي بها المدرسة النظامية ببغداد(٢).

ومن الشيوخ الذين درسوا بها:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بتاج الدين الكندي ت ٦١٣ هـ وكنا شيخا للحنفية والقراء والنحاة ومسند العصر، فقد فاق أهل الأرض إسنادا في القراءات، وقد ازدحم الطلبة عليه بالمدرسة التاجية، وكان حنبليا فصار حنفيا وتقدم في مذهب أبي حنيفة (رضي الله عنه) وبها أفتى ودرس وصنف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر وكان صحيح السماع، ثقة في النقل، ولم يقتصر فتعليمه على العامة فقط، وإنما اهتم بالتعليم الخاص لأبناء الأمراء فقد استملى عليه فروخشاه وابنه الملك الأمجد، ثم تردد إليه بدمشق الملك الأفضل وأخوه الملك المحسن، وقد وقف كتبه على تلميذه ياقوت، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء في الحديث والفقه، غير أن هذه الكتب تفرقت وبيع الكثير منها(٣).

وأخذ بعض الموسرين بهذا المنهج أي يعنون ببناء المدارس فابتنى المستوفي الخوارزمي (وكان متعصبا لأبي حنيفة) المدرسة الكبيرة بباب الطاق ببغداد، وأخذت

---

(١) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٠٦ - ٤٠٩، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٦/ ١٧٨، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٦.
(٢) ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ١٢٥، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣١٣.
(٣) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٨٣ - ٤٨٦.

المدارس تتكاثر في بغداد حتى زارها (محمد بن أحمد بن جبير الكناني ت ٦١٤ هـ) في سنة ٥٨٠ و٥٨١ هـ، فقال: إن ببغداد ثلاثين مدرسة، وما منها مدرسة إلا ويقصر الوصف البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة محبوسة تصير إلى الفقهاء المدرسين بها، وكانت المدرسة النظامية ببغداد أشبه بجامعة كبيرة، ولذلك يتوقف ياقوت وابن خلكان في وفيات الأعيان، وكذا المؤرخون ليقولوا إن هذا الشيخ أو ذاك درس في النظامية سواء في نظامية البصرة، أو نظامية الموصل، أو نظامية بلخ(١).

- المدرسة القاهرية بدمشق:

وهي المشهورة الآن بالخانقاه(٢).

- المدرسة الأتابكية بدمشق:

أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك(٣).

- المدرسة النورية بدمشق:

وقد بناها (نور الدين محمود) كدار للحديث، وهو أول من بنى دارا للحديث وقد توفي سنة ٥٦٩ هـ، وقد تولى مشيختها الحافظ الكبير (أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي ت ٥٧١ هـ) وهو إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لواءهم فقد أجازله عامة مشايخ خراسان الذين لقيهم، فكان محدثا فهما ثقة، حسن المعرفة شديد الورع كريم النفس، ذا أنسة لمن يقرأ عليه(٤).

- المدرسة العزية (البرانية والجوانية) بدمشق:

بناها الأمير عز الدين المعروف بصاحب صرخد، وأول من ذكر بها الدرس (شمس الدين بن فلوس) ثم من بعده (فخر الدين بن الصلاح) ثم درس بعده (شمس الدين

---

(١) ابن العماد، مرجع سابق ٥ / ١٢٥، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٩، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ٤.
(٢) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٥٦٩.
(٣) مرجع السابق، ١ / ١٢٩.
(٤) معجم الأدباء ٤ / ٤١، معجم المؤلفين ٧ / ٦٩. النعيمي، مرجع سابق ١ / ٩٩ - ١٠٢.

يوسف سبط الجوزي) ثم تولاها بعده الشيخ برهان الدين محمد بن علي بن سفيان الترمذي[(١)].

- **المدرسة البدرية بالموصل:**

بانيها الأمير بدر الدين بلال، وذكر بها الدرس (شمس الدين سبط ابن الجوزي ومن بعده علي بن عبد الله بن عتيق الوزير عون الدين الحنبلي، ثم أبو المظفر الحنفي البغدادي الدمشقي وأمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين بن الجوزي الواعظ[(٢)].

وقد ذكر ابن خلكان أن هذه المدارس بنيت بجوار المدرسة النظامية حتى تقوم بتعليم أهل هذه البلدان، وكانت هذه المدارس قد أقيمت بدمشق والموصل. كما بنيت مدارس كثيرة في المدن العراقية الأخرى، ذكر منها ابن خلكان في إربل ثلاثة هي: المظفرية والقلعة، والعقيلية[(٣)].

- **المدرسة المستنصرية ببغداد:**

بناها الخليفة المستنصر ببغداد، وهي من المدارس العالية التي تضاهي اليوم الجامعات وهي أكبر وأحدث من النظامية ببغداد، وكانت وقفا على أصحاب المذاهب الأربعة، بخلاف النظامية التي كانت للشافعية فقط، مما أثر في انحطاطها شيئا فشيئا حتى زال بناؤها، وكانت المستنصرية على أربعة أقسام: قسم للشافعية، وآخر للحنفية وثالث للحنابلة، ورابع للمالكية، ورتب في المستنصرية موظفون بجانب الناظر وكذا فراشين ومزين وطباخ وخزانة للديوان[(٤)].

وكانت تراعي في اختيار المدرس بالمستنصرية شروطا منها: الأخلاق والسمعة الحسنة والعلم الوافر والصحة في المذهب والاعتقاد، وكان لكل مدرس معيد أرقى درجة من

---

(١) المرجع السابق ١ / ٥٥٠ - ٥٥٤.
(٢) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٧٧ - ٤٧٨.
(٣) ابن خلكان، مرجع سابق ٥ / ٣١١، ٧ / ٨٧ - ٣٣٨.
(٤) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، الطبعة الثالثة، الجزء الأول (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٦) ص ٥٧.

عامة الطلبة وكانت مهمته أن يعيد الدروس بعد إلقاء المدرس المحاضر على الطلبة، وكان الطالب المجد الذي يجد فيه الأستاذ كفاءة يعين معيدا، وكثيرا من هؤلاء المعيدين رقوا إلى درجة مدرسين، وكان المدرس على كرسي عند التدريس، وكان بعض المدرسين يجمعون بين التدريس وبعض الوظائف الأخرى، غير أنهم كانوا يتخيرون من بين كبار المدرسين والشيوخ في العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية، ممن حصلوا على إسناد عال أو انتهت إليهم رئاسة العلم، أو عرضوا بالبحث والتحري عن الحقائق العلمية في البلاد التي رحلوا إليها، وبما ألفوا من الكتب القيمة التي ما تزال تعد من المصادر العظيمة للثقافة الإسلامية، والدلالة على الجو العلمي الذي امتازت به المستنصرية أن بعض المدرسين كانوا ينقلون أحيانا من التدريس في المدارس الأخرى إلى الإعادة بها، وأن بعض المعيدين فيها كانوا يعينون مدرسين في غيرها من المدارس (١).

وكان الطلاب الذين يقبلون في المدرسة المستنصرية على نوعين من حيث السن: الطلبة الصغار وهم الذين يقبلون في دار القرآن الملحقة بالمدرسة المستنصرية، والنوع الثاني: هم الطلبة الكبار الذي يقبلون في أقسام الفقه والحديث والطب، وكان الطلاب ينامون في غرف خاصة بالمدرسة، دون إدماج الطلاب الصغار مع طلاب الفقه الرجال لاختلاف أمزجة الصغار عن الكبار، وتباين تفكيرهم، بالإضافة إلى عوامل نفسية وأخلاقية وتربوية تحتم فصل الصبيان عن الطلاب الكبار، وأما مواعيد الدروس فقد كانت مرتبطة بمواعيد الصلاة فهي إما أن تكون قبل أو بعد الصلاة، ومواعد دروس الحديث كانت في كل يوم سبت واثنين وخميس أي أن هذه المواعيد مرتبة ترتيبا تربويا جيدا بحيث يكون للطالب وقت للتحضير، أما طريقة التدريس، فكانت طريقة الإملاء، وبعدها يبدأ المدرس بفتح المناقشة والمناظرة، وفي بعض الأحيان كانوا يشجعون طلابهم على ابحث العلمي. أما دار القرآن فكان التعليم فيها قائما على التلقين والحفظ (٢).

---

(١) ناجي معروف، مرجع سابق ١ / ٦٠ - ٦٣.
(٢) جولة في ربوع التربية والتعليم، ص ص ١٣٢، ١٣٥.

وبهذا النشاط العلمي المدرسي الذي أورده ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " ذكر أن بعض العلماء أنشئوا بعض المدارس وأطلقوا عليها أسماءهم مثل:

- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي بالموصل:

وقد درس بهذه المدرسة من العلماء كما أورد ياقوت (أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطائحي الضرير ت ٥٧٢ هـ وكان يعلم بأجرة، وقد ترك من ذلك مقدار أربعمائة دينار ودار[(١)].

وقد شاركت مصر هذا التطور التعليمي في القرن السادس الهجري من خلال المدارس :

- المدرسة الكاملية بمصر:

وقد أطلق عليها النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) اسم الكمالية البرانية والجوانية، وذكر ياقوت أن هذه المدرسة أنشئت لتخدم مذهب الشافعي في مصر وقد درس بهذه المدرسة (أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بابن بقشلان ت ٥٩٩ هـ بمصر) الذي عمر هذه المدرسة التي تقع بباب العامة لأصحاب الشافعي، وتعرف بالمدرسة الكاملية، وقد وقف عليها الأمراء الكثير من الأوقاف للمتفقهين[(٢)].

- مدارس المالكية بمصر:

أنشئت هذه المدارس بمصر على غرار المدارس التي أنشئت بالعراق لخدمة المذهب المالكي وقد أخذت هذه المدارس أكثر من مسمى فمنها:

- دار الحديث الفاضلية:

أنشأها القاضي الفاضل ت ٥٩٦ هـ

- الزاوية المالكية:

التي وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين. وقد درس بها أبي عمرو جمال الدين بن عثمان، ومن بعده أبو يعقوب جمال الدين بن يوسف الزواوي، ومن بعده برهان الدين بن علوش.

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٨٤، معجم المؤلفين ٧ / ١٥٠.

(٢) معجم الأدباء ٤ / ١١١، ابن عساكر، مرجع سابق ١٢ / ١٤، النعيمي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٧.

- دار الحديث التنكزية:

أنشأها تنكز الملكي الناصر، وسماها دار الذهب أيضا.

- المدرسة السيفية:

أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاة، ودرس بها شهاب الدين داود بن سليمان الكوراني[(١)].

وقد أورد ياقوت من العلماء الذين علموا بالمدرسة المالكية (أبو المنصور علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣ هـ بمصر، الذي درس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه، وصنف الكثير من الكتب فهو من الأدباء المؤرخين بالقاهرة، ومن مؤلفاته كتاب بدائع البدائة الذي أسماه حاجي خليفة ببدائع البداية وله ذيله أيضا وهو مطبوع، وكتاب الدول المنقطعة ذكر الزركلي أنه مخطوط يقع في أربعة أجزاء وهو كتاب مفيد في بابه جدا، وله ذيل المناقب النورية مخطوط، وكتاب شفاء العليل في ذم الصاحب والخليل اختصره جلال الدين السيوطي في ثلاثة كراريس سماه الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ذكر الزركلي أنه مطبوع في رسالة[(٢)].

ومن مدارس القرن السادس الهجري أيضا:

- المدرسة العصرونية بدمشق:

وقد أنشأها العلامة قاضي القضاة فقيه الشام أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي الموصلي ت ٥٨٥ هـ، وذكر ياقوت من العلماء الذين درسوا بهذه المدرسة (أبو جعفر محمد بن أبي محمد الصقلي الملقب بحجة الدين ت ٥٦٥ هـ الذي أقام بدمشق بعد أن رحل من مصر، ودرس بمدرسة ابن أبي عصرون فصاد فيها قبولا فسكن بها يعلم أبنائها وأجري له راتبا من ديوانها[(٣)].

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٨٩، ١ / ٨٩، ٢ / ٤٠٣، ١ / ١٢٣، ١ / ٢٧٥.

(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٣٥، معجم المؤلفين ٧ / ١١٣، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٩٦، حاجي خليفة، مرجع سابق ٢٢٩، ١٠٥١.

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٤٢، معجم المؤلفين ١٠ / ٢٤١، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٧٠.

ومنه نلاحظ أن العلماء رحلوا متنقلين بين البلدان لتحصيل الكثير من العلوم وبحثا عن المال عند إقامتهم أحيانا لتعليم أبناء هذه البلدان.

وقد جمع ابن المظفر بين تعليم الطلاب وتصنيف الكتب فله كتاب ينبوع الحياة في تفسير القرآن ويقع الكتاب في مجلدات، وكتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع صنفه بعض القادة بصقلية سنة ٥٥٤ هـ، ثم ذيله في كراستين، وكتاب القواعد والبيان في النحو وكتاب أوهام الخواص، ذكر الزركلي أنه مطبوع(١).

- المدرسة البيهقية (البيهقي) بخراسان:

أنشأها بعض أمراء خراسان، وذكر ياقوت من علمائها (أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العتبي، ولد سنة ٤٠٤ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة أولاد المنعمين وهو ما يشبه اليوم المدارس الخاصة لتعليم فئة خاصة من طلاب العلم الأمر الذي قربه من الأمراء والقادة(٢).

وقد شاركت نيسابور هذه المدن في إنشاء المدارس، إن لم تكن قد سبقتها، ومن أهم هذه المدارس:

- مدرسة أبي حفص الفقيه:

وكان يدرس بها للطلاب، ابن شاهويه ت ٣٦١ هـ. وفي القرن الخامس الهجري بنيت مدرسة المحدث الكبير أبي بكر محمد بن الحسين بن فورك الأنصاري ت ٤٠٦ هـ وقد حدث بها ابن فورك لطلابه، واهتم بجانب التعليم بالكتابة والتأليف فله كتاب النظامي في أصول الدين ألفه للوزير نظام الملك، وكتاب طبقات المتكلمين، مطبوع، وكتاب أوائل الأدلة في أصول الدين الذي أملاه على طلابه دون شرح(٣).

---

(١) الزركلي، مرجع سابق ٣ / ٢٣٨.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ١٧٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٤٨.
(٣) معجم المؤلفين ٩ / ٢٠٨، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ٨٢، الوافي بالوفيات ٢ / ٣٤٤.

- **مدرسة دار السنة:**

من المدارس التي أنشأت في القرن الخامس بنيسابور(١).

- **المدرسة الصابونية:**

وكانت بمثابة دار القرآن الكريم، وذكر ياقوت أنها نسبة إلى إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري ت ٤٤٩ هـ، وقد درس بها الصابوني لطلابه بعض التفاسير والقراءات(٢).

ثم بنيت أربع مدارس هي المدرسة البيهقية (خلاف مدرسة خراسان)،ومدرسة الاسترابادي ت ٤٤٠ هـ بناها لأصحاب المذهب الشافعي،والمدرسة السعدية التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين، ومدرسة أبي إسحاق الإسفراييني (٣).

المدارس التي أنشأت بالمدن الفارسية بإيران:

حينما أصبحت إيران تابعة للدولة السلجوقية، واتخذوا الري حاضرة لهم أخذوا يعنون بالحركة العلمية، وأهم ما يصور اهتمامهم بالثقافة العربية أنهم أنشأوا المدرسة النظامية وطلبوا من أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين النيسابوري ت ٤٧٨ هـ أن يدرس بها فظل يدرس بها عشرين عاما، وكان يحضر دروسه أربعمائة طالب(٤).

ومن المدن التي شاركت في الحركة العلمية اليمن: فقد نشطت الحركة العلمية منذ القديم بسبب تعدد إماراتها التي كانت في تنافس مستمر فيما بينها علميا وأدبيا مما جعل كل منها تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها، وقد كان كثيرا من الأمراء أنفسهم علماء باليمن، وقد عرف بنو زريع أمراء عدن بإكرام العلماء والشعراء وإسباغ العطايا والجوائز عليهم، وفي عدن تم بناء الكثير من المدارس والتي منها في زبيد المدرسة الشافعية

---

(١) السبكي، مرجع سابق ٤ / ١٥٩.
(٢) معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٥، السبكي، مرجع سابق ٣ / ١١٧، ٤ / ٣١٤.
(٣) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٢٢١.
(٤) معجم المؤلفين ٦ / ١٨٤، الكامل في التاريخ ١٠ / ٤٩.

ومدرسة الحنفية،ومدرسة الحديث النبوي،ورتب في كل مدرسة مدرسا، ومعيدا وطلابا وإماما ومقرئا ومؤذنا، ورصد لكل مدرسة أوقافا تقوم بكفايتها وتسد حاجتها، كما بنيت مدارس بتعز وبظفار، ووقف عليها أوقافا وفيرة في زمن (بدر المظفر، وابنه السلطان الأشرف)، وقد كانا من العلماء في علوم مختلفة، وأحيانا كان العالم الذي يدرس بهذه المدارس يجمع بين دفتي عقله الكثير من العلوم ففي ترجمة (أبي بكر أحمد بن محمد الأرجائي ت ٥٤٤ هـ الذي أرسل به أهله إلى المدرسة النظامية بأصفهان،فظل بها حتى تخرج فيها فقيها شافعيا، وكان يحسن الحكم بين الخصوم والفتيا، وتفجر الشعر على لسانه، فلما تولى التدريس بمدارس تعز وظفار كان يجمع بين الكثير من العلوم في تدريسه لطلابه(١).

والخلاصة:

أن المدارس التي تحدث عنها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " لعبت دورا تربويا في تعليم أهل وطلاب المدن التي بنيت بداخلها، وقد أخذت هذه المدارس نظامين الأول: المدارس الفقهية، وهي التي أنشئت لتخدم مذهبا من المذاهب الفقهية الأربعة والثاني: مدارس الحديث النبوي، ودور القرآن الكريم.

وذكر ياقوت من هذه المدارس في بغداد والتي تحدث عنها الباحث:

١- المدرسة النظامية.

٢- المدرسة العمادية.

٣- المدرسة التاجية.

٤- المدرسة المستنصرية.

ومن المدارس التي بنيت بدمشق:

١- المدرسة القاهرية.

---

(١) معجم البلدان ١ / ١٤٣، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ٥٤، معجم المؤلفين ٢ / ٩٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٧، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٣٧، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٢٨٥.

٢- المدرسة الأتابكية.

٣- المدرسة النورية.

٤- المدرسة العزية.

٥- المدرسة العصرونية.

ومن المدارس التي بنيت بالموصل:

١- المدرسة البدرية.

٢- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي.

وبنيسابور بنيت العديد من المدارس منها:

١- مدرسة أبي حفص الفقهية.

٢- مدرسة دار السنة.

٣- المدرسة الصابونية.

ومن المدارس التي بنيت بمصر:

وقد بدأ بناءها في عهد صلاح الدين الأيوبي، وعلي عهد العاضد الفاطمي نفسه، لما كان وزيرا له، ومنه المدارس:

١- مدرسة الشافعية بجوار الجامع العتيق وقد عرفت بأسماء كثيرة منها: المدرسة الناصرية والمدرسة الشريفية ومدرسة ابن زين التجارية نسبة إلى العالم الشافعي الذي طالت مدة إقامته حتى عرفت باسمه.

٢- مدرسة للمالكية عرفت باسم دار الغزل وباسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي وقفه صلاح الدين عليها بأرض الفيوم، ثم مات العاضد الفاطمي ومضى صلاح الدين في بناء المدارس فبنى:

٣- المدرسة السيوفية وبنيت بدار الوزير الفاطمي عباس العبيدي وبجانب هذه المدارس الثلاث السابقة للشافعية والمالكية والحنفية، بنى صلاح الدين مدرستين أخريين

لفقهاء المذهب الشافعي لأن هذا المذهب عليه أكثر أفراد البيت الأيوبي، بجانب ذلك بنيت بالفسطاط والقاهرة:

٤- المدرسة الكاملية والتي أنشأها الملك الكامل ابن عادل في ٦٢١ هـ وهي ثاني دار عملت للحديث، والأولى بدمشق.

٥- المدرسة الصالحية.

٦- المدرسة الفاضلية.

٧- المدرسة الشافعية.

وبذلك يتضح من العرض السابق، أن معجم الأدباء لياقوت الحموي، يعد مصدرا من مصادر التاريخ لمؤسسة تربوية كالمدارس على مدار عدة قرون، وقد سبق ياقوت غيره ممن تحدثوا عن المدارس من خلال القرون الهجرية التي ظهرت بها هذه المدارس والعلماء الذين علموا بها، والطلاب الذين تعلموا فيها.

رابعا: منازل العلماء (مجالس العلماء):

لقد كانت منازل ومجالس العلماء بمثابة مؤسسات تعليمية غير نظامية حيث كان العلماء يقومون من خلالها بنقل المعرفة إلى المتعلمين وقد ذكر ياقوت الكثير من العلماء الذين اتخذوا من منازلهم ومجالسهم ندوات علمية يتزود الطلاب من خلالها بالكثير من أنواع العلوم المختلفة، غير أن هذه المنازل والمجالس لم يظهر دورها التعليمي بشكل واضح في القرن الأول الهجري، وذلك بسبب قيام المساجد بهذا الدور التربوي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من المنازل والمجالس مؤسسات تعليمية يعلم من خلالها أصحابه، ومن أهم هذه المنازل دار الأرقم الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بداخله.

وذكر ياقوت من بين هذه المجالس في القرن الثاني الهجري:

- مجلس إبراهيم الفزاري ت ١٨٨ هـ ففي رواية أبو مسهر قال: قدم علينا إبراهيم الفزاري الكوفة، فاجتمع الناس يسمعون منه فقال لي: اخرج إلى الناس، فقل لهم، من كان يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يشترطون فيمن يحضر مجالسهم شروط لا بد وأن تتوافر بهم حتى يمكنهم الاستفادة من مجالس العلماء.

- مجلس عيسى بن موسى ت ١٦٧ هـ فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله القاسم بن معن الملقب بالمسعودي ت ١٨٨ هـ قال: روى حماد بن إسحاق الموصلي ت ٢٦٧ هـ قال سمعت القاسم بن معن يقول: دخلت على عيسى بن موسى حتى جلست واحتبيت (قرفصت) في مجلسه أتعلم منه قال لي: بعثت إليك لأوليك القضاء، قلت لأفعل، قال لي: إن أبيت ضربتك سبعين سوطا(٢).

ومنه نلاحظ أن العقاب بالضرب يكون ممن تصدر المجلس من العلماء والشيوخ إذا خالفهم المتعلم.

- مجلس الكسائي في منزل الرشيد:

ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت١٩٤ هـ أنه كان في صباه جنديا على باب الرشيد، وكان محبا لعلم العربية، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي إلا في غير نوبته، فكان إذا لم يحضر يسأل من حضر لعله يحصل منه ما ألقي في مجلس الكسائي من علم، حتى صار شيخا للنحاة في عصره، فعهد إلهي

---

(١) معجم الأدباء ١ / ١٣٤، معجم المؤلفين ١ / ٩٠، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩٢، تهذيب التهذيب ١ / ١٥١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٥، ابن خلكان، مرجع سابق ٤ / ٣٠٦، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧١، ٥ / ١٠٩، معجم المؤلفين ٨ / ١٢٦، بغية الوعاة، ص ٣٨١.

الرشيد بتأديب أبنائه، فقد كان قوي الذاكرة يحفظ ٤٠ ألف بيت من شواهد النحو وبجانب ذلك لم يترك التأليف فله كتاب تفنن البلغاء مطبوع، وكتاب التصريف[١].

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يحرصون على حضور مجالس العلماء، محاولين التوفيق بين علمهم وبين أوقات مجالس العلم، وعند عدم استطاعتهم الحضور، كانوا يسألون من حضر من زملائهم حتى يتزودوا من العلوم التي ألقاها العلماء بداخل هذه المجالس ولذلك ساهمت هذه المجالس في تخرج علماء ذاع في الآفاق صيتهم، وعلا بين الناس ذكرهم، فبادرهم الأمراء بتأديب أبنائهم.

وفي القرن الثالث الهجري كان حرص المتعلمين على التحصيل من العلماء أكثر فقد تحدث ياقوت عن ذلك في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ فقال: لقد اكتسب المتعلمون من معين علمه الكثير، ففي رواية عبد الواحد بن سعيد قال جاء الشافعي يعود والدي، فوثب أبي إليه فقبل بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه، فجعل يسائله ساعة، وهو يجيب[٢].

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يحرصون على اغتنام أوقاتهم، ولا يضيعون الوقت المتاح للتعليم، ولو كان ذلك الوقت بمثابة عيادة المرضى.

وبذلك اتخذ العلماء من منازلهم ومجالسهم وسائط تربوية يعلمون من خلالها طلابهم ومريديهم، فقد اتخذ أبو الحسن علي بن محمد المدائني ت ٢٢٥ هـ من ساحة منزله مؤسسة تربوية يلتقي فيها مع طلابه وأقرانه من العلماء، ففي رواية أحمد بن زهير بن حرب النسائي ت ٢٧٩ هـ قال: مرجع سابق عشية من العشيان على منزل المدائني رجل على حمار فاره (البين الفراهة أي الحسن) وبزة (الهيئة والثياب) حسنة، فنزل وسلم

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٣، الأنباري، مرجع سابق ص ١٢٥، انباه الرواة ٢ / ٣١٣، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٢، معجم المؤلفين ٩ / ٣٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ١، ٥ / ٢، تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠ سير اعلام النبلاء ٧ / ١٦٤.

وخص بمسائله يحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ من أئمة الحديث وقد نعته الذهبي بسيد الحفاظ[١].

ومنه نلاحظ أن المنازل التي كان ينزلها العلماء كانت تضم الكثير من العلماء في تخصصات مختلفة، فهذا الطالب لم يسأل المدائني بصفته راوية ومؤرخ له نيف ومائتا كتاب في المغازي و السيرة النبوية وأخبار النساء والجاهليين والشعراء والبلدان وإنما خص بسؤاله يحيى بن معين كونه في حاجة إلى معرفة المزيد من علم الحديث وروايته، ومعرفة رجاله.

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت ٢٣٠ هـ أنه اتخذ من مجلسه مؤسسة تربوية يلتقي بها طلاب العلم مع العلماء.ففي رواية ثعلب قال الأصمعي: شاهدت ابن الأعرابي وقد حضر مجلسه زهاء مائة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه، وهو يجيب من غير كتاب،وفي رواية محمد بن حبيب قال: سألت ابن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح فأجابني عنها[٢].

ومنه نلاحظ أن قدرة المعلم العلمية وتمكنه من العلوم يساعده على السيطرة على مجلس العلم، بل يمكنه من الإجابة على أسئلة طلابه وحاضري مجلسه، بثقة ودون تلجلج بل إن العلماء كانوا يقيمون الطلاب أثناء مجلس التعليم.

فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم الأصفهاني ت٢٣٠هـ أنه كان يقوم طلابه من خلال مجلسه، ففي رواية ثعلب قال: كنت عند الأثرم وهو يملي شعر الراعي على طلابه، فلما استتم المجلس، وضع الكتاب من يده،وبدأ الأسئلة في مقدمة المجلس، ولم يترك الأصفهاني التأليف بل كتب كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث[٣].

---

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ٥٤، الزركلي، مرجع سابق ٨ / ١٧٢، ٤ / ٣٢٣.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ٣٣٧، معجم المؤلفين ١٠ / ١١، الوافي بالوفيات ٣ / ٨٠، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ١٣١ ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٧٠.

(٣) معجم الأدباء١ / ٢٣٢، انباه الرواة ٢ / ٣١٩، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٢٣، حاجي خليفة، مرجع سابق ١٢٠٤.

ومنه نلاحظ أن الأثرم يعطي طريقة تربوية لمعلمي الطلاب، ومن متابعة الأستاذ لطلابه عن طريق مراجعته لما سبق أن قام به في أول المجلس أو المحاضرة، حتى يتعرف على مدى تمكن الطلاب من تحصيل دروسهم.

وكانت العلوم المتعلمة في مجالس العلماء متعددة وكثيرة، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الموصلي ت ٢٣٦ هـ قال: كان ابن النديم يحضر مجالس العلماء ليحاضر بها ولم يترك مجالا من حضر من العلماء لتفوقه في شتى فنون العلم، ففي رواية ابن عطية العطوي قال: كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم، فوافى الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له أعز الله القاضي أفي شيء مما ناظرت فيه نقص أو مطعن ؟ قال القاضي: لا.

ومن خلال مجالس العلماء كانت تقيم أخلاق الطلاب والمتعلمين من قبل المتعلم وقد يرفع أمر الطالب إلى ولي أمره ؛ فقد شكا ابن النديم الموصلي إلى الرشيد ابنه إبراهيم فوثب أبراهيم بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين شتمي،وذكر أمي واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول ويلك ؟ قلت: لا أعلم سل من حضر، فأخبره مسرور وحسين الخادم عن القصة، فذكر أن ماله ذنب شتمه فعرفك، أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أقبل الرشيد وقال يا أبا إسحاق ويحك: أتراني لا أعرف ما حدث منك ؟ قد والله: زانيته (نسبة إلى الزنا) يا جاهل لو ضربك لم أقتص منه، ولو قتلك لم أقتص منه فقال له ابن النديم : قد والله قتلني يا أمير المؤمنين[1].

ومنه نلاحظ أن التربية الأخلاقية بينا لمعلم والمتعلم كانت بمثابة درسا عمليا في التربية يطلب فيه من المتعلم ألا يتحدث بألفاظ ساقطة (سيئة) بين طلابه حتى لا

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٣١، معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧، انباه الرواة ١ / ٢١٥، الأصفهاني، مرجع سابق ٥ /٢٦٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٨١، الخطيب البغدادي ٦ / ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣١، ٣٢، الأصفهاني، مرجع سابق ٥ / ٤٣٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ٢٨٠.

يعرضه ذلك لعدم طاعته، بل وقوعه في المساءلة من خلال هذه الأخطاء، ثم يطلب منه عند اعتداء الطلاب بعدم إطاعة أمره أن يرفع أمره إلى من هو أعلى منه قائدا أم مديرا حتى يعطيه حقه، بل نجد قمة الديمقراطية الأخلاقية، فلم ينصر الرشيد الأستاذ (المعلم) على طلابه لأنه كان مخطئا.

ومن خلال مجالس العلماء ومنازلهم كان يتم تقييم شعر الشعراء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد المعروف بابن العبر ت ٢٥٠ هـ أنه كان حافظا للأخبار، ويقول جحظة: لم أ أحفظ منه ولا أجود شعرا، وفي رواية أبو أحمد الهمذاني قال حدثني الشعيري قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء من أهل بغداد في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعد شعراء زماننا، فمر بنا أبو العبر فقلنا، هو أشعر منا وأعلم بالشعر(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يقصون أعمال غيرهم في مجالسهم ومنازلهم وهم غير حضور. وفي ترجمة أبي جعفر محمد بن عبد الله بن قادم ت ٢٥١ هـ الذي كان مؤدبا لأهل بغداد وكان يعلم المعتز، حكي عن أحمد بن إسحاق أنه دخل هو وأخوه بغداد فوقعا على رجل يلتهب ذكاء، ويجيب عن كل سؤال في الأدب والقرآن، فقلنا من هذا ؟ قالوا: ثعلب فبينما نحن كذلك إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا، فأخرجوا له حتى جلس إلى جانبه، فسأل رجل ثعلب بمسألة، فقال رأ الكسائي كذا، ورأ الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا فقال له الشيخ: لا أراني أعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني فيك هذه المنزلة فقلنا من هذا الشيخ ؟ فقيل: أستاذه ابن قادم(٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يمتحنون قدرات تلاميذهم الذين درسوا لهم، للتأكد مما وصلوا إليه في إجادة فروع العلم،من أجل الاعتماد عليهم في تصدر مجالس التعليم من بعدهم.

---

(١) معجم الأدباء ٥ /٨٣، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٢ / ١٧٤، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣٠٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٣٤٨، الوافي بالوفيات ٣ / ٢٩٥، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٢٢٢.

وفي مجالس العلماء كان العامة يحضرون للتعلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة الكاتب ت ٢٧٧ هـ أنه كان يجيب عن أسئلة العامة ففي رواية الحسن بن علي بن الأخضر قال: كنا في مجلس ثعلب إذا جاءه أبو هفان البصري فقال: أريد ابن ثوابة، فقيل له إنه بداخل المنزل يتناول أوراق العامة الحضور ويجيب عن أسئلتهم(١).

وكان أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت ٢٨٢ هـ يعلم أهل نيسابور من خلال مجلسه الذي كان يعقده في منزله، فقد قدم نيسابور وابتاع بها دارا مشهورة بباب عزرة، فبقي يعلم الناس، ويفتي بها(٢).

وقد اتخذ أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت ٢٨٥ هـ من منزله منتدى للأدب يعلم من خلاله طلاب العلم العامة مع الخاصة(٣).

وفي ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ت ٢٨٥ هـ أنه كان حافظا للحديث عارفا بالفقه قيما بالأدب، ففي رواية أبو عمرو الزاهد وابن المنادي قالا: ما فقدنا إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو مدة خمسين سنة، وكان يحضر مجلسه جماعة من الشبان للقراءة عليه(٤).

وكان طلاب العلم يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها لما بها من العلماء ففي ترجمة أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري ت ٢٨٩ هـ بمصر، أنه كان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره فيتخطى أصحابه ليقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب على ذلك، فلا يلتفت إليه، وذلك لأن المبرد قرأ كتاب سيبويه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه(٥).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٥٧٣، معجم المؤلفين ٢ / ٨٨.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٣٤٨، معجم المؤلفين ١ / ٢١٤، لسان الميزان ١ / ١٦٦.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٩٥، معجم المؤلفين ٩ / ١٩١، الوافي بالوفيات ٢ / ٤٤، ابن النديم، مرجع سابق ١ / ٧٩.
(٤) معجم الأدباء ١ / ٧٤ - ٨٠، الزركلي، ١ / ٣٢.
(٥) معجم الأدباء ١ / ٣١٣، انباه الرواة ١ / ٣٣.

ومنه نلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن كانوا يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها، حتى أن الدينوري كان يراجع قراءة ما يتعلمه من منزل ثعلب على المبرد، بعد أن يخرج من منزله وأما أصحاب ثعلب، كون المبرد أعلم بالنحو من ثعلب في نظر الدينوري خاصة كتاب سيبويه لأنه قرأه وراجعه على العلماء، وهذا يدل دلالة أخرى على أن العلم الذي يقوم من قبل العلماء والأساتذة يفضل على غيره من الذين لم يقوم العلماء أعمالهم.

وقد أفاد ثعلب من ذلك الدرس العملي فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب الشيباني ت ٢٩١ هـ قال: كان ثعلب يهتم بحضور مجالس العلماء حتى يفيد من العلماء فيقول له محمد بن عيسى بحضرة محمد بن عبد الملك: نحن نقدمك لتقدمة الأمير فقال له: يا شيخنا إني لم أتعلم العلم لقدمني الأمراء،وإنما تعلمته لتقدمني العلماء[1].

ومنه نلاحظ أن أبا العباس ثعلب كان يتعلم العلم من أجل العلم، ولم يتعلمه من أجل الجاه والمنصب والمال، بل أن هناك شروط لحضور مجالس العلماء، فكان مجلس العلم لا يفتح إلا إذا اكتمل عدد الحضور، فيقول العجوزي في روايته: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن، وابن عبيد الله بن سليمان، فقال لي القاسم: سله عن شيء من الشعر، فقال له المبرد: تمكث وتمهل، فصرنا إلى أبي العباس فلما غص (امتلأ) المجلس سألته عن بيت من الشعر فأجاب[2].

وكان العلماء في مجالسهم يرتبون العلوم الدراسية التي يتعلمها الطلاب. فقد كان أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان ت ٢٩٩ هـ مهتما بتعليم غيره من خلال مجلسه الذي يعقده في منزله، وكان يرتب العلوم المتعلمة ففي رواية أبي حيان التوحيدي قال: ما رأيت مجلسا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلم والعلوم من مجلس ابن كيسان

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٦١، تذكر الحفاظ ٢ / ٢١٤، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨١، انباه الرواة ١ / ١٣٨.
(٢) الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٦٧.

فإنه يبدأ بأخذ القرآن والقراءات. ثم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرفي النهار، وكان إقباله على أصحاب المرقعة المزقة والطمر البالي (الثوب الخلق، والكساء، من غير الصوف) كإقباله على الديباج والوشي[(١)].

ومنه نلاحظ أن ابن كيسان كان لا يعلم تعليما خاصا بل كان يجمع بين تعليم العامة والخاصة، بل كان اهتمامه أكثر بتعليم العامة من خلال مجالسه التي كان يعقدها

منازل العلماء في القرن الرابع الهجري كمؤسسة من المؤسسات التعليمية:

لقد تعلم الكثير من طلبة العلم، والذين أصبحوا علماء فدرس مؤلفاتهم من خلال منازل العلماء في ذلك القرن ومن هؤلاء:

أبو عبدالله الحسن بن علي المعروف بابن مقلة ت ٣٠٩ هـ الذي كان يتعلم من خلال منازل العلماء ليتزود منها بالعلم، فكان ينزل في دار قوراء (واسعة) حسنة، وقد أعد بها فرش تشاكلها، ومجلس يملي من خلاله العلماء على طلابهم وعنه. قال ياقوت: خرج لنفسه من فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه وحدث بها، وكان القفطي ينعته بابن العلماء[(٢)].

وكان أبو جعفر الطبري ت ٣١٠ هـ يعلم عن طريق منزله فقد كان الأصفهاني يختلف إليه يقرأ عليه كتبه فيجلسا في منزل الطبري على حصير لصفة (اسم لبيت صيفي) له صغيرة[(٣)].

وقد تعلم الطبري نفسه عن طريق مجالس العلماء فيقول: كنا نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد، فنحلق مجلسه نتعلم منه، وفي رواية أبي بكر بن كامل قال: كان الطبري يحضر معنا مجلس ابن مجاهد، وكان المجلس حافلا بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة، فكان الطبري يقرأ في بعض الأوقات على الكسائي

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٩٤، معجم المؤلفين ٨ / ٣١١، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٣٢، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١ / ٣٢٥.

(٢) معجم الأدباء ٣ / ١٥، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.

(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٧٠، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٦، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

ويقول الطبري: خرج إلينا ابن مجاهد ت ٣٢٤ هـ ونحن نقرأ كتاب قراءة أبي عمرو فوجدنا نتناظر في (بسم الله الرحمن الرحيم) مع بعض إخواننا من الشافعيين، هل هي من فاتحة الكتاب أم لا، فجلس يسمعنا[١].

ومنه نلاحظ أن الطبري قد تعلم في بدأ حياته التعليمية من خلال مجالس العلماء والتي كانت تعقد بداخلها مجالس للمناظرات في فروع العلوم التي يحصلها كل من هؤلاء الطلاب، ولذلك فإن بعض تلاميذ الطبري درسوا عليه من خلال مجالسه التي كان يعقدها في منزله، ليتزود من خلالها طلاب العلم بالعديد من العلوم الدراسية.

وقد تعلم أبو محمد سلمة بن عاصم ت ٣١٠ هـ عن طريق مجالس العلماء، فقد كان يحضر مجالس الفراء، وإذا لم يحضر مجالس الإملاء كان يأخذها ممن حضرها ويتدبرها فيجد فيها السهو فيناظر الفراء عليها فيرجع عنها[٢].

ومنه نلاحظ أن الطالب أو المتعلم كان ينبه أستاذه حينما يكون على ثقة من علمه، وقد كان العلماء يقلعون عما قالوه إذا أيقنوا أن الصواب قد جانبهم، فيما ألقوه على أسماع المتعلمين، وكانت منازل العلماء ومجالسهم بمثابة لجنة لتقييم أعمال ومؤلفات العلماء ونقدها، ففي ترجمة ياقوت لأبي بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت٣٢١هـ قال: كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وفي رواية أبي منصور الأزهري قال: كان أبو بكر بن دريد ممن ألف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ وبإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها، وقد حضرت في داره غير مرة، فروى عن أبي حاتم الرياشي، والأصمعي وتصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أرد فيه على معرفة ثاقبة، ولا قريحة جيدة[٣].

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٤٨، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢١٠، اللباب ٢ / ٨١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٣٩١، معجم المؤلفين ٤ / ٢٤٠، انباه الرواة ٢ / ٥٦، الزركلي، مرجع سابق ٣ / ١١٣.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٢٩٨، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٩٧، الزركلي، ٦ / ٨٠، لسان الميزان ٥ / ١٣٢، جورجي زيدان، مرجع سابق ٢ / ١٨٨.

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء اتخذت كمؤسسات لتقييم أعمال العلماء ونقدها بما يشبه الآن تقييم الرسائل العلمية أو تقييم البحوث التربوية، غير أن هذا النقد كان الهدف منه الإصلاح وتنقيح الأعمال من حيث ألفاظها ومعانيها.

وكان ابن دريد يعلم الصبيان من خلال مجالسه، وان لا يزجرهم عند الخطأ، ففي رواية أبو هلال قال: أخبرنا أبو أحمد قال: كنا في مجلس ابن دريد، وكان يتضجر ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام فجعل يقرأ، ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه، وأهل المجلس يتعجبون منه، وفي رواية الرصافي قال: حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معاني أبيات من الشعر فأجابهم عن سؤالهم(١).

ومنه نلاحظ أن مجالس العلماء كانت تجمع بين تعلم الصبيان وتعلم العامة وكان العلماء يتجاوزون عن أخطاء الصبيان أثناء تعلمهم بمجالس العلماء.

وفي ترجمة أبي القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت ٣٢٣ هـ أنه اتخذ من منزله مؤسسة تربوية لتلقي الطلاب عن العلماء، ففي رواية أبي علي بن أبي الزمزام قال: كانت للفقيه الشافعي دار علم قد جعل فيها خزانة كتب في جميع العلوم وقفا على كل طالب لا يمنع أحد من دخولها، فإذا جاء غريب يطلب الأدب والتزود من العلم ولا يملك أدوات الكتابة أعطي أدوات الكتابة فيقول: فإن كان طالب العلم معسرا أعطي ورقا وورقا (أي الفضة) وكانت تفتح داره كل يوم(٢).

وقد كانت مجالس العلماء ومنازلهم تقدم الكثير من الطرق التربوية، ففي ترجمة ياقوت لأبي عبدالله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه ت ٣٢٣ هـ قال: أخذ نفطويه عن ثعلب والمبرد، وكان يدرس كتاب سيبويه، وقد جلس للإقراء أكثر من خمسين سنة، وكان يبتدئ مجلسه بالقرآن على رواية عاصم، ثم يقرأ تلاميذه ويسمع هو منهم(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٠٣، ابن كثير، مرجع سابق ١١ / ١٧٧، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٤٥، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٩١.

(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٩١، الوافي بالوفيات ١ / ٥٠٧.

(٣) معجم الأدباء ١ / ١٦٠، انباه الرواة ١ / ١٧٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٨، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٩٩، معجم المؤلفين ١ / ١٠٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٦١.

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يقدمون بمجالسهم الكثير من الطرق التربوية، فكان المعلم يشرح ويوضح، ثم يطلب من تلاميذه القراءة للتأكد من تمكنهم من دروسهم، وأن يتعود التلاميذ على القراءة الصحيحة، ويصحح لهم ما يخطئون فيه.

وكانت مجالس العلماء تخضع لمذاهب العلماء، فقد كان أبو الحسن أحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم ت ٣٢٧ هـ من أصحاب الطبري وتفقه على مذهبه، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة، فهو متكلم معتزلي المذهب أي يعتقد ويرى رأي المعتزلة، ولذلك كان طلابه من المتكلمين[١].

وكان العلماء يعتمدون على طريقة الحفظ في تعليم الطلاب من خلال مجالسهم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بأبي بكر الأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق الحفظ، ففي رواية حمزة بن محمد الدقاق قال: كان أبو بكر بن الأنباري، يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه[٢].

ومنه نلاحظ أن العلماء لم يعتمدوا على الخطابة والإلقاء في التعليم لطلابهم ولكنهم استخدموا طريقة الإملاء كواحدة من الطرق التربوية، معتمدين في ذلك الحفظ.

وقد جماع الأنباري بين التعليم في مجالسه وبين تصنيف الكتب فله كتاب المجالسات مطبوع، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان[٣].

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٧٨، تاريخ الحكماء، ص ٧٨، لسان الميزان ١ / ٣٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٣ / ٥٧، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٣ / ١٨١.
(٣) الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٣٤.

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في ذلك القرن:

- أبو الحسن علي بن الحسين الملقب بالمسعودي ت ٣٤٦ هـ بمصر، كان مؤرخ رحالة، قال عنه كريمر: إن المسعودي هو" هيرودوت العرب " فقد كتب من الكتب ما يقرأ المسلمون والأوربيون،وذلك استحق هذا اللقب. ومع ذلك تعلم عن طريق مجالس العلماء فقد حضر مجلس أبي العباس ببغداد سنة ٣٠٦ هـوقد حضره جماعة من حذاق الشافعية والمالكية وصنف في ذلك كتاب مروج الذهب مطبوع، وكتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في التاريخ يقع في نحو ثلاثين مجلدا ذكر الزركلي أن الجزء الأول منه مخطوط[١].

ومن خلال مجالس التعليم كان يحدد لكل أهل علم وقت معين يختلف عن أهل علم آخر، ففي ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد المعمري ت ٣٥٠ هـ أنه كان من المشتغلين بالفلسفة وفي رواية القاضي قال: كان رسم المعمري (عادته) أن يجلس لأهل العلم في يوم الأربعاء، فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال: للجماعة ليس لكم عندي اليوم فائدة، ولا مني حظ، وفي رواية أبي تمام الحسن بن محمد الزيني قال: كنت أغشى مجلس أبي العباس المعمري دائما وآخذ عنه وكنت أبادر إليه، ويتبعني جماعة من أصحابي في اليوم الذي يحدده لنا[٢].

- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ كان من العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم ففي رواية الحميدي قال: كان للأصفهاني صاحب كتاب الأغاني مجلس في منزله يتذاكرون طلابه مع أمور الدنيا والآخرة، حتى ذكر لهم موت الفجاءة[٣].

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٤٨ - ٥٠، ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق ٢ / ٤٥، الزركلي ٤ / ٢٧٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٢٠، معجم المؤلفين ٩ / ٢٢، الوافي بالوفيات ٢ / ٧٥، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ٦٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٣٤، معجم المؤلفين ٧ / ٧٨، الثعالبي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٨، إنباه الرواة ٢ / ٢٥١، الأصفهاني، مرجع سابق ١ / ٣.

ومن هؤلاء العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم :

- أبو الحسن علي بن عبد الله الملقب بالناشئ الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان من خلال مجالسه، ففي رواية ابن عبد الرحيم قال: اجتزت مجلس الناشئ مع والدي وأنا صبي يوما، وهو جالس في السراجين، فقال: قد علمت قصيدة، وقد طلبها بعض الأمراء وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فكتبتها له، وحفظت منها الكثير(١).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في القرن الرابع الهجري :

- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالصاجي ت ٣٦٩ هـ الذي يعطي درسا في التربية ففي رواية يحيي بن مندة الأصبهاني قال: سمعت أحمد بن زكريا يقول: دخلت بغداد طالبا للحديث فحضرت مجلس أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شابا عليه سمة الجمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان(٢).

ومنه نلاحظ أن الطالب الذي يحضر إلى مكان التعليم لابد وأن يحضر معه أدواته التي يستخدمها في التعليم، وهذا الدرس التربوي يوضح لنا ياقوت الحموي من خلال روايته التي ساقها لنا في كتابه " معجم الأدباء ".

وقد كانت منازل العلماء تعد لإقامة طلاب العلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني الملقب بالراوية الكاتب ت ٣٧٨ هـ أنه كان يعلم الطلاب من خلال منزله بل يقيمون بداخله ففي رواية أبي القاسم الأزهري قال: سمعت المرزباني يقول: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج، كانت معدة لطلاب العلم الذين يبيتون عندي، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الأزمنة، ذكر الزركلي

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٤٩، معجم المؤلفين ٧ / ١٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٣٩، انباه الرواة ١ / ٩٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٩٣، أحمد بن فارس، الصاجي، الطبعة الأولى (القاهرة، ١٣٢٨ هـ) ص: (ياء).

أنه مطبوع في الفصول الأربعة الوافي بالوفيات الفيوم والبرق وأيام العرب والعجم، وهو يقع في نحو ألفي ورقة، وكتاب المؤنق في تاريخ الشعراء يقع في نحو ثلاثة آلاف ورقة(١).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق مجالس العلماء في القرن الرابع الهجري:

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي رحل إلى بغداد في حداثته فتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان مهتما بحضور مجالس العلماء للتعليم على أيدي العلماء، ففي رواية غرس النعمة قال: حضرت مع التنوخي مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك ببغداد، وكنت أكتب له ما يملي علي، بل كان الطلاب يكرمون العلماء ويقدرون علمهم مما أوجب احترام المتعلم للمعلم فيقول التنوخي: كنت إذا دخل العلماء وأنا بحضرة القاضي، ومد أحدهم يده ليسارني أقبلها(٢).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون أيدي العلماء احتراما هلم وإجلالا لمكانتهم وعلمهم وكان الطلاب يحصلون على التشجيع من والديهم عند تفوقهم في التعليم من خلال مجالس العلماء ومن هؤلاء الطلاب في ذلك القرن:

- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني ت ٣٨٤ هـ الذي قال: سمعت أبا الريان حامد بن محمد الوزير يقول لجدي وهما في مجلس أنس وأنا حاضر معهما لما أنفذت القصيدة اللامية قام إليه ليهنئه على تفوقي وكثرة حفظي للشعر(٣).

ومن العلماء أصحاب المجالس في ذلك القرن:

- أبو القاسم إسماعيل بن العباس الملقب بالصاحب ت ٣٨٥ هـ الذي غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة، وقد اهتم بتعليم الصبيان عن طريق حضورهم يوما على أبي السائب القاضي وأنا صبي في مجلسه للتعلم منه، وفي رواية أبي حيان التوحيدي قال: كنت بالري سنة ٣٥٨ هـ، وقد عقد لابن عباس مجلس جدل، وكنا

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٣٨٦، الوافي بالوفيات ١ / ٥٠٧، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣١٩.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٦٣، معجم المؤلفين ٧ / ١٧٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣٢٤.
(٣) معجم الأدباء ١ / ١٩٨، أبو حيان التوحيدي، مرجع سابق ١ / ٦٧، الثعالبي، مرجع سابق ٢ / ٢٣.

نبيت عنده في داره في باب شيراز (قرية على مقدار فرسخ مروة تخرج فيها من العلماء إبراهيم بن أحمد البابشيري ت ٣٠٦ هـ) وكان معنا الضرير، والبرقي والزعفراني وجماعة من الغرباء للتعلم من هذه المجالس. وفي رواية الهمذاني قال: كان بعض الفقهاء مثل ابن الخضيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي يتعلم منه. وفي رواية الشاباوي قال خرجنا من مجلس الصاحب فسئلت كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التغرير وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس ؟ فقلت: السكوت عنه إحدى الحسنيين، ولكن نعوذ بالله ممن يزين له الشيطان عمله(١).

وقد تحدث الصاحب بن عباد عن فضل مجالس العلماء على طلاب العلم، فكان لمجالس العلماء مكانة بارزة وغالية في قلوب المتعلمين، لما لها من أثر في تغيير حياتهم العلمية والاجتماعية فيقول الصاحب بن عباد: إن المجالس تخرج (تدرب وتعلم) الناس وتهب لهم الذكاء، وتزيدهم الفطنة، وتحول الكوذن (أي الهجين) عتيقا، والمحمر جوادا. ثم لا يصرف عن مجلسه إلا بجائزة سنية (عظيمة) وعطية هنية، وفي رواية أبو مسلم قال كان الرجل (الصاحب) فيه طباع المتعلمين(٢).

ومنه نلاحظ فضل مجالس العلماء،حيث تدرب وتعلم العامة والخاصة، فتحول عقولهم من الركاد إلى الذكاء، وترفع درجة الحنكة والفطنة عند المتعلمين،وتحول الشاب الصغير (بعلمه) إلى شيخ وقور، بسبب هذا العلم، وبالإضافة إلى ذلك لا ينصرف هذا المتعلم إلا بمكافأة عظيمة من هذه المجالس وقد يقصد به الأجرة التي يحصلون عليها.

وكان منازل العلماء في ذلك القرن حيث يذهب العالم إلى منزل المتعلم ويخصص له مكان ليتلقى فيه الطالب العلم، ففي ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٢٨٦، انباه الرواة ١ / ٢٠١، الكامل في التاريخ ٩ / ٣٧، معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٤، الزركلي مرجع سابق ١ / ٣١٦.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٢٤٥.

حنزابة والملقب بسيدوك ت ٣٩١ هـ قال: سمعت أبي يقول: كنت يوما مع الباغندي في الحجرة المخصصة له في المنزل ليقرأ له فيها (أي يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة[١]

ومن منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن منزل :

- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان ت ٣٩٨ هـ الذي كان قوي الحافظة يضرب به المثل في حفظه، وقد اتخذ من منزله مؤسسة تعليمية فقد حضر الطلاب إلى داره وكانوا كثرة، حتى قال بعضهم حضرت داره، وقبلت جداره وما بي حب الحيطان ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران ولكن عشق إلى السكان[٢].

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون منازل العلماء، لا حبا فيها، ولكن حبا واعترافا بفضل من سكن هذه الديار، لما تعلمه الطلاب.

وقد هيأ بديع الزمان مجلسا في دار السيد أبي القاسم وقد حضره الكثير من طلاب العلم وكان الصاحب يعجب ببراعة بديع الزمان في الأدب، وأحضره مجالسه، فكان يلقى عليه الأبيات بالفارسية ويطلب منه نقلها إلى العربية، فينقلها في سرعة عجيبة[٣].

- أبو أسامة جنادة بن محمد الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بمدارسة العلوم من خلال منزل أحد العلماء بالقاهرة.فقد قدم أبو أسامة مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد، وأبا إسحاق علي بن المعري، وكانوا يجتمعون في دار بالقاهرة.ويجري بينهم محادثات ومذاكرات[٤].

وقد استمرت منازل العلماء ومجالسهم في تقديم هذا الدور التربوي التعليمي في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس مجلس:

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، حسن المحاضرة ١ / ١٩٩، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٤ / ٢٠٣، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٢٦.

(٢) معجم الأدباء ١ / ٢٧٠، معجم المؤلفين ١ / ٢٠٩، الوافي بالوفيات ٥ / ١٥٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ٢١٧، الكامل في التاريخ ٩ / ٧٢، ابن العماد، مرجع سابق ٣ / ١٥٠.

(٤) معجم الأدباء ٢ / ٤٠١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٧، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٤٠

- أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي ت ٤١٥ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه من خلال مجالسه التي كان يعقدها لهم، ففي رواية ابن نصر قال: كنا في مجلس أبي الحسن السمسمي، فسأله رجل عن مسألة قال له: ما العنجيد ؟ قال: لا أعرف هذا، فقال له السائل: سبحان الله، أن يذهب بلك عن الأعشى، إذ يقول:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد   تليع يزينه الأطواق.

فقال له أبو الحسن: عافاك الله، عن حرف جرجاء لمعنى، والجيد: العنق، ثم جعل يدرس فقال له آخر: أخبرني شيخنا عن كوفا أمن المهاجرين أم من الأنصار ؟ فقال له: قد رويت أنساب الجميع ولست أعرف فيهم كوفا، فقال له: أي أنت من قوله تعالى "...وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا ..." (١) قال: فأخذ أبو عبيد نعليه،واشتد ساعيا من مجلسه وهو يصيح بأعلى صوته قائلا: من أين حشرت البهائم علي اليوم(٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يعزفون عن إكمال مجالسهم التعليمية إذا وجدوا هناك تقصيرا من المتعلمين في الفهم والإدراك، بل كان العلماء يصفونهم بالجهلاء وبالبهائم لاشتراكهما في عدم الفهم والإدراك، وخلو عقولهم مما يميز لهم بين ما هو غاية لهم أو ضد حياتهم، غير أن السمسمي تناسى قوله تعالى:

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ... "(٣).

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق المنازل ومجالس العلماء في ذلك القرن:

- أبو الحسن علي بن عيسى، الملقب بالزهري ت ٤٢٠ هـ الذي تعلم عن طريق منازل العلماء فقد قدم إلى واسط، ونزل في حجرة في جوار الشيخ، أبي إسحاق الرفاعي،ويقول كنت أتردد إلى أبي إسحاق أسائله، فقال لي يوما: أنه يحكى النحو عن أبي علي الفارسي، كما أنزل قلت: صدقت(٤).

---

(١) سورة الفتـــح : من الآية ٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٨٣، الأنباري، مرجع سابق ص ٤١٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٣.
(٣) سورة الإسراء : من الآية ٧٠.
(٤) معجم الأدباء ٤ / ١٩٤، انباه الرواة ٢ / ٢٩٧، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣١٨.

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يقيمون في منازل العلماء أو بالقرب من منازلهم حتى يمكنهم التردد على هؤلاء العلماء لاكتساب المعرفة والاستزادة من العلوم.

ومن أصحاب المجالس العلمية في ذلك القرن:

- أبو المظفر إبراهيم بن أحمد الأزدي. كان حيا سنة ٤٣٢ هـ الذي قدم همذان، وحضر مجالسة الأدباء والنحاة لمحله من الأدب(١).
- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت ٤٣٦ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان في مجلسه عن طريق القدوة، ففي رواية أبي الرملي قال: حضرت مجلس المرتضى وأنا إذا ذاك صبي فدخل عليه بعض الأكابر فأجلسه،وتسائلا في كثير من أنواع العلوم. فقد كان المرتضى أحد الأئمة في الأدب والشعر. وله كتاب الشهاب في الشيب والشباب. يقول الزركلي إنه مطبوع، وله كتاب الانتصار. ذكر الزركلي أنه مطبوع وكتاب تنزيه الأنبياء مطبوع، وله تفسير القصيدة الذهبية. قال الزركلي إنها مطبوعة في شرح قصيدة السيد الحميري، وله كتاب إنقاذ البشر من الجبر والقدر بت. قال الزركلي إنه مطبوع(٢).

ومن العلماء الذين علموا عن طريق المجالس التي عقدت في منازلهم في ذلك القرن:

- أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ الذي اتخذ من منزله مجلس يعلم طلابه من خلاله، فيقول: لزمت مسكني منذ سنة ٤٠٠ هـ واجتهدت على أن أملي على طلابي أشياء، وهم يقولون نسخها، وكان من بين هؤلاء: أبو الحسن علي بن عبد الله، فألزمني بذلك حقوقا جمة(٣).
- أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الملقب بالصابوني ت ٤٤٩ هـ الذي اهتم بنقل الحديث الى طلابه عن طريق مجالسه التي كان يعقدها فقد كان أكثر أهل عصره من المشايخ سماعا وحفظا وتحريضا على السماع، وإقامة لمجالس الحديث(٤).

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٧٠، معجم المؤلفين ١ / ٨، تاريخ دمشق ٢ / ١٨٢ - ١٨٤.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٨١، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١١ / ٤٠٣، الزركلي ٤ / ٢٧٨.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٤١٨، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٥٤، الكامل في التاريخ ٩ / ٢٢٢، الزركلي ١ / ١٥٧.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٢٩٨، السبكي، مرجع سابق ٣ / ١٢٩، الزركلي ١ / ٣١٧.

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشران ت ٤٦٢ هـ الذي تعلم عن طريق مجالس العلماء، ففي رواية أبي الفرج بن عبيد قال: سألت أبا غالب بن بشران عن خميس الجوزي فقال: إنه أحد الأعيان قدم واسط فجالس أبي الجلاب، وابن دينار، وقرأ عليه كتاب سيبويه ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي، صاحب السيرافي، وقرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان، فقد كان حسن المحاضرة. ويقول ياقوت: له كتب ذهبت على طول المدى منها كتاب فضائل بيت المقدس، قال الزركلي إنه مخطوط فل دار الكتب مصورا عن نسخة كتبت سنة ٥٨٣ هـ وله ديوان من أشعار العرب[1].
- أبو الحسن علي بن الحسين الباخرزي ت ٤٦٧ هـ كان له مجلس علم للإفادة شاركه فيه للمحاضرة الشيخ أبو نصر الكندري، والإمام الموفق النيسابوري عام ٤٣٤ هـ[2].

ومنه نلاحظ أنه مجالس العلماء كانت بمثابة المؤسسات التعليمية التربوية، التي يشترك فيها الكثير من العلماء بهدف تعليم الطلاب وتمكنهم من تحصيل معارفهم.

- أبو بكر محمد بن أحمد المعروفل بابن الخاصبة ت ٤٨٩ هـ الذي تعلم في منزل مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو، وقد كان رجلا عالما صالحا، ثم ذهب ابن الخاصبة إلى علي بن أبي المناقب ولم يكن ابن الخاصبة ضابطا في الرواية بل كان متساهلا، ويقول ياقوت عنه: إنما ذكرت ابن الخاصبة في كتابي هذا وإن لم يكن اشتهر بالأدب، غير أنه كان وراقا قارئا، وله حكايات ممتعة، ولم يكن بالعارف من الأدب بالكلية[3].

ومنه نلاحظ أن ابن الخاصبة لم يحصل العلوم كلية، ولم يتخصص في علم بعينه يعرف به، رغم تردده على منازل العلماء، بل كان مهتما بالأدب ومع ذلك لم يحصل منه الكثير.

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٥١، لسان الميزان ٥ / ٤٣، الزركلي ٥ / ٣١٤.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٢١.
(٣) معجم المؤلفين ٨ / ٢٧٣، هدية العارفين ٢ / ٧٧.

- أبو القاسم أسعد بن علي الزوزني الملقب بالبارع ت ٤٩٢ هـ كان مهتما بالسعي والمواظبة على حضور مجالس العلماء من أجل تحصيل العلم. ففي رواية الباخرزي قال: اكتسب البارع الأدب بجده وكده، وانتهى من الفضل إلى أقصى حده. ونظمتني وإياه صحبة الكتاب. وقد تتلمذ تلمذة مباشرة على يد القاضي أبي جعفر البحاتي (١).

وقدم العلماء من خلال منازلهم ومجالسهم الكثير من طلاب العلم في القرن السادس الهجري ومن هؤلاء:

- أبو علي أحمد بن محمد الواسطي ت ٥٥٢ هـ كان يعلم غيره من الطلاب في منزله. فقد كان منزله بواسط، مألفا (مكانا) لأهل العلم. وله من الكتب كتاب القضاة مطبوع وكتاب تاريخ البطائح. مطبوع (٢).
- أبو جعفر أحمد بن محمد البيهقي ت ٥٤٤ هـ كان يعلم بداخل منزله، وانتشر عنه ذلك في البلدان، وظهر له تلاميذ نجباء، حيث كان ملازما لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة، وقد تخرج في منزله خلق كثير، ومع ذلك جمع بين تعليم طلابه وتصنيف الكتب فله كتاب ينابيع اللغة، مطبوع، وكتاب تاج المصادر، ذكر الزركلي أنه مخطوط وقال رأيت نسخة منه في مغنيسا برقم ٢٨٢٣، كتبت سنة ٩٦٣ هـ في ٢١٨ ورقة، ومنه نسخة بدار الكتب (٣).
- حمدان بن عبد الرحيم الملقب بالأثاري ت ٥٥٤ هـ الذي تلقى العلم من العلماء عن طريق المجالس التي كان يعقدها، فقد كان دائبا في طلب العلم. يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب، واتخذ من المصاحبة والملازمة للعلماء طريقا للحصول على العلم، فكان يصحب من لقيه من العلماء ويلازمه. ومع نبوغه صنف كتاب القوت في تاريخ حلب من سنة ٤٩٠ هـ فما بعدها من أيام الفرنج وأخبارهم، وخروجهم إلى الشام (٤).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٧٥، اللباب ١ / ٨٦، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣٠٠.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٣٧، معجم المؤلفين ١ / ١٧٢.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٥١٦، انباه الرواة ١ / ٨٩، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧٣.
(٤) معجم الأدباء ٣ / ٢٥٣، معجم البلدان ١ / ١٠٦، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٤.

- أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب ت ٥٦٨ هـ كانت له دار عتيقة وفي صدرها ألواح مرصوص عليها كتب له، وقد أقام بها طلاب العلم للاقتباس من كتبه، ولذلك وقف كتبه على أهل العلم، ومن مؤلفات الخشاب كتاب المرتجل في شرح الجمل للزجاجي ذكر الزركلي أنه مخطوط، وكتاب الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح، وله نقد المقامات للحريري مطبوع، وله شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة، مطبوع في النحو في أربعة مجلدات(١).

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء لعبت دورا حيويا في تعليم العامة والخاصة، فقد قامت بدور المدارس التربوية في ذلك القرن الذي أرخ له ياقوت، ولأهميتها فقد مارست نشاطها جنبا إلى جنب مع المدارس.

- أبو الفتح محمد بن محمد الواسطي ت ٥٧٤ هـ الذي أخذ علم النحو عن طريق حضور مجالس العلماء، ومع ذلك لم يجزه العلماء تصدر المجالس للإفادة فقد جالس ابن كردان وسمع منه وجالس أبا الحسين بن دينار، ومع ذلك لم يتصدر لإقراء النحو(٢).
- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالكاتب الأصبهاني ت ٥٩٧ هـ الذي اهتم بتعليم غيره من خلال مجالسه فقد كان الشهرزوري يحضره مجالسه، ويذاكره بمسائل الخلاف في الفروع، وقد كان الأصفهاني عالما بالأدب ومن أكابر الكتاب(٣).

ومن منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في القرن السابع الهجري:

منزل الشيرازي: وهو أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني الكلبي الشيرازي ت٦٠٧هـ ففي رواية العماد قال: كان أبو المظفر حلو المجالسة، يتخذ من منزله دارا للعلم فهو على النجم من سماء النباهة، معتدل التصاريف مطبوع التصانيف، وقد كتب الشيرازي سيرته في جزء سماه الاعتبار طبع وترجم إلى الفرنسية والألمانية(٤).

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤٤٤، معجم المؤلفين ٦ / ٢٠، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٢٦٧، الزركلي ٤ / ٦٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ١٤٥، الوافي بالوفيات ٤ / ١٤٢، الزركلي ٦ / ٢٧٧.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٤٢١، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ٣٣٢، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٦.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ١٠٣، جورجي زيدان، مرجع سابق ٣ / ٦١، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٩١.

خامسا: مجالس الأمراء والوزراء:

تعد من المؤسسات والأماكن التي قامت بدور تعليمي، فقد أفاد طلاب العلم بل والعامة الكثير من علوم العلماء التي تلقى أثناء مجالس الأمراء والوزراء، ولم يظهر ذلك الدور في القرن الأول الهجري، وإنما ظهر واضحا في القرن الثاني الهجري ومن أشهر تلك المجالس في ذلك القرن:

- مجلس هارون الرشيد:

فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي بكر عياش بن سالم الملقب بالخياط ت ١٩٣ هـ أنه اهتم بحضور مجالس الأمراء للاقتباس من علم العلماء الذي يحضرون إلى مجالس الأمراء ففي رواية الحسن النحوي عن محمد بن عثمان قال: قدم هارون الرشيد الكوفة، ونزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر بن عياش، فحملناه إليه بعد ذهاب بصره، فسأله أمير المؤمنين أسئلة (نتركها لعدم الإسهاب والتطويل) فأجاب عنها وأطال في الجواب، ثم خرج عياش من مجلس أمير المؤمنين فتبعه الفضل بن الربيع بثلاثين ألف درهم، فقال له عياش: فما لقائدي، قال له الفضل: خمسة آلاف(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يحصلون على أجرة مقابل تعليمهم العلم لمن في مجالس الأمراء.

وفي القرن الثالث الهجري كانت مجالس الأمراء والوزراء تقوم بدورها التعليمي بجانب أخذ العلماء أجرة على حضورهم لهذه المجالس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي الملقب بالنديم ت ٢٣٦ هـ أنه كان من أشهر ندماء الخلفاء، وكان من رواد حضرتهم، والتعليم بجانبهم فيقول: ذكر المعتصم يوما وأنا بحضرته بعض أصحابه فقال: يا أبا محمد إن أصبت في إجابتك فلك مكافأة، وإن لم تصب قتلتك فسأله المعتصم، فأجاب النديم بإجابات حسنة، فقال المعتصم: قد أمرت لك بمائة ألف

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٣، معجم المؤلفين ٨ / ٢٧٦.

درهم، ثم قال: فإنها مائتا ألف أتريد مزيد ؟ فقلت له: ما أحوجني قال: فإنها ثلاثمائة ألف(١).

ومنه نلاحظ أن العالم كان إذا أجاد وتفوق في علمه، من ابن خلكان، مرجع سابق الأسئلة التي توجه إليه بمجالس الأمراء، كان يحصل على مكافأة أمام من بمجالس الأمراء حتى يكون ذلك حافزا لهم على مداومة التقدم في النواحي العلمية والأدبية.

ومن خلال مجالس الأمراء، كان العلماء والشعراء يتفاخرون كل بعلمه وبشعره حتى يتعلم من بمجالس الأمراء والوزراء، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو إسحاق إبراهيم بن العباس الملقب بالصولي الكاتب ت ٢٤٣ هـ الذي امتهنا لشعر فأصبح جل بضعته لذلك قال دعبل: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء، ويقول المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه، وكان يدعي خؤولة العباس ابن الأحنف، وقد اجتمع الصولي مع هارون بن الزيات وابن برد الخباز في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل الصولي ينشد من شعر أبيه ومحاسنه ويفضله ويقدمه(٢).

- أبو الحسن أحمد بن يحيي الملقب بالبلاذري ت ٢٧٩ هـ الذي اهتم بتعليم غيره للشعر من خلال مجالس الأمراء الوزراء فيقول: كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصدته بالشعر فرجعت وقد بعث إلى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذا للحوادث بعدي، ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا(٣).

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ١٣٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٨١، معجم المؤلفين ٢ / ٢٢٧، انباه الرواة ١ / ٢٥١، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٢ / ٢٨١.

(٢) معجم الأدباء ١ / ١١٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٩، الأصفهاني، مرجع سابق ٩ / ٢٠.

(٣) معجم الأدباء ٢ / ٤٩، الزركلي ١ / ٢٦٧.

- أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ت ٢٩٠ هـ الذي كان معلما بحضرة القاسم بن عبيد فقد تعلم الشعر منه الكثير من ندماء مجالسه، فهو عالم بالشعر وخطه معروف، وقد دخل بغداد أيام القاسم بن عبيد ت ٢٩١ هـ فمدحه بعدة قصائد[(١)].

وقد استمر دور مجالس الأمراء والوزراء في التعليم لأهل هذه المجالس في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر المجالس في ذلك القرن والتي تظهر من خلال تراجم ياقوت لهؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن سنان التنوخي ت ٣١٨ هـ الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء للسماع من العلماء والتزود من المعرفة، فقد كان موكب القاضي أبي جعفر يحضر بالسواد ويجلس معه العلماء يتذاكرون الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهم من الخدم عدد كبير يسمعون العلم[(٢)].

ومنه نلاحظ أن هؤلاء مثلهم في زماننا مثل من يجلسون في بعض المقاهي ليلا لإسماع العامة قصص الغابرين وأخبار الأوائل مثل قصة أبي زيد الهلالي وقصة عنترة، وسيف بن ذي يزن، وذات الهمة، وغيرها من القصص التي يستفيد منها العامة في الشجاعة والكرم والإقبال.

- أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت ٣٣٧ هـ الذي تعلم من خلال مجالس الوزراء التي قامت بدورها التربوي والتعليمي، فقد جمعت العلماء حول الأمراء والوزراء في مجالسهم، وقد قال أبو حيان التوحيدي: آخر ما علمنا من أمر قدامة أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي سنة ٣٢٠ هـ وقد تعلم منهم[(٣)].

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٤، الزركلي ٥ / ٢٢٩.
(٢) معجم المؤلفين ١ / ١٦٠، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٥ / ١٢٠.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ٨، معجم المؤلفين ٣ / ١٤٢، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٩٧.

- أبو علي أحمد بن نصر الملقب بالبازيار ت ٣٥٢ هـ الذي تعلم من مجالس الأمراء. ففي رواية أبو جعفر بن قناس صاحب كتاب القضاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وكان يحضر معنا البازيار، فقد كان والده من ندماء سيف الدولة،وبذلك شب البازيار على التعليم وكان حسن المحاضرة مشهور بين العلماء(١).

ومنه نلاحظ أن التلاميذ تعلموا عن طريق حضورهم مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء لما يدور بها من حوار ومناقشات بين العلماء في شتى أنواع العلوم من فقه وحديث واستشهاد بآيات القرآن الكريم. فيقول التنوخي: جئت إلى حضرة القاضي لأتقدم إلى أبي السائب، وكانت سني يومئذ عشرين سنة(٢).

- أبو القاسم، الحسين بن الوليد ويغلب عليه ابن العريف ت ٣٩٠ هـ الذي تعلم من خلال التقاء العلماء في مجالس الوزراء والأمراء، بل كان يتعلم بذلك الحاضرون، وكان الأمراء والوزراء يشهدون ذلك فقد كان المنصور يحضر المجالس التي يتعلم منها ابن العريف،ومعتقدمه كان من ندماء المنصور، فقد جلس المنصور يوما وعنده من أعيان أهل العلم الزبيدي صاحب الطبقات والعاصمي، وابن العريف صاحب الترجمة(٣).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يتعلمون من خلال مجالس الأمراء والوزراء التي كانت تجمع الكثير من العلماء، يتحدث كل منهم بما لديه من علوم تخصص فيها.

- أبو الفضل، جعفر بن الفضل والمعروف بابن حنزابة ت ٣٩١ هـ الذي اهتم بإقامة مجالس العلم في حضرته، يتعلم من خلالها طلاب العلم بل والعامة(٤). ففي رواية الحافظ أبي القاسم قال: ذكر بعض أهل العلم وأظنه محمد بن أبي نصر الحميد قال: إن

---

(١) معجم الأدباء ٢ / ٤٤، معجم المؤلفين ٢ / ١٤٩، ابن النديم، مرجع سابق ١ / ١٣١.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٦٥، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ٧٧، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٥٣.
(٣) معجم الأدباء ٣ / ٢١٠، معجم المؤلفين ٤ / ٦٧، الزركلي ٢ / ٢٦١
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٦.

الوزير أبا الفضل بن حنزابة، حدث بمصر، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وكانا من كاتبيه ومخرجيه، فكان مكرما لأهل العلم (١).

ومنه نلاحظ أن استخدام عبارة مجالس الأمراء والوزراء كمدارس للتعليم في تلك الفترة التي عاشها ابن حنزابة استخدام صحيح، فقد كان العلماء يلتقون للكتابة والمناظرة

وقد ظل هذا الدور التعليمي لمجالس الأمراء والوزراء مستمرا في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس التي تعلم من خلالها الطلاب، وأوردها ياقوت في تراجم بعض العلماء ومن هؤلاء:

- أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب ت ٤٠٣ هـ الذي نادم الوزراء، فكان لا يكمل أنسهم إلا بحضوره ولذلك حضر مجلس بهاء الدولة في جملة الندماء،ونفق (راج رواجا) عنده نفاقا لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تتم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه (٢).

وقد استمر هذا الدور لمجالس الأمراء والوزراء في القرن السادس الهجري:

- أبو جعفر محمد بن أحمد بن طاهر ت ٥١٠ هـ الذي قال أنشأ أمراء ووزراء ذلك القرن أماكن للتعليم أطلقوا عليها مجالس الأمراء والوزراء، وأطلقوا عليها مرة أخرى، دار العلم التي أسهمت في التعليم ولعبت دورا تربويا في العليم، وكان توقف عليها كتب العلماء التي يرسلونها إلى مثل هذه الدور، وقد أقام أبو منصور بوظيفة الخازن لكتب في دار العلم ففي رواية أبي الحسن محمد بن الصابئ قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أزدشير الوزير، خازنا عرف باسم أبي منصور، كان يعلم ويحفظ الكتب (٣).
- أبو الحسين أحمد بن علي الملقب بالرشيد الأسواني المصري ت ٥٦٢ هـ الذي تقدم عند أمراء مصر ووزرائها، وقد اجتمع ليلة عند الصالح بن زريك، هو وجماعة من الفضلاء

---

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٥ / ٢٧٥، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٤ / ٢١٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٤٨٢، معجم البلدان ٢ / ٥٥، اللباب ١ / ٩٧، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٧١.
(٣) معجم الأدباء ٥ / ١٨٠.

فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب به الصالح فقال الرشيد: ما سئلت قط عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهما(١).

- أبو محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجواليقي ت ٥٧٥ هـ الذي كان من علماء مجالس الأمراء التي أفاد الطلاب من خلالها الكثير، ففي رواية محمد بن فطير، ناظر واسط والبصرة قال إنه دخل يوما إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله، فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه رجلا لم يعرفه فهابه،ثم جلس بين يدي الوزير، وأخبره بشأن هذا الرجل فقال له: هذا هو الشيخ أبو محمد الجواليقي، فقام مبادرا وقال له: أيها الشيخ ينبغي أن تجلس هنا (مشيرا إلى مكان مرتفع) فأنت أعلى منهم منزلة، ثم تحدث الشيخ إليهم(٢).

ومنه نلاحظ علو منزلة العلماء بعلمهم، وإفادتهم للناس عن طريق تعليمهم إياهم لهذه العلوم من خلال مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بشرف الكتاب ت ٥٧٩ هـ الذي ذكر أن مجالس الأمراء والوزراء لعبت دورا تربويا هاما في تعليم العامة من أفراد المجتمع عن طريق استحضار العلماء الأجلاء، لكي يفقهوا ويؤدبوا هؤلاء من خلال هذه المجالس، ففي رواية أبي علي القيلوي قال: سمعت شرح الكتاب يحدث أنه كان يوما في مجلس الوزير (عون الدين بن هبيرة) وقد اجتمع الناس عنده فشغلت بهم عن درس العلماء، لأن دخولهم كان من باب العامة(٣).

- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالعماد الكاتب الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ الذي لزم باب السلطان صلاح الدين (كناية عن كثرة حضور مجالسه)، فكان ينزل لنزوله

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٥٢٣، معجم المؤلفين ١ / ٣١٥، الزركلي ١ / ١٧٣، الأدفوي، مرجع سابق ص ص ٤٧ - ٥٠، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٩٨ - ٢٠٣، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥ / ٣٧٤.

(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣١٣، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٦٦، اللباب ١ / ٢٤٥، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ١٢٨، الوافي بالوفيات ٦ / ١٥٧.

(٣) معجم الأدباء ٤ / ١٥٦، بغية الوعاة ص ٤١٣.

ويرحل لرحيله ولم يترك مجالسه، بل كان ملازما لخدمته حتى قربه واعتمد، فقد قدم بغداد حدثا فتأدب وتفقه بها(١).

والخلاصة: لقد خلص الباحث مما سق عرضه أن مجالس الأمراء والوزراء كانت بمثابة أماكن للتعليم، وذلك عن طريق حضور الكثير من العلماء إلى هذه المجالس بهدف نشر العلم بين المتعلمين، أو بهدف سطوع نجم العالم بين أقرانه من العلم، وأخيرا بسبب الحصول على المكافأة والمال وإن كان ذلك هو الأكثر شيوعا، ومن خلال هذه المجالس تأدب الصبيان عن طريق الحضور مع أولياء أمروهم، ولم تقتصر هذه المجالس على علم واحد من العلوم، وإنما كانت المناظرة بين العلماء في شتى أنواع العلوم، كما لم يقتصر التعليم في هذه المجالس على أبناء الأمراء والوزراء،بل كان التعليم بها مشاعا لعامة أفراد المجتمع.

استدراك:

لاحظ الباحث من خلال استقرائه لما أورده ياقوت في كتاب " معجم الأدباء " عن مجالس الأمراء والوزراء أنه أغفل وعن غير عمد كعادته مجلس قاضي القضاة في مصر والذي كان يعقد في دار الحكمة.

وقد أنشئت بعد إنشاء الجامع الأزهر بخمس وثلاثين عاما، وفي عهد الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥ هـ (أي في القرن الرابع الهجري) وكانت المجالس التي تعقد بها تسمى مجالس الحكمة والتي ينظمها قاضي القضاة، وتقرأ فيها الكثير من العلوم، ويهرع الناس إلى شهودها، وتخصص فيها مجالس للخاصة، ومجالس للعامة وأخرى للنساء، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع وأن تنظم فيها مجالس دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي، فأنشئت دار تسمى دار العلم، وكان دار الحكمة في البداية طابعا حرا، فدعي إليها الأساتذة من المذهبين السني والشافعي، وقرئت بها فضائل

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٤٢٤، معجم المؤلفين ١١ / ٢٠٤، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٦ / ١٧٨.

الصحابة، ثم أبعد عنها الأساتذة السنيون فيما بعد، وقتل بعضهم، وتأكد بذلك صفتها المذهبية، وكان الإشراف على مجالس الحكمة من شئون قاضي القضاة.

ولكنها لما اتسع طاقها بقيام التعليم، عهد بها إلى زعيم ديني يسمى داعي الدعاة.وبذلك كانت دار الحكمة في ظاهرها جامعة حرة علنية، يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون، وفي الحقيقة فإن هذا المظهر العلمي لم يكن في الواقع إلا ستارا للغاية الأصلية التي أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهي بث الدعوة الفاطمية بطريقة علمية منظمة تمتزج فيها النظريات والآراء الفلسفية بالأصول والمبادئ المذهبية، وتكون أبعد أثرا في غزو الأذهان والعقائد من مجالس القصر، وبذا تجتمع جهود الدعاة في مركز رئيسي يحشد فيه المؤمنون من كل صوب، ليقوموا فيما بعد بقسطهم في حمل الدعوة وبثها في سائر المجتمعات والأنحاء، واستطاعت دار الحكمة في ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة، ولم يمض سوى حتى ازدهرت وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار[1].

وقد استمر التعليم من خلال الديار المصرية في القرن السادس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العلاء علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي ت ٥٧٦ هـ قال: كانت الديار المصرية بمثابة أماكن للتعليم في ذلك القرن يلتقي فيها الطلاب مع أساتذتهم، فقد سافر الكثير من طلاب العلم إلى الديار المصرية من مختلف البلدان الإسلامية وأخذوا عن أهلها وروى عنهم مثل أبو العلاء العصار الذي تعلم من خلال الديار المصرية.

وقد اتخذ الطلاب من دار الخلافة ببغداد أماكن للتعليم والإفادة منها والإقامة بها . فقد ورد أبو العلاء بن العصار بغداد فقرأ بها العلم، وأقام بالمطبق من دار الخلافة.

(١) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٣) ص ص ٩٥ - ٩٩ وسعيد إسماعيل علي، الأزهر على مسرح الأحداث العصرية، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٤) ص ٣٠، محمد عبد الله عنان تاريخ الجامع الأزهر (القاهرة مؤسسة الخانجي ١٩٥٨) ص ٥١. خطاب عطية علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٤٧) ص ١٧٧.

سادسا: أماكن الحروب (الرباط، الخوانق)

ذكر ياقوت من بين أماكن التعليم التي قامت بدور تعليمي تجاه العامة من أفراد المجتمع أماكن الحروب ومواطنه، وقبل أن نتحدث عما أورد ياقوت نذكر معنى كلٍّ من الأربطة والخوانق:

- **الأربطة**: مفردها رباط، بني أصلا بغاية المرابطة للجهاد، وملازمة ثغر العدو، والإقامة على جهاده، ثم أخذ يطلق على هذا المكان الذي يرابط في الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس والحد من شهواتها، ثم تطور الهدف من الرباط وأصبح مأوى للعاجزين والنساء المطلقات أو المهجورات، واليتامى والفقراء والمساكين ومسكنا للفقهاء، وأحيانا لكبار العلماء وأصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية، كالوعظ والإقراء والتحدث، والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب[(١)].

- **الخوانق**: مفردها الخانقاه وهو رباط الصوفية وموطن تواجدهم، وكانت تبنى غالبا على شكل مساجد للصلاة، وتحتوي على غرف عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، وبيتا كبيرا لصلاتهم ولا يكون فيه منبر، لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلا نادرا، وكان يرتب فيها دروس لطوائف الفقهاء،ودروس الحديث النبوي، ودروس لقراءة القرآن بالقراءات وجعل فيها مدرسين وخصص مدرس لكل مجموعة من الطلاب، وكان يوفر للطلاب الطعام والشراب[(٢)].

وقد ذكر ياقوت أهمية الرباط في التقاء العلماء بأهله وأهل الثغر، وفي القرن الثاني الهجري ذكر من العلماء:

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط الخزء الأول، (لبنان: دار إحياء التراث، د. ت) ص ٣٢٣، وسعيد إسماعيل علي،معاهد التربية الإسلامية ص ٥٩٥.

(٢) عبدالغني عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤) ص ١٦٨، عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٨) ص ١٦٠.

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري الكوفي ت ١٨٨ هـ الذي أدب أهل الثغر وعلمهم الحديث، حتى أنه كان إذا دخل الثغر رجل مبتدع (يزيد في الدين وينقص) أخرجه[١]

ومنه نلاحظ أن العلماء والأدباء لم يتركوا مكانا يسمح بالتعليم إلا وقدموا إلى من حضر فيه من طلاب العلم الكثير من علومهم، مثلما يحدث الآن من التقاء العلماء بالشباب من حين لآخر.

وفي القرن الثالث الهجري، كان التعليم يتم أثناء ليالي الحرب، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن الطيب المعروف بابن الفرائقي ت ٢٨٦ هـ قال: كان المعتضد مجتازا بعسكره فأخذ الجيش في طريقه، فأنكر الناس ذلك، وكان معهم ابن الفرائقي يقول فجلست أحادث المعتضد ليلة، فقال لي: يا عبدالله ماذا تقول الناس عني ؟ قلت له سراعك في سفك الدماء، وظللت أعلمه طوال هذه الليالي حتى قال: والله ما هرقت (أرقت) دما منذ ذلك[٢].

ومنه نلاحظ أن أماكن الحرب كانت بمثابة مؤسسة تعليمية يجلس فيها العلماء مع القادة والجنود يعلموهم، وذلك يشبه ما يحدث الآن حينما يسافر بعض العلماء إلى أمان تجمع القوات المسلحة ليوضحوا لهم بعض الأمور الدينية التي تحفزهم لصالح الوطن والأرض متخذا من العرض طريقا،وكذلك ما يحدث من العلماء تجاه التجمعات الشبابية في أماكن المعسكرات الصيفية، والندوات العلمية التي يعقدها العلماء.

ولم يذكر ياقوت شيئا عن القرن الرابع الهجري، وإنما ذكر بعض النماذج التي حدثت في القرن الخامس، ففي ترجمته لأبي القاسم المحسن بن الحسين الملقب بكوجك ت ٤١٦ هـ ذكر في رواية ابن طلاب قال: حضرنا مع أبي القاسم كوجك في محرس (حصن) بمدينة صيدا فقام ابن كوجك، فأنشدنا شعرا،وأنشد الحاضرون،وفيه قبة أسماء من حضرها وأشعارهم[٣].

---

(١) معجم الأدباء ١ / ١٣٤، معجم المؤلفين ١ / ٩٠، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩٣.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٣٩٣.
(٣) المرجع السابق ٥ /٦٢، معجم المؤلفين ٨ / ١٨٢.

ومنه نلاحظ أن العلماء اتخذوا من أماكن الرباط والحروب أماكن للتعليم يدلي فيها كل بدلوه، ثم تترك لوحة الشرف، وعليها أسماء العلماء، وما كتبوه من أشعار تخليدا لهم. وقد تحدث النعيمي عن الأربطة والزوايا والخوانق، وأفرد لكل منهم فصل خاص وقد ترك الباحث إيراد ذلك لعدم الإطالة ولمن يرد الإطلاع يمكنه الرجوع إلى الدارس في تاريخ المدارس.

سابعا: الأسواق:

كانت الأسواق التي كانت تقام في البلدان الإسلامية، بل وفي العصور الجاهلية أكبر الأثر في تربية النشء، حيث كانوا يجتمعون للتجارة، ويغتنمون أوقات هذه المواسم فيقيمون مجالس البحث والمناشدة والمفاخرة، فتتلى القصائد والخطب، وتنشط الروح الفكرية والأدبية ولذلك كانت الأسواق مجالا خصبا للتعليم من خلالها للعامة والخاصة.

وقد ذكر ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " من الأسواق التي قامت بتهذيب لغة النشء وتوحيد لهجاته في القرن الرابع الهجري:

- **سوق يحيي**: ففي ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ أنه في رواية أبي بكر ابن كامل قال: قال الطبري: وصف لي قارئ بسوق يحيي فجئت إليه وتقدمت عنده، فقرأ عليه من أول سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى:
  { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً .... }(١)
  وأردت أن أسمعه منفردا فأبى إلا أن يسمعها مع الناس(٢).

ومنه نلاحظ أن الأسواق التي كان يجتمع الناس بها لقضاء حاجاتهم تعد من الأماكن التي تقوم بدور هام في تعليم العامة بل وطلاب العلم، وكانت الأسواق منذ العصر الجاهلي تقوم بهذا الدور حيث سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وغيرها من

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٦.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٥، اللباب ٢ /٨١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥١، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٦٠، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

الأسواق التي عهدت بتهذيب لغة النشء عن طريق الندوات التي تعقد بها، وأحيانا كانت هذه الأسواق تقوم بدور واضح في الخدمة الاجتماعية عن طريق حل المنازعات القائمة بين القبائل، بل أحيانا يعقد فيها قران (عقد) زواج.

وكانت العلوم التي تدرس وتنشد في الأسواق تعتمد على المناظرة فقد بلغ من اتساع مناظرة طويلة ثارت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى: المقدسي وكان موضوعها الصلة بين الفلسفة والدين(١).

ومن الندوات المشهورة في القرن الرابع الهجري، ندوة أبي سليمان المنطقي السجستاني ت ٢٤٨ هـ فهو من كبار علماء اللغة والشعر،وصاحب كتاب صوان الحكمة ومن تلامذة الفارابي، وقد امتاز بعقل خصب نادر، وكانت ندوته تدور حول شعب الفكر في الإلهيات والطبيعيات والنفس والروح والأخلاق وكذلك الحوار في المسائل الكثيرة التي كانت تدار في هذه الندوات، وبجانبها كانت ندوة ابن سعدان، وكأننا إزاء مصانع مستحدثة كانت تصنع الأفكار المتفلسفة صناعة غريبة عجيبة، مما أتاح بحق لبغداد أن تعظم منزلتها العلمية وأن يحج إليها العلماء(٢).

ولأهمية الأسواق في نشر الأدب والعلم، كانت تقام في منطقة البحرين (منطقة قبائل عبد قيس، وتميم قديما) أسواق الأدب مثل: سوق هجر، وسوق دارين، ولذلك أنجبت عبد قيس في الجاهلية، وأنجبت في العصر الإسلامي أكثر من شاعر وخطيب، الذين أشاد بهم العلماء، ولكن حينما استولى القرامطة على البحرين خمدت الحركة العلمية فيها، غير أنها أخذت تنتعش سريعا في زمن بني عصفور وبني جبر فكانت أسواقهم تقوم على الدراسات العلمية والدينية، والدراسات اللغوية، فقد وقف علماء اللغة أنفسهم على

---

(١) أبو حيان التوحيدي، مرجع سابق ٢ / ٣.

(٢) معجم المؤلفين ٤ / ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٤ / ٥، سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٠٦، ابن خلكان، مرجع سابق ٢ / ٣٢، الزركلي، مرجع سابق ٣ / ١٤٣

تلقين الشريعة والعلوم اللغوية للناشئة وتفقه الناس بأمور دينهم ووعظهم، وقد ظلت هذه الحركة العلمية نشطة حتى العصور الأخيرة(1).

والخلاصة:

أن الأسواق قامت بدور تعليمي إيجابي تجاه العامة والخاصة من طلاب العلم واعتمدت في تعليم الطلاب على المناظرات والمناقشات في العلوم الدينية والعلوم اللغوية ومن هذه الأسواق في العصر الجاهلي: سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وفي العصر الإسلامي وبالتحديد في القرن الرابع الهجري كانت: سوق يحيي، وسوق الوراقين وسوق هجر، وسوق دارين، ومن أهم الندوات في ذلك القرن، ندوة السجستاني، وندوة ابن سعدان.

ثامنا: الشوارع والطرقات العامة

ذكر ياقوت أن الشوارع والطرقات قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم وعلى وجه الخصوص هؤلاء الطلاب الذين لا يمكنهم الحضور إلى العلماء، وقد ظهر ذلك الدور التعليمي للطرقات العامة كواحدة من أماكن التعليم منذ القرن الثاني الهجري ومن الطلاب التي تعلموا من الطرقات:

- أبو الحسن لي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت ١٩٤ هـ الذي كان من الجند على باب الرشيد، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي،فكان يرصد مصيره إلى الرشيد ويعرض عليه في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وماشاه يسأله في طريقه المسألة تلو المسألة، وإذا خرج الكسائي من الدار ماشاه ليسأله حتى يركب دابته، ولم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوي وتمكن من علمه(2).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يأخذون عن العلماء في مجالسهم، فإذا لم يتيسر لهم ذلك، التقوا بهم في الطرقات لكي يسألونهم ويتعلموا منهم، خاصة إذا كان لهؤلاء الطلاب

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ص ٢٨١، معجم الأدباء ٣ / ٩٤، شوقي ضيف، المرجع السابق ص ٥٦.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٣، انباه الرواة ٣١٣/٢،ميزان الاعتدال ٤ / ٢١٨، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ١٠٤.

عمل يمنعهم من الحضور إلى العلماء، كما يتضح لنا تدرج التعليم فما زال الأحمر يتدرج في المعرفة حتى نبغ وتفوق في علمه، فلقد عده أصحابه بأنه شيخ النحاة في عصره، وقد حصل ذلك كله عن طريق مناقشة أستاذه الكسائي في الطرقات العامة.

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الرابع الهجري الذين أصبحوا علماء تتداول علومهم:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ الذي كتب الكثير من العلوم في طريقه عن شيوخ واسط، وفي رحلته إلى الكوفة كتب عن شيوخ في طريقه إليها ومنهم (أبي كريب محمد ابن العلاء الهمذاني ت ٢٤٨ هـ وكتب في طريقه عن مشايخ أجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها[(١)].

وقد قامت المزارع والبساتين بهذا الدور في القرن الرابع الهجري، فقد تعلم من خلالها أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الملقب بالمقرئ ت ٣٢٤ هـ الذي حضر مع جماعة من أهل العلم في بستان لمدارسة العلوم، وقال: هي كالتخالع في المساجد[(٢)].

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم لم يتركوا مكانا إلا واتخذوه كمكان للتعليم.

ومن العلماء الذين اتخذوا من الشوارع أماكن للتعليم في ذلك القرن:

- أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت ٣٥٠ هـ الذي كان ينزل بشارع عبد الصمد ببغداد لتعليم العامة[(٣)].

ومنه نلاحظ أن التعليم لم يقتصر على الأماكن المعهودة مثل المساجد والمدارس ومجالس العلماء، بل تعداه إلى استخدام الشوارع بالمدن كأماكن للتعليم، وقد يقصد به محو الأمية، غير أنه في الوقت الحاضر يتم بطريقة منظمة، وتنفق الدولة عليه، أما هؤلاء العلماء فكان هدفهم الإصلاح ونشر العلم بين جميع طبقات المجتمع.

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ٢٤٨، الكامل في التاريخ ٨ / ٤٢. ابن تغري بردي، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.
(٢) معجم الأدباء ٢ / ٣٩، معجم المؤلفين ٢ / ١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٦١.
(٣) معجم الأدباء ١ / ٥٤٧، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٩٩.

والخلاصة:

يتضح لنا من العرض السابق أن الأماكن العامة من الشوارع والطرقات لعبت دورا هاما في تعليم العامة والخاصة، عن طريق المناقشة التي تحدث بين المتعلمين والعلماء.

تاسعا: أماكن التجارة:

ساهمت أماكن التجارة في نقل المعرفة إلى الطلاب، وذلك عن طريق حضور العلماء إلى أماكن التجارة، وقد تكون التجارة في كتب العلماء، وبذلك يستطيع الخازن لهذه الكتب أن يثقف نفسه بالاطلاع على هذه الكتب،وقد ظهر دور أماكن التجارة في التعليم في القرن الرابع الهجري، ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريقها:

- أبو الحسين علي بن عبد الله الملقب بالناشئ الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي تعلم من خلال أماكن التجارة فيقول: كان جدي وصيف مملوكا، وكان ابن عطار في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه، فكان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لا أعرفه وهو يتدارس مع والدي الكثير من العلوم، ثم انقطع مدة فسألت عنه والدي، فقال: ويحك ذلك ابن الرومي، وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئا(١).

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين، تعلم الكثير من خلال أماكن التجارة:

- أحمد بن كليب النحوي صاحب أسلم الأندلسي ت ٤٢٦ هـ. ففي رواية يحيي الكندي الحراني قال: حدثني أبو بكر الصنوبري قال: كان بالرها (مكان ببغداد) وراق يقال له سعد كان حسن الأدب والفهم، يعمل شعرا رقيقا، وكان في دكانه مجلس لكل أديب وما كنا نفارق دكانه(٢).

---

(١) معجم الأدباء ٤ /١٤٤، معجم المؤلفين ٧ / ١٤٢، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٥٤، الزركلي ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٥٥.

- أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الكوفي ت ٥٠٧ هـ الذي اتخذ من أماكن العمل مدادا للتعليم، وطريقا يسلكه لكي يحصل منه على المعرفة والعلم فقد كان أبو المظفر قد ولي خزن خزانة الكتب بنظامية بغداد بعد القاضي أبي يوسف الأسفراييني (١).

ومنه نلاحظ أن أماكن التجارة قامت بدور المؤسسات التعليمية ولكنها غير معهودة للكثير، ولكن لاحظنا التقاء العلماء وطلاب العلم في الدكاكين المخصصة للتجارة ولم يكن التعليم فيها على طلاب العلم فقط بل كان العامة من الناس يحضرون إلى هذه الأماكن،وقامت بذلك الدور المكتبات فمن خلالها كان الخازن أو العامل بها يقوم بتثقيف نفسه من خلال هذه الكتب التي بين يديه والتي تحوي أبكار بنات عقول هؤلاء العلماء وذلك يشبه الثقافة العمالية ومحو أمية العامل بما يتناسب مع ظروف الحياة العصرية ولذلك فقد لعبت المكتبات دورا إيجابيا في التعليمما جعل الوزراء والسلاطين يهتمون بالمكتبات الخاصة والعامة وألحق بكل مدرسة مكتبة كبيرة تغص بالكتب في كل علم وفن وكان هذا الاهتمام من قبل الأفراد والدولة، حيث أن المكتبات هي أداة الثقافة ومنهل المجتمع العذب ينهل منها كل من يريد المعرفة والتزود من العلم وظل الاهتمام بها متواصل حتى العصر الحاضر، لأن المكتبات الإسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام والتي كان لها دور كبير جدا في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين أنفسهم فانتقلت آثارها إلى ديار الغرب، وظهرت المكتبات في الإسلام، وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، فالمكتبات في الإسلام هي كائنات حية انبثقت عن المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة لتطوره وحاجته إليها، وهي في الوقت نفسه ساعدت كل المساعدة على تطور هذا المجتمع، ودفعه في طريق الرقي والنجاح والفلاح، إذن فالمكتبات

---

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٦١، معجم المؤلفين ٨ / ٣١٤، ابن العماد، مرجع سابق ٤ / ٦٢، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٦٢، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦.

الإسلامية مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وتظهر فيها الحياة واضحة صافية مشرقة وفي جميع جوانبها.

كما أن المكتبات هي نفسها نتاج تفاعل هذه الحياة، وقد نشأت مع نشأة المساجد، وأولى المكتبات كانت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يجتمع فيه ما يدون من التنزيل الحكيم، ثم نقلت الصحب إلى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد أن جمعت في مصحف على يد زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أحد كبار كتاب الوحي وحفاظه، ثم نقلت الصحف إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبقيت عند حفصة (رضي الله عنها) إلى أن استعارها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية ثم ردها إليها، وإلى جانب ذلك كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد، وقد نشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم وحاجات الدول.

ومن أشهر المكتبات التي قامت بدور تربوي تعليمي:

- دار الحكمة أو بيت الحكمة:

وقد رجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم أمدها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة، حتى صارت من أكبر خزائن الكتب العصر العباسي وظلت هذه الخزانة قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم إلى أن استولى المغول على بغداد سنة٦٥٦هـ(١).

- دار العلم:

وهي خزانة العبيديين بمصر ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع فيها كتبا كثيرة، وأقام فيها الطلاب وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق

---

(١) سعد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية ص ٩٧، السبكي، مرجع سابق ٢ / ٢٢٠.

وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى، وأكثر جمعا للكتب وإفادة للطلاب والعامة(١).

- **مكتبة قرطبة:** لقد كثرت المكتبات في الأندلس، وبلغت نحو سبعين مكتبة سوى المكتبات الخاصة وأشهرها مكتبة قرطبة، التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) وكان وكلائه يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من المؤلفات، فقد جمعت أربعمائة ألف مجلد، وكثر الطلاب حول هذه المجلدات للإفادة(٢).

- **المكتبة الحيدرية بالنجف بالعراق:**

وقد اهتم بهذه المكتبة الأمراء والوزراء، ومن أشهر من اهتم بها قديما عضد الدولة البويهي ٣٧٢ هـ ومكتبة ابن سوار بالبصرة وأسسها أبو علي بن سوار، أحد رجال عضد الدولة البويهي، وفيها كتب كثيرة وكان طبيعيا منذ أوائل حكم البويهيين أن يشغفوا بالكتب وجمعها واتخاذ مكتبات خاصة لأنفسهم، وبجانب المكتبتين السابقتين كانت مكتبة وزير ابن العميد، وكانت أكبر من سابقتيها، ويقال أنها لو حملت ما استطاع أن يحملها إلا مائة بعير، واتخذ خازنا لها ابن مسكويه الفيلسوف المعروف والتي كانت سببا في نبوغه وتفوقه، ومكتبة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بالري ويقال أنها كانت أضعاف مكتبة ابن العميد، حتى أن فهارسها كانت في عشرة مجلدات، بالإضافة إلى خزانة سابور، والتي أنشأها سابور بن أردشير بالكرخ وزودها بكتب كثير وكانت مركزا ثقافيا هاما يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالعة(٣).

---

(١) محمد عبد الله عنان، مرجع سابق ص ٥١.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ / ٢١٠.

(٣) معجم المؤلفين٩ / ٢٥٧،معجم الأدباء٢ / ٢٥٩،الزركلي ٦ / ٩٨،الوافي بالوفيات٢ / ٣٨٢،إنباه الرواة ١ / ٢٠١.

- مكتبات المدارس:

ألحقت المكتبات بالمؤسسات العلمية التي كثرت في المدن الإسلامية فقلما خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنتاج الفكري الإسلامي الذي تفتح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية ببغداد، ومكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد كذلك، وقد سبق الحديث عنهما، وبناء المدارس انتشر في الإسلام انتشارا هائلا، وقد ألحقت بها كلها مكتبات[1].

- مكتبات البيمارستانات[2] (المشافي أي المستشفيات):

كان من مآثر الإسلام الكبرى عنايته بالمرضى واهتمامه بعلاجهم، وإيجاد الأماكن اللازمة لمعالجتهم وتطبيبهم، وقد أنشأ الخلفاء والحكام المشافي في طول البلاد الإسلامية وعرضها، فقد أوجد عضد الدولة البويهي في القرن الرابع الهجري مارستانا في بغداد سمي باسمه، فظل فترة طويلة يستقبل المرضى ويهتم بهم، كذلك أنشأ نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري مارستانا، وفعل ذلك ملوك المماليك وحكامهم في مصر وسورية وقد ألحق بهذه المشافي مكتبات حافلة تضم ثمرات العقول، لأن المستشفى لم يكن مكانا للتطبيب والتمريض[3] وإنما كانت مكانا لتعليم الطلاب وعلى وجه الخصوص طلاب كليات الطب، في معرفة الأمراض وطرق معالجتها، فكان البيمارستان مكانا للتدريب العملي ومكانا للدراسة النظرية، وقد بلغت بعض المكتبات الملحقة بالمشافي حدا ضخما فقد ذكر أن عدد الكتب التي وجدت في مستشفى قلاوون في القاهرة حوالي مائة ألف مجلد أخذت أغلبها من دار الحكمة في القاهرة[4].

---

(١) ناجي معروف، مرجع سابق ١ / ٥٩ - ٦٥.
(٢) البيمارستان: يعني بيت المرضى.
(٣) صلاح أحمد الطنوبي، المكتبات في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٢٧١، ١٩٨٧ ص ٥.
(٤) المرجع السابق ص ص ٥١، ٥٢.

تعقيب:

يتبين من خلال العرض السابق لأماكن التعليم والتعلم المختلفة والتي أوردها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " الدور البارز للمساجد والكتاتيب والمدارس ومجالس الأمراء والوزراء، والأسواق وأماكن التجارة، ومحال العمل والمكتبات والبيمارستانات في تربية وتعليم وتهذيب النشء.

فالمساجد وهي:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (١)

تكتسب بذلك قدسية خاصة لدى المسلمين عامة ودورها قديما لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة، فقد حملت المساجد، مشاعل الهداية والتنوير بمعناه الحقيقي وأسهمت في نشر العلم والتعليم في جميع الأقطار الإسلامية الموجودة بها، وتحمل كتب السنة النبوية المطهرة الكثير من الآثار التي تبين حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة وحضور حلقات العلم بالمسجد، وفي العصر الحديث يلاحظ الباحث قصور دور المسجد التربوي ولا يكاد يرى سببا لهذا القصور.

والباحث يدعو إلى أن يعود للمسجد دوره التربوي التعليمي حتى تتقدم الأمة جمعاء، كما كانت متقدمة في الماضي، وحتى تتمكن القيم من نفوس الناس جميعا.

وقد تحدث الباحث عن المساجد التي قامت بدور تربوي كما أوردها ياقوت:

- **مساجد المدينة، وتشمل:** مسجد المدينة، ومسجد السبيع.
- **مساجد الكوفة، ومنها:** المسجد الجامع بها.
- **مساجد بغداد،** مثل مسجد ابن رعبان.

(١) سورة النور: من الآية ٣٦

- **مساجد دمشق**: مثل مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجد بني علان، ومسجد أبي بكر هشام بن معاوية الضرير، والمسجد المعلق، ومسجد بني أمية.
- **مساجد البصرة**: مثل جامع البصرة.
- **مساجد نيسابور**: مثل الجامع القديم، والجامع المنيعي.
- **المسجد الجامع بالأندلس، وواسط والجامع الكبير بأصبهان، وفي مصر**: جامع عمرو بن العاص، وجامع المقياس، ومسجد ابن الحاج بقنا، ومسجد الخضر، ومسجد القرافة ومسجد الآبي بقرية البهنسا.

ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم ازدحاما هي حلقات الفقهاء والمحدثين. ولم يقتصر التعليم بالمساجد على العلوم الدينية فقط ولكن كان العلوم اللغوية والعقلية يتعلمها الطلاب من خلال المساجد.

- الكتاتيب: قامت بدور تعليمي في تعليم الصبيان من أهل البلدة التي بها. سواء كان هؤلاء الصبية من العامة، أم من الخاصة، كأبناء الأمراء والوزراء، وأحيانا كانت الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة. وكانت تهتم الكتاتيب بنشر العلوم الدينية، وأحيانا كتب الحديث، وشيئا من الشعر والحساب.
- المدارس أيضا كان لها دورها التربوي البارز في مجال التربية والتعليم في تلك الفترة التي أرخ لها ياقوت إذ فيها يتجلى الموقف التعليمي والتربوي بجميع جوانبه وذلك أدعى للتعليم المثمر الفعال.
- ويتضح لنا كذلك من العرض السابق دور منازل العلماء في التربية والتعليم، إذ كانت بمثابة أماكن مقدسة يحج إليها طلاب العلم من كل صوب وحدب ومن كل فج عميق.

والتعليم فيها يتم عن طريق مجالس العلماء، ويرى الباحث أن منازل العلماء ربما تكون مقصرة في أداء دورها التربوي والتعليمي على الوجه الأكمل، وربما يرجع ذلك لكثرة

أعباء الحياة، وكثرة اهتمامات العلماء، مما لا يسمح لهم باستقبال العدد الكبير من الطلاب.

- كما نلاحظ بعض المبادئ والإسهامات التربوية السامية والتي تناولها الباحث مثل التجاوز عن خطأ الصبيان في مجالس العلماء، والتعليم دون مقابل.

وللباحث ملاحظات على النقطتين السابقتين وهي :

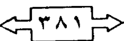
- لا يجوز إغفال الخطأ باستمرار بل لابد من تعديله حتى لا يثبت في ذهن المتعلم على أنه صواب ولا بد من الثواب والعقاب.

- أما عن مبدأ التعليم بدون مقابل أي دون أخذ أجرة فهذا يرجع إلى حال المعلم، إذا كان لديه ما يكفيه ويجعله يتفرغ للعلم والتعليم فبها ونعمت وإلا فهو مضطر لأخذ مقابل مناسب لما يقوم به من تعليم من الطلاب أو أولياء أمورهم، وإن كان من الأفضل أن توفر الدولة التي تتولى مسؤولية تعليم الأبناء مجانا، الأجر المناسب للمعلم وأن ترعاه ماديا وأدبيا.

- كما يتبين للباحث أن هناك أماكن متعددة لعبت دورا بارزا في التعليم وقد أرخ لها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " ومن هذه الأماكن:

مجالس الأمراء والوزراء، والأسواق، والشوارع والطرقات العامة، وأماكن الحروب من الأربطة والخوانق، وكذلك أماكن التجارة من الدكاكين وغيرها من محال العمل.ثم المكتبات والبيمارستانات.

وقد قامت هذه الأماكن بدور تعليمي في الأماكن المتواجدة بها، بجانب الهدف الأساسي الذي أعدت له هذه الأماكن، وهذا يتوافق مع وجهات النظر التربوية الإسلامية خاصة وبعض وجهات النظر التربوية الحديثة الأخرى، فينبغي أن يكون العلم والتعليم والتربية في كل مكان، ولكل إنسان حتى تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.



وبذلك يتضح لنا أن " معجم الأدباء " لياقوت الحموي. يعد مصدرا هاما من مصادر التاريخ للأماكن التعليمية على مدار عدة قرون. حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم الأماكن التعليمية في الفترة ما بين القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري وعليه فإن الباحث التربوي المعني بدور المؤسسات التعليمية يستطيع الإفادة من هذا المعجم من خلال الاطلاع عليه.

الفصل الخامس
بعض القضايا التربوية التي وردت
في كتاب "معجم الأدباء"

يتضمن هذا الفصل بعض القضايا التربوية المتنوعة والتي تحدث عنها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء)

ومن أهم هذه القضايا: -

١- أخذ الأجر على التعليم.

٢- مراحل التعليم الخاص :-

ا- تعليم الأمراء والوزراء .

ب- ابناء الأمراء والوزراء .

ج- تعليم الصبيان .

د - تعليم الكبار أوما يسمى في **التربية الحديثة (محو الأمية)**

٣- مؤسسات تمويل التعليم:-

ا- التمويل من العلماء .

ب - التمويل من طلاب العلم.

ج - التمويل من الأمراء والوزراء.

د - التمويل من الأثرياء.

هـ - مصارف هذه الأموال.

٤- قضايا متنوعة.

ا- محاور الشريعة الإسلامية المتضمنة في بعض كتابات الفقهاء.

ب- التربية الخلقية .

٥- كتب ذات قيمة تربوية.

٦- مفهوم البيئة وأثرها على العلماء

أخذ الأجر على التعليم.

ذكر ياقوت الحموي من بين القضايا التي كانت سائدة في العصور والقرون التي أرخ لها ،الإجارة على التعليم.

ففي القرن الثاني الهجري : كان العلماء يحرصون على أخذ الإجارة مقابل التعليم للطلاب.أو مدح الأمراء ومن بين هؤلاء:-

داود بن مسلم مولى تميم والملقب بالآم (شديد السواد): ١٢٠ هـ كان يعلم الشعر مقابل أجره، ومدح العلماء لأخذ الأجر، فقد نزل دمشق على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ،فمدحه وقال شعرا في كرمه . فأجازه بجائزة عظيمة ثم استأذنه فأذن له وأعطاه ألف دينار[١].

أبو الحسن على بن حمزة الملقب بالكسائى ت: ١٦٩ هـ كان ممن يؤدب بأجرة ففي رواية المرزبانى قال كتب الكسائى إلى الرشيد وهو يؤدب محمد الأمين قصيدة من الشعر في حاجاته ، فأمر له بعشرة الآف درهم ،وجارية ، وخادم ، فقد أجابه المأمون إلى لطلبه لأنه مؤدب أولاده، وبذلك كسب الكسائى بالتعليم مالا كثيرا .

وكانت الإجارة تؤخذ غالبا بعد إتمام مجلس التعليم ، أو بمعنى آخر بعد إتمام الطالب لمادة التعليم التي يدرسها ، فقد كان أبو الحسن الملقب بالأحمر صاحب الكسائى ت: ١٩٤هـ يأخذ الإجارة من آباء الطلاب ،بعد تفوق أبنائهم وتحصيلهم لعلوم هؤلاء العلماء ،فقد كان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدبا إلى أولادهم فجلس في مجلسه أمروا له بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل له ويوهب . فحينما أتم الأحمر مجلسه الذي كان يعلم فيه أبناء الرشيد وأراد الانصراف إلى منزله دعا له الرشيد بحمالين فحملوا معه ما كان في مجلسه مع بز كثير[٢]

---

(١) معجم الأدباء، ٤/٤ ، وميزان الاعتدال ،٢١٨/٤ ، والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٧١/٤

(٢)معجم الأدباء، ٤/ ١٠٢ وانباه الرواة ،٢٥٦/٢ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ،٤٠٣/١١

وفى القرن الثالث الهجري : استمر العلماء في أخذ الإجارة على التعليم ومن هؤلاء:-

أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب الكوفي ت:٢١٣ هـ كان من أفاضل كتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم وكان جيد الكلام ، يكتب لأمير بلدته ويحصل على أجرة[١]

ولذلك فقد اهتم الكوفي بتحسين خطوط طلابه ، فيقول لهم ناصحا "إذا أردت أن يجود خطك فأطل جلفتك وأسنها وحرف قطعتك وأيمنها " لأن الكتابات التي يكتبها العلماء كانت لاتجار إلا إذا عرضت على متخصص فقد:

كتب أبو جعفر عدة كتب لم يرضها المأمون ، والفضل بن سهل ، فكتب أحمد بن يوسف كتابه فعرضت نسخته على العلماء ، فرجع نظره فيها ذي الريا ستين فقال له ، ما أنصفناك ، أخذ القلم والقرطاس وكتب له من المنازل ، ويعد فيها الفرش والآلات والكسوة والكراع (النخيل والبغال والحمير) ، وقال له : إذا كان في غد فاقعد في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديك .

ويتضح مما سبق أن الأمراء كانوا بجانب ما يجرونه من الرواتب على كتابهم كانوا يعدون لهم أماكن خاصة يجلسون داخله كي يقوموا بالنسخ والكتابة، وكان الكوفي بمثابة المعلم لهؤلاء.

وكان الكوفي يستعين بالكتاب إذا كان المر يتطلب ذلك ، من كثرة الكتابات فيقول :كنت بديوان الكوفة ، وكان معي عبد الله بن على ،والدوى الشامية (من أدوات الكتابة) فأخرجتها وكتبت وهو يملى، فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب وأصلح ، وقال

(١)معجم الأدباء ، ٨٦/٢ ، والخطيب البغدادي ،مرجع سابق ، ٢١٦/١١

دعه وكل العنوان إلى، ثم قال لي : كم رزقك في ديواننا؟ فقلت عشرة دراهم أخرى، رعاية لحرمتك بعبد الله بن علي، ومثوبة (مكافأة) لك على طاعتك.(١)

ومن ذلك يلاحظ أن الأمراء كانوا يكافئون الكتاب إذا أتموا أعمالهم بنجاح وأظهروا نبوغا وابتكارا في كتاباتهم العلمية.

وكانت الإجارة والمكافأة تصل إلى العالم إذا أظهر علمه بين علماء الوزير. ففي رواية الزبيدي قال حضر المازني ت: ٢٤٩ هـ يوما عند الواثق وعنده نحاة الكوفة، فقال له الواثق يا مازني هات مسألة فقلت ما تقولون في قوله تعالى :

"... وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾" (٢)

ولم يقل بغية؟ وهي صفة لمؤنث ن فأجابوا بإجابات مختلفة غير مرضية. فقال الواثق هات ما عندك، فقلت: لو كانت بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء مثل كريمة وتحذف إذا كانت بمعنى مفعول وهي هنا بمعنى مفعول(٣) ولذلك كان الواثق يجري عليه مائة دينار في كل شهر.

أبو عبد الله محمد بن زياد الملقب بابن الأعرابي، ت : ٢٣٠ هـ الذي كان يعلم الطلاب مقابل أجرة يحصل عليها، حتى اكتسب به من المال الكثير فقد كان رأسا في كلام العرب، وكان ممن وسم بالتعليم، فكان يأخذ كل شهر ألف درهم، ينفقها على أهله وإخوانه(٤).

ابومحمد المعروف بابن النديم ت: ٢٣٦ هـ كان يكتب الشعر للأمراء مقابل أجرة ففي رواية شهوان جاريته قالت: إن محمد الأمين لما كتب له ابن النديم أبياتا غناها له أمر له بألف درهم. تقول فرأيتها قد أدخلت إلى دارنا. يحملها مائة فراش وهذه مهنة

(١) معجم الأدباء، ٨٦/٢ – ٩٠ وابن تغرى بردى، مرجع سابق، ٢٠٦/٢ والزر كلى، مرجع سابق، ٢٧٢/١ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٢١٦/٥

(٢) سورة مريم : من الآية ٢٨.

(٣)معجم الأدباء، ٣٥٠/٢ وأنباه الرواة، ٢٤٦/١ والزر كلى، مرجع سابق، ٦٩/٢ ومعجم الأدباء، ٣٥١/٢

(٤)معجم الأدباء، ٣٣٧/٥ ومعجم المؤلفين، ١١/١٠ والوافي بالوفيات، ٨٩/٣ والزر كلى، ١٣١/٦

الخادم. وحدث ابن النديم بقوله : ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ، ولا كان أحد يكرمني إكرامه فقد وصلني، بثلاثمائة ألف درهم ، وفى رواية على بن المنجم قال أن بن النديم لما انحدر إلى البصرة كان يكتب إلى على بن هشام القائد ، حتى ينزل بجواره وينال من ماله(١). وكانت الإجارة يحصل عليها العالم بعد الإجابة الصحيحة ، والكتابة الجيدة ، ومن هؤلاء :-

أبو جعفر بن عبيد المعروف بأبي عصيدة الديلمى ، ت : ٢٧٣هـ الذي أحضره المتوكل ، وسأله مسألة فأجابه عليها فقال له : أحسنت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم لحقني رسوله بعشرة آلاف أخرى ، فانصرفت بعشرين ألفا.(٢)

*أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ، ت٢٨٥هـ الذي كتب لأبى عبد الله اليزيدى ، فكان الأحول يكتب له مائة ورقة بعشرين درهما ، وفى المرزبانى : قال كان الأحول وراقا يورق لحنين بن إسحاق المتطيب في منقولاته لعلوم الأوائل مقابل أجره(٣).

*أبو الحسن على بن عبد العزيز المعروف بنزيل مكة ت :٢٨٧ هـ الذي يعلم بأجره ، وقد سئل عنه النسائي فقال قبحه الله ثلاثا ، قيل له يا أبا عبد الرحمن : أتروى عنه؟ فقيل له أكان كذابا ؟ فقال لا، ولكن قوما اجتمعوا ليقرؤوا عليه وبروه (أعطوه أجره) بما سهل عليهم ، وكان فيهم أنسانا متعلم فقير لم يكن في جملة من أعطوه أجره فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يدفع كما دفعوا ، فلما أحضر قصعته وأعطاه إياها حدثهم(٤).

---

(١) معجم الأدباء ، ١٣٧/٢ وابن النديم ، مرجع سابق ، ١٤١/١ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٩٢/١
(٢) معجم الأدباء ، ٤٦٧/١ ومعجم المؤلفين ، ٣٠٨/١ وأنباه الرواة ، ٨٦/١
(٣) معجم الأدباء ، ٢٩٥/٥ والوافى بالوفيات ، ٣٤٥/٢ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٥٨/٢
(٤) معجم الأدباء ، ١٥٦/٤، ١٥٧ وتذكرة الحفاظ ،٢/ ١٧٨ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢/ ٣٠٠

ومن ذلك تبين أن العلماء كانوا يلمون غيرهم بالأجرة . بل كان مجلس العلم يتوقف إذا حضره أحد الطلاب دون أن يدفع الأجرة للملم . وكان بعض العلماء ينكرون على هؤلاء الذين يتقاضون أجرة إذا امتنعوا عن التدريس لهؤلاء الذين لا يملكون أجرة.

أبو العباس أحمد بن يسار ثعلب ت : ٢٩١ هـ الذي كان يعلم طلاب العلم مقابل أجرة فقد ترك ثروة آلت إلى ابنته قدرت بإحدى وعشرين ألف درهم . وألفي دينار ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار [(١)].

وفي القرن الرابع الهجري : كان العلماء يعلمون الكثير من الطلاب مقابل أجرة تصلهم من أولياء هؤلاء الطلاب . ومن هؤلاء العلماء الذين مدحوا الأمراء مقابل أجرة :

أبو بكر محمد بن السري ويعرف بابن السراج البغدادي ت : ٣١٦ هـ الذي مدح الوزير المكتفي . فأمر له بألف دينار . وصلت أليه [(٢)].

وكان العلماء في ذلك القرن يكتبون الكتب مقابل أجرة . بل كان العالم يلقب بهذه المهنة . فقد الكرماني الملقب بالوراق ت : ٣٢٩ هـ كان مليح الخط صحيح النقل . وكان يورق بالأجرة [(٣)].

أبو بكر محمد بن على العسكري الملقب بمبرمان النحوي ت :٣٤٥ هـ كان العلماء يصححون عليه الكتب مقابل أجرة . فقد أخذ عنه الفارسي والسيرافي وكان ضنينا عليهما بالقرأة لا يقرأ كتاب سيبويه ألا بمائة دينار [(٤)].

وكانت الأجرة التي يحصل عليها العلماء تحدد من قبل الوزراء والأمراء ففي ترجمة الصاحب بن عباد ت: ٣٨٥ هـ أنه كان لا يزيد عطاؤه عن مائة درهم وثوب . رفع إلى خمسمائة . وما يبلغ الألف ألا نادرا . وما يوفى عن الألف يكون بديع [(٥)].

---

(١) معجم الأدباء ، ٢/ ٥٧ وانباه الرواة ، ١/ ١٣٨ والزر كلى ، مرجع سابق ، ١/ ٢٦٧
(٢) معجم الأدباء ، ٣٤٢/٥ والزر كلى ، ٨٠/٣
(٣) معجم الأدباء ، ٣٥١/٥ والزر كلى ، ٢٢٤/٦
(٤) معجم الأدباء ، ٣٧٨/٥ والوافي با لوفيات ، ٣٢٩/٣ والزر كلى ، ٢٧٣/٦
(٥) معجم الأدباء ، ٢٥٠/٢ وأنباه الرواة ، ١/ ٢٠١ والزر كلى ، ٣١٦/١

ومن ذلك يتضح أن مكافأة العالم أو الشاعر كانت لاتصل إلى ألف درهم ألا إذا أتى الرجل ببدعة من شعره أو علمه لم يسبقه به أحد ، وبديع بمعنى أبد الرجل والشاعر أتى بالبديع والشيء أنشأه واخترعه ، ولله المثل الأعلى قال تعالى " بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " أي أوجد هما على غير مثال سبق لهما .

ومن العلماء من كان يحقر أخذ الأجرة ويدعو إلى التعليم من أجل العلم ومن هؤلاء:- أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني ت: ٣٩٢ هـ كان يذم أخذ الأجرة على التعليم واعتبرها ذلة ومهانة في حق من يأخذها فيقول :

ولم أقض حق العلم أن كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخذ ما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة	أذن فابتياع الجهل قد أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهارا ودنسوا	محياه بالأطماع حتى تجهما[1].

وتبين من ذلك أن الجرجاني اعتبر أن أخذ الأجرة على التعليم أنما هي دنس وقبح وبشاعة تلحق بهذا المعلم الذي يأخذ هذه الأجرة ، وهو بذلك لم يقم خدمة للعلم وإنما خدم المال بالعلم .

ويرى الباحث أن أخذ الأجرة تتوقف على حال المعلم وإمكانية حصوله على قوته بعيدا عن التعليم وأن لم يكن له مصدر رزق سوى التعليم فلا حرج في ذلك ، وقد نادت التربية الحديثة بأخذ الأجرة على التعليم .

(١) معجم الأدباء ، ١٦٠/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١/ ٣٢٤ والزركلي ، مرجع سابق ، ٣٠٠/٤ واسبكي مرجع سابق ، ٣٠٨/٢ ، ٣١٠ والثعالبي ، مرجع سابق ، ٢٣٨/٣

ومن الذين أخذوا الأجرة على الكتابة : -

أبو العباس أحمد بن إبراهيم الملقب بالكافي الأوحد ، ت: ٣٩٩ هـ الذي أمر بالكتابة في وزارة فخر الدولة ، ويضمن له ثمانية آلاف درهم عنه[(١)].

ومن علماء القرن الخامس الذين علموا وكتبوا مقابل أجرة : -

أبو محمد أحمد بن علي ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر، ت: ٤٣١ هـ الذي كتب للطاهر ثم للمستنصر وكان رزقه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، عن كل ما يكتبه من السجلات التي تودع في دار العلم[(٢)].

أبو جعفر محمد بن إسحاق الملقب بالقاضي البحاثي ت : ٤٦٣ هـ الذي كان يتاجر بخطه فقد ذكر ياقوت الحموي أنه رأى نسخة من كتاب يتيمة الدهر للثعالبي في خمس مجلدات بخط البحاثي بيعت بثلاثين دينار نيسابورية[(٣)].

أبو النصر محمد بن أحمد الكركانجي الملقب بالإمام الوالد، ت: ٤٨٤هـ الذي اهتم بتعليم القرآن الكريم لأهل بغداد بأجرة ، ففي رواية أبى عبد الله الحداد قال أن أبا نصر كان يريد أن يقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية عالية فامتنع عليه وقال له : تقرأ كل يوم عشرا وتدفع إلى مثقالا من الفضة ، يقول أبو نصر : فقبلت وأقمت عنده سنة وخمسة أشهر حتى ختمت ، ثم جمع شيخه أصحابه الذين قرؤوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحمل كل واحد منهم كيسا فيه دينارين ، وقال اعلموا أن هذا الشاب الذي قرأ على الرواية الفلانية ووزن لي كل يوم مثقالا من الفضة ، ورد على كل ما كان أخذه مني ودفع إلى كل ما حمله أصحابه[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء ، ١٧٨/٤ والكامل في التاريخ ،٧٢/٩، والزر كلي ،مرجع سابق ، ٨٦/١

(٢) معجم الأدباء ، ٤٩٢/١ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٣٥٨/١ والزر كلي ، مرجع سابق ، ١٧٢/١

(٣) معجم الأدباء ، ٢٢٨/٥ ومعجم المؤلفين ، ٤١/٩ والوافي بالوفيات ، ١٩٨/٢

(٤) معجم الأدباء ، ١٥٨/٥ والزر كلي ، مرجع سابق ، ٣١٦/٥ ومعجم المؤلفين ، ٢٥٩/٨

وأتضح من ذلك أن المتعلم إذا أجاد ونبغ في تعليمه كان محط الافتخار من أساتذته وشيوخه ،ويكافأ الطالب على هذا التفوق بمزيد من المكافآت وأن ترد إليه أجرته التي كان قد دفعها لأستاذه.

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين : استمر العلماء في التعليم مقابل أجرة ومن هؤلاء العلماء :

محمدين عبد الله الملقب بسبط التعاويذي، ت: ٥٨٣ هـ ببغداد ، الذي اختص بمدح الأمراء والوزراء مقابل أجرة فقد كان له راتب في الديوان (١).

أبو نصر محمد بن سليمان البغدادي بن قطر مش بن تركمان شاه ، ت: ٦٢٠ هـ الذي كان يكتب الكتب مقابل أجره ، فقد كان يورق بأجرة ، وخطه مليح (٢).

وقد تناول الفقهاء قضية أجور المعلمين في مباحث باب الإجارة وهي دفع مال مقابل جهد مبذول ، أو دفع مال مقابل الانتفاع بشئ مملوك للغير، غير أن الأساس الشرعي للإجارة مأخوذ من القرآن والسنة، فمن القرآن قوله تعالى:

"... قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ "(٣)

فقد اعترض سيدنا موسى -عليه السلام- على الرجل الصالح الذي أقام الجدار الذي يوشك أن ينهار دون أجر برغم أن أهل القرية بخلوا بطعامهم عليهما.

وقال تعالى:

" قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ..... "(٤).

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٦٥/٥ والزر كلي، مرجع سابق ، ٢٦٠/٦ ونكث العميان ، ص ٢٥٩ والوافي بالوفيات ، ١١/٤
(٢) معجم الأدباء ، ١٨٧/٣ والوافي بالوفيات ،٣/ ١٢٥ وابن العماد ، مرجع سابق ، ٩٣/٥
(٣) سورة الكهف : من الآية ٧٧.
(٤) سورة القصص : من الآية ٢٧.

حيث اشترط الشيخ الصالح على موسى -عليه السلام -أن يخدمه ثماني سنوات مقابل تزويجه أحدى ابنتيه .

وقال تعالى " ... فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ... " (١)

ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم-فيما ورد عنه أنه : أمر بالمؤاجرة. كما روى عنه أن دعا غلاما فحجمه فأمر له بصاع أو صاعين (٢).

ويؤخذ من هذا أن الإجارة لها أساس شرعي من الكتاب والسنة.

أما الإجارة على التعليم فهي محل خلاف بين الفقهاء ، غير أن ياقوت لم يتطرق إلى هذا الحديث عن الخلاف القائم في هذه المسألة.

التعليم الخاص

لقد كان التعليم الخاص طريقة من بين أنواع التعليم التي كانت سائدة في تلك القرون التي أرخ لها ياقوت عند حديثه عن القضايا التربوية المتنوعة والتعليم الخاص أخذ أكثر من شكل فقد كان يشمل:

- تعليم الأمراء والوزراء.
- تعليم أبناء الأمراء والوزراء.
- تعليم كبار السن أو ما يطلق عليه في التربية المعاصرة محو الأمية وتعليم الكبار والذي خصصت له كليات التربية قسما خاصا من بين أقسامها .
- تعليم الصبية من عامة أهل المدن الإسلامية التي تحدث عنها ياقوت .

وذكر ياقوت أن بعض العلماء رفضوا تعليم أبناء الأمراء والوزراء وتمسكوا بالتعليم العام لكافة أبناء المجتمع .

---

(١) سورة الطلاق : من الآية ٦.
(٢) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي ، مرجع سابق ، ص٢٢١ نقلا عن ابن حزم المحلى بالآثار، ٣/٧

ومن هؤلاء العلماء الذين تمسكوا بتعليم أبناء الأمراء والوزراء في القرن الأول الهجري :

أبو الأسود ظالم بن عمرو الملقب بالحاضري الجواب ، ت: ٦٧ هـ الذي اهتم بتعليم أبناء الأمراء بجانب تأليف الكتب وتصنيفها ومراجعتها فقد اهتم بتعليم (تأديب) أولاد زياد بن أبيه كما وضع العربية ونقط المصحف، وقد كتب له على بن أبي طالب (رضي الله عنه) شيئا من أصول النحو، فكتب فيه أبي الأسود وأخذ عنه جماعة(١).

ومن العلماء الذين اهتموا بتعليم الأمراء في القرن الثاني الهجري :

أبو الحسن على بن حمزة الكسائي ت: ١٩٢هـ فقد كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، بل أن الأمراء كانوا يمتحنون العلماء قبل أن يسند أليهم التعليم: دعا المهدي مؤدب الرشيد وهو يستاك فقال له : كيف الأمر من السواك؟ قال له أستك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي التمسوا لنا من هو أفهم من ذا؟ فقالوا : رجل يقال له الكسائي من أهل الكوفة ، فدعاه . فقال له المهدي، كيف تأمر بالسواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين ، قال أحسنت وأصبت وأوكل له تأديب الرشيد ، وصار الكسائي مؤدبا للرشيد حتى أخرجه المهدي من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء(٢).

ومن العلماء الذين اهتموا بتأديب أبناء الرشيد ذكر ياقوت منهم :

الأحمر صاحب الكسائي ، ت: ١٩٤هـ الذي كان مؤدبا للأمين،لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه، فكان يؤدب أبناء الرشيد مقابل أجرة(٣).

ومن العلماء الذين علموا تعليما خاصا في القرن الثالث الهجري :

أبو عبد الله محمد بن حسان الضبي ت:٢٣٠هـ كان مؤدبا لأولاد المأمون العباسي(٤).

---

(١) معجم الأدباء ، ٤٣٦/٦ وابن خلكان، ٢٤٠/١ والزر كلي ، ٢٣٦/٣ والتهذيب، ١٠٤/٧ وأنباه الرواة، ١٣/١
(٢) معجم الأدباء، ٨٨،٩٠/٤ ومعجم المؤلفين ،٨٤/٧ وأنباه الرواة ، ٢٥٦/٢ والزر كلى ،مرجع سابق ، ٢٨٣/١ والخطيب البغدادي ،مرجع سابق ، ٤٠٣/١١
(٣) معجم الأدباء، ٣/٤ والزر كلي، ٢٧١/٤
(٤) معجم الأدباء، ٢٩١/٥ والزر كلي، ٨٠/٦

أبو نصر أحمد بن حاتم الملقب بالباهلى ت:٢٣١هـ كان مؤدبا لأولاد عبد الله بن الحسن، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلدة، عشرة آلاف درهم، ووصله هو بعشرين ألف ويجانب ذلك كان يصنف الكتب فله كتاب اشتقاق الأسماء ذكر الزركلى أنه مخطوط في خزانة سعد أفندي بالآستانة رقم ٢٣٥٧ تاريخ، وله كتاب شرح ديوان ذي الرمة مطبوع في مجلدين [١].

أبو زهير،رزين بن زند ورد الملقب بالعروضي ت:٢٤٧هـ كان مؤدبا لآل سليمان [٢].

أبو عبد الله ،أحمد بن عمران الملقب بالأخفش ت: ٢٥٠ هـ الذي نبغ في النحو فقيل عنه أنه مؤدب لغوى نحوى، فقد تأدب في العراق، وكان مؤدبا لولد(إسحاق بن عبد القدوس) ويجانب ذلك اهتم بالكتابة فله تفسير غريب الموطأ قال الزركلى أنه مخطوط الجزء الثاني منه في مكتبة عبيد بدمشق وقد اختص من نفسه مدح آل البيت [٣].

أبو على الحسين بن ياسر الضحاك الملقب بالخليع ت: ٢٥٠هـ كان أول من جالس من العلماء الأمين بن هارون الرشيد، وكان اتصاله به سنة ١٩٨هـ [٤].

أبوعبد الله، أحمد بن إبراهيم النديم ت:٢٥٥هـ الذي اهتم بتعليم أبناء الأمراء فقد كان خصيصا بالمتوكل يؤدب أبناءه، وكان المتوكل يقوم بامتحان أبناءه قبل إعطائه الأجرة، فقد عقد المتوكل لأولاده الثلاثة مجلسا. فدخل عليه أحد أبنائه فأنشده بيتا من الشعر فسر المتوكل بذلك سرورا كبيرا ونثر على أبى عبد الله النديم بدرة (كيس) فيه عشرة آلاف درهم وقيل دينارا [٥].

---

(١) معجم الأدباء، ٢٣٩/١ وانباه الرواة، ٣٦/١ والزركلى، ١٠٩/١
(٢) معجم الأدباء ،٣٣٥/٣، والزركلى، ٢٠/٣
(٣) معجم الأدباء، ٥٣٢/١ وبغية الوعاة، ص ١٥٢ الزركلى، ١٨٩/١
(٤) معجم الأدباء، ١٢٩/٣
(٥) معجم الأدباء، ٢٩٤/١ ومعجم المؤلفين، ١٣٤/١ والوافى بالوفيات، ١١١/٥ والزركلى، ٨٥/١

ومنه لاحظ الباحث أن الدور الأساسي للأسرة في متابعة تقدم أبنائهم في التعليم قبل أن يدفع أجرة المعلم، غير أن الباحث يرى أن هذا الدور التربوي للأسرة في متابعة تقدم أبنائهم، قد تقلص أمام الظروف الحياتية التي خرج فيها رب الأسرة باحثا عن المال وجمعه بل قد خرجت ربة الأسرة عن دورها الأساسي إلى الدور الثانوي الذي تقدمه تجاه المجتمع.

ومن العلماء الذين علموا أبناء المتوكل :

أبو جعفر أحمد بن عبيد، أبي عصيدة الديلمي ت: ٢٧٣ هـ كان يؤدب ولدا المتوكل، فأحضره المتوكل مجلسه وسأله عن علمه قائلا: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم واخترنا[١]

ومنه يتبين أن تفوق العالم في الامتحان الذي يعقد له يكون سببا في اختياره لتأديب أبناء الأمراء والوزراء، كما لاحظ الباحث أن المنافسة العلمية بين العلماء، تساعد المتعلمون على المذاكرة والفهم، لأنهم سوف يختاروا أفضل العلماء.

ومن العلماء الذين اهتموا بالتعليم الخاص في القرن الرابع الهجري :

أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت: ٣١١هـ كان الزجاج من العلماء الذين قاموا بتأديب أبناء الوزراء فقد طلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير لتأديب أبنه فكان يهتم بتأديبه، حتى أصاب في أيامه ثروة كبيرة فيقول الزجاج: قمت بتأديب القاسم بن عبيد الله بن سليمان وكان ذلك سبب غنائي [٢].

---

(١) معجم الأدباء، ٤٤٦/١ ومعجم المؤلفين، ٣٠٨/١وانباه الرواة، ٨٤/١-٨٦

(٢) معجم الأدباء، ٨٣/١ وحرجى زيدان، مرجع سابق، ١٨١/٢ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٨٩/٦

وكان العلماء يستخدمون بعض الطرق التربوية في تعليم هؤلاء الأبناء ومن هذه الطرق :-

طريقة الإملاء.

فقد ذكر ياقوت الحموي في ترجمة (أبى عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد المطرز، ت: ٣٤٥هـ أنه كان يعلم أبناء الوزراء ففي رواية أبى القاسم على بن الحسن قال : كان أبو عمر يؤدب ولد القاضي (محمد بن يوسف) فأملى عليه نحو من ثلاثين مسألة في النحو وقد أملى عليه من حفظه(١)

أبو حامد أحمد بن إبراهيم الفارسي، ت: ٣٤٦هـ الذي أقام بمنزل أبى إسحاق المزكي سنين لتأديب أولاده وحفظ سماعتهم عليه(٢)

أبو العباس بن عبد الله الملقب بالميكالى ت: ٣٦٢هـ الذي تعلم وتتلمذ تلمذة مباشرة على يد أبى بكر محمد الحسن بن يزيد ، فقد استدعاه فأجابه أجلالا له فهو مؤدبه وقد صنف له المقصورة فأعطاه ثلاثمائة دينار ، أجره على كتابتها(٣)

أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالرازي اللغوي ت: ٣٦٩ هـ كان منجبا في التعليم وقد تعلم بالري ورحل إلى زنجان ليتأدب على الخطيب ثم حمل إلى الري ليقرأ عليه مجد الدولة ، فسكنها واكتسب مالا من تعليمه له(٤)

أبو الفتح محمد بن جعفر المعروف بابن المراغى ت: ٣٧١هـ كان يعلم عز الدولة ابن معز الدولة ابن بويه . وقد جمع ابن المراغى بين تعليم غيره وتأليف الكتب فله كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل قال الزركلى أنه مطبوع . وله كتاب البهجة قال الزركلى أنه مطبوع على نمط الكامل للمبرد، وله كتاب أسماء البلدان ذكر الزركلى أنه مخطوط الجزء الثاني منه . باسم أخبار البلدان(٥) .

---

(١) معجم الأدباء، ٣٦٢/٥ وجرجى زيدان، مرجع سابق، ٣٠٤/٢ والزر كلى، مرجع سابق، ٢٥٤/٦

(٢) معجم الأدباء ، ٣٠٥/١

(٣) معجم الأدباء ، ٢٩١/٢ وابن العماد، مرجع سابق، ٤١/٣ والزر كلى ، مرجع سابق، ٣١٨/١

(٤) معجم الأدباء، ٥٣٤/١

(٥) معجم الأدباء، ٢٧٨/٥ ومعجم المؤلفين، مرجع سابق، ٦٧/٤ والزر كلى، ٢٦١/٢

أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدى الأشبيلى ت: ٣٧٩هـ الذي سكن قرطبة وأخذ عن أبي إسماعيل القالي، واعتمد عليه (الحكم بن عبد الرحمن بن أبى العاص) في تعليم ولده[١]

أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف. ت: ٣٩٠هـ الذي اختاره المنصور مؤدبا لأولاده، وله في ذلك مجالس وأخبار، وقد كان المنصور يحضر مجلسه مع أبنائه[٢] حتى يتأكد من غزارة علم ابن العريف أو قلته.

وفى القرن الخامس استمر العلماء في برنامج التعليم الخاص مقابل أجرة ومن هؤلاء العلماء:

أبو على أحمد بن على الملقب بالمرزوقي ت: ٤٢١هـ كان معلما لأبناء بنى بويه في أصبهان، وجمع بين تعليم طلابه وتأليف الكتب، فله كتاب الأزمنة والأمكنة مطبوع في مجلدين.وكتاب شرح ديوان الحماسة لأبى تمام مطبوع في أربع مجلدات.وذكر الزركلى أن منه مخطوطة متقنة كتبت سنة ٥٢٣هـ في خزانة مغنسيا برقم ٢٧٥١.وله كتاب الأمالى[٣].

أبو عبد الله، محمد بن أبى سعيد الجذامى القيرواني ت: ٤٦٠هـ الذي كان متقدما عند ابن باديس أمير أفريقيا، وكان معه ابن رشيق صاحب كتاب العمدة فكان ابن باديس يقرب هذا تارة ويدنى ذاك.فتنافسا وتنافرا، ولكن لم يتغير أحداهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقضات والمناظرات، وقد جمع القيرواني بين تعليم الأمراء وتأليف الكتب وتصنيفها فله، كتاب أبكار الأفكار: جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره. وله مقامات عارض بها البديع وهى مطبوعة نشرها السيد حسن حسنى عبد الوهاب في مجلة المقتبس باسم رسائل الانتقاد ثم نشرها في رسالة مفردة باسم أعلام الكلام مجموع فيه

---

(١) معجم الأدباء، ٣٢٩/٥

(٢) المرجع السابق، ٢١٠/٣ ومعجم المؤلفين، ٦٧/٤ والزركلى، ٢٦١/٢

(٣) معجم الأدباء، ١٩/٢ وانباه الرواة، ١٠٦/١ والزركلى، مرجع سابق، ٢١٢/١

فوائد ولطائف وهو من الكتب المفقودة . ولو سميت رسائل الانتقاد. لكان أصح لقول ياقوت في أسماء مصنفات ابن شرف وله رسالة الانتقاد(١).

وقد استمر التعليم الخاص في القرن السادس الهجري ومن علماء ذلك القرن كما ذكرهم ياقوت:

أبو البركات أحمد بن يحيى السيني ت: ٥١٤هـ كان واله مؤدب للخلفاء ، وكان أبو البركات يعلم أولاد المستنصر مقابل أجرة على تعليمهم (٢).

ومنه لاحظ الباحث توريث العلماء العلم لأبنائهم فقد : كان عبد الوهاب بن هبة الله يعلم الخلفاء . (أي تعليم خاص) . وأعقبه ابنه بعد ذلك – أي في التعليم الخاص.

أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمسعودي البندهي ت: ٥٨٤ هـ كان يعلم الملك الأفضل. وحصل له نافعة وقبول تام عند : صلاح الدين بن أيوب وأقبلت عليه الدنيا فحصل كتبا لم تحصل لغيره . وذكر عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين قال : أن المسعودي أدب الملك الأفضل بن صلاح الدين . وأملى بمصر مجالس . وله من التصانيف كتاب شرح المقامات للحريري . قال الزركلي انه مخطوط في خمس مجلدات كبار(٣).

أبو تمام كامل بن الفتح الملقب بالضرير . ت: ٥٩٦هـ كان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه. وعلمه علم الأوائل. وهون عليه علم الشرائع . وكتب الناس عنه أدبا كثيرا. فقد جمع بين التعليم الخاص والعام(٤).

ومن خلال هذا العرض الذي تناول الإشارات والممارسات التي ذكرها ياقوت في كتابه"معجم الأدباء" عن تعليم أبناء الأمراء والوزراء . بل الوزراء والأمراء أنفسهم يتبين أن ياقوت لم ينكر هذا التعليم أوي ذمه كذلك لم يتعرض ياقوت لمدحه أو ذمه. غير أنه يمكن

---

(١) معجم الأدباء، ٤٣٥/٥ وابن شاكر الكتبي ، مرجع سابق، ٢٠٤/٢، ٧٩/٣ والزركلي، ١٣٨/٦
(٢) معجم الأدباء، ٤٦٥/١
(٣) معجم الأدباء، ٣٥٢/٥ معجم المؤلفين. ١٥٥/١٠
(٤) معجم الأدباء، ٤٦٥/١ الزركلي ، مرجع سابق، ١٩١/٦

القول أن ياقوت بذكره لهذا النوع من أنواع التعليم الخاص في كتابه أنما هو بمثابة أقرار لهذا العلم . الفرع من فروع التعليم.

ومع ذلك ذكر ياقوت أن بعض العلماء كانوا يرفضون مثل هذا النوع من أنواع التعليم ويفضلون عليه التعليم الذي يشمل عامة أهل البلدة التي يسكنون فيها ومن هؤلاء العلماء:

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى ت: ١٦٠هـ الذي رفض أن يقوم بتأديب أبناء الأمراء والوزراء كتعليم خاص وتمسك بتعليم العامة فقد أرسل أليه سليمان بن على والى الأهواز لتأديب وله فأخرج الفراهيدى لرسول سليمان خبزا يابسا وقال له مادمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان وأنشده في ذلك قوله:

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني	ولأبتغى من بعده أبدا فضلا
ولست أروم القوت ألا لأنه	يعين على علم أرد به جهلا
فما هذه الدنيا يكون نعيمها	لأصغر ما في العلم من نكتة عدلا

وأتضح من ذلك أن الفراهيدى كان يهتم باكتساب العلم ، وترك تكسب المال ولولا أن القوت يقيم به صلبه ويساعده على مداومة العلم لتركه أيضا. وهو عنده أمثل الطرق للعلماء . ولذلك فقد أبدع الخليل بدائع لم يسبقه إليها أحد. فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف. في كتابه المسمى بكتاب: العين: الذي رتب أبوابه وأحدث أنواعا من الشعر من أوزان العرب[(١)].

كما لوحظ أن التعليم الخاص ساعد على ظهور طبقة متميزة من العلماء كل منهم يريد أثبات قوته وتفوقه في المادة العلمية، وظهر ذلك في مؤلفاتهم .

(١) معجم الأدباء، ٣٠٢/٣ معجم المؤلفين، ١٢٢/٤ انباه الرواة، ٣٤١/١- ٣٤٧ ابن كثير، مرجع سابق ، ١١/١٠- ١٦٢ الزر كلى،مرجع سابق، ٣١٤/٢ تهذيب التهذيب،١٦٣/٣ الكامل فى التاريخ، ١٧/٦

تعليم الصبية:

من أنواع التعليم الذي ذكره ياقوت في كتابه " معجم الأدباء" حيث أفرد ياقوت في تراجم العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبية . وكذلك هؤلاء العلماء الذين تعلموا في سن الصبي . وبذلك نبغوا في العلم، وتفوقوا على أقرانهم وقد تعددت الأماكن التعليمية التي ساعدت في تعليم الصبية فقد كانت الكتاتيب وبجانبها مجالس العلماء وكذلك الأماكن العامة.

ففي القرن الثاني الهجري اتخذ العلماء من الشوارع أماكن للتعليم، ومن هؤلاء العلماء:

حماد بن عمرو بن يونس الملقب بحماد عجرد . ت: ١٦١هـ كان من الشعراء المشهورين في الدولة العباسية ، وكانت بينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة لذلك اهتم بتعليم الصبية الشعر، متخذا من شوارع الكوفة مكانا لتعليم هؤلاء الصبية[١].

وفى القرن الثالث الهجري تعلم الصبية وهم في سن صغيرة: فصاروا علماء نتداول أعمالهم بالدراسة والتحليل للإفادة منها ، ومن هؤلاء:

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي حصل العلم عن العلماء وهو حديث السن (صبى) وكان جيد الحفظ. ففي رواية يحيى ابن زكريا النيسابورى عن الربيع قال: يقول الأمام الشافعي لقد كنت أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا وكنت وهم يكتبون عن أئمتهم(وهو ما يتعلمها لصبى كل يوم من القرآن) فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم ، أكون قد حفظت جميع ما أملى المعلم على طلابه.[٢]

أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني الملقب بالأحوص ت:٢٠٥هـ الذي اهتم بتعليم صبيان القرية التي كان يسكنها، فقد كان مؤدبا لأولاد الناس من شيبان فنسب أليهم، كما

---

(١) معجم الأدباء ، ٢٤٣/٣ ابن خلكان ، مرجع سابق، ١٦٥/١ لسان الميزان، ٣٤٩/٢ الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١٤٨/٨ الزر كلي، ٢٧٢/٢ ابن قتيبة، مرجع سابق، ص ٣٠٢

(٢) معجم الأدباء، ١٩١/٥ معجم المؤلفين، ١٤/٩ ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ١٧٦/٢والسبكى، مرجع سابق، ٢/٥

نسب اليزيدي إلى يزيد بن منصور، حين أدب ولده، ولم يقتصر على تعليم العامة من صبيان البلدة بل كان يعلم تعليما خاصا فقيل أنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد. وفي رواية بن السكيت قال: كان أبو عمر يكتب بيده إلى أن مات وربما استعار مني الكتب ومع ذلك قال بن السكيت: كنت آخذ عنه وأكتب منه كتبه.(1)

ومن ذلك أن تعليم الصبية كان يتم عن طريق الحفظ لما يمليه العلماء على أسماعهم أحيانا، وكانت الإفادة للطلاب عن طريق أعارتهم بعض الكتب التي تساعدهم على التحصيل بعد التمكن من القراءة أحيانا أخرى.

أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم، ت: ٢٥١ هـ كان مؤدبا لأهل بغداد من الصبية، وبجانب ذلك كان يعلم المعتز قبل أن يلي الخلافة، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي، فقد كان بن قادم من أعيان أصحاب الفراء، وأخذ عنه ثعلب(2)

ومنه تبين أن بن قادم جمع بين التعليم لكافة صبية أهل البلدة إلى يسكنها بجانب تعليم أبناء الأمراء والوزراء قبل أن يتولوا مناصبهم السياسية.

وقد تحدث ياقوت عن سن المتعلمين التي يمكنهم فيها دخول المؤسسات التعليمية والالتحاق بالمراحل التعليمية المختلفة وهو ما تشرطه المؤسسات التعليمية في لوقت الحاضر، فكان يطلب من المتعلمين أن يلتحقوا بأماكن التعليم في صغر سنهم، حيث أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالنقش على الماء.

ومن هؤلاء العلماء الذين أورد تراجمهم ياقوت:

أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الملقب بثعلب الشيباني ت: ٢٩١ هـ الذي قال ابتدأت النظر في العربية والشعر في سن السادسة عشر، ولذلك كان مشهورا بالحفظ(3).

---

(1) معجم الأدباء، ١٦٧/٢ الزركلي، ٢٩٦/١ الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٣٢٩/٦

(2) معجم الأدباء، ٣٤٧/٥ الوافي بالوفيات، ٢٩٥/٣ الزركلي، ٢٢٢/٦

(3) معجم الأدباء، ٥٨/٢ معجم المؤلفين، ٢٠٣/٢ تذكرة الحفاظ، ٢١٤/٢ الزركلي، مرجع سابق، ٢٦٧/١٠ إنباه الرواة، ١٣٨/١

وفي القرن الرابع الهجري كان تعليم الصبية كصورة من صور التعليم الخاص ومن هؤلاء الطلاب والعلماء الذين تعلموا من خلاله:

أبو جعفر محمد بن جرير الملقب بالطبري ت: ٣١٠ هـ الذي كان مثالا يحتذي به في التعليم الخاص ففي رواية أبى بكر بن كامل قال: جئت إلى أبى جعفر . قبل المغرب ومعي ابني (أبى رفاعة) . فقال لي هذا ابنك؟ قلت : نعم . قال لي : كم سنة لهذا؟ قلت تسع سنين . قال لم لم تسمعه مني شيئا؟ قلت: كرهت صغره ، وقلة أدبه. فقال لي : لقد حفظت القرآن ولي سبع سنين[(١)] ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين[(٢)] .

ومن ذلك يتضح أن الصبيان تعلموا في ذلك القرن. في سن صغيرة . ولذلك نجد علماء التاريخ والنابهين منهم تعلموا العلم في صباهم، ولذلك نبغوا وتفوقوا في علومهم . كما لاحظ الباحث التدرج في التعليم فقد بدأ الطبري بحفظ القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي ثم كتابة علم التفسير وغيره من العلوم.

أبو زيد أحمد بن سهل البلخى ت:٣٢٢هـ كان معلما للصبيان ثم رفعه العلم إلى مرتبة عليا، بل أنه اهتم بتعليم أبناء القرية التي سكنها ونشأ بين أفرادها فقد كان والده يعلم الصبيان في قرية شامستيان ببلخ، وكان أبو زيد يميل إلى هذه القرية ويحبها لأجل مولده بها، فاختارها لما حسنت حاله وقام بالنظر للأولاد ، وتعليمهم[(٣)] .

وأتضح من ذلك اهتمام أبو زيد البلخى ووله بتعليم الصبيان كتعليم خاص دون التركيز على تعليم أبناء الأمراء والوزراء.

وقد كان الصبيان يتعلمون من خلال مجالس العلماء في ذلك القرن، ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبيان: أبو رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى اليمامي

---

(١)معجم المؤلفين، ١٤٧/٩ ميزان الاعتدال، ٣٥/٣ ابن العماد، مرجع سابق، ٢٦٠/٢

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٢/٨ تذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ الزركلي، ٦٩/٦

(٣) معجم الأدباء، ٣٤٧/١ معجم المؤلفين، ٢٤٠/١ الوافي بالوفيات، ٧/٦ الزركلي، ١٣٤/١

ت: ٣٩٩هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان من خلال مجالس العلماء . ففي رواية ابن لنك المصري قال : حضرت مجلس أبى رياش في البصرة، وأنا حديث السن مع عمى حتى صرت رجلا وكتبت عنه وأخذت منه علا صالحا[(١)].

ومجالس الأمراء قامت بهذا الدور التربوي في تعليم الصبيان : ففي ترجمة أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمى اللغوي ت: ٣٥٥ هـ أنه ذكر في رواية أبى الحسين بن أدين النحوي قال: حضرت مع والدي وأنا طفل مجلس كافور الأخشيدى ، وهو غاص بأهله من العلماء (من كتاب أملاه النجيرمى)[(٢)].

وفى القرن الرابع الهجري كان تعليم الصبيان إلزاميا :

فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الحرانى ت: ٣٨٤هـ قال هلال بن المحسن قال: حدثني جدي أبى إسحاق قال: حدثني المحسن بن إبراهيم قال: كان والدي أبى الحسن يلزمني في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتحلي بصناعته وينهاني للتعرض لغير ذلك، وكان من الطبيعي في ذلك العصر أن يلتحق الطالب بعد إنهاء تعلمه بنفس مجال تخصصه للعمل بنفس مهنة التخصص . فيقول المحسن فقويت فيها (الطب) قوة شديدة ، وجعل لي برسم الخدمة في البيمارستان (محل معد لمعالجة المرضى) عشرون دينارا قي كل شهر[(٣)].

وفى القرن الخامس الهجري ساد تعليم الصبيان . دون التقييد بعلم بعينه: بل تنوع تعليم هؤلاء الصبيان بين أكثر من فرع من فروع العلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة: أبى القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربي ت: ٤١٨هـ أنه حفظ القرآن ، وعدة من كتب النحو واللغة، وكثيرا من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ، ولم يبلغ من العمر أربع عشر ربيعا[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء، ٢٤٦/١
(٢) المرجع السابق، ١٢٨/١ الزر كلى ، مرجع سابق، ٤٩/١
(٣) معجم الأدباء ، ١٦٢/٣ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢/١ الزر كلى ، ٧٨/١
(٤) معجم الأدباء، ١٦٣/٣ الزر كلى، ٣٠٤/٤

أبو الحسين علي بن عبد الله بن واصيف الملقب بالناشئ الحلاء ت: ٣٦٥هـ الذي تعلم أكثر من علم في صباه ، ففي رواية ابن عبد الرحيم قال حدثني الخالع: كنت مع والدي سنة ٣٤٦هـ وأنا صبي في مجلس الكبوذي في المسجد أتعلم منه(١).

أبو بكر محمد بن أحمد العمري الملقب بالأديب ت: ٤٢٨ هـ الذي كان يعلم الصبيان ، ففي رواية عبد الغافر قال: كان العمري يؤدب الصبيان ، وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ وهو يومئذ من علماء الحنابلة ، وكانت له حلقة في جامع المنصور يعلم من خلاله(٢)

ويتضح من ذلك أن العمري كان من العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبيان في حلقته التي كان يعقده في جامع المنصور ، فنفقه وتخرج على يديه علماء أجلاء ، أخذوا العلم عنه.

مكي بن طالب حموش القيسي ت: ٤٣٧ هـ الذي تردد منذ صباه الباكر بين القيروان مسقط رأسه ، وبلاد المشرق في مصر والحجاز ، وقد كانت القيروان آنذاك دار للعلم بالمغرب، وأليها ينسب أكابر العلماء ، وكان يقصدها كل من يطلب العلم ، وكانت موطنا للزهاد والصالحين(٣)

وقد تردد كذلك إلى مدن الأندلس وقد كانت بلاد الأندلس حينئذ حضارة مزدهرة مما جعلها مقصد طلاب العلم ورواد المعرفة. واشتهرت قرطبة في ذلك العصر بمسجدها الجامع، ولم يكن هذا المسجد موطنا للعبادة فحسب ، بل كان منتدى للعلماء ورواد المعرفة ومجمعا للساسة(٤).

---

(١) معجم الأدباء، ١٤٩/٤ معجم المؤلفين ، ١٤٢/٧
(٢) معجم الأدباء، ١٤٧/٥ الزر كلي ، مرجع سابق ، ٣١٤/٥
(٣) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي ، ط٢ ، ج ٢ ، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩) ص١١٥
(٤) مكي حموش ، مرجع سابق ، ص ٥٠٤

وقد حفظت كتب التراجم تنقلات مكي على وجه دقيق فقد سافر إلى مصر في الثالثة عشر من عمره سنة ٣٦٧هـ وهناك جلس إلى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب وأكمل القرآن[١] . وقد عاد إلى القيروان واستكمل بها علومه[٢] . وبعد ذلك نهض إلى مصر ثانية فقرأ القرآن بالقراءات على ابن غلبون سنة ٣٧٦هـ وفى بعض الروايات أن ذلك كان في سنة ٣٧٧هـ [٣] . وبين تفوق مكي حموش في العلم . وظروفه الحياتية لم يترك الفرائض الإسلامية التي فرضها الله(عز وجل) عليه . فقد أدى حجة الفريضة عن نفسه[٤] . وقد عاود رحلته إلى القيروان سنة ٣٧٧هـ . وقد حفظ القرآن ، واستظهر القراءات وغيرها من الآداب[٥] . ثم عاد ثالثة إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ليتلقى ما بقى عليه من القراءات[٦] . وقد عاد بعده إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين . ومنها خرج إلى مكة فحج أربع حجات وجاور ثلاث أعوام. ثم رحل إلى مصر في أحدى وتسعين، ورحل إلى الأندلس في ثلاث وتسعين فدخل قرطبة ، وظل بها إلى أن انتقل إلى جوار ربه[٧] ، واهتم بجانب ذلك بالتصنيف والكتابة فله كتاب : مشكل أعراب القرآن، قال الزركلى أنه مطبوع في مجلدين وكتاب : الكشف عن وجوه القراءات وعللها . قال الزركلى أنه مخطوط رأيت منه السفر الثاني على الرق في خزانة الرباط (٢٦٨٩ ك) وهو شرح التبصرة، وله الهداية إلى بلوغ النهاية. قال الزركلى أنه مخطوط منه أجزاء من سبعين جزء[٨]. وله كتاب التبصرة في القراءات السبع قال الزركلى أنه مخطوط، وله كتاب المنتقى مطبوع في أربعة أجزاء ، وله

---

(١) انباه الرواة ، ٣١٣/٣
(٢) ابن الجزرى ، طبقات القراء ، ٣٠٨/٢
(٣) المرجع السابق ، ٣٠٩/٢
(٤) ابن الجزرى ، ٣١١/٢
(٥) القفطى ، انباه الرواة ، ٣١٥/٣ معجم الأدباء ، ١٨٣/٥
(٦) المرجع السابق ، ١٨٣/٥
(٧) القفطى، مرجع سابق، ١٨٣/٥
(٨) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٨٦/٧

الإيضاح للناسخ والمنسوخ ذكره الزركلي في مخطوطات خزانة القرويين بفاس برقم ٦٣/٨٠ . وله كتاب الإيجاز ذكر الزركلي أنه مخطوط مختصر الناسخ والمنسوخ، وله كتاب الرعاية مخطوط في تجويد التلاوة . وكتاب الإبانة مطبوع وقد اطلع عليه الباحث في القراءات . وله فهارس جمع فيها لرحلته ومروياته وتراجم شيوخه وأسماء تآليفه[(١)].

ومن ذلك أتضح أن التعليم في الصبي يظهر آثاره في مؤلفات هؤلاء العلماء الذين تعلموا في سن الحداثة والصبي .

تعليم الصبيان عن طريق التمثيل :

ذكر ياقوت أن العلماء ابتكروا الكثير من الطرق التعليمية والتي من خلالها اكتسب الصبية الكثير من علوم هؤلاء العلماء . ومن هذه الطرق طريقة التمثيل . وهو ما تدعو إليه التربية المعاصرة ، عن طريق التربية المسرحية أو بمعنى آخر الدور التربوي للمسرح التعليمي . وقد ظهرت في هذا العصر الكتب التربوية المصحوبة بالرسوم كتمثيل لدروس المنهج والتي منها يكتسب الأطفال الكثير من أنواع المعرفة، ومن بين هؤلاء العلماء الذين أرخ تهم ياقوت وقد قاموا بتعليم الصبيان عن طريق التمثيل :

أبو سليمان . كيسان بن المعرف الملقب بالهجيمي ، وقد ذكره ياقوت بدون تاريخ وفاة وقد بحثت عنه في معجم المؤلفين، والأعلام . وشذرات الذهب، فلم أعثر له عن تاريخ وفاة. يقول ياقوت : جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعرا حتى مر ببيت ذكر فيه العيس فقال الصبي : ما العيس؟ قال له: الإبل البيض، فقال الصبي وما الإبل؟ قال له الجمال، قال الصبي : وما الجمال؟ فقام كيسان على أربع ورغا رغاء الإبل في المسجد . قائلا الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول: بوع[(٢)].

---

(١) المرجع السابق ، ٢٧٦/٧

(٢) معجم الأدباء، ٢١/٥ ، ٢٢

وتبين من ذلك أن كيسان استخدم طريقة التمثيل لتدريس الصبيان لعلمه أن هذه الطريقة هي التي تناسب عقول هؤلاء الصبيان.

من مراحل التعليم الخاص :

الدعوة إلى تعليم الكبار :

لم يكن التعليم حكرا على الصبيان في ذلك العصر وإنما كان هناك دعوة إلى تعليم الكبار فقد أورد ياقوت الحموي في ترجمة : أبى الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان وغلب عليه لقب الكسائى ت: ١٩٢هـ [١]، أنه تعلم في كبر سنه ، ففي رواية الخطيب قال: قال الفراء: إنما تعلم الكسائى النحو على كبر. وسببه أنه أخطاء في نطق كلمة فقالوا له أتجالسنا وأنت تلحن، فقام من فوره فسأل من يعلم النحو؟ فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل فأجلسه في حلقته [٢].

ولاحظ الباحث هنا أن التعليم الخاص كان يلتحق به الكبار أيضا ، ويطلبون العلم من خلال حلقات العلماء ، كما فعل الكسائى بجلوسه في حلقات الخليل ، وكذا ملازمة العلماء.

وفى ترجمة أبى الفضل أحمد بن عبد السيد بن على المعروف بابن الأشقر ، ت: ٤٣٧هـ تعلم في كبر سن فقد سمع على علو سنه ، في شيخوخته وكبره من أبى الفضل محمد بن ناصر السلامى [٣]. ،ويجانب ذلك اهتم بالطرق التربوية الحديثة من البحث والابتكار فقد : قام بالبحث في مسائل النحو ، مع محمد بن الخشاب النحوي [٤].

---

(١) المرجع السابق ، ٨٨/٤ عمر رضا كحالة،مرجع سابق، ٨٤/٧ الزر كلى، مرجع سابق، ٢٨٣/٤
(٢) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٤٠٣/١١ أنباه الرواة ، ٢٥٦/٢
(٣) معجم الأدباء ، ٤٦٠/١
(٤) المرجع السابق ، ٤٦٠/١

مؤسسات التمويل التعليم :

من القضايا التربوية التي أوردها ياقوت في كتابه " معجم الأدباء" فقد ذكر أن التعليم الذي تلقاه الطلاب عن العلماء في تلك القرون إلى أرخ لها، كان يتم غالبا دون أجرة تأخذ من هؤلاء الطلاب بخلاف التعليم الخاص من خلاله الأمراء والوزراء وأبنائهم . أما التعليم العام فقد كانت هناك مؤسسات تكفل أجور هؤلاء العلماء ورغم ذلك كان بعض العلماء يأبى أن يأخذ أجرة على دروسه ، اكتفاء بما يكتسبه من التجارة، وتأليف الكتب ومن بين المؤسسات التي قامت بتمويل التعليم :

الأمراء والوزراء .

العلماء.

طلاب العلم.

منازل الأثرياء.

ففي القرنين الأول والثاني الهجريين كان التمويل عن طريق العلماء وطلاب العلم فى بعض المدن الإسلامية ، فقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء :

سلم بن عمرو بن حماد الملقب بالخاسر، ت: ١٨٠هـ الذي خلف له أبوه أموالا كثيرة فأنفقها على أهل الأدب ، وقد مدح هارون الرشيد فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له: كذب بهذا من لقبك بالخاسر ، فجاءهم بها وقال هذا ما أنفقته على الأدب ، ثم ربحت الأدب فأنا سلم الرابح(١) .

وأتضح من ذلك أن المال الذي يستثمر في مجالات التعليم يعود بفائدة كبيرة وربح رائع، حتى وأن تأخر العائد منه.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزارى، الكوفي ت: ١٨٨هـ كان يأخذ من إخوانه ما ينفقه على الفقراء

---

(١) معجم الأدباء ٣٨٨/٣ الخطيب البغدادي، مرجع سابق١٣٦/٩ الزركلي ١٣٦/٣ ابن خلكان، مرجع سابق ١٩٨/١

والمستورين الذين لا يتحركون، والذي يأخذه من السلطان ينفقه على أهل العلم[1].

أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب ت: ٢١٣هـ الذي درب وأدب موسى بن عبد الملك، فكان في ناحيته، ففي رواية الحسن بن مخلد، قال: حدثني أحمد بن يوسف قال: كان موسى بن عبد الملك يرمى إلى بألف درهم في أوقات متفرقة[2].

هذا المال الذي يقدمه العلماء والوزراء وطلاب العلم يلعب دورا أساسيا في العملية التعليمية، فيستخدم للأنفاق على العلماء وطلاب العلم، وعلى الأماكن والمؤسسات التعليمية.

وفي القرن الثالث الهجري :

تحدث العلماء عن فضل المال في التعليم ومن هؤلاء العلماء الذين أورد ياقوت لتراجمهم:

أبي عبد الله محمد بن القاسم المعروف بابن أبي العيناء، ت: ٢٨٣هـ الذي قال:

من كان يملك درهمين تعلمت	شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له	ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه	لرأيته شر البرية حالا[3]

ويتضح من ذلك أن ابن أبي العيناء يتحدث عن فضل المال على طلاب العلم وأظنه يتحدث عن التعليم الخاص الذي كان يقتصر على الأمراء والوزراء وأبنائهم، أما العامة فقد كان متاحا لهم حلقات العلماء ومجالسهم التي كانوا يعقدونها في المساجد وبين أيدي الوزراء والأمراء.

---

(١) معجم الأدباء، ١٣٥/١ تذكرة الحفاظ ٢٥١/١ الزركلي، ٥٩/١ ابن العماد، مرجع سابق، ٣٠٧/١

(٢) معجم الأدباء، ٩٤/٢ابن كثير، مرجع سابق، ٢٦٩/١٠ ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ٢٠٦/٢ الزركلي، ٢٧٢/١

(٣) معجم الأدباء، ٤٠٩/٥ معجم المؤلفين، ١٣٩/١١ الوافي بالوفيات، ٣٤٢/٤

وفي ذلك القرن ظهر تمويل الأمراء والوزراء للعلم والعلماء ومن هؤلاء :

أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ت: ٢٨٥هـ الذي أرسل له الخليفة المعتضد العباسي(أبو العباس أحمد بن الموفق ت ٢٨٩هـ) مع رسوله بعشرة آلاف درهم فقال له يا أبا إسحاق أن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك(١).

ولاحظ الباحث أن تمويل المؤسسات التعليمية وأجور العلماء كانت تتم من قبل الأمراء، حتى يقوموا بتصنيف الكتب وتعليم الصبيان وبوجه خاص أبناء الأمراء بل وتعليم العامة من أفراد المجتمع كل في مكانه الذي يقيم فيه.

أبو يعقوب بن نصير الملقب بالكاتب ت: ٢٩٧ هـ الذي حصل رزقه من الأمراء ففي روايته قال: قال لي علي بن أحمد بن علي الجيش : لا تفارق حضرتي ، فبلغ إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار كل شهر ، فكان يجود بذلك ويتفضل به على أهل العلم ، وقد أرسل إلى بغداد ثلاثة آلاف دينار لأبي العباس ثعلب والمبرد ، ووراق كان يجلس عندهما(٢).

ولاحظ الباحث أن التنافس الذي نشأ بين أصحاب الأمارات في تلك القرون جعل كل منهم يجهد جهدا بالغا في أن يضم حوله علماء عصره بهدف أن يزدان بهم بلاطه وتزدان بهم دولته، ولكي يبعثوا في شباب الدولة الطموح إلى تحقيق ما لم يحققه العلماء من قبلهم . ولعل عضد الدولة خير من يمثل ذلك بين البويهيين . فقد كان يقدر العلم والعلماء ويجرى لهم الرواتب على الفقهاء والأدباء والقراء فرغب الناس في العلم . وكان هو نفسه يتشاغل بالعلم . ووجد في تذكرة له قوله : وإذا فرغنا من حل أقليدس كله . تصدقنا بعشرين ألف درهم . وإذا فرغنا من كتاب أبى على الفارسي النحوي تصدقنا بخمسين ألف درهم(٣)

(١) معجم الأدباء ، ١٧٢/٢
(٢) معجم الأدباء ، ١٧٢/٢
(٣) الكامل في التاريخ ، ٢١/٧ محمد محمد عثمان ، مرجع سابق ، ص ١٥

ومن العلماء الذين نالتهم صدقات الأمراء في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت : ٣١٠هـ ففي رواية أبى الحسن الجبى قال اجتمع الطبري ، وابن خزيمة ، والمروزى ، والروبانى في الديار المصرية ، فأرملوا وافتقروا ولم يبقى عنده مايمونهم ، واضر بهم الحال ، وقد جلسوا في بيت يكتبون الحديث ، فقام ابن خزيمة وجعل يصلى ويدعو الله (عز وجل) فرأى نائب مصر وهو نائم رسول الله (ﷺ) يقول له : أنت نائم والمحمديون ليس عندهم شئ يقتاتونه فانتبه من منامه ، و سأل أعوانه من هاهنا من المحمديين؟ فذكروا له الثلاثة فأرسل أليهم الساعة بألف دينار(١)

أبو إسحاق بن إبراهيم هلال الحرانى ت: ٣٨٤هـ الذي طلب منه سيف الدولة بن حمدان عند قدومه لحضرته شيئا من الشعر ، فأنشده ثلاثة أبيات ، فأخرج له كيسا بختم سيف الدولة وفيه ثلاثمائة دينار(٢)

وقد كان العلماء ينفقون على غيرهم من العلماء الذين لم يصلهم الأمراء والوزراء ومن هؤلاء : أبو الفضل جعفر بن الفضل الملقب بابن حنزابة ويسيدوك ت: ٣٩١هـ الذي أعطى الدارقطنى مالا كثيرا ، وطلب منه أن يتصرف فيه ، فأنفقه الدارقطنى على أهل الحرمين من العلماء ، وطلاب العلم وبعض أصناف الأشراف(٣)

وفى القرن الخامس الهجري استمر تمويل الأمراء لمؤسسات التعليم والعلماء وذكر ياقوت من بين هؤلاء :-

أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى الملقب بالموفق ت: ٤٣٦هـ الذي كان عارفا بالآداب ، وعلوم القرآن ، وقد نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره ، وأديب ملوك عصره ، الذي كان من الكرماء على العلماء وطلاب العلم ، ويبذل لهم الرغائب (العطاء

---

(١) معجم الأدباء ٢٤٦/٥ حسن المحاضرة ، ١٣٩/١ وتذكرة الحفاظ ، ٣٥١/٢
(٢) معجم المؤلفين ، ١٢/١ ابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق ، ٣/١
(٣) معجم الأدباء ، ٣٨٠/٢ ابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٢٠٣/٤ حسن المحاضرة ، ١٩٩/١

الكثير) خصوصا على القراء، حتى صارت مدينته دانية القراء بالمغرب. وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألف دينار ليزيد اسمه في ديباجة كتاب(١)

ومن العلماء الذين ساهموا في تمويل التعليم ومؤسساته :

أبو بكر أحمد بن ثابت الملقب بالخطيب البغدادي. ت: ٤٦٣هـ الذي كان له شيئا من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله، أني إذا مت كان مالي لبيت المال، وأنا أستأذن على إلى أن أفرقه على من شئت، فأذن له، ففرقه على أصحاب الحديث وبجانبه أوقف كتبه على المسلمين حتى ينتفع بها عامة المسلمون، ولا تقتصر الفائدة على طائفة بعينها(٢)

ومنه لاحظ الباحث أن العلماء ساهموا بجانب الأمراء والوزراء بتمويل المؤسسات التعليمية، الأنفاق على العلماء من أموالهم الخاصة بهم، والاهتمام بوقف كتاباتهم على عامة المسلمين حتى يتم نشر المعرفة والفائدة، وهو ما قام به شيخنا ياقوت الحموي الذي أوقف كتبه قبل وفاته، وهو ما ينادى به الباحث علماء المسلمين في الوقت الحاضر بتزويد المكتبات العامة بمؤلفاتهم حتى تتم الفائدة جميع طلاب العلم.

وقد ساهم التجار بأموالهم في تمويل المؤسسات التعليمية والأنفاق على العلماء وقد ذكر ياقوت من هؤلاء :-

أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابوري : ت: ٤٧٠هـ كان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار يوصلها إلى العلماء، وكان يتولى أوقاف المحدثين، ويقوم بتفريقها على العلماء وطلاب العلم، وإيصالها إليهم(٣)

وفى القرن السادس الهجري كان من بين الممولين للعلماء وطلاب العلم أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله. ت: ٥١٤هـ الذي كان كثير الأفضال على

---

(١) معجم الأدباء، ٥٥/٥ الزر كلى، مرجع سابق، ٢٧٨/٥ معجم البلدان، ٢٢٩/٤

(٢) معجم الأدباء ٥٠٤/١ ابن خلدون، مرجع سابق، ١٦٤/٤ الوافي بالوفيات، ٨٢/٦ تذكرة الحفاظ ٣١٢/٣ ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ٨٧/٥

(٣) معجم الأدباء، ٤٦٤/١ الزر كلى، مرجع سابق، ١٦٣/١ السبكى، مرجع سابق، ١٥٥/٢ ابن كثير مرجع سابق ١١٨/١٢

أهل العلم . وخلف من المال ما حرز (قدر بالحس) بمائة ألف دينار . وأوقفها لأهل العلم بمكة والمدينة (١)

ولاحظ الباحث أن أصحاب الأموال من التجار والرؤساء كانوا يقومون بتمويل العلماء وطلاب العلم المقترين من أموالهم ويقفوها عليهم.

وفي القرن السادس كانت مؤسسات التمويل ، منازل الأثرياء :

ففي ترجمة ياقوت لأبي الحسين أحمد بن علي الغساني والملقب بالرشيد الأسواني ت: ٥٦٢هـ أنه كان من أهل بيت كبير بالصعيد وكانوا يتعهدون الأنفاق على المتعلمين وتمويلهم (٢).

وكانت هذه الموال التي ينفقها الأمراء والوزراء والتجار . والعلماء على أهل العلم كان العلماء يستخدمونها أحيانا في أقامة المدارس والمساجد . وقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء الذين أشرفوا على أنشاء المدارس والمساجد من خلال هذه الأموال :

أبو القاسم على بن أبي محمد المعروف بابن عساكر والملقب بتقي الدين ت: ٥٧١ هـ الذي حصل من الأموال ما يقرب من اثنا عشر ألف دينار . أنفقها في بناء المساجد والمدارس . وتأليف الكتب . وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء (٣).

أبو الحسن على بن حمزة المعروف بابن بقشلان والملقب بعلم الدين ت: ٥٩٩ هـ مصر . والذي أوقف ثلث ملكه على المتفقهين لأصحاب الشافعي . بباب العامة ببغداد وقد استخدمت هذه الأموال في أنشاء مدارس الشافعية (٤).

وقد ظهر ذلك بكثرة في عهد الدولة السلجوقية وبعد أن وزر لهم ألب أرسلان الشافعي المذهب (٥).

---

(١) معجم الأدباء ، ٤٦٥/١ الأدفوى ، مرجع سابق ، ص٤٧ الزر كلى ، مرجع سابق ، ١٧٣/١
(٢) معجم الأدباء ، ٥٢٢٠/١- ٥٢١ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١/ ٥١
(٣) معجم الأدباء ، ٤٥/٤ معجم المؤلفين ، ٦٩/٧ تذكرة الحفاظ ، ١٢٠/٤- ١٢٣ تاريخ دمشق ، ١٣/١٢
(٤) معجم الأدباء ، ١١١/٤
(٥) شوقي ضيف ، عصر الدول والأمارات ، ص ٥٢٣

قضايا عامة ومتنوعة تربوية أورد لها ياقوت في كتابه للمعجم الأدباء:

المكافأة عند صدق الحديث والتعليم :

أورد ياقوت في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن حصن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري الكوفي ت: ١٨٨هـ [١]، دار حديث بينه وبين هارون الرشيد في مجلسه، تبين لهارون الرشيد صدق الفزاري فأمر له هارون الرشيد قائلا: اجلس أبا إسحاق: يا مسرورآت بثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق، فأتى بها، فوضعت في يده وانصرف بها، فما خرج من سوق بغداد حتى تصدق بها [٢].

ولاحظ الباحث هنا تنمية القيم التربوية والتي منها الصدق، وأن يكافئ الطالب على صدقه في عمله.

التأديب من السلطان للعالم إذا أخطأ :

ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله وقيل أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار ١٥٠هـ وقيل ١٥٢هـ [٣]، أن العالم إذا أخطأ كان يقابل هذا الخطأ بالتأديب من قبل السلطان ففي رواية الواقدي قال: كان محمد بن إسحاق يجلس قريبا من النساء في مؤخرة المسجد، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء، فرفع أمره إلى هشام أمير المدينة فرقق رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس هنالك [٤]. وقال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار [٥]. وقد كان من حفاظ الحديث زار الإسكندرية سنة ١١٩هـ وسكن بغداد فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد [٦]. وله من المصنفات كتاب السيرة النبوية: قال

---

(١) معجم الأدباء، ١٣٦/١ ابن عساكر، التهذيب، ٢٥٢/٢ ابن العماد، شذرات الذهب، ٣٠٧/١

(٢) الزركلي، مرجع سابق، ٥٩/١ تهذيب التهذيب، ١٥٣/١ والذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٥١/١

(٣) معجم الأدباء، ٢٢٠/٥ ابن خلكان، مرجع سابق، ٤٨٣/١

(٤) تهذيب التهذيب، ٣٨/٩

(٥) تذكرة الحفاظ، ١٦٣/١

(٦) ميزان الاعتدال، ٢١/٣

الزركلى عنه أنه مطبوع هذبه ابن هشام، ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦هـ في خزانة القرويين بفاس[(١)].

وتبين للباحث أن توقيع العقاب على العلماء في ذلك العصر كان يتم من قبل السلاطين والأمراء، وهو ما يحدث في العصر الحاضر فإذا أخطأ الأستاذ في حق متعلم أو غيره، يرفع أمره إلى السلطات الحكومية فهي تتولى عقابه وزجره للإقلاع عن هذا الخطأ

تصحيح الخطأ للمتعلم ولو كان ذا جاه :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبى إسحاق إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغير بن أبى محمد ويغلب عليه لقب العدوى اليزيدى ت : ٢٢٥ هـ[(٢)]، يقول إبراهيم اليزيدى كنت بحضرة المأمون، فذكر المعتصم كلاما به خطأ، فأجابه إبراهيم، فأخفى المأمون ذلك فلما كان من الغد، صار إبراهيم إلى المأمون كما كان يذهب أليه فقال له : الحاجب أمرت ألا آذن لك[(٣)].

ولاحظ الباحث هنا غضب المأمون من اليزيدى لأنه صحح خطأ للأمراء غير أن اليزيدى لم يترك هذا الخطأ، ولم يخشى سلطان هؤلاء بل صحح الخطأ وفى الملأ.

النساء معلمات :

لم يكن التعليم في ذلك العصر مقتصرا على الرجال فقط بل شاركهن النساء في التدريس فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى محمد وقيل صفوان إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكان يغلب عليه لقب النديم الموصلي ت : ٢٣٦هـ[(٤)]، قال: شارك النساء الرجال في التدريس، ففي رواية على بن الصباح قال: كانت امرأة من بنى كلاب، يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده واهتمت بكتابة الشعر، وكانت بعده تقوم بتأديب النساء[(٥)].

---

(١) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٨/٦
(٢) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٢٩/١ ابن الأنبارى، مرجع سابق، ص ٢٢٣
(٣) الزر كلى، مرجع سابق، ٧٩/١ أنباة الرواة، ١٨٩/١
(٤) معجم الأدباء، ١٤٦/٢ ابن خلكان، مرجع سابق، ٦٥/١ لسان الميزان، ٣٥٠/١ الخطيب البغدادي، ٣٣٨/٦
(٥) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٩٢/١ الأصفهانى، مرجع سابق، ٢٦٨/٥ ابن الأنبارى، مرجع سابق، ٢٢٧

وقد كانت عاتكة بنت شهدة تقوم بتأديب غيرها من النساء[١].

والتعليم من قبل النساء في ذلك العصر، من الظواهر التي تدل على شيوع الثقافة وأنها كانت عامة بين الناس، ولا تخص الرجال وحدهم بل تعم النساء فقد اتصلت المرأة بالحديث النبوي وروايته إذ نجد طائفة من النساء يؤخذ عنهن الحديث كما يؤخذ عن علمائه الإثبات، ويذكرن في تراجم بعض المحدثين وينص على أنهم حملوا الحديث عنهن[٢]، منهن: كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية، ت: ٤٦٣ هـ وهى محدثة كانت تروى حديث البخاري، عاشت قريبا من مائة سنة ولم تتزوج، أصلها من بنى مرو الزود ووفاتها بمكة، ويقال لها أم الكرام، وست الكرام[٣]..... ويقول ابن الأثير: انتهى أليها علو الإسناد الصحيح[٤].

وقد قرأ عليها بمكة الخطيب البغدادي، المحدث المشهور صحيح البخاري، وسمع منها بمكة سعد الأسدآباذى[٥].

ولاحظ الباحث أن المروزية لم تحث في موطنها فحسب، بل حدثت أيضا في مجمع العلماء بالحرم المكي، وبأي كتاب؟ بأعظم كتب الحديث إسنادا: صحيح البخاري

ومن محدثات القرن الخامس الهجري المشهورات:

عائشة بنت عبد الله البوشنية، ومثلها فاطمة بنت أبى على الدقاق، شيخ القشيرى في التصوف، وعنها أخذ الحديث بنيسابور كثيرون[٦].

ومن محدثات القرن الخامس: شهدة بنت أبى نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى ت: ٥٧٤ هـ[٧] فقيهة من العلماء في عصرها، أصلها من الدينور، ومولدها ووفاتها

---

(١) معجم الأدباء، ١٣١/٢
(٢) السبكى، مرجع سابق، ٣٠/٤
(٣) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٢٥/٥
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤/١٠
(٥) السبكى، مرجع سابق، ٣٨٣/٤
(٦) المرجع السابق، ١١/٥ - ٩٥
(٧) ابر خلكان، مرجع سابق، ٢٢٦/١

ببغداد، روت الحديث وسمع عليها خلق كثير، وطار صيتها وتزوج بها ثقة الدولة ابن الأنباري .(كان من أخصاء المقتفى العباسي) وتوفى عنها ٤٩٥هـ، وعرفت بالكاتبة لجودة خطها[(١)].

ولاحظ الباحث أن التعليم في ذلك العصر شارك فيه النساء فهن أدلة على ازدهار الحركة العلمية النسائية في ذلك العصر، كما لاحظ أن النشاط العلمي للنساء، بدأ باهتمام نساء الأمراء بأنفاق كثير من أموالهن على العلماء ...

فقد كان الأمير على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية الإسماعيلية عالما ويقول عنه: عمارة كان عالما وفقيها مستنصرا في علم التأويل وخطيبا بليغا، وكانت زوجة ابنه الأمير المكرم المسماة الملكة الحرة أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى، تنعت بالحرة الكاملة، وبلقيس الصغرى، ملكة حازمة مدبرة يمانية ت:٥٣٢هـ نشأت في حجر أسماء بنت شهاب أم المكرم الصليحى أحمد بن على، وتزوجها المكرم قامت بتدبير المملكة والحروب، ترفع أليها الرقاع ويجتمع عندها الوزراء، وتحكم من وراء حجاب[(٢)].

وقد كانت تتعمق في علوم الدعوة الفاطمية، ووقفت أوقافا كثيرة لتدريس صحيح البخاري، مع أنها كانت إسماعيلية العقيدة[(٣)].

الدعوة إلى أعمال العقل والتفكير :

نظم بعض العلماء والشعراء أبياتا تدعو إلى أعمال العقل والابتكار والتفكير فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى إسحاق بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ويغلب عليه لقب الصولى الكاتب ت : ٢٤٣هـ[(٤)]، أنشد أبو العباس بعد أن فكر قليلا أبياتا تدعو إلى أعمال العقل والابتكار، وعدم الاقتباس والاعتماد عليه فيقول :

---

(١) الزر كلى، مرجع سابق، ١٧٨/٣ السبكى، مرجع سابق، ٧١/٦- ٧٣
(٢) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٨٩/١
(٣) السبكى، مرجع سابق، ٧١/٦
(٤) معجم الأدباء، ١١٥/١ ابن خلكان، مرجع سابق، ٩/١ المسعودي، مرجع سابق، ٢٩٩/٢ ابن كثير، ٣٤٤/١٠

إذا ما الفكر ولد حسن لفـظ وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشـاه فنمنمــه بيـــان فصيـح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشــرات تجلــى بينها حلل المعـاني[(١)]

شروط تعليم علوم القرآن :

هناك شروط لتلقي علوم القرآن ، فلا يدرس لغير المسلمين ، ولو كان هناك عائدا ماديا فقد ، فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني نسبة إلى مازن بن شيبان بن ذهل ، ت: ٢٤٩ هـ وقيل ٢٤٨هـ[(٢)] ، ففي رواية المبرد قال: أن يهوديا وقيل ذميا بذل للمازني مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع ، فقيل له لم امتنعت مع حاجتك ، وعيلتك(فقرك) فقال: أن في كتاب سيبويه كذا وكذا من آيات القرآن ، فكرهت أن أقرأ كتاب الله للذمة (لأهل الذمة)[(٣)].

واهتم المازني بجانب ذلك بالكتابة والتصنيف فله : كتاب ما تلحن فيه العامة وله كتاب التصريف ، وكتاب العروض[(٤)].

فرضية العلم :

أورد ياقوت في ترجمة : أبى جعفر بن ناصح بن بلنجر بن أبى عصيدة الديلمي ت: ٣٠٢هـ[(٥)] . أن أحمد بن عبيد قال محدثا : أن المعتز قال له يوما يا مؤدبي تصلى جالسا ، وتضربني قائما ، فقال له : ضربك من الفروض ، ولا أؤدي فرضي ألا قائما[(٦)].

وهو بذلك يريد أن تعليم الأبناء فض ولا يحق للمعلم أن يؤدى فرض العلم ألا وهو قائم .

---

(١) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ٢٠/٩ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ،٣١٥/٢ والوافي بالوفيات ، ٤١/٥
(٢) معجم الأدباء ، ٣٤٧/٢
(٣) المرجع السابق ، ٣٥٣/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٩٢/١ وأنباه الرواة ، ٢٤٦/١
(٤) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٦٩/٢
(٥) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٣٠٨/١
(٦) معجم الأدباء، ٣٥٣/٢ وأنباة الرواة ، ٨٥/١ وابن النديم ، مرجع سابق ، ٧٣/١

الدعوة إلى تقويم اللسان والعقل بالعلم :

ذكر ياقوت في ترجمة :أبى الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ويغلب عليه لقب العبرتائى ، ت: ٣٠٢هـ (١) من الكتاب ، عالم بالأدب والأخبار ، من أهل بغداد وقد نشأ في بيت علم وكتابة ، وتقلد البريد ، وأكثر شعره في هجاء والده وهجاء جماعة من الوزراء (٢) ، واهتم الطلاب في طلبهم للعلم نما يقومون به عقولهم وألسنتهم فيقول :

رأيت لسان المرء وافـد عقلـه ... وعنوانه فانظر بمـا ذا تعنـون

فلا تعد أصلاح اللســان فـأنـه ... يخبـر عـمـا عـنـده ويبيـن

ويعجبني زى الفتــى وجمالــه ... فيسقط من عيني ساعة يلحـن

على أن للأعـراب حـدا وربمـا ... سمعت الأعراب ما ليس يحسن

ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ... ولا في قبيح اللحن والقصد أزين (٣)

لتأكيد من تأليف الكتاب بمراجعة العلماء :

ففي ترجمة : أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري المقرئ ، ت: ٣١٠ هـ.(٤) يقول الطبري كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، ويقرؤه علينا ، وكنا نمضى إلى أحمد بن حماد الولابى ، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه ، وكتب عن أحمد بن حماد كتاب المبتدأ(٥).

ولاحظ البحث هنا أن الطلاب كانوا يكتبون ثم يعرضون كتاباتهم على أساتذتهم حتى تقيم هذه الكتابات ، مثلما يحدث الآن في الرسائل العلمية .

---

(١) معجم الأدباء، ٢٣٤/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٨٣/٢ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق، ٣٥٢/١

(٢) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٣٢٤/٤ والمسعودي ، مرجع سابق ، ٣٩٢/٢ ــ ٣٩٦ الكامل في التاريخ ، ٢٩/٨

(٣) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٦٣/١٢وابن الجو زى ، اللباب ، ١٢١/١

(٤) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٤٧/٢وابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٦٠/٢ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٢٠٥/٣

(٥) معجم الأدباء ، ٢٩٧/٥

تصحيح الخطأ عند التنبيه عنه :

كان طالب العلم إذا حدث المعلم بما هو غير صحيح راجعه على انفراد بعيدا عن زملائه، حتى لا تكون نصيحة بملأ. فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن دعامة ويغلب عليه لقب الأنبارى ت:٣٢٧هـ[١]، أن أبا الحسن الدارقطنى قال : حضرت مجلس إملاء الأنبارى يوما فصحف اسما أورده في إسناد حديث (كان حبان فقال حيان) . قال الدارقطنى فأعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وسعة علمه وهم ، فلما فرغ من إملائه تقدمت إليه فذكرت له وهمه (خطأه وغلطه) وانصرفت . ثم حضرت مجلسه الثاني فقال للمستملى عرف جماعة الحاضرين . أن صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال[٢].

ولاحظ الباحث هنا الأمانة العلمية في نقل العلوم إلى الطلاب فهذا الشيخ العظيم والأستاذ الفاضل لا يبالى أن يعترف بخطئه ، ولا يستأنف درسه حتى يرشد طلابه بما وقع منه من خطأ في المجلس السابق ، وهذا هو المنهج القويم في الصدق والتثبت من الحقائق ثم لا يعينه أن ينسب الصواب إلى قائله ولو أنه كان مستمل عليه . فليتق الله من لايزعن للحق .

الضرب عند الخطأ من وسائل التقويم :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبى الحسين محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ويغلب عليه لقب المقرئ ت: ٣٢٨ هـ[٣] ، من الوسائل التربوية التي استخدمت في ذلك العصر أن الطالب إذا أخطأ في أمور تعليمية يعاقب بالضرب حتى يرجع عن هذا

---

(١) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٣٣٤/٦ السيوطى ، بغية الوعاة ، ص٩١

(٢) معجم الأدباء، ٤١١/٥ ـ ٤١٢ وتذكرة الحفاظ ، ٥٧/٣ وجورجى زيدان ، مرجع سابق ، ١٨٢/٢ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٨/١٣

(٣) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٣٦/٨ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٢٤٨/٣ - ٢٦٧

الخطأ فقد كان أبو الحسن بن شنبوذ يقرأ بالشواذ، فدعاه الوزير وناظره إلى الرجوع فأمر بتجريده من الثياب وأمر بضربه بالدرة على قفاه نحو العشرة ضربا شديدا فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع[١].

ذم نسبة العلوم إلى غير أهلها :

ففي ترجمة : أبى الحسن أحمد بن على البتى الكاتب ت ٤٠٣ هـ[٢]. فقد كتب أبو الحسن ردا على ابن على أبى إسحاق الصابئ يزجره عن كتاب كتبه لأبى بشر بن طاراد ونحله إياه (نسبة إليه) فيقول :-

زكاة العلوم زكاة الندى ... وعرف المعارف بذل الحجى
ولكن يجر به أهله ... فأجر بنيلك فضل التقى
لئن كنت أوجبته قربة ... لما وقع الموقع المرتضى
وما صدقاتك مقبولة ... إذا تنكبت فيها الهدى[٣]

وكأن البتى يقول له : أن زكاة العلم كزكاة الكرم ، وأن خير المعروف أن تبذل عقلك (أي تستعمل العقل) في جمع المعلومات وعدم العدل عن ذلك ، فلا تكتب علما وتنسبه إلى غيرك.

العلم عوض عن المال :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبى الحسن أحمد بن يحيى بن سهل السدى[٤] المنبجى[٥]، ويغلب عليه لقب الطائي ت: ٤١٥ هـ .اهتم بالرواية عن العلماء فقد روى عن أبى عبد الله بن مروان ، وأبى العباس فارس ، وأبى الحسن نظيف بن عبد الله المقرئ

---

(١) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٨٠/١ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٣٠٩/٥
(٢) معجم الأدباء ، ٤٩١/١ ومعجم البلدان ، ٥٥/٢
(٣) الزر كلى ،مرجع سابق ، ١٧١/١ الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٣٢٠/٤ واللباب ، ٩٧/١
(٤) السدى :نسبة إلى قرية بالري تسمى بالسد – معجم البلدان ، ٥/ ٤٨
(٥) منبجى : نسبة إلى بلد قديم روميا – معجم البلدان ، ١٦٩/٨

وكان يحفظ من أخبار بن خالويه النحوي . وكان ثقة في علمه[(١)]. وقد أنشد أبياتا من الشعر لأبى أحمد بن فارس يدعو فيها إلى العلم وأنه عوض عن المال بل يجلبه فيقول :

خسود مريض القلب يخفى أنينه ... ويضحى كئيب البال منى حزينه

يلوم علـى أن رحت للعلم طالبا ... أقلب من كل الرواة فنونه

وأختار أبكار الكلام وعـونه ... وأحفظ مما أستفيد عيوبه

فيا لائمي دعنى أغالى بقيمتـى ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه[(٢)].

ولاحظ الباحث أن الطائي يقصد بهذه الأبيات التي ينشدها أنه يتعلم العلم الذي لم يسبقه به أحد . وكان هذا العلم بكر لو يتناوله أحد . فهو يدعو إلى الإبداع والابتكار وأعمال العقل دون الاقتباس من علوم العلماء بل يستند إلى هذه العلوم السابقة عليه لتوثيق علمه . حتى يجمع جيده وأحسنه .

الاعتراف بفضل العلماء على تلاميذهم :

كان البيروني قد ضرب مثلا في اعتراف الطالب بفضل أستاذه عليه . عن طريق الوفاء والتقدير الخالص الذي يكون من الطالب الوفي المخلص لأستاذه البار العطوف الذي لا يضن بالمعرفة وحل المشكلات العلمية لتلاميذه في كل حين . فقد أورد ياقوت في ترجمة أبى الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ت بعد عام ٤٢٣ هـ[(٣)]. كان البيروني ينوه في كتاباته بقوله : استخرج استاذى أبى نصر منصور بن على بن عراق[(٤)] . ولم ينسى فضل أستاذه عليه فقال : ومما عمله غيري باسمي فهو بمنزلة الربائب في الحجور والقلائد في النحور . لا أميز بينها وبين غيرها ألا أنها مما تولاه باسمي أبى نصر منصور بن على . أنار الله برهانه[(٥)].

---

(١) معجم الأدباء ، ٨١/٢
(٢) المرجع السابق ، ٨١/٢
(٣) معجم الأدباء ، ٢٦/٥
(٤) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٤١/٨ ومحمد التونسي ، مرجع سابق ، ص٢٥
(٥) الزركلى ، مرجع سابق ، ٣١٤/٥ وعلى الشحات ، مرجع سابق ، ص٨٣

ولاحظ الباحث هنا أن البيروني يؤكد من خلال عباراته فضل أستاذه فيما يعرفه من علوم، ويؤلفه من كتب، وهذا نموذج عال من الوفاء، ومثل سام من أمثلة الأمانة العلمية واحترام الأساتذة.

حفظ القرآن بحكاية قصص الأنبياء :

ففي ترجمة : أبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ويغلب عليه الثعلبي أو الثعالبي المسر النيسابوري ت: ٤٢٧ هـ (١)، أنه اهتم بتحفظ غيره القرآن الكريم وعلم التجويد من خلال قصص الأنبياء، ومن خلال حفظه للقرآن الكريم، واهتم بجانب ذلك بالتأليف فله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وكتاب ربيع المذكرين وكتاب العرائس هذا قال عنه الزركلى أنه مطبوع، وله كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن، قال الزركلى أنه مخطوط ويعرف بتفسير الثعالبي (٢).

السكوت عن الإجابة عند عدم المعرفة :

فقد ذكر ياقوت في ترجمة : أبى القاسم على بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن الحسين بن على بن أبى طالب (رضي الله عنهم) ويغلب عليه لقب المرتضى ت: ٤٣٦ هـ (٣)، من الأمور التربوية التي يتم إتباعها في مجالس التعليم هي السكوت عن الإجابة عند عدم المعرفة بها فقد : أقبل أبى القاسم المرتضى على من في مجلسه، فقال أتدرون ما قال الديلمى ؟ فقالوا : لا يا سيدنا، فقال : بين لي هل صح أسلام أبى بكر وعمر؟ قلت أنا (رضي الله عنهما) وسكت (٤).

الأمان دعوة إلى علم العلماء :

يظهر أداء العلماء في الأماكن التي يشعرون فيها بالأمان على أنفسهم وكتبهم، فقد كان بعض العلماء يقلع عن تعليم غيره حينما تنهب كتبه، فقد أورد ياقوت في ترجمة

(١) معجم الأدباء، ٢٠/٢ وابن خلكان، مرجع سابق، ٢٢/١ وجورجى زيدان، مرجع سابق، ٣٢١/٢
(٢) الزر كلى، مرجع سابق، ٢١٢/١ وأنباه الرواة، ١١٩/١ واللباب، ١٩٤/١ وابن كثير، ٤٠/١٢ ز
(٣) معجم الأدباء، ٨٢/٤ ولسان الميزان، ٢٢٣/١
(٤) الزر كلى، مرجع سابق، ٢٧٨/٤ وأنباه الرواة، ٢٤٩/٢

أبى على أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطى ، ت: ٥٠٢ هـ(١) ، أنه هاجم الأعراب في بعض الأعوام ، ومعهم عسكر الأعاجم ، فنهبوا واسط ونهبوا دكان الشيخ أبى على مختار ونزلوا بداره ، فدخل عليهم ليستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوه منه ، فلو يرى لذلك وجها فترك التعليم(٢) .

ذم الجهل والدعوة لأعمال العقل :

ففي ترجمة : أبى العباس أحمد بن بختيار بن على بن محمد المانداثى الواسطى ت : ٥٥٢ هـ(٣)

أنه كتب بخطه أبياتا تدعو إلى ذم الجهل وفضل التعليم لأصقال الذهن والعقل فيقول :

قد نلت بالجهل أسبابا لها خطر	يضيق فيها عن العقل المعاذير
مصيبة عمت الإسلام قاطبة	لا يقتضى مثلها حزم وتدبير
إذا تجارى ذووا الألباب جملتها	قالوا جهول أعانته المقادير(٤)

وفي ترجمة : أبى الحسن على بن عنتر بن ثابت ويغلب عليه لقب شميم الحلي ت: ٦٠١ هـ(٥) كانت حرية التعليم سائدة في ذلك العصر فقد : جاء متعلم إلى أبى الحسن فوجد بين يديه كتبا فسلم عليه وجلس بين يديه ، فقال من أين أنت ؟ قال : من بغداد فاقبلت أسأله عنها وأخبرني ، ثم قلت له : أنما جئت لأقتبس من علوم المولى (سبحانه وتعالى) شيئا ، فقال لي : وأي علم تحب ؟ فقلت له : أحب علوم الأدب فقال له : وأن تصانيفى في الأدب كثيرة فاختر منها ما شئت(٦) .

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٣/٢
(٢) المرجع السابق ، ٣٣/٢
(٣) معجم الأدباء ، ٣٠٩/١ عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٧٢/١ وابن كثير ، مرجع سابق ، ٢٣٦/١٢
(٤) السبكى ، مرجع سابق ، ٣٧/٤ ـ ٣٨ واللباب ، ١٧٨/١ ـ ١٧٩
(٥) معجم الأدباء ، ٢٨/٤
(٦) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٥٧/٣ وسير أعلام النبلاء ، ٩٤/١٣

ولاحظ الباحث هنا أن الحرية في التعلم في ذلك العصر كانت متوافرة حيث يسأل المتعلم عن العلم الذي يريد التقدم فيه . بخلاف ما يحدث في التعليم الألزامى من فرض للمواد الدراسية عليه . دون الاهتمام بميول المتعلمين . وأن كان قد تم أخيرا فتح العديد من مجالات التعليم حتى يختار المتعلم المجال الذي تسمح به ميوله .

ترك الكتابة وأن كانت خطأ :

فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى بكر المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الضرير النحوي ويغلب عليه لقب الوجيه . ت: ٦١٢ هـ[(١)] . كان المتعلم يحزن عندما يمحو المتعلم شيئا من الكتابة ولو كانت خطأ ففي رواية محب النجار قال : حضر الوجيه إلى دار الكتب التي برباط المأمونية فقال له خازنها : كان عندي في الخزانة كتبا من تصانيف المعرى فغسلته (محوت كتابته بالماء) فقال له الوجيه وأي شيئا كان الكتاب ؟ فقال له كان نقض للقرآن (مخالفته والإتيان بما يخالفه) فقال له : أخطأت . فعجب واستشاط(ألتهب) غضبا ابن هبة الله . وقال : مثلك ينهى عن مثل هذا؟ قال نعم . لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيرا منه أو دونه . فأن كان مثله وحاش لله أن يكون فلا يجب أن يفرط في مثله . وان كان دونه وذلك مما لاشك فيه فتركه معجزة (إظهار لأعجاز القرآن) للقرآن فلا يجب التفريط[(٢)].

ولاحظ الباحث هنا بعض الطرق التي ينصح بها الكتاب . أو قل طلاب العلم في اجتياز امتحانات نهاية العام . وهو عدم شجب أو إزالة الإجابة التي يشك فبها الطلاب بل يتركونها . ويجيب دونها إجابات أخرى . فربما كانت الأولى هي الأصح . وكذلك كتابات العلماء .

---

(١)معجم الأدباء، ٥/٥٤وبغية الوعاة، ص ٣٨٥ وابن خلكان، مرجع سابق، ٤٤/١ ٤والزر كلى.مرجع سابق، ٢٧٢/٥

(٢) معجم الأدباء ، ٤٦/٥ ابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٢١٤/٦ ونكت الهميان ، ص ٢٣٢

تبرئة الزمان وذم أهله :

اهتم بعض العلماء بمناصرة الزمان وذم أهله ، لما يصدر من بنى البشر بعضهم تجاه البعض ، فأورد ياقوت في ترجمة : أبى الحسن محمد بن محمد بن جعفر ويغلب عليه لقب ابن لنكك البصري ، ت: ٣٦٠ هـ(١) . وصفه الثعالبي بأنه : فرد البصرة وصدر أدبائها وقال: أكثر شعره ملح وظرف ، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره ، فيقول

يعيب الناس كلهن الزمـانـا ... وما لزمننـا عيب سوانـا

نعيب زماننا والعيـب فينـا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا

ذائـب كلنـا فـي ذي نـاس ... فسبحان الـذي فيـه برانـا

يعاف الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضا عيانا(٢)

وقد اهتم ابن لنكك المصري بالكتابة فقد كتب شعره في ديوان اطلع عليه الثعالبي وأورد منه مختارات ، ورآه الصاحب بن عباد(٣) ، وقد معاصرا للمتنبي وهجاه(٤) .

محاور الشريعة الإسلامية ومنعها :

كتب تدعو إلى معرفة بعض جوانب الشريعة الإسلامية وأمورها :

اهتم بعض العلماء بالكثير من الكتابات التي تظهر اهتماماتهم ببعض أمور الشريعة ، والتي يختلط فيها الفكر على العامة فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى العينين محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبى

العنبس بن المغيرة ويغلب عليه لقب الصيمرى ، ت: ٢٧٥ هـ(٥) ، اهتم ببعض الكتب التي أظهرت بعض أمور الشريعة فله كتاب : طول اللحى ، أورده الزركلى ، وكتاب

---

(١) معجم الأدباء ، ٤١٧/٥ والسيوطى ، بغية الوعاة ، ص٩٤

(٢) الثعالبي ، مرجع سابق ، ١١٦/٢ - ١٢٥

(٣) الزركلى ، مرجع سابق ، ٢٠/٧

(٤) الصفدى ، الوافي بالوفيات ، ١٥٦/١

(٥) الحطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٨١٢٣/١ وابن النديم ، مرجع سابق ، ١٥١/١ والوافي بالوفيات ١٩١/٢ - ١٩٣

السحاقات والبغائين ، وله كتاب: عجائب البحر مطبوع استشهد فيه ببعض آيات القرآن الكريم[١] ، ومنها قوله تعالى:

"...وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا" [٢]

وأورد ياقوت له من الكتب كتاب: فضائل حلق الرأس ، وكتاب تفسير الرؤيا وكتاب الثقلاء ، وكتاب الأحاديث الشاذة[٣].

الدعوة إلى الزهد :

ففي ترجمة : أبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحرانى ، ت:٢٨٥ هـ[٤] ، يذكر ياقوت أبياتا ينقلها عنه يدعو فيها إلى الزهد في الدنيا ، وعدم التفكير فيها فيقول :

اثنـــان أن عـــدا	فخيـر لهمـا المـــوت
فقـــير مالـــه زهـــد	وأعمـــى مالـه صـــوت[٥] .

وفى ترجمة : أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري المقرئ ، ت : ٣١٠ هـ[٦] ، اهتم ببعض الكتابات في جوانب الشريعة فله بسط القول في أحكام شرائع الإسلام وهذا الكتاب قدم له كتابا اسماه كتاب مراتب العلماء قال الزركلى أنه مطبوع حض فيه على طلب العلم والتفقه وغمز فيه (أشار) على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه ، ثم ذكر العلماء ممن تفقه على مذهبه[٧] .

---

(١) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٨/٦ عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٣٨/٩
(٢) سورة فاطر : من الآية ١٢.
(٣) معجم الأدباء، ٢٢٣/٥والبغدادي،هدية العارفين،١٨/٢- ١٩وحاجى خليفة،مرجع سابق،ص ص:٧٠١، ٦١٣، ٧٣٥
(٤) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٣٢/١ وابن شاكر الكتبى ، مرجع سابق ، ٣/١
(٥) معجم الأدباء ، ٧٦/١
(٦) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٤٧/٩ واللباب، مرجع سابق ، ٨١/٢
(٧) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٢٦٣/٥ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٦٩/٦

وذكر الطبري ممن أخذ عنهم من فقهاء الأمصار، بدأ بالمدينة، ثم العراقيين (الكوفة وبغداد) ثم الشام وخراسان، وتحدث فيه عن الصلاة بعد أن ذكر الطهارة، ثم تحدث عن اختلاف المختلفين واتفاقهم، وخرج منه نحو ألفى ورقة[1]. وقد أخرج منه الطبري كتاب آداب القضاة، وهو احد الكتب المعدودة له المشهودة بالتجويد والتفصيل[2].

ومن العلماء من اهتم بتخريج أحاديث النبي (ﷺ) وهذه من أمور الشريعة الذي إذا ما قورن بالرؤيا صار من براهين الشرع، ففي ترجمة: أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ النيسابورى، ت: ٣٨١ هـ[3]، فقد: خرج أحاديث النبي (ﷺ) التي تحدث فيها عن يوم القيامة، ففي رواية الحاكم بإسناد رفعه إلى أبى موسى الأشعري قال: قال النبي (ﷺ): إذا كان يوم القيامة أعطى الله (عز وجل) كل رجل من هذه الأمة رجلا من الكفار، فيقول هذا فداؤك من النار،[4] وقد سمع الحديث وحدث به[5].

وقد ذكر ياقوت في ترجمة: أبى العباس أحمد بن رشيق الأندلسى ت: ٤٤٠ هـ وقيل ٤٤٢ هـ[6]، وضع قاعدة شرعية في الحكم بين المتخاصمين، ففي رواية أبى بكر عن رسول الله (ﷺ) قال: لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان[7].

ذم الرشوة لأنها تضيع العلم:

ففي ترجمة: أبى الحسن محمد بن محمد بن جعفر ويغلب عليه لقب ابن لنكك المصري، ت: ٣٦٠ هـ[8]، أنه امتدح علم الفقه ووافق أهل مذاهبه غير أنه عقب على ما يضيع هذا العلم وهى الرشوة فقد قال في شعره:

أقول لعصبة بالفقه صالت ... وقالت ما خلا ذا العلم باطلا

---

(١) محمد أحمد الحوفى، مرجع سابق، ص ٣٥

(٢) معجم الأدباء، مرجع سابق، ٦٤/٥

(٣) معجم الأدباء، ٧٥/١ وابن العماد، مرجع سابق، ٣٤٥/٢ عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ٢٠٨/١

(٤) ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ١٦٠/٤ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٠/١٠

(٥) ابن العماد، مرجع سابق، ٩٧/٣ - ٩٨

(٦) معجم الأدباء، ٣٥٧/١

(٧) المرجع السابق، ١٢٥/١

(٨) معجم الأدباء، ٤١٦/٥ والصفدى، الوافى بالوفيات، ١٥٦/١

أجـل لاعلم يوصلكم سواه ... إلى مـال اليتـامـى والأرامــل

أراكم تقلبون الحـكم قلبا ... إذا مـا صب زيـت في القناديل(١) .

ولاحظ الباحث هنا ذم الرشوة ، فهي مفسدة للأخلاق الإسلامية ومضيعة لمال الغير ، وفى كل نهانا الإسلام ، وقد استخدم ابن لنكك المصري مفهوم الزيت في القناديل أو القناديل كناية عن الرشوة .

وقد اتخذ الشعراء من قصائدهم طريقا للدعوة الإسلامية ، وإتباع شرع الله سبحانه وتعالى ، وهدى النبي (ﷺ) فقد ذكر ياقوت في ترجمة : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل المرسى السلمي ويغلب عليه لقب شرف الدين.ت:٦٥٥هـ(٢) أنه اهتم في كتاباته للشعر بالدعوة إلى الشريعة الإسلامية والتمسك بالدين الأسلامى وإتباع النبي(ﷺ) وماعداه فهو العمى الذي يضل به الإنسان عن الصراط المستقيم فيقول

من كان يرغب في النجاة فماله ... غيـــــر أتباع المصطفى فيما أتى

ذاك إتباع السبيل المستقيم وغيره ... سبل الغواية والضلالة والـردى

فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى

ودع السؤال بكم وكيف فأنه ... باب يجر ذوى البصيرة للعمى

الدين ما قال النبي وصحبه ... والتابعون ومن مناهجهم قفا(٣) .

التربية ونشاطها بين العلماء والمتعلمين :

التربية الأخلاقية :

أورد ياقوت في ترجمة : أبى الحسن ، على بن حمزة بن عند الله بن عثمان ويغلب عليه لقب الكسائى ت: ١٦٩ هـ (٤) ، أنه في رواية محمد بن إسحاق النديم قال : أشرف

---

(١) الثعالبي ، مرجع سابق ، ١٢٢/٢ معجم الأدباء، ٤١٧/٥ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٠/٧
(٢) معجم الأدباء ، ٣٥٠/٥
(٣) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ٣٥١/٣ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٣٣/٦
(٤) معجم الأدباء ، ١٠٠/٤ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٨٤/٧

الرشيد على الكسائى (معلم أبناءه) ، وهو لايراه ، فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها (بادر كل منهم صاحبه يسبق إليها) الأمين والمأمون ، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه ، فأقسم عليما ألا يعاودا ، فلما جلس الرشيد مجلسه ، قال : أي الناس أكرم خدما ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، قال : بل الكسائى يخدمه الأمين والمأمون [١] .

ولاحظ الباحث هنا التربية الأخلاقية فقد كان الطلاب يكرمون العلماء إجلالا وتقديرا لهم ولو كان هؤلاء الطلاب من ذوى المكانات العليا في المجتمع ، ويلاحظ كذلك الأشراف من الآباء على أبنائهم في التعليم ومتابعتهم ، وملاحظة أساتذتهم وهم يعطوا حقهم من تلاميذهم أم لا ، يلاحظ أن الرشيد لم يغضب من تصرف أبناءه تجاه معلمهم بل افتخر في مجلسه بما حدث منهما ولو حدث ذلك في العصر الحالي لوجدنا الآب يعزر أبنائه ويعاقبهم خاصة إذا كانوا من ذوى المكانات الاجتماعية الرفيعة في المجتمع .

التربية الأخلاقية وإطاعة الوالدين وعدم عقوقهم :

أورد ياقوت في ترجمة: أبى عبد الرحمن ، بقى بن مخلد الأندلسى ، ت:٢٧٦هـ [٢] أنه كما في رواية الحميدى قال : أخبرنا أبى القاسم أنه جاءت إلى بقى بن مخلد امرأة فقالت : إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة (تصغير دار) ولا أقدر على بيعها ، فقال لها انصرفي حتى انظر في أمره إن شاء الله [٣] ، وكأنه أمرها بالدعاء له ويدعو هو معها فيقول : لبثنا مدة فجأة امرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له وتقول : رجع سالا وله حديث يحدثك به فقال له : كنت الأسرى ، فانفك القيد من رجلي فصاح على الحارث كسرت القيد ؟ فقلت لا ، إلا أنه سقط من رجلي ، فدعوا رهبا نهم فقالوا لي ألك والدة؟ قلت لهم : نعم.فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة أطلقك الله.ولا يمكننا تقييدك. فزودوني (أعطوه زادا يتزود به في رحلته) وأصحبوني (بعثوا معي من أصحبه) إلى ناحية المسلمين[٤]

---

(١) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٠٣/١١ والقفطى ، انباه الرواة ، ١٥٦/٢
(٢) معجم الأدباء ، ٣٣٤/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٥٣/٣
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٠٣/٣ وابن العماد ، شذرات الذهب ، ١٦٩/٢
(٤) ابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٧٥/٣ والذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ٦٨/٩ معجم الأدباء ، ٣٣٥/٢

ولاحظ الباحث هنا دور التربية الإسلامية للأسرة ودورها من حيث طاعة الوالدين وتفريج الضيق والكرب سبب دعائهم.

وفي ترجمة : أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: ٢٨٥ هـ (١)، قال دخل إبراهيم الحربي إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي ليعلمه، فلما دخل عليه خلع نعليه فأخذ أبي عمر محمد بن يوسف القاضي نعلى إبراهيم الحربي، ولفهما في منديل ديبقي وجعله في كمه، فقال له إبراهيم غفر الله لك، كما أكرمت العلم وأجيبت دعوة إبراهيم الحربي (٢).

ولاحظ الباحث هنا مواقف تربوية تحدث بين المعلم وأستاذه وتكون هذه المواقف محط أنظار الدراسة.

آداب المتعلم :

زجر الطلب عند تحركه أثناء مجلس التعليم :

ففي ترجمة : أبي العباس، أحمد بن يحيى بن يسار ويغلب عليه لقب ثعلب الشيباني، ت: ٢٩١ هـ (٣)، ففي رواية على بن سليمان الأخفش قال : كنت يوما بحضرة ثعلب فأسرعت للقيام، قبل انقضاء المجلس فقال : إلى أين ؟ ما أراك تصبر على مجلس الخلدي (٤).

جواز تقبيل أيدي العلماء :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي زيد، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبه بن كعب بن الخزرج ويغلب عليه لقب الأمام الأديب

---

(١) معجم الأدباء، ٧٩/١ والذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢،١٤٧.
(٢) ابن شاكر الكتبي، مرجع سابق، ٣/١ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٢٧/٦ والزركلي، ٣٢/١
(٣) معجم الأدباء، ٧١/٢، والزركلي، ٢٦٧/١، وابن كثير، مرجع سابق، ٣٢/١١
(٤) القفطي، انباه الرواة، ١٣٨/١، وجرجى زيدان، مرجع سابق، ١٨١/٢ والذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢١٤/٢

ت ٢٥١ هـ [١] .أورد أبو عثمان المازني قال : كنا عند أبي زيد فجاء الأصمعي وأكب على رأسه يقبله . وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة[٢] .

ولاحظ الباحث هنا ظهور التربية الأخلاقية في أجل معانيها وصورها في ذلك متمثلة في احترام وتقدير الطلاب المتعلمين للعلماء . بل تقدير العلماء بعضهم البعض .

وفي ترجمة : أبي الحسن . أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي ت: ٣٠٦ هـ قال ابن المعتز لأستاذه الدمشقي : والله لا أقابل إحسانك مني كفر . لاتبع احساني إليك مني (التعيير وتعدد النعم) فلك مني يد لا أقبضها عن نفعك [٣] .

ولاحظ الباحث أن على المتعلم إذا أخطأ المتعلم ثم أقلع عن خطأه بالاعتذار قبل منه . وهذا ما حدث من ابن المعتز مع أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقي .

غرس التربية الدينية في نفوس المتعلمين :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي القاسم . جعفر محمد بن حمدان الموصلي ويغلب عليه لقب الفقيه الشافعي ت: ٣٢٣هـ ذكر في أبياته قوله :

يا سيد بذ من يمشي على قـدم	علما وحلـمـا وآبـاءا وأجـدادا
ماذا دعاك إلى وعد تصيــره	بالخلف والمطل والتسويف أيعاد
لا تعجلـن بوعد ثم تخلفــه	فيثمر المطل بعد الود أحقـادا
فالوعد بذر ولطف القول منبته	وليس تجدي إذا لم يلق حصـادا [٤]

ولاحظ الباحث أن الموصلي يطلب من العامة والخاصة : التحلي بالأخلاق الإسلامية فمن تحلى بالأخلاق الإسلامية فقد فاق وسابق غيره ممن لم يتحلى بهذه

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٧٧/٣ وابن عساكر ، التهذيب ، ١٢١/٦ والزركلي ، مرجع سابق ، ٩٢/٣
(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٣٧٥/١ وابن حجر تهذيب التهذيب ، ٨/٤
(٣) معجم الأدباء ، ١٧١/٣
(٤) المرجع السابق ، ٣٩٨/٢

الأخلاق الحميدة . فالأخلاق الإسلامية وأمور الدين هما النبراس الذي يسير المسلم على هداه في الدنيا والآخرة .

وأورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن . أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد برمك ويغلب عليه لقب جحظة البرمكي ت: ٣٢٤ هـ (١) .جلس أبو الحسن عند أبي القاسم البغدادي في شهر رمضان . وكان أبو الحسن لا يصوم . فدخل عليه البغدادي في المستراح . فوجد بيده رغيفا فاستعظم ذلك . وقال : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال له : أفت لبنات وردان (دويبة نحو الخنفساء حمراء) ما يأكلون(٢) .

ولاحظ الباحث أن الكذب من المتعلم نحو أستاذه من الصفات غير المحمودة ويجب الإقلاع عنها .

ففي ترجمة : أبي بكر محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ويغلب عليه لقب بن القوطية (ابنة أحد ملوك القوط الذين كانوا بالأندلس) الأشبيلي ت:٣٦٧ هـ بقرطبة (٣) .روى الثعالبي قال : أخبرني أبو سعيد قال أخبرني الوليد بن بكر الفقيه : أنا أبا بكر يحيى بن زار بن القوطية في جبل قرطبة فقال : ما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيخي وأستاذي . وكان الشعر أقل صنائعه لكثرة علومه . وغرائبه(٤) .

ولاحظ الباحث هنا جواز تقبيل أيدي العلماء من طلابهم اعترافاً بفضلهم عليهم وهذه من الأمور التي تحدث مع المتعلمين والعلماء.

تغير سلوك الحيوان عن طريق التربية :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن . طاهر بن أحمد بن با بشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم المصري ويغلب عليه لقب با بشاذ . ت: ٤٦٩ هـ(٥) . فقد :كان لأبي

---

(١) معجم الأدباء ، ٣٢٨/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٨٣/١ والزر كلي ، مرجع سابق ، ١٠٧/١
(٢)الذهبي:سير أعلام النبلاء: ٥٤/١٠ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٦٥/٤ وابن الجوزي: مرجع سابق: ٣٨٣/٦
(٣) معجم الأدباء ،٣٩٠/٥ السيوطي ، بغية الوعاة ،ص٨٤
(٤) الزر كلي ، مرجع سابق ، ٣١١/٦ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٥١٢/١
(٥) معجم الأدباء:مرجع سابق:٤٢٨/٣ وابن خلكان :مرجع سابق ، ٢٣٥/١والسيوطي:بغية الوعاة :ص: ٢٧٢ ـ ٤٢٧

الحسن قط . أنس به ورباه أحسن تربية . فكان ظاهر الخلق لا يخطف شيئا ولا يؤذى [(١)] بل يتهم بمساعدة غيره من القطط الذين أصيبوا في أجسادهم فقد" اختطف فرخا وذهب به إلى أعلى المنزل . وفي اليوم التالي اختطف من يده فرخ حمام مشوي فتبعه الشيخ فرآه وقد قفز به إلى سطح قريب ووضع الفرخ بين يدي قط هنالك فتأمله الشيخ فإذا القط أعمى مفلوج لا يقدر على الانبعاث . وقد أحدث هذا الموقف في قلب الشيخ شيئا فانفرد بالعبادة والتخلي عن الدنيا [(٢)] .

ولاحظ الباحث أن التربية للحيوانات كانت سائدة في ذلك العصر . بل وعصور الإسلام الأولى.فالصحابي الجليل : أبو هريرة الذي لقب بذلك لأنه كان يحمل الهرة (القطة) في كمه . والنبي (ﷺ) يراه ويقره على ذلك . وهو ما يشبه في العصر الحالي عالم السيرك . وقد يقصد بتربية الحيوانات (ترويضهم) وتعديل سلوك الحيوان من العدوانية إلى الخيرية.

التربية الدينية والكتابة فيها :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي الحسن علي بن زيد بن أبي القاسم ويغلب عليه لقب البيهقي وقيل هو نسبه ت: ٥٦٥ هـ [(٣)] ،اهتم بالكتابة في الأمور الدينية . وجاءت كتاباته شاهدة على ذلك فقد : صنف كتاب الإفادة في الحشر والإعادة . وله كتاب تحفة السادة وكتاب الوقيعة في منكر الشريعة . وكتاب بساتين الأنس ودساتين الحدس في براهين النفس . وله كتاب مناهج الدرجات في شرح النجاة . وله كتاب ربيع العارفين [(٤)] .

---

(١) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٤٢٨/٣
(٢) الزركلي:مرجع سابق ، ٢٢٠/٣ والسيوطي:حسن المحاضرة ٣٠٦/١ وابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ١٠٥/٥
(٣) معجم الأدباء ١١٧/٤ ، والسيوطي ، بغية الوعاة ،ص ٣٠
(٤) البغدادي ، هدية العارفين ٦٦٩/١ والزركلي ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٤

كتب ذات قيمة تربوية :

جمع كتاب" معجم الأدباء" لياقوت الحموي بين دفتيه الكثير من الكتب ذات القيمة التربوية ، والتي شاركت في نشر التربية على مختلف العصور التي تحدث عنها ياقوت وقد اقتصر الباحث على ذكر نماذج من هذه الكتب اكتفاءا بذكر اسم هذه المؤلفات دون التطرق للبحث والتنقيب حول هذه الكتب حتى لا يتسع المجال وتضيع الفائدة المنشودة

فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبي العنبس . محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ما هان ويغلب عليه لقب الصيمري ت:٢٧٥ هـ[١]. له من الكتب ذات القيمة التربوية كتاب تأخير المعرفة ، وكتاب الرد على المتطببين . وله كتاب الرد على المنجمين وكتاب هندسة العقل ، وذكر له ياقوت :كتاب الراحة ومنافع القيادة (لمعرفة فنون الإدارة وكيفية قيام رؤساء المصالح بقيادة من يعملون بمصالحهم) وله كتاب تذكية العقول ، وكتاب نوادر القواد ، وكتاب مساوي العوام وأخبار السلفة والأغتام[٢].

ولاحظ الباحث أن هذه الكتب التي قام بتأليفها العلماء ، كان بعضها ذات قيمة تربوية أسهمت في تقدم العلوم التربوية على مر العصور وكانت طريقاً للبحوث التربوية .

وفى ترجمة :أبي زيد ، أحمد بن سهل البلخى ت: ٣٢٢ هـ[٣]. اهتم البلخى بتأليف الكتب فى شتى مجالات العلوم فله كتاب : البحث عن التأويلات ، وكتاب: رسوم الكتب ، وله كتاب: فضيلة علوم الرياضيات ، وله كتاب: منية الكتاب ، وله كتاب: رسالة في مدح الوراقة ، وكتاب: فضل صناعة الكتابة[٤]. وفى رواية أبى بكر الفقيه قال : ما

---

(١) معجم الأدباء ،٢٢٢/٥، وعمر رضا كحالة ،مرجع سابق ، ٣٨/٩ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ،٢٣٨/١، والصفدى الوافي بالوفيات ،١٩١/٢.

(٢) معجم الأدباء ، ٢٢٣/٥ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٢٨/٦ والبغدادي ، هدية العارفين ، ١٨/٢- ١٩

(٣) معجم الأدباء، ٣٧٥/١ والزر كلى ،مرجع سابق ، ١٣٤/١

(٤) أبو حيان التوحيدي ، مرجع سابق ، ١٥/٢

صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات . صنفه أبو زيد البلخي[١].

وذكر ياقوت في ترجمة : أبي بكر ، محمد بن الحسن بن محمد بن زيد بن هارون بن جعفر بن سند ويغلب عليه لقب النقاش ت: ٣٥١ هـ[٢] ، له من الكتب كتاب العقل وله كتاب ضد العقل[٣]،وهو عالم بالقرآن وتفسيره ، أصله من الموصل ، ومنشأه ببغداد رحل رحلة طويلة،وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السيوف والحيطان فعرف بالنقاش[٤]

ولاحظ الباحث هنا أن النقاش ظهرت له كتابات ذات قيمة تربوية تدعو إلى التفكير ، ومكانة العقل من التعليم والعملية التعليمية ، وما يتوقف ضده من هذه الوسائل

وفي ترجمة : أبي بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ويغلب عليه لقب الخطيب البغدادي ، صاحب تاريخ بغداد ، ت: ٤٦٣ هـ[٥] ، كان الخطيب البغدادي متأثراً ببعض المذاهب الفقهية مما كان له أثر واضح في منهجه العلمي فقد كان " الخطيب البغدادي قديماً على مذهب أحمد بن حنبل ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وكان يميل بل ويتعصب للمتكلمين من الأشاعرة[٦] ،وذكر ياقوت للخطيب البغدادي أسماء ست وخمسين مصنفاً ، ويبدو من عناوين بعضها أن لها طابعاً تربوياً ، مثل كتاب : تقييد العلم وكتاب الرحلة في الحديث ، وكتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، وكتاب

---

(١) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٣٨٢/١
(٢) معجم الأدباء ، ٣٠٩/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٤٨٩/١
(٣) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٨١/٦
(٤) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٤٥/٣ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٠١/٢
(٥) معجم الأدباء ، ٥٠٠/٥
(٦) السبكى ، مرجع سابق ، ١٢/٣ وابن تغرى بردى ، مرجع سابق ، ٨٧/٥ واللباب ، ٢٨٠/١

الكفاية في معرفة علم الرواية[1] . وللأسف ينقل ياقوت في رواية أبى الفرج الأصفهانى مقتضاها أن هذه الكتب احترقت في دار الفضل بن الخطيب[2] .

المقصود بالبيئة ومفاهيمها :

قبل أن نورد ما ذكره ياقوت عن البيئة في كتابه "معجم الأدباء" نوضح معنى البيئة وكيفية تأثيرها :

إن مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تتصدر قائمة القضايا المعاصرة التي أفرزتها حركة التقدم العلمي والتقني والإنسان – بطبيعة الحال – واحد من مكونات البيئة ، دائم التأثير والتأثر في إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة بما فيها من يمثل بنى جنسه وقد عجزت المعاهدات الدولية والمؤتمرات العالمية –حتى الآن– عن تحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الأنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من ناحية أخرى ، ويمكن مواجهة هذا التحدي في إطار التصور الأسلامى الرشيد القادر على استيعاب حركة العصر ، وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة .

مفهوم البيئة :

"البيئة" و"الباءة" و "المباءة" في اللغة العربية أسماء بمعنى المنزل الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان ويقيم فيه وهو مشتق من الفعل "بوأ" بشديد الواو ، فيقال أباءه منزلا وبوأه إياه ، وبوأه له ، وبوأه فيه بمعنى هيأه له ، وأنزله ، ومكن له فيه : قال تعالى :

" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ " (٣)

---

(١) الزر كلي ،مرجع سابق ، ١٧٢/١

(٢) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٥٠٤/٥

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٥٨

وتوصف هيئة التبوؤ وأله بالحسن أو السوء . فيقال إنه لحسن البيئة أو أنه باء بيئته سوء[(١)] .

البيئة في العلوم الكونية :

" مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تحيط بالكائنات ، وتؤثر في العملية الحيوانية التي تقوم بها ، ويرتبط مدلول مصطلح البيئة بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها ، فرحم الأم بيئته الأولى ، والبيت بيئة ، والمدرسة بيئة والحي بيئة ، والوطن بيئة ، والكون بيئة" [(٢)] .

" أي أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته ، فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنيناً ويستمد منه مقومات نموه ، ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها ، وفى هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يغترف من ثورة الموروثات (أو الجينات) التي هي البيئة الوراثية والجينات : هي تجمع المواد الكيميائية التي تحتوى على شفرة الصفات الوراثية للكائن الحي ، وتنظم الموروثات في جسيمات أو خيوط متشابكة داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم – الشبكة النووية وتعرف هذه الجسيمات بالصبغات أو الكروموسومات ، ويكون عندها ثابتا في النوع الواحد من الكائنات الحية ، فالإنسان مثلا تحتوى كل خلية من خلايا جسمه ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم ، وتتحدد هذه الصفات الوراثية عند لحظة الإخصاب . لذا فأن العناية في اختيار الإنسان لزوجه أصبحت من العوامل التي يجب مراعاتها لتحسين النسل وتفادى العيوب الوراثية "[(٣)] .

---

(١)ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨٢/١ مادة بوأ .

(٢) أحمد فؤاد باشا ، البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي - مجلة الأزهر - الجزء السادس ، السنة التاسعة والتسعون أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ ص ٨٥٨

(٣) رشيد الحمد ومحمد سعيد صابر ، البيئة ومشكلاتها – عالم المعرفة – الكويت ، العدد ٢٢ ذو القعدة /ذو الحجة ١٣٩٩ هـ أكتوبر ١٩٧٩ م ص ٦٣ .

بيئة ما بعد الولادة :

" تتدرج من البيت إلى المدرسة ثم الوطن والكرة الأرضية كلها ، من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، ثم الكون كله وهو البيئة الكبرى للإنسان فالطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض باستمرار وانتظام هي الأساس في كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمرارها على أن الإنسان في هذا التدرج لا يكون معزولا عن بيئة معينة ولا يتأثر بغيرها فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الأرض الأخرى ، وهذا يعنى في الواقع أن هناك بيئة كبرى تتمثل في الكون بأسره وما يحدث في جزء منه يؤثر في الكل ، فالبيئة الصناعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية .... إلخ ، وذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها في بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة ، بما فيها من بنى جنسه من البشر ، فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته بل تنظمها المؤسسات التربوية"(١).

البيئة الأسرية أثرها في التعليم :

ذكر ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" في ترجمة : أبي العباس ، أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد ويغلب عليه لقب ولاد ، ت: ٣٠٢ هـ(٢)، ظهر أثر عامل البيئة الأسرية في اختياره لمواد الدراسة فقد تعلم من خلال تلمذته على يد والده فقد: كان والده من البصرة وانتقل جده إلى مصر وهو نحوى ابن نحوى ، خرج إلى العراق وتعلم بها على يد أبي إسحاق الزجاج ، ورجع إلى مصر يعلم بها ويصنف ، وكان يقول ديوان رؤبة رواية عن والده عن جده(٣)،اهتم بالتصنيف فله:كتاب المقصور والممدود،وله كتاب الانتصار لسيبويه(٤)

---

(١) أحمد فؤد باشا ، مرجع سابق ، ص٦٨٠

(٢) معجم الأدباء ،١٤٧/١ ـ ١٤٨ والسيوطى ، مرجع سابق ، ص١٦٩ .

(٣) القفطى ، انباه الرواة ، ٩٩/١ وابن العماد ، مرجع سابق ، ٣٣٢/٢

(٤) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٦٧/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق ، ص ١٧٣

وفي ترجمة : أبي جعفر ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري ت :٣١٠ هـ [١] ، لقد ظهر أثر البيئة المصرية وملامحها على شخص الطبري من أساتذته الذين تتلمذ عليهم فقد" تتلمذ مباشرة على يحيى بن عثمان بن صالح ت:٢٨٣ هـ [٢] ،وعبد الله بن لهيعة ت:١٧٤ هـ ، والليث بن سعد ، ت: ١١٥ هـ [٣] ،وعلى يزيد بن أبي حبيب ت:١٢٨ هـ ، وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة ت:١٣٠ هـ. وعبيد الله بن جعفر الكناني ت:١٣٦ هـ [٤] ،وتتلمذ على يد : خالد بن يزيد الجمحي الأسكندراني ت : ١٥٢ هـ [٥] .

هؤلاء نماذج من الذين تتلمذ عليهم ابن جرير الطبري من المصريين وتلقى عنهم على مائدة المصريين ، وهذا ليس غريب على مصر بطبيعتها وشخصيتها " فللشخصية المصرية مميزات وسمات تمايز بينها وبين غيرها ، بسبب البيئة المصرية والموقع الجغرافي "[٦] .

وكذا " فأن الجانب المادي الماثل والمعنوي المتجدد فالجانب المادي هو العامل التاريخي الذي يطبع وحدة زمنية معينة بسمات ، ويترك هذان العاملان أثريهما في ملامح الشخصية المصرية "[٧] .

" أما بيئة مصر وتتمثل في الموقع الجغرافي فأن البلاد المصرية التي تقع بين بحرين وتكتنفهما الصحراء من الجانبين ، تمثل شريطاً عرضياً من الخضرة ، تحيط بها مساحات واسعة باهتة من الجدب ، كان لموقعها الجغرافي شأن أي شأن فهو يتصل بالطباع المصرية

---

(١) معجم الأدباء ، ٢٤٨/٥

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٦٣/١

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٢٥٧/١١

(٤) عبد الله خورشيد ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥

(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٤/١

(٦) عبد اللطيف حمزة ، الحركة العلمية في مصر في العصرين الأموي والمملوكي ، ص ٤

(٧) مصطفى الجويني ، مرجع سابق ، ص ١٣

ويمكن أن يكون نتيجة لالتقاء الثقافات المختلفة . والحضارات المتنوعة والثقافات كانت تختار منها ما يحلو في نظرها ويتفق مع مزاجها ويتمشى مع طبيعتها ويرضى تفكيرها وعملية الاختيار في ذاتها لا تحتاج إلى شيء سوى الذوق . وكان لابد لمصر أن تعمل ذوقها على هذا النحو فبدأت تتذوق هذه الألوان الثقافية أولا : ثم أخذت تهضم ما تريده من هذه الألوان ثانياً : عرفت كيف تميز بين ماهو ضعيف عليها لا تجد في هضمه مشقة"(١). وقد كانت هذه هي السمة الأولى من سمات الشخصية المصرية وهى الميل إلى السهولة . ولقد برزت هذه السمة منذ دخول الإسلام مصر واحتكاك أهل مصر بالإسلام. ولما كانت البيئة المصرية تجمع بين الطبيعتين وادي النيل بخيره الوفير، ونعمه الكثيرة . وطبيعة الصحراء القاحلة المجدبة . لهذا توسطت نعومة العيش وجدب الحياة . ومن كانت طبيعة بيئته تلك لابد وأن يأتي نتاجه العلمي بين التوسط والاعتدال وهذه هي سمة من سمات الشخصية المصرية فقد" نشطت بمصر بسبب موقعها الجغرافي حركة المد والجزر فأخذت وأعطت ولما كان واجباً عليها أن تقوم بدور الوساطة بين ثقافات العالم . ومع أن الوسيط الثقافي يمكن أن يكون كالوسيط التجاري من الشراهة بحيث يأخذ أكثر مما يعطى فأن مصر كانت شرهة في الأخذ وشرهة في العطاء لم يعرف عنها قط أنها بخلت بعلم أو آثرت نفسها بشئ من العرفان"(٢). ولقد " كان على المصريين ، وقد وفدت عليهم ثقافات ومعارف أن يتلقوا أولا هذه المعارف يقفونها ويديرون فكرهم في فهمها ثم ينتجون منها ما يسيغونه ويهضمونه ويلفظون ماعداه . ثم يضيفون إلى الزاد الثقافي الذي صقله الموقع الجغرافي وأكسبه المران والخبرة متلقياً المعرفة وهاضماً لها ثم مضيفاً إليها"(٣).

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق ، ص ٨

(٢) الجويلى ، مرجع سابق ، ص ٤١

(٣) أحمد محمد الحوفى ، مرجع سابق ،ص ١١٤

ومما سبق لاحظ الباحث أن هذه السمات ظهرت في نتاج علماء مصر منذ أن انصهروا في بوتقة الإسلام، فتلقوا وهضموا ثم ارتحلوا يطلبون، فلما اكتملت أدواتهم العلمية في الحصول على المعرفة بدأوا يعطون، ومن هنا برزت شخصيات مصرية إسلامية تلقوا العلوم وارتحلوا إلى المدينة ومكة، يتعلمون القراءات والحديث والفقه يجمعون بين المدارس الإسلامية التي ظهرت في كل الأمصار ومن هذه الشخصيات المصرية من أخذ عنهم ابن جرير الطبري بطريق غير مباشر.

أثر البيئة يظهر في الكتابات الجغرافية :

أورد ياقوت في ترجمة : أبى بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ويغلب عليه لقب ابن السراج البغدادي، ت: ٣١٦ هـ[١]، ظهر أثر البيئة في كتابات ابن السراج البغدادي فقد جاءت شاهداً على أثر البيئة الطبيعية فقد كتب "كتاب الرياح والهواء والنار، وكتاب المواصلات، وكتاب المذكرات"[٢].

ومنه لاحظ الباحث هنا أن ابن السراج اقتصر في حديثه على البيئة الطبيعية التي تحيط به من الرياح وطرق المواصلات وأثر النار والأمطار في حياته الطبيعية.

وفي ترجمة : أبى بكر محمد بن الحسن بن عتاهية ويغلب عليه لقب بن دريد ت: ٣٢١ هـ[٣]، لقد تركت البيئة أثراً واضحاً في كتابات ابن دريد فله " كتاب السلاح وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخير الصغير، وله كتاب الأنواء، وله كتاب المطر، وكتاب السحاب والغيث، قال الزركلى أنه مطبوع "[٤].

---

(١) معجم الأدباء، ٣٤٣/٥ والسيوطى، بغية الوعاة، ص٤١ وابن خلكان، مرجع سابق، ٥٠٣/١ والصفدى الوافى بالوفيات، ١٦/٣

(٢) الزر كلى، مرجع سابق، ١٣٦/٦

(٣) معجم الأدباء، ٥/ ٣٠١ – ٣٠٤

(٤) الزر كلى، مرجع سابق، ٨٠/٦.

ومنه تبين للباحث أثر البيئة الطبيعية المحيطة بابن دريد من حروب للقبائل استدعى ذلك منه أن يذكر أسلحة هؤلاء القاتلين وأنواعها ، ثم نظر إلى البيئة التي تعور البشرية إليها ، ومنها نزول المطر فتحدث في شعره عن السحاب الثقيل الذي يحمل المطر بين طياته حتى يستفاد منه في الرعي والشراب ، وبنزوله يصحبه الخير ، وتحدث كذلك عن الحيوانات التي كان يشاهدها .

أثر البيئة على العلماء في تصنيف الكتب :

أورد ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" في ترجمة: أبى الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى ويغلب عليه لقب الو شاء (لأنه كان يشي الثياب ينقشها ويزخرفها) ت : ٣٢٥ هـ[١] . تأثر أبو الطيب الو شاء بالبيئة الطبيعية التي كان يعيش بها فقد" كتب للزهر ، وللفرس ، ولأخبار الملوك التي غزت أماكنهم وللغربة"[٢] ، من هذه الكتب : كتاب خلق الفرس ، وكتاب خلق الإنسان ، وكتاب أخبار صاحب الزنج ، وكتاب الزاهر في الأنوار والزهر ، وكتاب السلوان ، وكتاب سلسلة الذهب ، وكتاب أخبارا لمتطرفات وكتاب الحنين إلى الأوطان"[٣] .

أثر البيئة في التعليم :

أورد ياقوت في ترجمة :أبى الحسن بن زكريا بن محمد بن حبيب بن فارس ويغلب عليه لقب الرازي القزوينى ، ت:٣٦٩ هـ[٤] . كان" أحد أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، وتعلم العلم عن أبيه وعن أبى الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان ، وأخذ عن أبى بكر أحمد بن الحسن الخطيب ، وعن أبى عبد الله أحمد بن الطاهر المنجم ، وعلى

---

(١) معجم الأدباء، ٩/٥ والسيوطى ، بغية الوعاة ، ص١٠٤
(٢) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٨٨/٣
(٣) الزر كلى ، مرجع سابق ، ٣٠٩/٥ والبغدادي، هدية العارفين ، ٣٤/٢ وحاجى خليفة ، مرجع سابق ، ص ٢٧
(٤) معجم الأدباء ،٥٢٥/١

عبد العزيز المكي ، ورحل إلى بغداد طالباً الحديث "[1] ، وقد كان" ا بن فارس يقول عن شيخه ابن طاهر المنجم ، ما رأيت مثل عبد الله بن طاهر ، ولا رأى هو مثل نفسه"[2] . وقد تتلمذ على يديه " بديع الزمان الهمذاني ، والصاحب بن عباد ، ويقول الصاحب : شيخنا أبو الحسن ممن رزق حسن التصنيف وأمن من التصحيف "[3] .

وفي ترجمة : أبي القاسم ، إسماعيل بن عباد ، ويعرف بالصاحب (كان غزير الفضل متفننا في العلوم) ، أحمد بن إبراهيم الضبي ويغلب عليه لقب الكافي الأوحد ت : ٣٩٩ هـ[4] ، امتدح البيئة وفضل بعض البلاد على بعض فيقول رداً على سؤال وجه له "كيف وجدت بغداد ؟ قال بغداد في البلاد مثل الأستاذ في العباد"[5] .

وفي ترجمة : أبي ريحان البيروني سبقت ترجمته ، ت: ٤٢٣ هـ[6] ، ظهر أثر البيئة في مؤلفات أبي ريحان البيروني في القرن الرابع الهجري الذي ضعف فيه شأن الخلافة الإسلامية في بغداد ضعفا شديداً ، فلم يكن للخليفة سلطان يذكر – ألا أن يكون الدعاء باسمه في المساجد – وتغلب العنصر التركي في بغداد على الخلفاء ، وظهر النفوذ الفارسي في بعض الولايات ولكن هذا الانحطاط السياسي لم يقف عقبة في سبيل التقدم العلمي والأدبي للعلماء الذين وضعوا المناهج الإسلامية الخالصة في البحث"[7] ، ومن هؤلاء العلماء " الفارابي ، ابن سينا ، وأبي الريحان البيروني ، الذي كان صاحب الفضل في ابتداع أسلوب التأمل وابتكار الطرق والوسائل التي تقرب قضايا علم الفلك ، فكان

---

(١) جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ٣٠٩/٢ وأحمد بن فارس ، مرجع سابق ، ص(ب) ، المقدمة .
(٢) الثعالبي ، مرجع سابق ، ٢١٤/٣
(٣) الزر كلي ، مرجع سابق ، ١٩٣/١
(٤) معجم الأدباء ، ٢٣٤/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٧٤/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٢٨٨/١
(٥) ابن حجر ، لسان الميزان ، ٤١٣/١ وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٧/٩ وابن العماد ، مرجع سابق ، ١١٥/٣ والثعالبي ، مرجع سابق ، ٢١٥/٣
(٦) معجم الأدباء ، ١٢٥/٥
(٧) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٤١/٨

بذلك من أوائل المبتكرين لطريقة شرح النصوص الدينية بالأسرار الحكمية، وتقويتها بآيات القرآن الكريم"(١).

ومنه لاحظ الباحث هنا التناقض العجيب في العقلية العربية في هذا القرن من انحطاط وتأخر في الميدان السياسي وتقدم عظيم في البحث والتأليف.

أثر البيئة على العلماء :

ففي ترجمة : أبي القاسم، علي بن طلحة بن كردان النحوي ويغلب عليه لقب ابن الصحناتي ت:٤٢٤ هـ(٢)، ظهر أثر البيئة السيئ على بعض العلماء كما كان أثرها الحسن على البعض الآخر فقد" كان ابن الصحناتي أول شيخ يُقرأ عليه ويُوصف بالفضل والمعرفة، وعنه أخذ النحو أبو الفتوح محمد بن محمد بن مختار وغيره من الواسطين"(٣) فبقول في ذم واسط :

سئم الأديب من المقـام بواسط	إن الأديب بواسط مهجـور
يـا بلـدة فيهـا الغنى مكـرم	والعلم فيهـا ميـت مقبـور
لاجادك الغيث الهطول ولا اجتلى	فيك الربيع ولا علاك حبور
نثر البلاد أرى فعـالك سـائـراً	عنى الجميل وشرك المشهور(٤).

ولاحظ الباحث الأثر السيئ للبيئة التي يقيم بها العلماء فقد تعوق البيئة بعض العلماء عن أداء رسالتهم في الجانب السيئ كما تحدث ابن الصحناتي.

بالنسبة للبيئة العربية كانت شبه الجزيرة العربية بمثابة بيئة لها حركة علمية ثقافية مستقلة وفى نهاية كل حركتها العلمية فهي فرعاً من فروع الشجرة الكبرى شجرة

---

(١) الزر كلي، مرجع سابق، ٣١٤/٥
(٢) معجم الأدباء، ١٣٣/٤
(٣) السيوطي، بغية الواعاة، ص ٣٣٩
(٤) معجم الأدباء، ١٣٣/٤

الحركة العلمية العربية العامة إذ نلتقي في كل مكان بأسماء الكتب العلمية المهمة المعروفة ، وكأنه كان هناك جسر كبير للثقافة العربية فقد نجد" أن البيئة التي يظن أنها كانت بعيدة عن الحركة العلمية تقع في قلب هذه الحركة العلمية ، فالبيئة النجدية مع ما يحيط بها من أسوار الصحراء ، فقد كانت قراها لا تخلوا من بعض المعلمين ، وكانت تتلى فيها كتب الشريعة ، وكتب عربية أخرى بأجرة ، وكانت القبيلة النجدية بمجرد أن تتحول قليلاً أو كثيراً من البداوة إلى الحضر تنهض فيها حركة علمية نشطة ، على نحو ما حدث في بنى مريد ، وقبيلة بنى أسد حين أسسوا مدينة الحلة بالقرب من مدينة الكوفة واستقروا فيها بعض الاستقرار، وما حدث في بنى عقيل حين أسسوا إمارة لهم بالموصل فإن القبيلتين جميعا قادتا حركة علمية في ديارهما "[(١)] .

ومن المؤكد أن قرى نجد مثل اليمامة وبريدة وحائل والعيينة والدرعية لم تخل في أي عصر من شيوخ يختلف الشباب والشيوخ إليهم لتلقى كتب الفقه والتفسير والحديث النبوي ، وبظهور محمد بن عبد الوهاب استحالت نجد إلى دار كبيرة للدعوة الوهابية ولمدارسة كتب محمد بن عبد الوهاب وكتب إماميه : أحمد بن حنبل وابن تيميه "[(٢)] .

وكذلك فإن المدينتين المقدستين مكة والمدينة نجد الحرمين المكي والمدني يتحولان في عصر مبكر إلى جامعتين كبيرتين . بحيث يصبحان من أهم المراكز العلمية في البلاد العربية،بسبب كثرة العلماء النابهين بكل الأقطار العربية كانوا ينزلون بمكة ويقيمون فيها سنوات طوالاً، وقد يمضون فيها بقية حياتهم ، وبالمثل كانوا ينزلون المدينة ، غير من كان

---

(١) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ص ١١٢
(٢) شوقي ضيف ، تاريخ الدول والأمارات ، ص ٥٣

من العلماء في مكة،وكان لكل عالم حلقته،فللمقرئ حلقته، وكذلك للمفسر والمحدث والفقيه وعالم الكلام ، وتعددت الحلقات بتعدد العلماء (الشيوخ) حتى لتعد بالعشرات"(١).

وقد كانت البيئة ومازالت حتى اليوم الأم الرؤم والملهم الأول للإنسان نشأ في كنفها تمده بخيراتها ، وتوفر له سبل العيش ، ويتلقى عنها كل آوانة درساً في المحافظة على حياته ، والارتقاء بأسلوب معيشته ، وتكشف له بين حين وآخر سراً من أسرارها، وغوراً من أغوارها حتى وصل إليه اليوم من مدنية وتقدم ، ولا يزال الإنسان دائب السعي مسرع الخطى لمعرفة ما فيها وتجلية حقائقها(٢) ، فللبيئة عموماً أثرها في تشكيل حياة الرد والجماعة والإنسان ابن البيئة كما يقولون ، ويقول هنري بر " المشرف على صدور الموسوعة التاريخية الكبرى " " تطور الإنسانية " في تقديمه للمجلد الرابع وعنوانه: الأرض والتطور البشري ، يقول : لاريب أن أثر البيئة قوي جداً على الإنسان ، فالجفاف والرطوبة والضوء والرياح بل وكهرباء الجو لا تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلاً دائماً أو مؤقتاً ، سواء أكان هذا الكائن حيواناً أم نباتاً كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في نموه(٣).

وقد نشطت الحركة العلمية في اليمن من قديم ، بسبب توزعها بين إمارات كانت تتنافس فيما بينها علمياً وأدبياً مما جعل كل منها تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها ، وكان كثير من الأمراء أنفسهم علماء(٤).

---

(١) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ،ص ٩٣
(٢) محمد يحيى الحداد ، تاريخ اليمن السياسي (قبل الإسلام – بعد الإسلام) ، ١٩٦٧ ، ص ٨٤ .
(٣) لوسيان فيفر – ترجمة :محمد السيد غلاب ، الأرض والتطور البشري ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، المقدمة
(٤) محمد يحيى الحداد ، مرجع سابق ، ص ٨٤

وقد أورد ياقوت في ترجمة : أبي عبد الله محمد بن سعيد محمد ويغلب عليه لقب ابن شرف القيرواني ت: ٤٦٠ هـ[(١)] . كان للبيئه أثرها على المتعلمين في التنشئة العلمية فمن نشأ في بيئة تزخر بالعلماء كان عالماً فقد كانت القيروان في عهد ابن شرف وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال من كل فج . لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم[(٢)] .

ولاحظ الباحث أن عصر بن شرف كان الدافع إلى التعليم هو التقرب من الأمراء والوزراء حتى ينال العالم من كرم وعناية هؤلاء الوزراء كما كان يفعل المعز بن باديس تجاه العلماء والأدباء .

وفى حضرموت يلقانا كثير من العلماء النابهين ، وهم منبثون في كتب التراجم ولهم دلالاتهم على ما كان ورائهم من حركة علمية ، كما يظهر ذلك في كتاب " طبقات فقهاء اليمن " وكذلك "العقد الثمين " فقهاء ومحدثين ، وقراء حضرميون كثيرون استوطنوا اليمن أو جاوروا بمكة[(٣)] .

وقد كانت عمان من قديم مركزاً لحركة علمية نشطة ، يدل على ذلك من بعض الوجوه أن ابن دريد أكبر علماء اللغة في عصره كان أزدى عماني[(٤)] . وقد أمضى بعمان فترة طويلة من حياته ، كان لها أكبر الأثر في تكوينه اللغوي ومن أثرها في معجمه الجمهرة أنه يحمل كثيراً من لغة الأزد العمانيين وخصائص لهجتهم ، ومعروف أنه توفى قبيل هذا العصر مباشرة ببغداد سنة ٣٢٤ هـ[(٥)] . وشهرة عمان العلمية في القرن الرابع الهجري، هي

---

(١) معجم الأدباء ، ٤٣٥/٥ .
(٢) ابن شاكر الكتبي ، مرجع سابق ، ٢٠٤/٢ الوافي بالوفيات ، ٩٧/٣ الزر كلي ، مرجع سابق ، ١٣٦/٦
(٣) السقاف ، تاريخ الشعراء الحضرميين ، ص ٢١٧
(٤) الأنباري:مرجع سابق ،ص ٣٢٢الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١٩٥/٢جورجي زيدان ، مرجع سابق ، ١٨٨/٢
(٥) الزر كلي ، مرجع سابق ، ٨٠/٦

التي جعلت أبي سعيد السيرافي : كما رواه البعض أنه خرج من بلدته سيراف في طلب العلم إلى عمان ، ويتفقه به ويتعلم العربية ، ثم يدخل بغداد بعد ذلك ، ويروى أنه تتلمذ لابن دريد ، وقد عنى حكامها من بنى نبهان بالحركة العلمية والأدبية بديارهم ، فكثر في عمان الأدباء والعلماء والشعراء(١) .

أثر البيئة الطبيعية في التعليم :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي رشاد ، أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خديو الأخسيكثي ويغلب عليه لقب ذي الفضائل ت: ٥٢٨ هـ(٢) ، نشأ بقرية أخسيكث وهي تقع على نهر الشاش ، على أرض مستوية ولها حصن ، وتبلغ نحو ثلاثة فراسخ وبناؤها من طين ، وقد ساعدت هذه العوامل على أن يتخرج فيها جماعة من أهل العلم والأدب منهم أبو الوفاء(محمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثي ت :٥٢٠ هـ وأخوه رشاد وأبو عصمة نوح بن نصر بن الحارث الفرغاني الأخسيكثي)(٣) .

أثر البيئة البشرية على التعليم :

أورد ياقوت في ترجمة :أبي محمد، سعيد بن المبارك بن على بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عاصم بن عباد بن عاصم ويغلب عليه لقب الدهان ت: ٥٦٩ هـ(٤) ، بالموصل ، خرج من بغداد إلى دمشق فاجتاز على الموصل وبها وزيرها الجواد المشهور فارتبطه (أوثقه) وصدره ، حتى غرقت كتبه وهو غائب ، فحزن عليها فطلع إلى رأسه وعينه فأحدث له العمى(٥) .

---

(١) ابن حجر ،لسان الميزان ، ١٣٢/٥ السبكي ، مرجع سابق ، ١٤٥/٢ الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٩٥/٢
(٢) معجم الأدباء ،٢٩/٢، ومعجم البلدان ، ١٥٠/١ والسيوطي ، بغية الوعاة ، ص١٦٢
(٣) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٤٤/٢ الزر كلى مرجع سابق ، ٢١٥/١ انباه الرواة ، ١٣٢/١
(٤) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٣٨/٣ عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٢٩/٤
(٥) سير أعلام النبلاء ،٢٨٣/١٢، ابن شهبة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ الصفدى ، مرجع سابق ،٨٥/١٣

ولاحظ الباحث هنا أثر البيئة السيئ على العلماء الذي نجم عن ظلم الحكام للعلماء وإحراق كتبهم، ومحو علمهم من أوراقهم .فقد تأثر ابن الدهان من هذا العدوان والغدر الذي لحق به وبمؤلفاته .

ومع ذلك فقد ذم وقبح أعمالهم وأراد أن يستخف من صنيعهم . وأن هذه العلوم إنما هي محفوظة في رأس العالم ولو ملكوا هم الكتب فلا يزينهم ذلك فقال :

لا تحسبن أن بالكتب	مثلنا ستصير
فللدجاجة ريـــش	لكنها لا تطير[(١)] .

الدعوة إلى التعليم :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبى الأسود ، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدى بن بكر بن كنانة الدؤلي ويغلب عليه لقب حاضري الجواب ت: ٦٧هـ[(٢)] ، اهتم من خلال أبيات يرويها بالدعوة إلى التعليم والزجر عن جمع المال وحب الجاه ، فقال :

العلم زين وتشريف لصاحبـــه	فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيد بطل آباؤه نجـــب	كانوا رؤوسا فأضحى بعدهم ذنباً
ومقفر خامل الأيـــادي ذي أدب	نال المعالـــي بالآداب والرتبا
العلم زخـــر وكنـــز لانفـــاد له	نعم القرين ونعم الخدن إن صحبا
وجامع العلم مغبوط بـه أبـــدا	فلا يحـاذر فيـــه الفـوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه	لا تعدلـن بـه دراً ولا ذهبـا[(٣)] .

---

(١) انباه الرواة ، ٢/٤٧ - ٥١

(٢) معجم الأدباء ،٣/٤٣٧ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١/٢٤٠

(٣) ابن عساكر ، التهذيب ، ٧/١٠٤ والزر كلى ، مرجع سابق ، ٣/٢٣٦

ويقول قال "أمير المؤمنين على بن أبى طالب [رضي الله عنه] كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه، فقال :

كفى شرفاً للعلم دعواه جاهل ويفرح أن يدعى إليــه وينسـب
ويكفى خمولاً بالجهالة أنني أراع متى أنسب إليها وأغضب(١).

ولاحظ الباحث هنا أن أبا الأسود يدعو غيره إلى التعليم وملازمة العلماء، فيكفى المعلم شرفاً له أن ينسب إلى العلم فيقال عالم، وكفى الجاهل خزياً أن يقال أنه جاهل، ولو كان العالم فقيراً لامال له يصبح بالعلم ذا جاه وذا مال، فإنه ينال الرتب العليا والمفاخر بهذا العلم، ويكفى الغنى ذا الجاه والسلطان فزعاً أن يقال أنه جاهل.

---

(١) ابن عساكر، التهذيب، ١٠٤/٧ والزر كلى، مرجع سابق، ٢٣٦/٣

تعقيب :

هذا الفصل من الدراسة يحاول الإجابة على سؤال هام هو :

ما هي مؤسسات التمويل للتعليم ؟ وما أنواع التعليم الخاص ؟وما الكتب ذات القيمة التربوية التي وردت بكتاب " معجم الأدباء" ؟

وقد أوضح الباحث أنه إذا كان المؤرخ التربوي الذي يقوم بتسجيل ما يحدث حوله من أفكار تربوية ، وتغيرات اجتماعية واقتصادية وفلسفية في العملية التعليمية، بكل جوانبها من المعلم والتلميذ والمنهج والإدارة والتمويل .

وإذا كانت الكتابات التربوية في تاريخ التربية بمثابة السجل الكامل الوافي الذي يحتوى على كل ما يتعلق بالعصر والعصور التي تناولتها الدراسة برجالها وحوادثها والأفكار السائدة فيها ، وكل المؤثرات التي تؤثر في العملية التعليمية وتتأثر بها من قريب أو بعيد وإذا كان الأمر كذلك ، فأن ياقوت الحموي مؤرخ تربوياً بل إنه من طراز خاص ونادر استطاع أن يؤرخ للعديد من القضايا التربوية في عصره ، وفى عصور العلماء الذين تناول أعمالهم بالترجمة وتعرض لأفكارهم التربوية ، بل إنه تمتع في ذلك بالدقة والموضوعية والصدق .

أولا : المصادر :

١ - القرآن الكريم

٢ - كتب السنة النبوية .

٣ - ابن خلكان (أبو بكر شمس الدين) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : عباس (د. إحسان) . (بيروت : دار الثقافة ١٩٦٨ م) . ثمانية أجزاء .

٤ - ابن العماد (أبو الفلاح الحنبلى ت : ١٠٨٩ هـ) . شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (القاهرة : مكتبة القدسى / ١٣٥١ هـ) ست أجزاء .

٥ - بردى (ابن تغرى) . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . (الطبعة الأولى . (دار الكتب المصرية . ١٩٣٢ م) .

٦ - البغدادى (أبو بكر أحمد بن على الخطيب) . تاريخ بغداد . (القاهرة : مطبعة الخانجى . ١٩٣١م) .

٧ - حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله الكاتب الحلبى ت : ١٠٦٨ هـ) .كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون . (مصر . ١٢٧٤ هـ) .

٨ - الحموى (ياقوت بن عبد الله الرومى ت : ٦٢٦ هـ) . معجم الأدباء . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٩١ م . خمس مجلدات . عشرون جزء .

٩ - ———————معجم البلدان.(لبنان.بيروت:دار صادر.١٩٧٧ م) . خمس مجلدات

١٠ - الزركلى(خير الدين). الإعلام . (بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ م) ثمانى أجزاء

١١ - الصفدى (صلاح الدين). الوافى بالوفيات . (دمشق . المطبعة الهاشمية . ١٩٥٣ م)

١٢ - الكتبى (محمد بن شاكر) . فوات الوفيات . تحقيق / عباس (د. إحسان) . (بيروت . دار الثقافة . ١٩٧٣ م) .

١٣ - كحالة (عمر رضا) . معجم المؤلفين . (لبنان : بيروت . دار الثقافة . د. ت) .

ثانيا : المراجع :

١٤ - ابن أبى أصيبعة (أبى العباس ، موفق بن أحمد) ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء " تحقيق/ رضا (د. نزار) . (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ م) .

١٥ - ابن الأثير (الملقب بعز الدين ت : ٦٣٠ هـ) . المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر الطبعة الأولى . (القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى ، منشورات محمد محى الدين عبد الحميد / ١٩٣٩ م) .

١٦ - ـــــــــ (أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى ت : ٥٦٣ هـ) . الكامل فى التاريخ . (بيروت : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨ م) . عشرة أجزاء .

١٧ - ابن الجزرى ، غاية النهاية فى طبقات القراء ، عنى بنشره برجستراسر (لبنان بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٣٢ م) .

١٨ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان) . الخصائص ، تحقيق / النجار (د. محمد على) ، (لبنان ، بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر ، ١٩١٣ م) ، مجلدان .

١٩ - ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على ت : ٥٩٧ هـ) . المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، دراسة وتحقيق / عطا (د. محمد عبد القادر) ، وعطا (د. مصطفى عبد القادر) . (لبنان ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م) ، ثمانى عشر جزء .

٢٠ - ـــــــــ المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الأولى ، دراسة الحكيم (د. حسن عيسى على) . (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ م) .

٢١ - ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق / غياض (د. محسن) . (مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٤ م) .

٢٢ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) . المقدمة . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الكتاب اللبناني . ١٩٦١ م) .

٢٣ - القرطبى (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى ت : ٤٦٣ هـ) . جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته . تصحيح وطبع إدارة الطباعة المنيرية . (بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٨ م)

٢٤ - ابن القطان (أبو محمد حسن بن على الكتامى المراكشى) . نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تحقيق / مكى (د. محمود على) . (لبنان . بيروت : دار الغرب الإسلامى . ١٩٩٠م) مجلد واحد .

٢٥ - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلبم الدينورى) . الشعر والشعراء . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧٢ م) .

٢٦ - ———— . الأنواء فى مواسم العرب . الطبعة الأولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند - الدكن : حيدر آباد . ١٩٦٥ م) .

٢٧ - ———— . عيون الأخبار . (القاهرة : دار الكتب . ١٩٢٨ م) .

٢٨ - ابن النديم (أبو الفرج . محمد بن اسحق ت : ٣٨٥ هـ) . الفهرست . (مصر : المكتبة التجارية . ١٣٤٨ هـ) .

٢٩ - ابن الوردى (زين الدين عمر) تتمة المختصر فى أخبار البشر. تحقيق / البدراوى (أحمد رفعت).(لبنان - بيروت : دار المعرفة . ١٩٧٠ م) جزءان

٣٠ - ابن منظور . لسان العرب . طبعة بولاق . الجزء الأول . مادة بوأ .

٣١ - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) . السيرة النبوية . تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . (القاهرة . كتاب التحرير . ١٣٨٣ هـ) .

٣٢ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى الأندلسى ت : ٦٥٨ هـ) المقتضب من كتاب تحفة القادم . تحقيق / الإيبارى (إبراهيم)

الطبعة الثانية . (منشورات دار الكتب الإسلامية . القاهرة : دار الكتاب المصرى . بيروت : دار الكتاب اللبنانى . ١٩٨٢ م).

٣٣ - أبو العلا (د. محمود طه) جغرافية شبه جزيرة العرب . (القاهرة . ١٩٧٢ م) .

٣٤ - أبو العينين (د. على خليل مصطفى) القيم الإسلامية والتربية . (المدينة المنورة مكتبة إبراهيم حلبى . ١٩٨٨ م) .

٣٥ - أحمد (د. سعد مرسى) . وعلى (د. سعيد إسماعيل) . تاريخ التربية والتعليم . عالم الكتب . ١٩٧٢ م) .

٣٦ - الأصبهانى (ابو الفرج على بن الحسين) . الأغانى . نسخة مصورة عن طبعة بولاق الأصلية . (بيروت : دار الفكر للجميع . ١٩٧٠ م) .

٣٧ - الأصبهانى (ابن العماد) . خريدة القصر وجريدة العصر . (مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة . ١٩٥١ م) .

٣٨ - الأدفوى (أبو الفضل كمال الدين بن تعلب . : ٧٤٨ هـ) . الطالع السعيد الجامع أسماء بخباء الصعيد . تحقيق / حسن (د. سعد محمد) . (الدار المصرية للتأليف والترجمة . ١٩٦٦ م) . مجلد واحد .

٣٩ - أغناطيوس (كراتشكوفسكى) . تاريخ الأدب الجغرافى العربى . ترجمة / هاشم (صلاح الدين عثمان) . منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة . جامعة الدول العربية . ١٩٦٣ م) .

٤٠ - أمين (أحمد) . فجر الإسلام . الطبعة الأولى . (بيروت : دار الكتاب العربى . ١٩٦٩ م) .

٤١ - أمين (مصطفى) . تاريخ التربية . الطبعة الثانية . (مطبعة المعارف بفجالة مصر ١٩٢٦ م) .

٤٢ - الأنبارى (أبو البركات كمال الدين بن محمد ، ت : ٣٢٨ هـ) . نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق / إبراهيم (د. محمد أبى الفضل) ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٧ م) .

٤٣ - ــــــــ . نزهة الألباء في طبقات الأدباء . تحقيق / السامرائى (د. إبراهيم) الطبعة الثانية ، (بغداد ، مكتنبة الأندلس ، ١٩٧٠ م) .

٤٤ - باشا (د. أحمد فؤاد) . أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي دراسات تأصيلية ، (القاهرة ، دار الهداية ، ١٩٩٧ م) .

٤٥ - بدر الدين (ابن جماعة ت : ٧٣٣ هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (بيروت : دار الكتب العلمية ، نشر محمد هاشم الندوى ، ١٣٥٤ هـ) .

٤٦ - بروكلمان (كارل) ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة / النجار (د. عبد الحليم) (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤ م) ست أجزاء .

٤٧ - البستانى(فؤاد أفرام)،دائرة المعارف قاموس لكل فن ومطلب،(بيروت ، ١٩٦٧ م) .

٤٨ - البغدادى (إسماعيل باشا) ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في كشف الظنون (لبنان - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ م) .

٤٩ - بلاشير (د. يحى) ، تاريخ الأدب العربي ، تعريب / كيلانى (إبراهيم) . (بيروت: دار الفكر ، د.ت) .

٥٠ - بيكر (ر.هـ) ، عندما تطلع النجوم ، تعريب / فياض (د.محمد) ، فيروت ، نيويورك : المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م) .

٥١ - البيهقى (إبراهيم بن محمد) ، المحاسن والمساوئ، تحقيق / إبراهيم (محمد أبو الفضل) ، (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ١٩٦١ م) .

٥٢ - التوحيدى (أبو حيان) . الإمتاع والمؤانسة . تصحيح وضبط . أمين (أحمد) والزين (أحمد) . (لجنة التأليف والترجمة والنشر . د. ت) .

٥٣ - ———— . مثالب الوزيرين . (لبنان - بيروت . مطبعة دمشق . د. ت) .

٥٤ - التونسى (محمد) . أبو الريحان البيرونى . (مصر . دار التراث العربى . د. ت) .

٥٥ - الثعالبى . يتيمة الدهر . الطبعة الأولى . (مطبعة الصاوى . ١٩٣٤ م) . أربعة أجزاء

٥٦ - جابر (د. جابر عبد الحميد) وكاظم (د. أحمد خيرى) . مناهج البحث فى التربية وعلم النفس . الطبعة الأولى . (القاهرة . دار النهضة . ١٩٧٨ م) .

٥٧ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) . البيان والتبيين . تحقيق / السندوبى (حسن) الطبعة الرابعة (القاهرة . مطبعة الاستقامة . ١٩٥٦ م) .

٥٨- الجزرى (عز الدين بن الأثير) . اللباب فى تهذيب الأنساب . بيروت - لبنان : دار صادر . د.ت)

٥٩- الجوينى (مصطفى الصاوى) . ملامح الشخصية المصرية فى الأدب . (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٠ م) .

٦٠ - الحداد (محمد يحيى) . تاريخ اليمن اسياسى (قبل الإسلام - بعد الإسلام) . القاهرة . ١٩٧٦م.

٦١ - حسن (د. إبراهيم حسن) . تاريخ الإسلام السياسى . الطبعة الثانية . (مكتبة النهضة المصرية . ١٩٤٩ م) .

٦٢ - حمزة (د. عبد اللطيف) . الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى . دار الفكر العربى . ١٩٤٧ م .

٦٣ - حموش (مكى بن أبى طالب ت : ٤٣٧ هـ) . الإبانة عن معانى القراءات . تحقيق / شلبى (د. عبد الفتاح إسماعيل) . (القاهرة . دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة. د.ت) .

٦٤ - حميدة (د. عبد الرحمن) ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، (دمشق ، منشورات دار الفكر ، ١٩٦٩ م) .

٦٥ - الحلوجي (د. عبد الستار) ، المخطوط العربي ، ط ٢ ، (المملكة العربية السعودية : جدة : مكتبة مصباح ، ١٩٨٩ م) ، مجلد واحد .

٦٦ - الحوفي (د. أحمد) ، الطبرى سلسلة أعلام العرب ، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر د. ت) .

٦٧ - خورشيد (د. عبد الله)، القرآن وعلومه في مصر ،(القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م).

٦٨ - درويش (مصطفى عبد الرحمن) ، في تاريخ التربية ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ م).

٦٩ - الدمرداش (أحمد سعيد)، أبو الريحان البيروني،(القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م).

٧٠ - دى - بو ، ت ج ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة / أبو زيدة (محمد عبد الهادى) ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ م) .

٧١ - ديب (د. السيد محمد) ، ياقوت الحموى أديبا وناقدا ، الطبعة الأولى ، (القاهرة دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٨ م) .

٧٢ - الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان) ، العبر في أخبار من غبر ، تحقيق المنجد (صلاح الدين) وآخرين ، (الكويت ، ١٩٦٠ م) .

٧٣ - ———— ، تذكرة الحفاظ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربى ، د. ت) .

٧٤ - ———— ،ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، تحقيق / البجاوى (على محمد) ، (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) .

٧٥ - ———— تاريخ الإسلام، (لبنان - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٣٩ م).

٧٦ - ———— سير أعلام النبلاء ، تحقيق الأرنؤوط (شعيب) الطبعة العاشرة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ م) .

٧٧ - الذهبى (د . محمد حسين) . التفسير والمفسرون . منشورات دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٩ م .

٧٨ - راضى (على محمد) . عصر الإسلام الذهبى (المأمون العباسى) . (القاهرة : الدار القومية للطباعة . د.ت) .

٧٩ - رجب (د. مصطفى) . مع تراثنا التربوى . (القاهرة : مكتبة كوميت . ١٩٩٩م) .

٨٠ - الرزاز (حسن) . عواصم مصر الإسلامية . (القاهرة : مطبوعات الشعب . د. ت)

٨١ - روزنتال (د. فرانتز . مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . ترجمة فريحة (د.أنيس) ط ٤ . (لبنان - بيروت : دار الثقافة . ١٩٨٣ م) .

٨٢ - الزركشى (محمد بن عبد الله بدر الدين) . البرهان فى علوم القرآن . (بيروت : دار المكتبة العلمية : د. ت) .

٨٣ - الزرنوجى . تعلم المتعلم طريق التعليم . (القاهرة . المطبعة الخيرية . ١٣٣٢ هـ) .

٨٤ - زهير (البهاء) . ديوان البهاء . الطبعة الأولى . (دار الكتاب اللبنانى . ١٩٦٨ م) .

٨٥ - زيدان (جرجى) . تاريخ آداب اللغة العربية . مطبعة الهلال . ١٩٤٢ م .

٨٦ - السبكى . طبقات الشافعية . (بيروت : دار الآفاق الجديدة . ١٩٧١ م) .

٨٧ - ـــــــــــ معيد النعم وحيد النقم . تحقيق محمد النجار وآخرون . (مصر : مكتبة الخانجى . ١٩٤٨ م) .

٨٨ - سزكين (فؤاد) . تاريخ التراث العربى . ترجمة / حجازى (د. محمود فهمى) وأبو الفضل (د. فهمى) . المجلد الأول . (الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٧ م) .

٨٩ - السيرافى (أبو سعيد) . أخبار النحويين البصريين ومراتبهم .أخذ بعضهم عن بعض تحقيق البنا (محمد إبراهيم) . الطبعة الأولى . دار الإعتصام . ١٩٨٥ م .

٩٠ - السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت : ٩١١ هـ) . المزهر في علوم اللغة . (القاهرة . ١٩٤٢ م) .

٩١ - ــــــــــ بغية الوعاة فى طبقات النحويين والنحاة . تحقيق إبراهيم (محمد أبو الفضل) . مطبعة عيسى البابى وشركاه . ١٩٦٤ م . جزءان .

٩٢ - ــــــــــ . حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . عيسى البابى الحلبى وشركاه د.ت . جزءان .

٩٣ - شهبة (ابن القاضى) . طبقات النحاة واللغويين . تحقيق غياض (د. محمد) . مطبعة النعمان . النجف الأشرف . ١٩٧٤ م .

٩٤ - الشوكانى (محمد بن على . : ١٢٥٠ هـ) . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . تصحيح اليمنى (محمد بن محمد بن زيارة) . (لبنان - بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . د. ت) . مجلدان .

٩٥ - الشحات (على أحمد) ومنتصر (عبد الحليم) . أبو الريحان البيرونى . حياته . مؤلفاته . أبحاثه العلمية . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٨ م) .

٩٦ - الشيبانى (عمر) . مناهج البحث الإجتماعي . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧١ م) .

٩٧ - الصاغانى (رضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن ت : ٦٥٠ هـ) . كتاب الأضداد . تحقيق أحمد (د. محمد عبد القادر) . (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . ١٩٨٩ م) .

٩٨ - ضيف (د. شوقى) . البلاغة تطور وتاريخ . (القاهرة : دار المعارف . د. ت) .

٩٩ - ــــــــــ . فى النقد الأدبى . (القاهرة : دار المعارف . د. ت) .

١٠٠ - ــــــــــ . المدارس النحوية . (القاهرة : دار المعارف . د. ت) .

١٠١ - ــــــــــ . الفن ومذاهبه في النثر العربي (القاهرة : دار المعارف) .

١٠٢ - ضيف (د. شوقي). تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات . به جزيرة العرب.العراق. إيران)/ ط ٦.(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠ م)

١٠٣ - ــــــــــ تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ط ٦ . (القاهرة : دار المعارف د. ت) .

١٠٤ - الطبرسي (أبو علي ، الفضل بن الحسن) . مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط ٢ ، (بيروت : مكتبة الحياة ، ١٩٦١ م) .

١٠٥ - الطبري (محمد بن جرير ، ت : ٣١٠ هـ) ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ، طبع دار البابي الحلبي ، ١٩٥٤ م) .

١٠٦ - طوقان (د. قدري حافظ) . العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى (القاهرة : دار النهضة ، ١٩٦٨ م) .

١٠٧ - عبادة (د. محمد إبراهيم) . النحو التعليمي في التراث العربي . (الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٨٦ م) .

١٠٨ - عبود (المارون) . بديع الزمان الهمذاني . (القاهرة : دار المعارف ، د. ت) .

١٠٩ - عثمان (د. محمد محمد) . ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٩٥ م) .

١١٠ - عاقل (د. فاخر) . معالم التربية . الطبعة الخامسة . (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣م) .

١١١ - العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، ت : ٨٥٢ هـ) . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.(بيروت : دار الجبل ، د. ت) أربعة أجزاء

١١٢ - ــــــــــ. التهذيب . (القاهرة : دار النهضة ، ١٩٤٨ م) .

١١٣ - ــــــــــ. تهذيب التهذيب . (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ م) .

١١٤ - على (د. سعيد إسماعيل) . معاهد التعليم الإسلامي . (القاهرة : دار الثقافة . ١٩٧٨ م)

١١٥ - ــــــــــــ . ديمقراطية التربية الإسلامية-(القاهرة : عالم الكتب . ١٩٨٢م)

١١٦ - ــــــــــــ . دراسات في التربية الإسلامية.(القاهرة : عالم الكتب . ١٩٩٢ م)

١١٧ - ــــــــــــ . رؤيات إسلامية لقضايا تربوية . (القاهرة : دار الفكر العربى . ١٩٩٣ م)

١١٨ - ــــــــــــ . الأزهر على مسرح السياسة العصرية . (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر . ١٩٧٤ م) .

١١٩ - ــــــــــــ . بحوث في التربية الإسلامية . الطبعة الأولى . (القاهرة : مركز التنمية البشرية للمعلومات . ١٩٨٧ م) .

١٢٠ - على (د. خطاب عطية) . التعليم في مصر في العصر الفاطمى الأول . (القاهرة : دار الفكر العربى . ١٩٤٧ م) .

١٢١ - الغزالى (أبو حامد محمد) . إحياء علوم الدين . (القاهرة . ١٩٣٩ م) .

١٢٢ - فارس (أحمد بن) . الصاحبى . ط ١ . (القاهرة : ١٣٢٨ هـ) .

١٢٣ - فان دالين (ديوبولدب) . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ترجمة : نوفل (د. محمد نبيل) وآخرين . ط ٤ . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٩٠ م) .

١٢٤ - الفراء . معاني القراء . تحقيق نجاتى (د. أحمد يوسف) وآخرين . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠ م).

١٢٥ - السيد (فؤاد البهى) . علم النفس الإجتماعي . (القاهرة : دار الفكر العربى . ١٩٥٤ م) .

١٢٦ - القفطى (جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى يوسف ت : ٦٤٦ هـ . إخبار العلماء بأخبار الحكماء (لبنان - بيروت : دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) . جزء واحد .

١٢٧ - ________ . إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق إبراهيم (د. محمد أبى الفضل) . (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ م) .

١٢٨ - القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . (القاهرة : دار الكتب ، ١٩٢٨ م) .

١٢٩ - قيفر (الوسيان) . الأرض والتطور البشرى ، ترجمة غلاب (د. محمد السيد) . (القاهرة : ١٩٧٣ م) .

١٣٠ - كحالة (عمر رضا) . التاريخ والجغرافيا فى العصور الوسطى . (دمشق : منشورات المطبعة التعاونية ، ١٩٧٢ م) .

١٣١ - ________ . جولة فى ربوع التربية والتعليم ، الطبعة الأولى . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م) .

١٣٢ - الكرخى (أبو بكر محمد بن الحسن) . إنباط المياه الخفية ، تحقيق ودراسة عبد المنعم (بغداد) .(القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧ م)

١٣٣ - مرحبا (د. محمد عبد الرحمن) . الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب ، الطبعة الثانية . (بيروت ، باريس : منشورات عويدات ، ١٩٨٨ م) . مجلد واحد .

١٣٤ - مرسى (د. محمد منير) . التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية . (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٣ م) .

١٣٥ - معروف (ناجى) . تاريخ علماء المستنصرية . (القاهرة : دار الشعب ، ١٩١٦ م). مجلدان .

١٣٦ - المسعودى (أبو الحسين على بن الحسين ت : ٩٥٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الأندلس ، ١٩٧٣ م) أربعة أجزاء .

١٣٧ - الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد) ، مجمع الأمثال ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ م) .

١٣٨ - النعيمى (عبد القادر ، ت ٩٢٧ ع) الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق الحسينى (جعفر) (دمشق : المجمع العلمى العربى ، ١٩٤٨ م) . مجلدان .

١٣٩ - النقيب (د. عبد الرحمن) ، بحوث في التربية الإسلامية ، (القاهرة : دار الفكر العربى ، د.ت) .

١٤٠ - النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت : ٧٣٣ هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق البجاوى (على محمد) ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م) . الجزأين الخامس والسادس .

١٤١ - اليافعى (أبو محمد عبد الله أسعد بن على ت : ٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، (بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م)

١٤٢ - نوفل (سيد) ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، (مطبعة مصر ، ١٩٤٥ م) .

١٤٣ - وافى (د. على عبد الواحد).فقه اللغة ، (القاهرة : لجنة البيان العربى ، ١٩٥٠ م)

١٤٤ - يونس (عبد الحميد) ، خورشيد (إبراهيم ذكى) ، الشنتناوى (أحمد) ، دائرة المعارف الإسلامية ، (النسخة العربية ، الشعب ، د. ت) . الجزء التاسع .

ثالثا : الدوريات والمجلات :

١٤٥ - أحمد (جمال عبد العزيز) . من المناظرات بين النحاة والفقهاء . مجلة الأزهر السنة التاسعة والعشرون . أكتوبر / نوفمبر . ١٩٦٦ م .

١٤٦ - الحمد (رشيد) وينسى (محمد سعيد صابر) . البيئة ومشكلاتها . عالم المعرفة . العدد الثانى والعشرون.ذو القعدة / ذو الحجة . / أكتوبر . ١٩٧٩ م

١٤٧ - الطنوبى (صلاح أحمد) . المكتبات فى الإسلام . مجلة الوعى الإسلامى . العدد ٢٧١ . مارس ١٩٧٨ م .

١٤٨ - العجمى (مرسل فالح) . بطولة ابن القارح فى رسالة الغفران . حوليات كليات الآداب الكويت . العدد ١٧ . ١٩٩٧/٩٦ م .

١٤٩ - سلطان (جمال) . قيمة التراث . مجلة الوعى الإسلامى.العدد ٢٩٨ .مايو ١٩٨٩ م

١٥٠ - شاخت (جوزيف) . بوزورت (كليفورد) . تراث الإسلام . ترجمة السمهورى (د.محمد زهير) مؤنس (د. حسين) . الجزء الأول . عالم المعرفة . العدد ٢٣٣ مايو ١٩٩٨ م .

١٥١ - ________ . تراث الإسلام.ترجمة السمهورى(د.مجمد زهير)مؤنس(د.حسين) الجزء الثانى . عالم المعرفة . العدد ٢٣٤ . يونيو ١٩٩٨ م .

١٥٢ - بانشا (د. أحمد فؤاد) . البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامى . مجلة الأزهر السنه ٢٩ . العدد السادس . أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ م .

١٥٣ - نصر (د. عبد المجيد) . الرياضيات فى الحضارة الإسلامية . أعمال دورة التراث العلمى العربى فى العلوم الإسلامية . ليبيا - طرابلس : جامعة الفاتح . ١٩٩٠ م .

رابعا : الرسائل :

١٥٤ - أبيض (د. ملكة) ، التربية والثقافة العربية والإسلامية فى الشام والجزيرة ، خلال القرون الهجرية الثلاثة ، بالاستشهاد إلى مخطوط تاريخ دمشق لابن عساكر ت : ٥٧١ هـ(بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م) .

١٥٥ - أحمد (د. حسين فؤاد) ، مفهوم الطبيعة الإنسانية فى الفكر التربوى الإسلامي ، ماجستير فى التربية (أصول تربية) ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، ١٩٨٨ م .

١٥٦ - الزود (د. خليل) ، الحياة العلمية فى بلاد الشام فى القرنين الأول والثانى الهجريين (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧١ م) .

١٥٧ - العمايرة (د. محمد حسن) ، الفكر التربوى فى بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وتطبيقاته التربوية ، رسالة دكتوراة ، فى الفلسفة وأصول التربية،جامعة عين شمس ، كلية التربية ، ١٩٩٠ م

١٥٨ - على (د. فاطمة محمد السيد) ، الفكر التربوى عند الإمام الشافعي ، ماجستير ، أصول تربية جامعة المنوفية ، كلية التربية ، ١٩٨١ م .

١٥٩ - القزوينى (د. علاء الدين أمير محمد مهدى) ، الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، دكتوراه أصول تربية ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، ١٩٨٤ م .

١٦٠ - حفناوى (د. مدحت محم عمر) ، قضايا التربية والتعليم فى تاريخ الجبرتى المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ماجستير ، أصول تربية ، جامعة اسيوط ، كلية التربية بأسوان ، ١٩٩١ م .

١٦١ - خليفة محمد ابراهيم ، الدور التربوى لمراكز الثقافة الجماهيرية فى مصر ، ماجستير أصول تربية ، جامعة أسيوط ، كلية التربية بسوهاج ، ١٩٨٧ م .

١٦٢ - رجب (د. مصطفى) . فلسفة التربية عند أبي العلاء المعرى . كما تظهر في ديوان اللزميات بحث منشور . كلية التربية بسوهاج . ١٩٨٦ م .

١٦٣ - ———— . الآراء التربوية في كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني . بحث منشور القاهرة : مكتبة كوميت . ١٩٩٩ م .

١٦٤ - محمد (د. أحمد محمد أحمد) . دور المسجد كمؤسسة تربوية في المجتمع . ماجستير . أصول تربية . دراسة ميدانية على مساجد بندر المنيا . جامعة المنيا . كلية التربية . ١٩٨٨ م .

١٦٥ - معبد (د. فتحى محمد حسن) . الفكر التربوى عند الفقهاء والمحدثين حتى نهاية القرن الخامس الهجرى . دكتوراة فى أصول التربية . جامعة قناة السويس . كلية التربية . ١٩٩٠ م .

١٦٦ - يحيى (د. عبد الأمير شامى) . النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموى . دكتوراه فى الأدب العربى . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة القديس يوحنا . بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة . ١٩٨٠ م .